

طَّرَابِلِسُّ الدَّاعِيَّةِ

تحت حكم أسرة القرماني

رود لفوميكاكي

نقله للغة العربيّة
طَه وَنَوَازِي

دار الفرجاني

طرابلس - ليبيا

1. 1940
Malaysia.

ظُرَّ ابليسُ الغريبُ

تحت حكم أسرة القمراني



طَّرَابِلِسُّ الْعَرَبِيَّةِ

تحت حكم أسرة القمريانيين

رود لفوميكاكي

نقله للغة العربية
طَه وَنَوَازِي

دار الفرجاني

طرابلس - ليبيا

موضوعات الكتاب

- الصفحة
- (١) تقديم هذه السلسلة : للأستاذ محمد شفيق غربال ... ز
- (٢) مقدمة تاريخية : كمال الدين الخربوطلي ح - ن
- (٣) مقدمة المؤلف : الأستاذ رودلفو ميكاكي ١ - ٤
- (٤) الفصل الأول : أحمد القرماني يصبح سيداً لطرابلس ٥ - ٣٤
- (٥) الثاني : المنازعات بين أحمد القرماني والدول الأوربية ٣٥ - ٦٣
- (٦) الثالث : أيام أحمد القرماني الأخيرة ٦٤ - ٨٣
- (٧) الرابع : حكم محمد القرماني ٨٤ - ٨٩
- (٨) الخامس : حكم علي القرماني ٩٠ - ١١٩
- (٩) السادس : علي برغل يستولي على طرابلس
عودة القرمانيين وحكم أحمد الثاني ١٢٠ - ١٣٠
- (١٠) السابع : السنوات الأولى من حكم يوسف ١٣١ - ١٧٠
القرماني ١٣١ - ١٧٠
- (١١) الثامن : الدول الأوربية في مقاومة المغامرين ١٧١ - ١٩٩
- (١٢) التاسع : السنوات الأخيرة من حكم يوسف
القرماني ٢٠٠ - ٢٣٩
- (١٣) العاشر : حكم علي القرماني وسقوط الأسرة ٢٤٠ - ٢٦٤
- (١٤) المراجع ٢٦٥ - ٢٧٢
- (١٥) ملحق الوثائق التاريخية ١ - ٩٤

تقديم

والكتاب الذي أتشرف بتقديمه للقراء ، يتناول موضوع حكم بيت
القرمانلى فى طرابلس الغرب الذى امتد من سنة ١٧١١ إلى سنة ١٨٣٥ وقد
اعتمد فيه مؤلفه على الوثائق الرسمية الأوربية والتركية والعربية ، وما يزيد
فى فائدة الكتاب مجموعة الوثائق التى اختارها الحروبولى وتوضح جوانب
مختلفة من تاريخ طرابلس فى ذلك العهد .

وأنتهز هذه الفرصة لاشكر السيد المترجم طه فوزى والسيد
المراجعين على ما بذلوا فى ترجمة الكتاب وإعداده للنشر .

محمد شفيق غزال

مقدمة تاريخية للأستاذ جمال الدين الخرنوبلى

طرابلس الغرب على العهد القرمانلى

(١٧١١ - ١٨٣٥)

شهد القرن الثامن عشر تنافساً استعماريّاً طاحناً بين الدول الأوربية الكبرى فى القارة الأوربية وفيما وراء البحار ، كان من مظاهره ذلك الصراع العنيف بين الإنجليز والفرنسيين فى الهند وأمريكا الشمالية والذى انتهى باستقرار الأمر للإنجليز فيها ، ثم ثار الأمريكيون لينتزعوا حقهم فى الحياة الحرة ، وتمكنوا بكفاحهم من أن يعلنوا استقلالهم فى ٤ يوليو سنة ١٧٧٦ .

وفى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، اندلعت الثورة الفرنسية بمشورة بمبادئ جديدة ، زلزلت دعائم النظم الاستبدادية وحاولت فرنسا الثائرة أن تسود كل أوروبا ، وامتد نفوذها عبر البحر المتوسط إلى مالطة ومصر ، ولكن وميضها عاد لينطفئ عندما تمت هزيمة نابغة الحرب - نابليون - فى موقعة واترلو وكان مصيره النفى إلى جزيرة سانت هيلانة ، ثم اجتمعت الدول المنتصرة لتعيد تخطيط أوروبا من جديد متجاهلة ما أتت به الثورة من مبادئ لا تزول بزوال الأشخاص ، كما أخذت تتفرغ لمشا كل كانت تقض مضجعها ولكنها كانت بمنأى عنها بسبب تفرغها لذلك التطاحن المرير ومشا كلها الخاصة الداخلية ، ومن أهم تلك المشكلات المغلغات البحرية .

أما الدولة العثمانية فقد أخذت تزداد ضعفاً ، واستغلت روسيا ذلك الضعف لتصل إلى منافذ على بحار مفتوحة على حساب ذلك الرجل المريض ، وأدى ضعف رقابة الحكومة المركزية إلى اضطراب الحكم في الولايات العثمانية البعيدة ، فكثرت تغيير الولاية ، وتعددت ظهور المغامرين الذين يحسنون الاستفادة من الفرص المواتية ، وتمكن بعضهم من أن ينشئ كيانات خاصة للولاية التي استأثر بالسلطة فيها داخل نطاق الكيان العثماني العام ، ومن بين هؤلاء أحمد القرماني في طرابلس سنة ١٧١١ .

والأسرة القرمانية أسرة تركية الأصل موطنها الأصلي مدينة قرمان ببلاد الأناضول ، وفد مصطفى الجدي الأكبر لأحمد إلى طرابلس وكان بحاراً صغيراً وامتلك بعض المزارع والنخيل في حي المنشية واندمج أبناؤه وأحفاده بأهل البلاد وصاهروهم ، ووصل يوسف والد أحمد إلى مرتبة باشا أغا فرسان الساحل والمنشية في عهد الوالي خليل باشا وخلفه في هذا المنصب ابنه أحمد الذي استطاع أن يكون له ولأسرته ملكاً وراثياً مستقلاً بالفعل خاضعاً بالإسم للدولة العثمانية استمر قرناً وربعاً من الزمان من أواخر يوليو سنة ١٧١١ إلى أوائل يونيو سنة ١٨٣٥ حيث عاد الحكم العثماني المباشر نتيجة ضعف حكام هذه الأسرة وتنازع أفرادها ، وتدخل الدول ، وقضاها على نشاط البحرية الليبية ، الذي كان يمثل أهم موردمن إيراداتها الاقتصادية .

انجحت طرابلس الغرب في هذا العهد نحو البحر تجديف رزقها ، وتؤمن الطريق لسفنها ، وتجاهد سفن الدول الأوربية التي كانت مشغولة بالتنافس الاستعماري ، وهنصرفة إلى مشاكلها الخاصة ، فاضطرت أمام تحدى الأمراء للقرمانيين لها ، وتعرض بحريتهم لسفنها إلى عقد معاهدات لتنظيم العلاقات البحرية والتجارية فيما بينها وبين نيابة طرابلس الغرب لتؤمن سفنها وتعهدت لها بدفع إتاوات سنوية وهدايا قصلية عند تعيين كل قنصل جديد ، وهبات أخرى عند تجديد المعاهدات ، ومن بين هذه

(ك)

الدول انجلترا وفرنسا وأسبانيا وهولندا والسويد والجمهورية الإيطالية .
ومع حرص هذه الدول جميعاً على إرضاء القرمانليين ، فإن هؤلاء لم
يستنكفوا من المطالبة بزيادة هذه الاتاوات والهبات كلما أعوزتهم الحاجة
إلى المال ، بل كانوا يكثرون من إرسال مبعوثيهم إلى تلك الدول للمطالبة
بهذه الأمور وبغيرها ، حتى ضجت الدول من كثرتهم ، وأخذت تعمل على
تفادي إرسالهم بالأسراع بدفع ما يطلبه القرمانليون ، ومع كل ذلك فقد
كانت معاملتهم للقناصل حازمة ، تقوم على وجوب مراعاة حرمة البلاد
وتقاليدها ومظاهر الخضوع لحكامها ، فإذا خرج أحد القناصل على هذا
السَّنن ، عومل معاملة قاسية وطرد من البلاد .

ومن أبرز مظاهر العلاقات الدولية في ذلك العهد محاولة روسيا بعد
حصولها على حق حرية المرور في البحر الأسود في معاهدة كنارجي سنة
١٧٧٤ الحصول على إمتياز إستخراج الملح من ملاحات بوكاش ، وإقامة
حصن بها ، وعرضها شراء مدينة بومبا شرق درنه ولكن هذه المشروعات
لم تتم لمعارضة السلطان .

أما فرنسا النائرة فقد سادت بينها وبين يوسف القرمانلي صلوات مودة
حتى سنة ١٨٠٥ ، ولذلك ساهم يوسف أثناء الاحتلال الفرنسي لمصر في
تموين مالطه وتسهيل تبادل البريد بين الفرنسيين في مصر وبلادهم عن طريق
طرابلس الغرب ، ورفض الاستجابة لرغبات السلطان في اعتقال الرعايا
الفرنسيين ومهاجمة مصر من ناحية الغرب متذرعاً بعسره المالي وعدم كفاية
قواته العسكرية ، ولكن هذه العلاقات أخذت تنفصم عند انتهاء النزاع بين
طرابلس الغرب والولايات المتحدة الأمريكية .

بدأ ذلك النزاع في سنة ١٨٠١ عندما طالب يوسف بزيادة الاتاوة
التي كانت تدفعها الولايات المتحدة ورفض الكونغرس الموافقة على هذه
الزيادة وثار الشعب الأمريكي منادياً بإتفاق الملايين على الدفاع وعدم دفع

سنت واحد كجزية ، واستعانت الولايات المتحدة في هذا الصراع الحربى بأحمد أخ يوسف الذى كان لاجئاً بمصر للنزول بدرنه والهجوم على طرابلس برا ، وقد استمر هذا النزاع حتى سنة ١٨٠٥ تعددت أثناء المصادمات بين سفن طرابلس الغرب والسفن الأمريكية التى كانت تأتى لحصار الشواطىء وضرب المدينة ، وقد فقدت الولايات المتحدة في هذا النزاع أشهر سفنها في ذلك الوقت « فيلادلفيا » وعددا من بحارتها لم تعثر على أماكن دفنهم إلا سنة ١٧٤٩ ، ثم انتهى ذلك النزاع بعقد معاهدة تم فيها إعفاء الولايات المتحدة من الاتاة السنوية وإطلاق سراح بحارة السفينة « فيلادلفيا » بعد دفع ٦٠ ألف دولار . كان هذا النزاع بداية سوء الطالع الذى حالف طرابلس الغرب ، فبدأ نشاط بحريتها يضمحل ، حتى تمكن Exmouth القائد الإنجليزى من عقد معاهدته المشهورة مع نيابات الغرب في ٢٩ إبريل سنة ١٨١٦ التى تعهدت فيها تلك النيابات بالكف عن المغامرات البحرية واسترقاق الأسرى وفقدت طرابلس بذلك أهم مواردها المالية ، فأخذت تزداد ضعفاً .

أما علاقة طرابلس الغرب بحيرانها العرب في ذلك الوقت ، فكانت طيبة بوجه عام ، وإن اعتورها بعض الضعف أحياناً ، عندما كانت تتعارض مصالح الحكام الشخصية ، مثل ما حدث بين طرابلس وتونس بسبب النزاع حول جزيرة جربة ، واستعداد يوسف القرمانيلى لرد قوات محمد على عندما سمع عن نبأ اتفاهه مع الفرنسيين لغزو الجزائر ، أما ما عدا ذلك فقد كانت الرابطة قوية بدت في أروع صورها في ذلك التعاون البحرى بين سفن النيابات المغربية الثلاث — طرابلس وتونس والجزائر ، ولذلك حاولت الدول الأوربية في معاهداتها مع طرابلس أن تبث الفرقة بين هذه النيابات وتقضى على هذا التعاون . وكانت تونس ومصر تجيران كل من يلجأ إليها من حكام طرابلس الغرب أو مواطنيها كلما ألت بهم ضائقة ، أو اشتد بهم أمر ، وقد لجأ على القرمانيلى الأول وأبناؤه إلى تونس عندما طردهم المغامر « على

سنت واحد كجزية ، واستعانت الولايات المتحدة في هذا الصراع الحربى بأحمد أخ يوسف الذى كان لاجئاً ، مصر للنزول بدرنه والهجوم على طرابلس برا ، وقد استمر هذا النزاع حتى سنة ١٨٠٥ تعددت أثناء المصادمات بين سفن طرابلس الغرب والسفن الأمريكية التى كانت تأتى لحصار الشواطىء وضرب المدينة ، وقد فقدت الولايات المتحدة في هذا النزاع أشهر سفنها فى ذلك الوقت « فيلادلفيا » وعدداً من بحارتها لم تعثر على أماكن دفنهم إلا سنة ١٩٤٩ ، ثم انتهى ذلك النزاع بعقد معاهدة تم فيها إعفاء الولايات المتحدة من الاتاة السنوية وإطلاق سراح بحارة السفينة « فيلادلفيا » بعد دفع ٦٠ ألف دولار . كان هذا النزاع بداية سوء الطالع الذى حالف طرابلس الغرب ، فبدأ نشاط بحريتها يضمحل ، حتى تمكن Exmouth القائد الإنجليزى من عقد معاهدته المشهورة مع نيابات الغرب فى ٢٩ إبريل سنة ١٨١٦ التى تعهدت فيها تلك النيابات بالكف عن المغامرات البحرية واسترقاق الأسرى وفقدت طرابلس بذلك أهم مواردها المالية ، فأخذت تزداد ضعفاً .

أما علاقة طرابلس الغرب بحيرانها العرب فى ذلك الوقت ، فكانت طيبة بوجه عام ، وإن اعتورها بعض الضعف أحياناً ، عندما كانت تتعارض مصالح الحكام الشخصية ، مثل ما حدث بين طرابلس وتونس بسبب النزاع حول جزيرة جربة ، واستعداد يوسف القرمانيلى لرد قوات محمد على عندما سمع عن نبأ انفاقه مع الفرنسيين لغزو الجزائر ، أما ما عدا ذلك فقد كانت الرابطة قوية بدت فى أروع صورها فى ذلك التعاون البحرى بين سفن النيابات المغربية الثلاث — طرابلس وتونس والجزائر ، ولذلك حاولت الدول الأوربية فى معاهداتها مع طرابلس أن تبث الفرقة بين هذه النيابات وتقضى على هذا التعاون . وكانت تونس ومصر تجيران كل من يلجأ إليها من حكام طرابلس الغرب أو مواطنيها كلما ألت بهم ضائقة ، أو اشتد بهم أمر ، وقد لجأ على القرمانيلى الأول وأبناؤه إلى تونس عندما طردهم المغامر « على

برغل ، من طرابلس واغتصب الحكم لنفسه في الفترة من مايو سنة ١٧٩٣ إلى ١٩ يناير سنة ١٧٩٥ ، وقد تمكن القرمانليون بمساعدة التوانسة من استعادة حكمهم . أما مصر ، فقد أجارت الكثير من مواطني طرابلس الغرب وأفراد أسرتها الحاكمة ومن بينهم أحمد أخ يوسف الذي احتفى بمحمد الألفي إثر نزاعه مع أخيه وتزوج سيدة من أسرة ملوم وتوفي بمصر في ديسمبر سنة ١٨١١ وعثمان بن يوسف الذي لجأ إلى الاسكندرية وتوفي بها ، كما هاجرت قبائل الجوازي والفوائد من برقه ، وانسحبت قبيلة أولاد علي إلى شرق السلوم إثر إغارة يوسف عليها وما زالت تقيم في الصحراء الغربية إلى اليوم .

وتجلت علاقات الود مع مراکش في إعانة مولاي محمد لطرابلس الغرب أثناء القحط الذي أصابها سنة ١٧٨٤ بامدادات مالية وبالغلال وقد فعل بك تونس مثل ذلك أيضاً - هذا فضلاً عن أن طرابلس كانت طريق مرور للحجاج المغاربة الذين كانوا يمرون بها في طريقهم البري مولين وجوهم شطر البقاع المقدسه لأداء فريضة الحج .

ازدهرت بحرية طرابلس الغرب في ذلك العهد وأعد الأمراء القرمانليون تنظيمًا دقيقًا للبحرية الرسمية والشعبية ، وظهر عدد من رؤساء البحر المغامرين ، كانت لهم صولات وجولات موفقة ضد سفن الأعداء يخرجون مجاهدين ، ويعودون غانمين ، وفي ذهابهم وعودتهم يودعهم أفراد الشعب بالأهازيج الحماسية ومواكب الدعاء والنصر .

وكان لرئيس البحرية مكانة عظيمة أهّلته لمصاهرة الحاكم ، فقد تزوج رئيس بحرية علي الأول القرمانلي من صغرى بناته ، كما تزوج مصطفى قورجي رئيس بحرية يوسف من إحدى بناته ، وأنفق بعض ماله في بناء مسجده المشهور بمدينة طرابلس سنة ١٨٣٤ .

كان القرمانليون يستعينون في بناء سفنهم بالفنيين من أوربا فاستقدم يوسف القرمانلي سنة ١٧٩٧ مهندساً متخصصاً في بناء السفن من أسبانيا وبعض العمال الفنيين .

وكان إنزال السفن الجديدة إلى البحر يتم باحتفال عام تنظمه الدولة وتدعو إليه ، وتنزل السفينة وعلى ظهرها خروف ناصع البياض مزيت بالزهور ينحر عندما تبدأ السفينة في السير وسط تحية الأعلام وطلقات مدافع الشاطئ ، والسفن الراسية في الميناء .

وامتلأت خزائن القرمانيين بالأموال ، كما غصت حماماتهم بالأسرى ، وتزوج الحكام من كثير من الأسيرات الأوربيات اللاتي كن يعتنقن الإسلام وينتسبن إلى أب روهي باسم عبد الله .

وإلى جانب موارد هذه المغامرات البحرية ازدهرت تجارة القوافل إلى السودان وغرب إفريقيا ، غير أن الدول الأروبية الاستعمارية خاصة إنجلترا وفرنسا أخذت توجه اهتمامها لاتخاذ مدينة طرابلس والمدن الساحلية قواعد للكشف الجغرافي في أواسط إفريقيا ، وكان الرحالة الأروبيون يخفون أغراضهم الرئيسية متذرعين بالكشف عن بعض النباتات الطبية ، أو دراسة المناطق الأثرية ، أو اشباع روح المخاطرة ، وقد فرض القنصل البريطاني وارانجتون نفسه على يوسف باشا ليساعد الرحالة الانجليز ويؤمن أسفارهم الداخلية ، وكان وارانجتون يستفيد من هذه الرحلات ليقوم بدور كبير من الجاسوسية لحساب بلاده .

كان كثير من هؤلاء الرحالة ينتظرون مواسم قيام القوافل لمصاحبتهما ، ويتظاهرون بممارسة العبادات الإسلامية أمام رجالها ، وقد أدى تنافس فرنسا وإنجلترا في هذا الميدان إلى قيام النزاع المستمر بين القنصلين البريطاني والفرنسي في طرابلس وتبادلها الاتهامات ، وكان لهذا التنافس أثره في الأحوال الداخلية للبلاد ، إذ استغل القنصلان الانقسام الداخلي بين أفراد الأسرة الحاكمة وانقسام المواطنين بينهم ، وتدخل كل منهما ليؤازر فريقا من المتنازعين ، وكان لهما دور في تأجيج تلك الحرب الأهلية التي سادت طرابلس من سنة ١٨٣٢ حتى انتهت بعودة الحكم العثماني المباشر .

كانت حياة القرمانيين الخاصة حياة بذخ وإسراف وملذات ومعايشة للنساء ، وإدمان الشراب حتى كان بعضهم يقطر المشروبات الروحية لاستعماله الخاص ، وبدت مظاهر العظمة في أثاث بلاطهم ، وملابس نسائهم وخادماهم وقد كلفتهم هذه الحياة أموالا طائلة لم يحسروا بها في أوج عظمة بحريتهم ، واستغلوا بعض هذه الأموال في إقامة المنشآت وأشهرها مسجد أحمد باشا في مدينة طرابلس ، وفي إصلاح القلاع والأسوار .

وبعد أن ضعف أمر هذه البحرية ، قلت موارد القرمانيين المالية ، فلجأ يوسف إلى وسائل مختلفة ليحصل على ما يريد من مال كبيع الحاصلات مقدما والاستدانة من الرعايا البريطانيين والفرنسيين ، واثقال كاهل الطائفة اليهودية بالضرائب واضطر آخر الأمر إلى ضرب مسكوكات نحاسية لم تفلح شيئا ، واستغل الفرنسيون فرصة ذلك العسر المالي وطالبوا بسداد ديون رعاياهم واتخذوا ذلك ذريعة لتحديد نشاط البحرية القرمانية تحديدا نهائيا سنة ١٨٣٠ بمنعها من تجديد أو بناء سفن جديدة ، وتبعهم البريطانيون ، فلجأ يوسف إلى إرهاب رعاياه من سكان المنشية بالضرائب ، حتى ضج الناس وجأروا بالشكوى ، واشتعلت الثورة ضده وثارَت العصابات المحلية بزعامة عبد الجليل سيف النصر وغومه المحمودى وعثمان الأدهم وغيرهم ، وانتهى الأمر بتنازل يوسف عن العرش لابنه على الثانى في أغسطس سنة ١٨٣٢ ، فنافس محمد القرماني وانقسمت البلاد بين الأميرين المتنازعين ، وتدخل القنصلان الفرنسى والانجليزى فأزر القنصل الفرنسى على الثانى ، واتجه القنصل الانجليزى ومحمد بيت المال زعيم المنشية الذى كان بمثابة رئيس للوزراء فى عهد يوسف لمؤازرة محمد ، وعندما صدر فرمان السلطان بتأييد على الثانى صديق الفرنسيين ، اتجه الانجليز لتحريض العثمانيين على استعادة الحكم المباشر فى طرابلس الغرب وتم ذلك على يد القائد البحرى العثمانى نجيب باشا فى يونيه سنة ١٨٣٥ وعادت طرابلس ولاية عثمانية وانتهى عهد الأسرة القرمانية .

مُتَدِمَةٌ

طرابلس الغرب

تحت حكم أسرة القرمانلى
بقلم رودولفو ميكاكى

عندما اضطررت للانتقال إلى طرابلس في عام ١٩١٩ م بسبب أعمال
وظيفتي دفعتني حب استطلاع طبيعي لمعرفة أحداث القطر الذي كان مقدراً
لي أن أقيم فيه مدة من الزمن والتعرف على أحوال الناس الذين
سأعمل بينهم .

على أن حب الاستطلاع هذا لم تكفه تلك المؤلفات التي كتبت في هذا
الشأن إلى ذلك الحين في هذا الجانب ، حتى تلك الفترة ، مما جعلني أثناء
إقامتي في تلك المستعمرة أداوم ببحث هذا الموضوع لدراسة ذلك الماضي ،
ولم أنقطع عن هذا البحث حتى بعد عودتي إلى بلادى بقدر ما سمح به استعدادى
ومعلوماتى التاريخية واللغوية ، وكانت معلوماتى عن الناحية الأخيرة لا تنى
بحاجتى خاصة بسبب جهلى باللغة العربية ، ومن حسن حظى أنى تعرفت
ببعض علماء البلاد الذين يسرنى أن أذكر من بينهم السيد / إسماعيل كمالى الذى
هو أعرف من أى إنسان آخر بتاريخ بلاده ، وقد سمح لى ما وجدته منهم
من لطف ومودة بالتغلب على هذه الصعوبات التى لاقيتها بسبب هذا النقص ،
وبأن أجمع الكثير من الوثائق والأخبار التى أمدتني بمحصول وافر لبحث
قمت بوضعه ، عنوانه « مدينة طرابلس وطرابلس الغرب » ، فيما قبل الاحتلال

وقد حفزني الاستقبال الحسن الذي أستقبل به الباحثون في الشئون
الاستعمارية هذا الكتاب المختصر على الاستمرار في التحري والبحث ، كما أن
حادثا عرضيا وقع في سنة ١٩١٩ وكان من شأنه أن جعلني أعر على الوثائق
التي كانت محفوظة في أرشيف قنصليات سردينيا و نابولي وتوسكانا في طرابلس
وأن أنقذها من تدمير محقق ، واستخرجت من بينها كل ما له أهمية للتاريخ المحلي ،
وبعد سنة ١٩٢٦ وسعت دائرة أبحاثي وتحرياتي حتى شملت ميادين أخرى من
ميادين البحث بأن جمعت بطريق مباشر بنفسى أو بواسطة بعض أصدقائى
المتفضلين ، صوراً ومستخرجات من الوثائق المحفوظة في تلك المدينة من
مخفوظات قنصليات فرنسا وبريطانيا العظمى ، كما جمعت بعض الأخبار التي
ضمتها سجلات المحكمة الشرعية ، كما تفضل السيد باولو توسكى ووضع تحت
تصرفى سلسلة من الوثائق الخاصة بولاية طرابلس الغرب كان قد قام بنسخها
في باريس من محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية .

وتشير هذه المادة الضخمة كلها ، في جانب كبير منها ، إلى القرن الثامن
عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر ، وتلقى ضوءاً خاصاً على الفترة
التي كانت فيها طرابلس الغرب تحت حكم القرمانليين دولة مستقلة بالفعل ،
ولو أنها كانت تابعة إسمياً للباب العالي . ولقد كان لتاريخ هذه الفترة أهمية
كبرى سواء بالنسبة لطريقة استيلاء أسرة القرمانلى على السلطة في البلاد التي
بقيت تحكمها مدة تزيد على قرن من الزمان ، أو بسبب الخلافات التي قامت
إذ ذاك بين طرابلس وبعض الدول الكبرى الأوروبية أو بسبب الأحداث
التي توالى فيها والتي عادت طرابلس بسببها للخضوع لحكم العثمانيين المباشر ،
عما حدا بى أن أجعلها موضوع بحث خاص ، وهو البحث الذى أنشر
نتائجه في هذا الكتاب .

ولى وطيد الأمل فى ألا يكون عمل هذا عديم النفع ، بالرغم من أنه قد
نشرت فى العشرين سنة الأخيرة كتب وضعها كل من أ. برنارد ول. ش.
فيرو بعنوان « حوليات طرابلس » ، وهو كتاب واسع النطاق وعظيم

وقد حفزنى الاستقبال الحسن الذى أستقبل به الباحثون فى الشئون الاستعمارية هذا الكتاب المختصر على الاستمرار فى التحرى والبحث ، كما أن حادثا عرضيا وقع فى سنة ١٩١٩ وكان من شأنه أن جعلنى أعثر على الوثائق التى كانت محفوظة فى أرشيف قنصليات سردينيا و نابولى وتوسكانا فى طرابلس وأن أنقذها من تدمير محقق ، واستخرجت من بينها كل ما له أهمية للتاريخ المحلى ، وبعد سنة ١٩٢٦ وسعت دائرة أبحاثى وتحريأتى حتى شملت ميادين أخرى من ميادين البحث بأن جمعت بطريق مباشر بنفسى أو بواسطة بعض أصدقائى المتفضلين ، صوراً ومستخرجات من الوثائق المحفوظة فى تلك المدينة من محفوظات قنصليات فرنسا وبريطانيا العظمى ، كما جمعت بعض الأخبار التى ضمتها سجلات المحكمة الشرعية ، كما تفضل السيد باولو توسكى ووضع تحت تصرفى سلسلة من الوثائق الخاصة بولاية طرابلس الغرب كان قد قام بنسخها فى باريس من محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية .

وتشير هذه المادة الضخمة كلها ، فى جانب كبير منها ، إلى القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر ، وتلقى ضوءاً خاصاً على الفترة التى كانت فيها طرابلس الغرب تحت حكم القرمانيين دولة مستقلة بالفعل ، ولو أنها كانت تابعة إسمياً للباب العالى . ولقد كان لتاريخ هذه الفترة أهمية كبرى سواء بالنسبة لطريقة استيلاء أسرة القرمانيين على السلطة فى البلاد التى بقيت تحكمها مدة تزيد على قرن من الزمان ، أو بسبب الخلافات التى قامت إذ ذاك بين طرابلس وبعض الدول الكبرى الأوروبية أو بسبب الأحداث التى توالى فيها والتي عادت طرابلس بسببها للخضوع لحكم العثمانيين المباشر ، مما حدا بى أن أجعلها موضوع بحث خاص ، وهو البحث الذى أنشر نتائجه فى هذا الكتاب .

ولى وطيد الأمل فى ألا يكون عملي هذا عديم النفع ، بالرغم من أنه قد نشرت فى العشرين سنة الأخيرة كتب وضعها كل من أ. برنارد ول. ش. فيرو بعنوان « حوليات طرابلس » وهو كتاب واسع النطاق وعظيم

الأهمية ، كما أن هناك كثيرين من كبار المهتمين بالتاريخ الاستعماري قد
اهتموا بهذا الموضوع ويستحق الذكر من بين الإيطاليين منهم « الأب برينا
Bergna ، و « السيد / كمالى (١) » ، و « دى أجوستيني De Agostine »
و « روسى Rossi » ومن غير الإيطاليين « شارل روى Charles Roux »
و « سيريز Serres » ، و « فداالا Vadala » .

وفي الواقع لم يوضح الجانب الأكبر من الكتب التي نشرت والتي
وضعها الباحثون الذين أشرت إليهم فيما سبق إلا بعض فقرات من تاريخ
ذلك العصر ، كما أن الكتابين المستفيضين وهما كتاب « طرابلس من
عام ١٥١٠ إلى عام ١٨٥٠ » الذي وضعه « الأب ك . برينا » وكتاب
« حوليات طرابلس Annales tripolitaines » الذي وضعه ل . ش . فيرو
يروي أخبارا عن أحداث يجب أن نأخذها بمنتهى الحذر والحيطه ، لأنها
مستخرجه من وثائق من جانب واحد ، ولأنهما كانت مقبولة ومهما استند
إليها ، فهي وثائق مشكوك في صحتها وقابلة للنقاشه .

أما هذا الكتاب فإنه مستقى من مصادر متعددة جرى بحثها بحثا طويلا ،
وتمت المقابلة بينها ، ومراجعتها بمنتهى الدقة والعناية - ولما كانت الأخبار
المبلغة في رسائل القناصل الأوروبيين في طرابلس ، إلى حكوماتهم ، تعطى
وصفا خاصا للحوادث ، إلا أن هذا الوصف لا يمكن قبوله والتسليم به ، لأنني
حتى إذا سلمت بأن بعض هؤلاء القناصل كانت لهم معرفة بلغة البلاد وعاداتها ،
وعرفوا اتجاهات سياسة حكومة نيابة طرابلس الغرب المتقلبة ، فإن أكثرهم قد
استقوا معلوماتهم وأخبارهم دون تدقيق من مصادر لم تكن دائما وثيقة ،
ولم يهتموا بالتالي بمعرفة الأسباب التي دعت إلى تغيير تلك السياسة ، ومن

(١) ذكر المؤلف اسم اسماعيل كمالى على أنه إيطالى رغم أنه لىبى ولد في طرابلس سنة
١٨٨٢ ، وعمل مميزا بقلم المكتوبجية في العهد العثمانى ثم عمل بالنجفة في العهد الإيطالى ،
وتولى لإدارة الأوقاف حيث كان له الفضل في تحسين حال المدارس القرآنية . وقد حصل على
الجنسية الإيطالية وتوفي في ٢٢ أبريل سنة ١٩٢٦ م .
(المراجع)

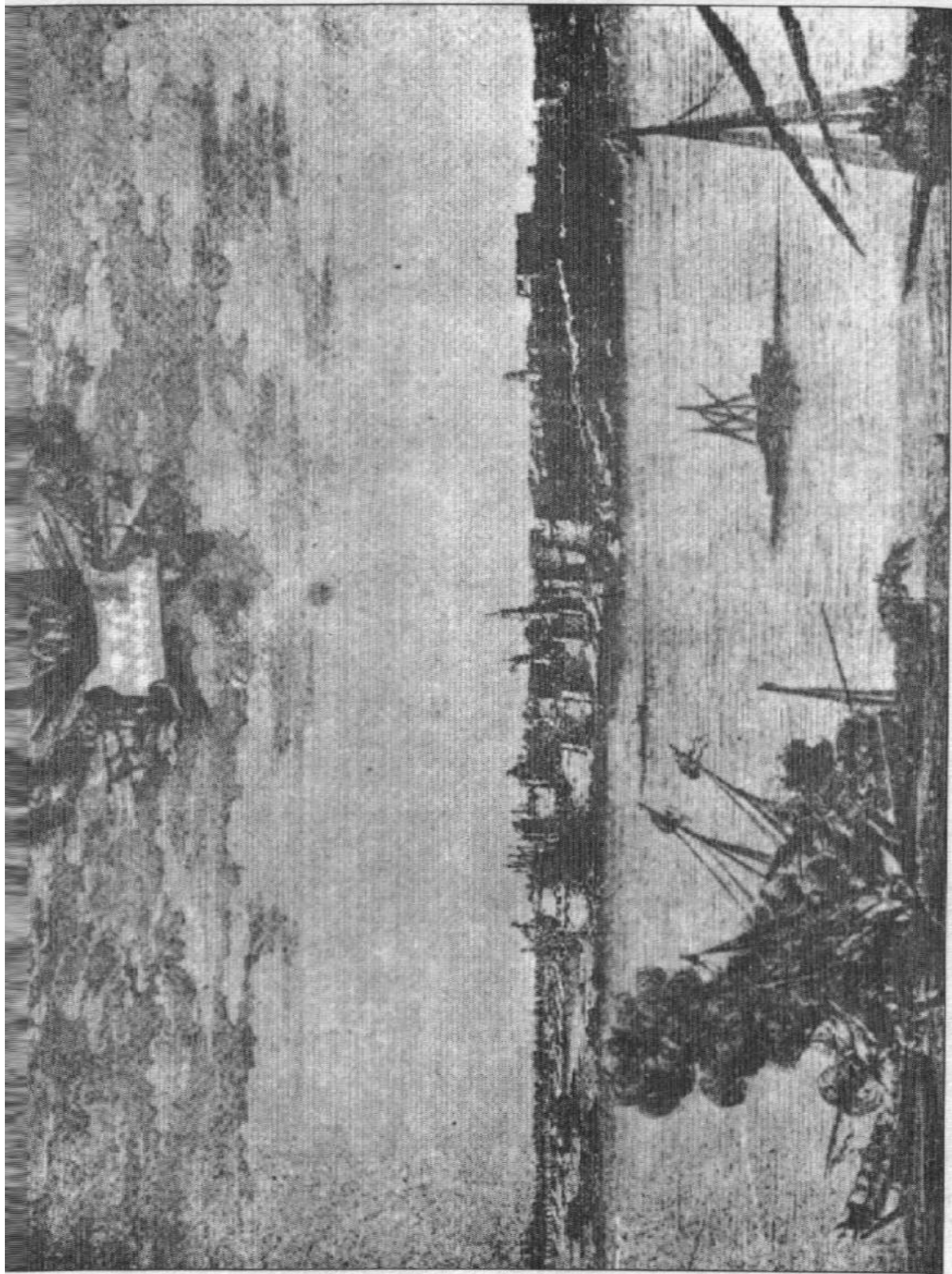
جهة أخرى فقد كانوا جميعا ممثلين أكثر مما كانوا نظارة للحوادث المحلية، وقد حكموا دون وعى على الرجال وعلى الأشياء طبقا لموقفهم من الدولة التي يمثلونها، وكانوا كلما زاد نشاطهم وذكاؤهم زاد عملهم لئلا يصابوا بمصالح دولتهم وامتيازاتها .

ومن هنا جاء عملهم ناقصا، ونما يدل على ذلك بوجه خاص أنهم تركوا صورة ناقصة ومشوهة للباشاوات الذين توالوا على حكم البلاد ، وكانوا معاصرين لهم أثناء عملهم وحكموا عليهم أحكاما خاطئة .

ومن الممكن أن يعتقد الإنسان أنه من المستحسن فيما يختص بالتاريخ المحلي الرجوع إلى المصادر العربية ، المنسوبة للأشخاص العارفين ببواطن الأمور الذين يمكنهم أن يروا الأشياء كما هي من الداخل .

ولكن مثل هذه المصادر في أغلب الأحيان كانت متحيزة أكثر مما يجب، أو مشوبة بالنقصان ، وغير كافية لإعطاء معلومات دقيقة عن الحوادث ، ومع هذا فقد كان لها فائدتها العظيمة ، في إعطاء تفصيلات عن الحوادث والأشخاص وعلى الأخص ما تلقيه من ضوء على المنازعات الحزبية ، وعن أحوال القبائل ومعيشتها ، وبالاختصار عن حياة السكان الداخلية .

من هذه المصادر أو تلك التي قمت بالرجوع إليها ، بكل ما أمكنتني من حيطة ، جاء هذا الكتاب الذي يمكن القول عنه ، بأنه تحليلي أكثر مما يجب ، لأنني تمسكت بنصوص الوثائق ، ولم أحدها عنها قيد شعرة ، ونقلت محتوياتها بمنتهى الدقة ، وربما كانت قراءته لهذا السبب جافة وغير مشوقة ، ولكن إذا كان هذا مخالفا للغرض الذي رميت إليه من وضع هذا الكتاب ، فإنه مما يعزيني ويسرى عن نفسي اعتقادي بأنه في أي أسلوب ظهر هذا الكتاب ، فإنه لا يخلو من الفائدة لمن يرغب معرفة تاريخ طرابلس الغرب .



الفصل الأول

أحمد القرمانلي

يصبغ سيد طرابلس

كانت طرابلس تتمتع في بداية القرن الثامن عشر بشهرة لرخائها وقوتها، التي تفوق كثيراً قيمة الموارد الاقتصادية المتواضعة لهذا الإقليم والقوات العسكرية الضعيفة التي كانت تحت سيطرته .

إن الاعتقاد بوجود أرض غنية خصبة في الواحات الممتدة على طول الشاطئ، سرعان ما يتبدد ويزول عند من تتاح الفرصة له لرؤية سهل الجفارا الذي استحال جانب كبير منه إلى مروج ، هي مرعى عظيم لعدد غير كبير من الماشية ، وليس فيها سوى مساحات صغيرة مزروعة بالشعير والقمح ، وفضلاً عن هذا تنمو أشجار الزيتون في بعض الأماكن على طول منحدرات تلال مسلاته وسفوح جبل غريان وهي بقايا الغابات التي كان يتكون منها في القرون الأولى من تاريخنا، المصدر الرئيسي من مصادر ثروة هذا الإقليم ، ويمكن القول بوجه عام بأن هذه البلاد تبدو عليها مظاهر الخراب والدمار والإهمال ، وقد اقتصرت منتجات الصادرات على كميات ضئيلة من الصوف وعلى عدد محدود من الماشية ، وكمية من البلح وقليل من الزعفران ، وكان سكان حكومة هذه النيابة من حضر وبدو ، في حالة بؤس شديد ، يستهلكون النذر اليسير من المصنوعات اليدوية المستوردة من البلاد الأجنبية .

على أن طرابلس كانت في جميع العصور ، بسبب موقعها الجغرافي مركزاً مهماً للقوافل القادمة والراحلة التي تتحرك من الشاطئ إلى فزان

في الداخل ، خاصة «بورنو» ، «Bornu» أو «تبيسنى» «Tibesti» ، قاصدة إقلد بحيرة « تشاد » ، وكانت تزخر بنشاط بعيد ، استفادت منه التجارة البحر مع الموانئ الإيطالية ومع ميناء مرسيليا ، تلك التجارة التي ولو أنها لم تستطع منافسة تجارة الجزائر وتونس إلا أنها كانت تعطى ميناء طرابلس أهمية كبيرة .

وكان هناك في طرابلس فضلا عن التجارة ، مصدر أهم من مصادر ازدهارها وإثراء الباشا وبلاطه فيها ، وهذا المصدر هو المغامرات والغزوات البحرية فقد اضطرت أعمال الغزو التي قام بها المغامرون الطرابلسيون الدول الكبرى إلى أن ترسل سفناً حربية إلى طرابلس للحصول على تعويض عن الأضرار التي وقعت لسفنها التجارية ، وكانت تلك الحملات في بعض الأحيان مجرد مظاهرات عسكرية بسيطة لظهار القوة وتضطر في أحيان أخرى إلى ضرب المدينة بالقنابل لكي تفرض عليها إبرام معاهدات صلح ، تضمن حرية الملاحة والتجارة وتأمين إقامة رعاياها ، وتعيين قناصل لها في البلاد ، وهكذا بدأ الباشوات والدايات تدريجياً في إبرام معاهدات خاصة مع الدول الأوربية منفصلة عن المعاهدات التي عقدها هذه الدول مع الباب العالي - تلك المعاهدات رغم أنها كها من وقت لآخر وضعت حداً لأعمال المغامرين الطرابلسيين وهكذا نشأت علاقات مستمرة بين حكومة نائب السلطان والدول الأوربية ، وكانت تمر بهذه العلاقات أزمات ، كما كانت تواجه الحكومة المؤتمرات وأعمال التمرد التي كانت تنبها وتشغل بالها ، والتي زادت بكثرة غير معتادة حتى أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر .

بدأت فترة اضطرابات خطيرة في الشهور الأخيرة من سنة ١٧٠٩ ضد حكومة نائب السلطان ، فإن خايل باشا (١) الذي خلف في أكتوبر سنة ١٧٠٩ والد

(١) حصل خليل داي في سنة ١٧٠٨ من السلطان أحمد الثالث على أمر تعيينه باشا طرابلس ، وحمل هذا اللقب (من خطابات القنصل بوالارد المؤرخة في ١٦ أغسطس و ١٢ ديسمبر سنة ١٧٠٨) .

زوجته محمد شائب العين بعد أن مات بالطاعون أبعده عنه قلوب الشعب وعلى الأخص جماعات وطوائف القولوغلية في الساحل وفي المنشية^(١) بسبب شدته وجشعه في جمع المال فدبرت ضده مؤامرة في الأشهر الأولى من سنة ١٧٠٩ ولكنها اكتشفت وأعدم رؤساء الحركة ومدبروها، وازداد مركز الباشا خطورة بسبب فقد سفينتين خرجتا للغزو تحت امره الرئيس على الأرناؤوطي^(٢) إذ فاجأتهما في جنوب البحر الأدرياتيكي سفن تابعة لحكومة مالطة "ordine di Malta" واضرمت فيهما النيران بعد صراع عنيف، واستطاع فقط نحو أربعين من السبعين رجل الذين كانوا يركبونهما وهم خيرة قوات خليل باشا النجاة بأنفسهم من النيران، وأخذوا أسرى إلى جزيرة مالطة^(٣). وكان تضايق الطرابلسيين عظيماً عندما بلغتهم أنباء هذه الهزيمة وفكر الأسرى المسيحيون الذين كان قد سلحهم الباشا للدفاع عنه، في الاستفادة من هذا الظرف وانهاز الفرصة للقيام والاستيلاء على القلعة عنوة، ولكن هذا المشروع لم ينفذ بسبب تدخل القنصل الفرنسي بوللارد^(٤). ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى هبت الثورة في ٢١ أكتوبر

(١) اطاق اسم قولوغلي على الأبناء الذين كانوا نتيجة زواج الانكشارية من النساء المحليات، ولقد تكونت جماعات كبيرة من القولوغلية في المنشية والساحل في طرابلس وفي مصراته والزاوية. وأجبروا على الخدمة العسكرية، وكانوا يتمتعون بامتيازات كبيرة وبعض الإعفاءات. وفي عهد الأسرة القرمانيّة أطلق الاسم للدلالة على كل أولئك الذين كانوا يؤدون الخدمة العسكرية.

(٢) الرئيس على الملقب بالأرناؤوطي أي الألباني (انظر سجلات محكمة طرابلس الشرعية رقم ٣ ص ٤٠٤) هو مؤسس المسجد المسمى جامع الأرناؤوط في حي بوعاشور الذي بقى ناقصاً.

(٣) من بين هؤلاء الرئيس محمد القرماني الأول الذي أشير إليه في الخطاب المرسل في أبريل سنة ١٧١٤ من أحمد القرماني إلى الرئيس الأول لفرسان مالطة والذي نشره أ. روسي في مراسلة بين رؤساء فرسان القديس يوحنا في مالطة وبيكاوات طرابلس من سنة ١٧١٤ حتى سنة ١٧٧٨ في مجلة الدراسات الشرقية جزء ١٠ ص ٤١٥ وما يليها.

(٤) خطاب قنصل فرنسا بوللارد بتاريخ ١٣ يوليو سنة ١٧٠٩ Planet Eug في مراسلات بيكاوات تونس وتنازل فرنسا مع البلاط ١٥٥٧ - ١٨٣٥ باريس. الكان سنة ١٨٩٤ جزء ٢ ص ٤٤.

عند ما خرج خليل باشا على رأس قوة من الجنود لمحاربة بعض القبائل التي تقطن داخل البلاد بسبب استيلائها على قافلة من أغني القوافل الآتية من فزان ، فأعلن رئيسان من رؤساء السفن وهما ابراهيم وقره محمد عصيانهما ونادى احدهما بنفسه دايا ونادى الثاني بنفسه بيكا واستوليا على القنعة بعد أن دافع عنها حسين أغا " دفاعاً قوياً طيلة تسعة أيام ، وأسرع خليل لاختتام الثورة ولكن لم تكن لديه الشجاعة لمهاجمة المدينة ، فاضطر إلى التقهقر بسبب تخلي معظم جنوده عنه واتجه إلى شرق طرابلس لجمع قوات جديدة ولكن قره محمد لحقه وهزمه فاضطر للهرب إلى مصر . وكان ابراهيم مديناً بانتصاره لقره محمد . ومع ذلك فقد عزله من القيادة بعد بضعة أشهر وطرده من الحكومة بدافع الغيرة ، وبسبب تحريض صهره محمد قائد البحرية : عاد قره محمد من جزيرة جربة التي كان لاجئاً بها إلى زواره ثم إلى غريان حيث جمع عدداً كبيراً من انصاره وأزعج الحكومة ازعاجاً شديداً ، واقلق بالها ، وكان يظن أنه يعمل بالاتفاق مع عثمان الذي كان دايا لطرابلس في سنة ١٧٠١ والذي نزل مع بضعة مئات من الرجال الذين جمعهم من مدينة أزميز وخبوس إلى ميناء درنة وهزم من اعترض طريقه من الجند وتقدم غرباً ولكن قره محمد بعد مغادرته الجبل ، تقدم حتى قرب تاجورا وهزمه شريفة فاضطر للفرار وذبح كثيرون (٢) من أنصاره . أصبح محمد بعد انتصاره ، سيد الحكومة الحقيقي فاستخدم مواهبه ، وعزل ابراهيماً ونفاه وفي نوفمبر سنة ١٧١٠ ، وعين بدلا منه أول الأمر اسماعيل خوجه إمام مسجد الخروبة ثم عين بعد ذلك شخصا آخر اسمه الحاج رجب وأخيراً تولى هو بنفسه الحكم .

ولقد كان الداى القولو غلو الجديد هو ومعاونوه القولو غلية لا يميل إليه المواطنون الأتراك وهو يخشى على حياته الشخصية منهم ، ولذلك لم يتخذ مقره في

(١) انظر ايتورى روسى « الأخبار العربية الطرابلسية لابن غلبون » (القرن الثامن

عشر) ترجمة وتعليق بولونا . كابللي ، ص ١٢٧ وما يليها .

(٢) خطاب القنصل بولاردي بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٧١٠ .

القلعة، ولكنه استقر في بيته في المنشية حيث كان يحكم البلاد بيد من حديد ،
ولقد هبت ثورتان عليه ولكنهما سرعان ما أخذتا في شيء كثير من القسوة،
تلك القسوة التي خلعت عليه لقب ابن الجن^(١). وبعد أن تخاص الداي
محمد بن الجن من قره محمد الذي تخلى عنه أعوانه حتى اضطر إلى الفرار ،
ومن عثمان الذي انهزم وقتل في بني وليد ، وبعد أن أعدم عددا كبيرا من
كبار المواطنين ذوى النفوذ الذين اشتبه في عداوتهم له ، بعد أن تم له كل
ذلك انتقل إلى القلعة حيث وقع في ليلة انتقاله نفسها، فريسة في يد أحد موظفيه
وأصفياه الخازن دار محمود أبو موسى الذي أعلن نفسه داي^(٢).

ولما كان سكان طرابلس قد تعبوا من حكومة ظالمة غير شرعية ، فاهم
صنفقوا للقاتل رغم تلك الإشاعة التي ربما أذيعت عن قصد ، من أن
أبامويس قد ارتكب هذه الجريمة لمصلحة خليل باشا لأنه كان يعمل سكرتيرا
خاصاً له وكان محل ثقته^(٣). ولقد اضطر القولو غلية وبعض انصار القليل إلى
الصمت مؤقتاً انتظاراً لمجرى الأحداث ، على أن بعضهم لم يخف استياءه
مثل أحمد القرماني وهو أحد الأعيان ، وسليل إحدى الأسر التركية وكان
قائداً للمنشية في عهد خليل باشا .

ويروى لنا المؤرخ ابن غلبون^(٤) أن الداي الجديد كان يخشى تحمس
القرماني وكفائه فأراد التخلص منه ، ولما كان لا يجرؤ على معاداته علانية
وخاصة لأنه كان يخشى الشعبية التي كان يتمتع بها ذلك الرجل ، فإنه أرسله

(١) انظر خطاب القنصل مولارد المؤرخ في ١٥ يوليو ١٧١١ الذي ذكر فيه اسمه
مصحوباً بلقب ابن الجن كما وصفه ابن غلبون في سجل محكمة طرابلس الشرعية رقم ١٢ ص
١٦٦ حيث ذكر اسمه مصحوباً بلقب ابن الجن .

(٢) هناك مصادر أخرى تطلق عليه اسم محمد أبو أميس . انظر 'R. Vadala' ر.
فادالا في مقاله المعنون : رسالة عن تاريخ القرمانيين باشاوات طرابلس الغرب : من سنة
١٧١٤ إلى سنة ١٨٣٥ الذي نشر في مجلة المستعمرات الفرنسية عدد ٧ سنة ١٩١٩ ص ١٨٠
وانظر كذلك 'Plantet' بلانتييه في الكتاب السالف الذكر جز ٢ ص ٦٦ .

(٣) خطاب القنصل مولارد المؤرخ في ١٥ يوليو ١٧١١ .

(٤) انظر روسي ايتورى الأخبار العربية الطرابلسية . الخ السالف الذكر ص ١٥٨ .

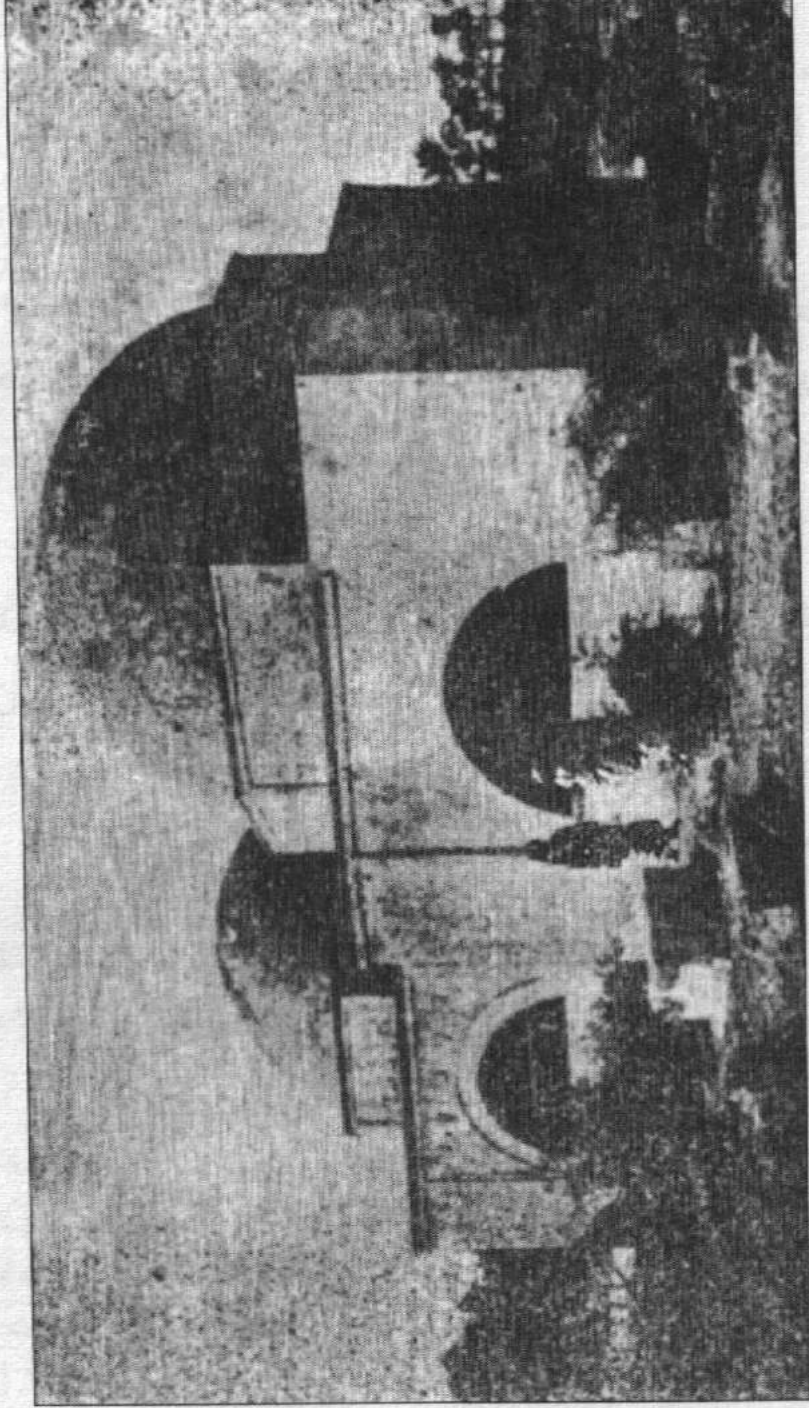
إلى غريان بقصد قتله بواسطة الجنود المقيمين في تلك البلدة ، ولكن حادثة
الغضب تسرب إلى أعضاء الديوان والرؤساء العسكريين وأعيان المدينة بأرساء
إلى القرماني حتى يعود إلى طرابلس للاعتراف به رئيسا وزعيما وتلقى القرماني
هذه الدعوة ، وعاد إلى المدينة في يوم الثلاثاء الموافق ٢ جمادى الثانية سنة
١١٢٣ هجرية (٢٨ يوليو ١٧١١ م) ودخل السوق ، ونادى به سكان
الساحل والمنشية الذين كانوا موجودين إذ ذاك وأعضاء الديوان - أميراً على
البلاد دون أية معارضة .

ويمكن سرد الأحداث التي أدت إلى تولي أحمد القرماني السلطة في البلاد
صلتنا لرواية ابن غلبون ومصادر أخرى فيما يلي :

كان رؤساء القولوغلية المقيمون في الساحل والمنشية ، وأولئك الأعيان
الطرابلسيون الذين كانوا قد قرروا طرد خليل باشا في سنة ١٧٠٩ ، على
حق كلهم في خوفهم من محمود داي أبو موسى الذي كان من صنائع خليل باشا ،
وكان يعد العدة لعودته ، وعند ما ذاع الخبر عن قرب عودة خليل باشا على
رأس قوة عسكرية كبيرة من الأتراك المسلمين ، قرروا خلع الداي وتولية
القرماني مكانه حتى يمنعوا استعادة خليل باشا للسلطة وما يتبعها من أعمال
الإنتقام وثاروا في ١٧ يوليو بعد أن اتفقوا مع معظم المواطنين ومن بينهم
التاجر الغني الكبير الحاج يوسف المسكني ، وبعض العناصر التركية ومن بينهم
الحاج يوسف بيك زوج والدة القرماني ، وبعد أن تأكدوا من تأييد عرب
الرقيعات ، لهم .

وعندما تخلى الجميع عن محمود ، ولم يشأ الوقوع في يدي منافسه ، شق
نفسه ، وفي اليوم التالي نودي بأحمد القرماني واليا واعترف به الجميع (٢) .

(١) فيما يتعلق بهؤلاء وبكل سكان طرابلس الغرب الذين ذكروا أثناء هذه الرواية
انظر كتاب دى اجوستينو افريكو المسمى «أهالي طرابلس الغرب» - أخبار جنسية وتاريخية
المطوع على نفقة حكومة طرابلس الغرب - المكتب السياسي العسكري سنة ١٩١٩ .
(٢) خطاب القنصل يوللارد المؤرخ في أول أغسطس سنة ١٧١١ وبلانقيه في كتابه
السالف الذكر ص ٦٧ .



مقبرة القرمانليين في شارع الشط

كانت أسرة القرمانيلى أسرة تركية من قرمان بآسيا الصغرى استقر مؤسسها وجدها الأكبر فى طرابلس الغرب على عهد محمد خيو . وأول القرمانيلىن الذين توجد معلومات أكيدة عنهم هو محمود الذى كان ضابطاً فى إنكشارية عثمان باشا^(١) الساقرلى ومنهم يوسف الذى لا يعلم عنه شىء إلا أنه مات فى ريعان شبابه تاركاً ابنة أحمد فى سن الطفولة^(٢) ، ولقد تزوجت أرملة يوسف القرمانيلى من الحاج يوسف الذى كان يحمل لقب بك فى عهد محمد باشا شائب العين ، والذى قام بتربية أحمد الصغير كما لو كان ابنه ، وكان أحمد القرمانيلى يكن أعظم احترام لزوج والدته كما يبدو من اسم الأب المحترم ، الذى كان يخلعه عليه فى الوثائق الرسمية^(٣) ، كما يبدو أيضاً أنه ترك له وظيفة الداي ولو اسماً ، مع لقب شرف هو « دولتو » ، وهو لقب يعادل اللقب المستعمل الآن وهو « صاحب السعادة » . واحتفظ الحاج يوسف بهذا اللقب إلى يوم وفاته فى سنة ١٧٢٣م - ١٧٢٤م . ولقد كان أحمد القرمانيلى يعز كل الإعزاز أخاه من أمه ورفيق صباه الحاج شعبان الذى أنجبته والدته من زوجها الحاج يوسف .

(١) يقال بأنه مدفون فى إحدى مقابر القرمانيلىن بشارع الشط .

(٢) انظر حاشية نسب القرمانيلى فى حجج وقف الأسرة الذى أوقفه أحمد القرمانيلى ويثبت فيها أن أباه يوسف كان قائداً ، ولم يكن باشاعاً كما كتب فى « Feraud » ولا عاملاً كما يؤكد ابن غابون .

(٣) انظر بهذه المناسبة ما كتب فى معاهدة الصانع المؤرخة فى يوم ٩ شعبان سنة ١١٢٨هـ (٣٠ يوليو سنة ١٧١٦) المودعة بقلم محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس ، وبعد وفاة الحاج يوسف ألغيت وظيفة الداي نهائياً ولم يحمل أحمد القرمانيلى وجميع خلفائه لقب الداي مطلقاً وكان يذكر فى أوامر توليتهم التى كانت تأتيتهم من السلطان اسم ميرمان أو بيلاريك (وهذه العبارات معناها أمير الأمراء) وكان من حقهم أن يحملوا لقب الباشا . وقد حملوا فى حجج المحكمة الشرعية لقب « أمير » وحمل أحمد القرمانيلى فى مبدأ الأمر لقب « بيك » وذلك فى المعاهدة المؤرخة فى سنة ١٧١٦ السالفة الذكر ولقب بالمير لواء (أى قائد الجيوش البرية) ولما وصل إليه أمر التولية من القسطنطينية ، عند ذلك فقط حل لقب الباشوية ، ومنح لقب البيكوية إلى أخيه من أمه الحاج شعبان الذى كان حتى ذلك الوقت رئيساً للبحرية (انظر سجل محكمة طرابلس الشرعية رقم ٣ ص ٦٣) .

كان أحمد القرماني سنة ١٧١١ شابا يبلغ من العمر ما يقرب من خمسة وعشرين عاما^(١) يخفي تحت رقة أخلاقه وحسن معاملته ارادة قوية وحزما وعزيمة لا تعرفان التردد ، وهناك رواية حصلت عليها كاتبة انجليزية منذ بضع عشرات السنين ، كانت لها معرفة كبيرة بالبلاد وسكانها^(٢) ، تقول بأن القرماني عندما استولى على السلطة أقام في بيته الريفى حفلة أنيقة دعا إليها عددا كبيرا من الضباط الأتراك ، ولقى ثلاثمائة منهم حتفهم فيها ، وكان لا يزال يوجد حتى النصف الثانى من القرن الماضى تل صغير بالقرب من ضريح سيدى الهانى تبدو فيه أطلال هذا المنزل الذى تمت فيه المجزرة ، ويعتبر مكانا لعينا مخيفا لا يجرؤ أحد من السكان على الاقتراب منه بعد أن يرخى الليل سدوله^(٣) ولاشك فى أن لهذه الرواية أصلا تاريخيا ، فهى تكشف بوضوح كبير عن العلاقات المعاصرة ، وعن شخصية أول أمير من أمراء الأسرة القرمانية ، وتجعلنا نفهم كيف استطاع أن ينجح فى التغلب على العقبات التى كانت تقف فى وجهه فى ذلك الوقت ، وكيف استطاع الاحتفاظ بالسلطة والتربع على العرش ، وأن يثبت عليه ويورثه لأبنائه وسلالته . وكان هذا المشروع جريئا إلى أبعد حد ، فإن الثورات المختلفة أوقعت الخراب والدمار الاقتصادى بحكومة الولاية وتحولت مدينة طرابلس إلى وكر للاشراة والقتلة ، ورفضت قبائل البلاد الداخلية المتمردة دفع الجزية المعتادة ، كما زادت الصعوبات مع الدول الأوروبية وعلى الأخص مع فرنسا التى استنكرت الاعتداء على قنصلها فى منزله ، ونقصت قوات البلاد البحرية والبرية^(٤) .

(١) خطاب القنصل بولارد المؤرخ فى أول أغسطس سنة ١٧١١ .

(٢) تولى ريتشارد فى كتابه « قصة إقامة عشر سنوات فى طرابلس بأفريقيا » من الرسالة الأصلية للسيد تولى ريتشارد القنصل البريطانى - لندن سنة ١٨١٧ ترجمة ماك كارثى ا . باسم « رحلة إلى طرابلس أو تقرير عن إقامة عشر سنوات فى أفريقية » - باريس مطبعة مونغ اينيه سنة ١٨١٩ ص ٧٣ وما يلبها .

(٣) ل . ش . فيرو : حوليات طرابلس المنشور مع مقدمة وتعليقات بقلم اجوستين

يرنارد - تونس ، تورنييه ، باريس . فويرت ، سنة ١٩٢٧ ص ٢١٣ - ٢١٤ .

(٤) خطاب القنصل « اكسبيللى Expilli » المؤرخ فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٧١١ .

ولا يدهشنا أن نرى بعض المراقبين غير السطحيين ، مثل قناصل الدول الأوروبية المختلفة ، الذين كانوا موجودين إذ ذاك في طرابلس ، يتوقعون قرب نهاية البك الشاب ما عدا القنصل الفرنسي بوللارد الذي كان الشخص الوحيد الذي لاحظ^(١) أن القرمانلي قد وصل إلى السلطة بتأييد عرب الجبل ، وأن هذا الأمر يعتبر حدثا جديدا في تاريخ الولاية « حكومة نيابة الغرب » .

ولكنه لاحظ أن أحمد القرمانلي لم يستجد بسكان الجبل لتثبيت دعائم عرشه ، بل أنه استطاع ذلك بفضل طوائف القولوغاية التي كانت كفتها راجحة في المنشية والساحل الطرابلسي والتي أعانته على معارضة .
وقد جاء أول تهديد للقرمانلي من خليل باشا .

فإن هذا الرجل الذي لجأ إلى القسطنطينية ، نجح في اقناع الباب العالي بأن الشعب الطرابلسي على استعداد لاستقباله كمحرر بعد أن أتعبته تلك الفوضى الدامية التي تسود البلاد منذ عدة سنوات والتي تستنزف مواردها ، وحصل على أمر بأن ترافقه حملة بحرية تركية إلى طرابلس .

وصلت هذه الحملة إلى لبد في يوم ٥ أغسطس سنة ١٧١١ وانتشر خبر وصولها في طرابلس ، وأحدث اضطرابا كبيرا .

لم يفقد أحمد القرمانلي شجاعته وأعد المدينة للدفاع ، وعسكر بجنوده بين أسوار المدينة والمنشية وبقي في انتظار الأحداث .

وفي اليوم السادس من ذلك الشهر ، أقت سفينة الاميراليه وثلاث سفن أخرى مراسيها أمام القلعة ، ونزل سكرتير القائد إلى البر وتوجه إلى معسكر البك ، وأبلغه أمر السلطان باستقبال خليل باشا بصفته باشا طرابلس الغرب وفي اليوم الثاني ، اجتمع في القلعة أمام الديوان كل أفراد الطائفة^(٢)

(١) خطاب القنصل « بوللارد Poullard » المؤرخ في ١٢ أغسطس سنة ١٧١١ .

(٢) كلمة « طائفة » معناها المرفق جماعة أو جمعية أو حزب وهي كلمة شائعة الاستعمال

وقد استعملها مؤرخو أفريقية الشمالية للدلالة على طوائف رؤساء السفن .

والرؤساء العسكريون بحضور مندوب السلطان الذي أعلن الأمر السلطاني وأقسم بأن خليل باشا سيدخل المدينة بالقوة في حالة حدوث أية مقاومة .

أما ما حدث بعد ذلك فغير واضح ، إذ على أثر تبادل كثير من الرسائل بين القرماني والاميرال التركي والمندوب ، أقلت الحملة التركية فجأة في عصر اليوم الحادى عشر من أغسطس نحو الغرب . فاعتقد الناس جميعا أن خليل باشا انتهى أمره من الآن فصاعدا ، وانتشرت إشاعة لتعليل سلوك الاميرال والمندوب ، تقول بأن الأمر بإعادة خليل باشا إلى السلطة كان قد صدر من رئيس الوزراء وليس من السلطان ، وأن مثل هذا الأمر لا يديح على أية حال استعمال القوة . ولم يكن القرماني متأكدا من خلاصه من الخطر ، ولذلك فإنه أمر سفينتين طرابلسيتين بتتبع السفن التركية واقتفاء أثرها ، وأمرهما بأن لا يجعلها تغيب عن نظرهما ، وأن توافيا بخبر أية محاولة تصدر منها للرسو في أى مكان ، ثم أرسل فرقة من الفرسان إلى صبراته^(١) لمنعها من ذلك .

وفي صباح اليوم الثانى عشر علم أحمد القرماني أن السفن قد أقلت مراسيها أمام زواره ، وأن خليل باشا نزل إلى البر ومعه حوالى مائتين من أنصاره وثمانمائة رجل من رجال السفن بقيادة مندوب الباب العالى . وأنه حفر الخنادق واعتصم بها في مواقع معينة على مقربة من صبراته .

وفي يوم ٢٢ أغسطس أبدت السفن التركية التى كانت تسير بحذاء الشاطئ ، ما يدل على رغبتها في مساعدة القوات التى نزلت إلى البر ، فرفعت علم القتال ، وأطلقت بعض طلقات المدافع على كتيبة الفرسان الطرابلسية .

لم يكن كل ذلك إلا مظاهره لا جدوى منها ، واستعراضا لا فائدة فيه ، لأن قوات القرماني عندما جاءت في يوم ٢٧ أغسطس لمواجهة الغازى ، ترك رجال السفن التركية خليل باشا الذى قتل بعد أن تشتت شمل أنصاره

(١) خطاب القنصل بولارد الأورخ في ١٧ أغسطس سنة ١٧١١ .

وقتل معظمهم ، ورفعت رأسه فوق إحدى الحراب وحملت إلى طرابلس ،
وبعد أن عرضت لسخرية الجمهور دفنت في مقبرة سيدي حموده ، وأبحر
رجال السفن التركية ونجوا بحياتهم ، وأقلعت السفن الحربية إلى
القسطنطينية^(١) .

لم يضع الانتصار على خليل باشا نهاية لمصاعب أحمد القرماني ومتاعبه ،
فقد كان البؤس والفقر منتشرين في كل مكان في ظل الحكومة ، في حين
أن سكان البلاد الداخلية كانوا يرفضون دفع الجزية المعتادة ، أما سكان
المدن فقد تظاهروا وأحدثوا كثيراً من أعمال الشغب ، وأبدوا تلميحهم لمعرفة
الأخبار الجديدة كما لو كانوا يستطيعون بتغيير الحاكم الحصول على علاج
لآلامهم ومصائبهم . ولما كان القرماني تعوزه النقود ، ولا يوجد تحت تصرفه
إلا قوات عسكرية ضئيلة ، إذ كان لا يزيد كل ما لديه منها على أربعة
آلاف رجل بين مشاة وفرسان ، وسفینتین تحمل كل منهما خمسين مدعماً
وخمسة مراكب (غلايين) ، لذلك بدا للجميع أنه لا بد ملاق مصير من
سبقوه من الحكام^(٢) ، وكان هذا رأى الكثيرين وهو الرأى الذى رده
القناصل الأوربيون في رسائلهم إلى حكوماتهم أنه لن يبقى قابضاً على زمام
السلطة زمناً طويلاً ولكن رغم كل ما كان يتوقعه الجميع ، فإن ذكاء البيك
الشاب ، وما كان يتصف به من حماسة ومقدرة ودهاء ، قد مكّنه من التغلب
على جميع العقبات والصعوبات ، فأخذ كل محاولة لاثارة الفتن والتمرد ،
فكان يعدم كل من يرتكب الإجرام ، أو يكون موضع شبهة مهما كان شأنه
ومن يتآمر ضده^(٣) ، وكان يسعى للحصول على إعراف السلطان به ، رغبة منه

(١) خطاب القنصل بولارد المؤرخ في ٣٠ أغسطس سنة ١٧١٦ ، وتقول الروايات
المحلية التي يرويها سكان زواره وصبراته أن خليل باشا قد دفن على مقربة من هذه البلدة
الأخيرة ، ومما يثبت أن هذه الرواية أصدق من رواية سكان طرابلس أنه عندما هدمت مقبرة
سيدي حموده في سنة ١٩٣٢ ونقلت المقبرة التي قيل عنها أنها مقبرة خليل باشا إلى مسجد
سيدي درغوت لوحظ أنها تحتوي على هيكل عظمي كامل وليس على جمجمة .

(٢) خطاب قنصل فرنسا اكسبلى المؤرخ في ٢٠ سبتمبر سنة ١٧١١ .

(٣) خطاب القنصل « اكسبلى Expilli » المؤرخ في ٢٩ يوليو سنة ١٧١٢ .

في وضع أساس متين لحكومته وزيادة في توطيد سلطته، ولذلك أرسل وفدا رسمياً إلى القسطنطينية لتبرير مقتل خليل باشا الذي قال عنه أنه وقع فريسة لكراهية سكان الإقليم له وطالب بالاعتراف به واليا على طرابلس وكان إعلانه الولاء للسلطان مصحوباً برسالة كمية من الهدايا الثمينة، وبمظاهرات علنية كالمهرجانات الكبرى التي أقامها في ١٢ يناير سنة ١٧١٢م بمناسبة وصول أخبار الانتصارات التي أحرزها رئيس الوزراء منذ ستة أشهر عندما صد الجيش الروسي، الذي أرسله بطرس الأكبر، في معركة «بروث Pruth» وهزمه^(١).

وبدا أن مشروعه قدر له الفشل أول الأمر على الأقل، إذ وصل في يوم ٢٨ يوليو سنة ١٧١٢ إلى طرابلس محمد باشا المعروف باسم جانم خوجه. وكان كبير القباطنة وقال أنه يحمل أمراً من السلطان بالاستيلاء على الحكومة وصرح بأن أسطولاً تركيا على أهبة الاستعداد للبحار من القسطنطينية في طريقه إلى طرابلس إذا ما وجد معارضة له، فأظهر القرمانلي أنه يخضع لأمر السلطان، ودعاه للنزول إلى البر للاستيلاء على القلعة، ولكن بمجرد أن وافق ذلك الرجل على الدعوة ودخل المدينة، وضعه القرمانلي في منزل خاص بعد أن ترك لخدمته عشرة رجال من حاشيته فقط، ووزع الآخرين على جهات مختلفة، ثم وضعه تحت المراقبة والحراسة، بعد أن منعه من كل اتصال بأي مواطن، ولقد منع القنصل الفرنسي أكسبيللي من الاتصال به وكان السفير الفرنسي في القسطنطينية قد أرسل إليه تعليمات باستقبال محمد باشا استقبالا وديا، وكذلك صدر أمر بحجز جميع السفن التي كانت موجودة في الميناء عن السفر، لمنع وصول أي خبر عما حدث إلى القسطنطينية^(٢).

وقد حدثت سلسلة من الظروف الحسنة أدت إلى ازدياد قوة القرمانلي وزيادة هيئته ومكانته، فقد قدم قائد إحدى سفن جنوه باسم جمهوريته

(١) خطاب القنصل أكسبيللي المؤرخ في ٢٤ يناير سنة ١٧١٢

(٢) خطاب القنصل أكسبيللي المؤرخ في ١٢ أغسطس سنة ١٧١٢.

مقترحات بعقد الصلح في شهر أغسطس من تلك السنة وأعلن القرماني استعدادة لقبولها إذا دفعت له جنوا مبلغ أربعة آلاف زكيني في كل سنة ، وسلمت إليه سفينة بها ستة وخمسون مدفعا فضلا عن كميات من البارود والذخائر^(١) .

وفي أوائل شهر سبتمبر بينما كان أحمد القرماني يستعد للتحرك على رأس خمسة آلاف رجل من أتباعه لإخضاع القبائل المقيمة في داخل البلاد التي رفضت الاعتراف بسلطته ، وصلت إلى مياه طرابلس ثلاث سفن هولندية بقيادة نائب الأميرال «بيترسن Petersen» الذي كان مكلفا بتجديد المعاهدة المبرمة بين هولندا وطرابلس في سنة ١٦٨٣ ، وقدم كثيراً من الهدايا الثمينة وأربعة مدافع من البرونز وخمسة قناطير من البارود^(٢) .

وقد تمكن القرماني في معركته ضد المتمردين من صدقهم وإعادة الهدوء والطمأنينة في الأقاليم القريبة من طرابلس ، وأعدم كل من كان يشتبه في أنهم من أنصار المطالب بالعرش^(٣) لكي يمنع احتمال وقوع أية مؤامرة ضده .

وأثارت مجاعة الشتاء التالي اضطرابات جديدة ، فتقدمت جماعة من الفرسان الثوار في شهر مايو حتى وصلت قرب أسوار المدينة ، على أمل أن يثور المواطنون لمناصرة محمد باشا ، ولكن القرماني أحاط بجيوشه المنزل الذي كان موضوعا تحت الحراسة ، وأخطر محمد باشا بأنه أمر بإعادة رجاله الذين لا يقومون بخدمته المباشرة إلى سفنهم ، ولكنهم في الواقع سيقوا إلى سفينة القيادة ، وعندما وصل قائدها إلى أعالي البحار أعدهم جميعا نزولا على التعليمات التي تلقاها ، بحجة أنهم حاولوا التمرد والعصيان^(٤) ثم أبعده محمد باشا من البلاد للقضاء على كل حجة للتمرد والعصيان ، وعندما أرسل الباب

(١) خطابات القنصل اكسبلي المؤرخة في ١٠ و ٢٠ أغسطس سنة ١٧١٢ .

(٢) خطاب القنصل اكسبلي المؤرخ في ١٢ سبتمبر سنة ١٧١٢ . بلانتييه - الكتاب

السالف الذكر ص ١٣ .

(٣) خطاب القنصل اكسبلي المؤرخ في ١٠ ديسمبر سنة ١٧١٢ .

(٤) خطاب القنصل اكسبلي المؤرخ في ٢٤ مايو سنة ١٧١٣ .

العالي من يحل محله ، ووصل « بشير باشا » إلى طرابلس فمنع القرماني نزوله إلى البر^(١)

وعندما استوثق أحمد القرماني من سيطرته على المدينة من الآن فصاعداً ، استطاع فرض سلطته حتى على سكان البلاد الداخلية .

وفي شهر يوليو هاجم فجأة سكان تاجوراء واضطروهم لدفع جزية قيمتها ٨٠٠٠٠٠ قرش^(٢) .

ولم يكن أخوه الحاج شعبان بيك محظوظاً مثله ، حين هاجم على رأس فرقة من الفرسان ، بعض المتمردين^(٣) .

ومما زاد الموقف سوءاً وقوع بعض الحوادث العادية مع الدول الأوربية بسبب أعمال بعض غزاة البحر من الطرابلسيين ، فقد أسر رئيس سفينة من سفن المغامرين سفينة فرنسية محملة بالزيت وقادها إلى ميناء طرابلس . فطالب قنصل فرنسا بريد تلك السفينة ، وعندما لم يجب إلى طلبه صدر الأمر إلى القبطان « أبرام كوين دي مونييه Abramo du Quesne - Monnier » قائد البارجة الفرنسية لا ديامان « Le Diamant » ، بالتوجه إلى طرابلس للمطالبة بالسفينة وحمولتها وعقاب « الرئيس » المذنب^(٤) .

وفي ٢١ يوايو سنة ١٧١٤ وصل القائد الفرنسي إلى ميناء طرابلس واتصل بالقرماني ، وأبلغه الأوامر التي تلقاها ، فأعلن القرماني أنه مستعد لإرضاء ملك فرنسا ، وذكر أن أحوال الحكومة تحول في الوقت الحاضر دون

(١) ولقد عول نفس هذه المعاملة في سنة ١٧١٦ مندوب آخر موفد من قبيل الباب العالي يدعى محمد عسكر باشا .

(٢) خطاب القنصل أكسبلي المؤرخ في ١٠ يوليو سنة ١٧١٣ وعندما يشير القنصل الأوربيون في مراسلاتهم إلى مبالغ بالقروش أو القروش الكبيرة لأنها يقصدون القروش الإسبانية التي يطلق عليها أيضاً اسم بيزو فورتيه أو بيزو دورو *Peso Fuerte* أو *Peso Duro* في العرف التجاري وهو يساوي ٤٣ رة ليرة إيطالية من ليرات ما قبل الحرب .

(٣) خطاب القنصل أكسبلي المؤرخ في ٢٨ أغسطس سنة ١٧١٣ .

(٤) أ . بلانتيه السالف الذكر ص ٨١ - ٨٢ .

دفع أى مبلغ من المال ، ولو كان زهيداً ، ودعا القبطان دى كوزين مونييه
Du Quesne—Monnier إلى أن يتحقق بنفسه من ذلك بمشاهدة حال
البلد ، وبعد أن طالب دى كوزين Du Quesne ببعض الرهائن وأخذهم إلى
البارجة ، نزل مع بعض ضباطه إلى البر وتوجه إلى القلعة حيث استقبله البيك
ووعده بدفع قيمة حمولة السفينة التى سلبت حسب التقدير الذى عمل عنها
فى مرسيليا ، كما وعد بإرسال أحد أعضاء الديوان كسفير إلى باريس ليقدم
لملك فرنسا جواداً وحيوانات من حيوانات البلاد كالغزلان والنعام وكلاب
الصيد (السلوقى) .

اضطر دى كوزين مونييه للاكتفاء بهذه الوعود ، وأقلام ببارجته
نحو ميناء طولون فى يوم ٢١ يوليو .

وفى يوم ١٧ أكتوبر سافر مندوب البيك بدوره إلى فرنسا حيث
استقبل استقبالاً حافلاً ، إذ استقبله فى القصر الملكى لويس الرابع عشر
ملك فرنسا العجوز ، وعاد إلى طرابلس فى شهر يونيه التالى ، يحمل
هدايا ثمينة إلى سيده^(١)

وكذلك كان الحال بالنسبة للسلطان أحمد الثالث ، الذى سر من إعلان
الاخلاص والولاء ، وأكثر من ذلك من الهدايا الثمينة التى أرسلت إليه ،
فقبل الاعتراف بالقرمانلى ، وأرسل إليه بارجتين بكامل أطقمهما ومعدانتهما ،
كانت الأولى تحمل ثلاثين مدفعاً أخذت من فرسان مالطة ، والثانية أربعين
مدفعاً أخذت من حكومة البندقية ، ووصلت هذه الهدية فى الوقت المناسب
لأن القوات البحرية التى كانت تحت تصرف البيك كانت قد تضاءلت إلى
حد كبير بسبب سوء حالة السفن وعدم كفاية استعدادتها^(٢) .

(١) انظر ر . ميكاكى — العلاقات بين مملكة فرنسا ونيابة طرابلس الغرب فى
النصف الأول من القرن الثامن عشر — مجلة المستعمرات الإيطالية سنة ١٩٣٤ عدد ٢ ص
٧٠ — ٧١ .

(٢) خطاب القنصل اكسبلى المؤرخ فى ١٥ أكتوبر سنة ١٧١٤ .

مرت مهارة القرماني وعناده بتجربة شديدة في ذلك الوقت ، إذ هبت ثورة في سنة ١٧١٢ تزعمها علي بن عبد الله بن عبد النبي الملقب بأبي قبلة Abu Gilah^(١) وكان من أصل مرا كشي أقام منذ أمد طويل في طرابلس ، واجتاز الإقليم الشرقي حتى هضبة برقة بعد أن تلقب باسم المهدي وجمع حوله كثيرين من الأنصار وأثار حركة ذات خطر كبير ، انتشرت انتشاراً واسعاً ، حتى أن القرماني رأى أنه من اللازم أن يقوم هو بنفسه على رأس جيوشه لإخماد هذه الثورة ، وفي « سرت » على مسافات غير بعيدة من مرسى الزعفران ، استطاع أن يباغت ليلاً خيام المتمردين الثائرين ، واستطاع قليلون ومنهم المهدي المزعوم ، الهرب بعد أن تركوا غنائم كبيرة بين يدي المنتصر .

وقد شجعت هذه الثورة التي وصلت أخبارها إلى أقصى البلاد الداخلية في طرابلس سلطان فزان « محمد ناصر » لكي يعلن انفصاله عن تبعيته لباشا طرابلس ، ويرفض دفع الجزية الباهظة التي كان عليه أن يدفعها .

ولم يشأ القرماني عندئذ أن يضيع شيئاً من الوقت ، فترك حكومة طرابلس في يد شقيقه لأمه الحاج شعبان ، ودخل الميدان مع جنوده الذين كانوا ممتلئين شجاعة وحماسة من الانتصار الأخير ، وسرعان ما تم له احتلال فزان وحوصرت مدينة مرزق ، واضطر محمد ناصر إلى التماس الصفرح بعد أن تعهد بدفع الجزية ، وظهر أحمد القرماني بمظهر الرحيم وقبل ما قدمه له ، ثم عاد إلى طرابلس^(٢) في نوفمبر سنة ١٧١٦ .

شعر أحمد القرماني منذ ذلك الوقت بتوطيد دعائم عرشه فبدأ يعيد

(١) انظر ر. فادالا في كتابه المذكور ص ١٨٢ أ. روسي والأخبار العربية الطرابلسية . الخ السالف الذكر ص ١٦١ .

(٢) ذكر ملخص عن الحوادث التي وقعت في فزان أثناء حكم أحمد القرماني - في كتاب موجز أخبار طرابلس الغرب Histoire abrégée de Tripolis de Barbarie مستخرج من محفوظات حكومة نيابة الغرب ترجمة « أ. س . فرومان دي شامب لاجارد » . قنصل فرنسا في هذا البلد سنة ١٧٩٤ - ١١٣ مكنية مالمطة .

تنظيم الدولة . وأظهر صلابة بالنسبة للدول الأوروبية وقدم بعض مطالب جديدة ، وكان قد طلب من قنصل هولندا قبل ذلك في أغسطس سنة ١٧١٤ مبلغاً يزيد على المبلغ الذي كان أسلافه يدفعونه عند استلام مهام وظائفهم كقناصل في طرابلس ، وعندما وصلت بعد ذلك في يولييه سنة ١٧١٦ إلى مياه طرابلس حملة بحرية بريطانية بقيادة نائب الأميرال « بيكر Baker » المكلف بتأييد معاهدة الصلح المعقودة بين إنجلترا والحكومة^(١) . طلب القرماني أن تسلم إليه الهدايا المعتادة ، ولما استنكر ذلك الطلب ، منع إمداد الأسطول بالمؤن ، واكتفى فقط بتقديم ما يلزم من المياه الصالحة للشرب^(٢) .

ولم يذهب هذا التصرف هباءً ، إذ وصلت في العام التالي فرقاطة إنجليزية تحمل إليه الهدايا التي كان ينتظرها ، وكانت هذه الهدايا تشمل على ٨٠ برميلا من البارود وكمية من الساعات والأقمشة القيمة ... إلخ^(٣) .

وفضلاً عن ذلك فإن أحمد القرماني عرف كيف يستفيد دائماً من التنافس الذي كان سائداً بين قناصل الدول الأوروبية ، ولو بطريقة غير سافرة ، إذ كان يمني بعضهم بالوعود ، ويحسن معاملته هذا ساعة ، والآخر ساعة أخرى ، حسب الفائدة التي كان يستطيع الحصول عليها من ذلك .

ولم يكن نطاق نشاطه السياسي في الواقع يبدو مخالفاً للنشاط السياسي الذي كان يمارسه الأمراء الشرقيون الآخرون ، ويمكن القول في الحقيقة - أنه بفضل سعة أفقه وألمعيته عرف كيف يتخذ المسلك الأكثر ملاءمة ، فكان يظهر مرة صلباً وأخرى متساهلاً ومرة بخيلاً وأخرى كريماً . وعندما كانت تحدث منه أية مخالفة لمعاهدات الصلح ، كان يرد على احتجاجات القناصل بتفسيرات ومبررات ماهرة للمعاهدات نفسها لم تكن لتخطر بالبال

(١) هذه المعاهدة هي معاهدة ٩ شعبان ١١٢٨ هجرية (الموافق ٣٠ يولييه سنة ١٧١٦)

المشار إليها في الصفحة ١١ حاشية ٣ .

(٢) خطاب القنصل اكسبلي المؤرخ في ٢٥ أغسطس ١٧١٦

(٣) خطاب القنصل اكسبلي المؤرخ في أول يونيه سنة ١٧١٧ .

وكان يبرر مسلكه هذا بالاستناد إلى قرارات الديوان ، ويعد بمعاقبه المذنبين وإعادة الغنائم محاولاً قبل كل شيء المماطلة واكتساب الوقت ، كذلك كان ماهراً في التمويه إذ كان يضل كل قنصل من القناصل ، ويوهمه بأنه مرال لدولته ، ولكنه مهما يكن الشيء الذي يفكر فيه هؤلاء ، ويكتبه كل منهم إلى حكومته ، فإن القرماني كان يمينهم بالوعود ، وكان يتحيز لهم فقط فيما كان يتفق مع أغراضه وحدها .

وكان سيموني ترافرسو Simon Traverso مستشار القرماني الذي يثق به ويستمع لنصائحه في ذلك الوقت رجلاً إيطالياً من مدينة جنوا استقر في طرابلس ، وأقام بها بسبب أعماله التجارية . وقد أثار هذا الرجل بحصوله على جوازات سفر من القنصل الإنجليزي لسفن جنوا والبندقية ، التي كانت تأتي لشحن الملح الحجري من غرب « زواره » احتجاجات قنصل فرنسا ، الذي كان يدعى أنه بمقتضى إتفاقية سنة ١٦٩٩ كان يجب على جميع الكاثوليك المقيمين في أرض حكومات « نيابة الغرب » أن يضعوا أنفسهم تحت حماية الملك المسيحي الصميم^(١) . ولكن البيك أي القرماني - رد على طلبات القنصل - بعد أخذ رأي الديوان أيضاً - بالإعتراف للكاثوليك بحق وضع أنفسهم تحت حماية الذين يوافقون على أن يكونوا تحت حمايته^(٢) . فقام القنصل اكسبيللي بعمل حازم ، إذ أنزل العلم ، وأمر السفن الفرنسية بعدم شحن بضائع تجار الحكومة . وأذاع خبر استعداد أسطول بحري في طولون للحضور إلى طرابلس ، لتجديد معاهدة الصلح ، الأمر الذي جعل القرماني يبدو أكثر مسالمة . وعندما جاء الخبر بأن السفينة « سان بيير » Saint Pierre ، التي شحنها التجار الطرابلسيون قد وقعت غنيمة في قبضة قارب مسلح من قوارب مدينة نابولي ، واقتيدت إلى « ريجيو Reggio » ، نشبت في مدينة طرابلس اضطرابات خطيرة ،

(١) يقصد الملك فرنسا (المراجع)

(٢) خطاب القنصل اكسبيللي المؤرخ في ١٨ يناير سنة ١٧١٧

وكاد القنصل اكسبلى يذهب ضحية غضب الشعب لو لم يتداركه البيك بالحماية .

وكانت الأحوال في البلاد أثناء ذلك قد أخذت في التحسن ، إذ جاءت بضع سنوات كانت المحاصيل الزراعية فيها طيبة ، كما أن حاكم فزان قام بدفع الجزية عن السنة الحالية والسنوات السابقة ، تلك الجزية التي كانت تعتبر مبلغاً كبيراً ، الأمر الذي جعل القرماني في حالة تسمح له بمواجهة التعهدات^(١) التي تعهد بها على نفسه - وأخيراً تم اعتراف السلطان بسلطته في الحكومة ومنحه لقب الباشوية^(٢) .

ومع هذا فإن الهدوء والاستقرار لم يدوما في البلاد طويلاً ، إذ أن الباشا ، اضطر في عام ١٧١٩ للقيام بحملة جديدة على فزان ، فقد توفي محمد ناصر الدين وخلفه ابنه أحمد ورفض دفع الجزية . ولم تنجح هذه الحملة التي كانت تتألف من قوات غير كافية في التغلب على الدفاع الذي أعده الحاكم المتمرد^(٣) .

وفي تلك السنة ثار كل من ابراهيم الترياقى وعلى بن خليل الأدغم من رؤساء قوات الجند المرسله إلى ولاية برقة ، وحاولا الاستيلاء على السلطة بالقوات التي كانت تحت قيادتهما ، وتحركا من مدينة درنه نحو الغرب وألزما القبائل بالاشتراك معهما ، وانحازت طوائف القولوغلية في مصراته والتي كان ينتسب إليها على بن خليل الأدغم ، إلى جانب الثائرين .

وهكذا قوى الثائران ، وزحفا على طول الشاطئ نحو طرابلس ، ولكنهما انهزما بالقرب من تاجوراء شر هزيمة على يد فرسان الباشا^(٤) .

وفي الوقت نفسه تقريباً نزل إلى البر في برقه ، محمد باشا (غانوم خوجه) الذي كان شديد الرغبة في الانتقام من تلك الإهانة التي لحقته في طرابلس

(١) خطاب القنصل اكسبلى المؤرخ في ١٨ يونيو سنة ١٧١٨

(٢) خطاب القنصل اكسبلى المؤرخ في ٥ مارس سنة ١٧١٨

(٣) خطاب القنصل اكسبلى المؤرخ في يونيو سنة ١٧١٩

(٤) أ . روسى والأخبار العربية .. الخ السالفة الذكر ص ١٦٣ و ١٦٤

عام ١٧١٢ ، ونجح في إثارة أهالي بنغاري ودرنة ، وامتدت الثورة إلى مصراته^(١) .

ولما كان الباشا يفهم أنه يجب عليه أن يوجه كل قواته لإخماد تلك الثورة حاول أن يبقى على العلاقات الودية والسلام مع الدول الأوربية الكبرى ، وعلى الأخص فرنسا .

ولما كانت علاقاته مع القنصل اكسيللي قد توترت ، وأخذت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، وكان الفرمانلي يرى فيه عائقاً لاستتباب السلام ، فقد طلب بواسطة سفيره محمد خوجه أفندي الذي كان قد أرسله إلى فرنسا في شهر يونيه سنة ١٧١٩ لتجديد معاهدة سنة ١٦٩٣ ، استدعاء هذا القنصل وقد قوبل السفير الطرابلسي بمقابلة حسنة في فرنسا ، واستقبل في البلاط، واجتمع بأعضاء مجلس البحرية ، وفي نهاية مارس سنة ١٧٢٠ عاد إلى طرابلس يحمل خطاباً من الملك ، وخطاباً آخر من مجلس البحرية إلى الباشا^(٢) . وظهرت آثار هذه السفارة سريعاً ، إذ أنه قبل أن يعود محمد خوجه إلى طرابلس وصل خبر مؤداه أن التجار الطرابلسيين الذين أسروا واقتيدوا إلى مدينة رججو Reggio على أثر الاستيلاء على السفينة (سان بيير Saint Pierre) قد أفرج عنهم ، وأن ديونيجي دوسولت Dionigi Dusault الذي كان مفوضاً في صلح سنة ١٦٩٣ سيأتي لتجديد المعاهدة .

ووصل دوسولت إلى طرابلس في ٢٦ مايو سنة ١٧٢٠ واستقبله الفرمانلي هو وكبار موظفي حكومته في اليوم التالي لوصوله باحتفال عظيم . ولم تبدأ المفاوضات في الحال ، واستفاد القنصل اكسيللي من ذلك ، وقدم مذكرتين إلى دوسولت ، إحداهما خاصة بالمبالغ التي كان الباشا مديناً

(١) خطاب القنصل اكسيللي المؤرخ في ١٨ يناير سنة ١٧٢٠

(٢) خطاب القنصل اكسيللي المؤرخ في ١ مارس سنة ١٧٢٠ ومذكرات عن رحلة

محمد أفندي مندوب طرابلس سنة ١٧١٢ (المجلد الرابع) من المراسلات القنصلية لطرابلس الغرب والموعدة في محفوظات وزارة الخارجية في باريس (انظر المرجع)

بها لملك فرنسا و الرعايا الفرنسيين والتي أخذت بدون مبرر ، والثانية يقترح فيها القنصل إدخال بعض تعديلات على معاهدة سنة ١٦٩٣ ، ولكن دوسولت لم يعر المذكرتين أى اهتمام ، وليس هذا فحسب بل انه أيضاً لم يشرك القنصل فى المفاوضات التى جرت مباشرة بينه وبين الباشا ، وأبدى دوسولت تسامحاً كبيراً ، إذ تنازل عن المطالبة بما كان القرمانلى قد وعد به أكثر من مرة .

وهكذا فإنه بعد جلستين اثنتين دون غيرهما ، تم إبرام المعاهدة الجديدة التى كانت - فى جوهرها - صورة من المعاهدة السابقة ، بعد إضافة بعض التداير مثل النص بأن الرهبان الكابوسان Cappuccini وبقية رجال الإرساليات الدينية فى طرابلس يجب الاعتراف بهم ومعاملتهم منذ الآن فصاعداً كرعايا ملك فرنسا الذين يشملهم بحمايته .

وتم إبرام المعاهدة حسب المراسيم والاحتفالات المعتادة فى يوم ٤ يوليه ، ولكن الطرفين لم يوقعا عليها . ولما عاد دوسولت فى اليوم التالى إلى القلعة ليحضر حفل التوقيع ، أخبره الباشا أنه لن يوقع على هذه الاتفاقية إذا لم تشتمل على نص آخر يتضمن تحمل ملك فرنسا المسئولية عما يقع فى المستقبل للتجار الطرابلسيين الذين يبحرون على السفن الفرنسية ، بسبب خطأ سفن دول حلفاء فرنسا ، أو الدول التى على وفاق معها .

وعندئذ اضطر دوسولت لقبول شرط الباشا ووافق على إضافة مادة جديدة تفيد قبوله الاقتراح ، وتنص على أن الباشا بدوره والديوان يتحملان نفس المسئولية عن التجار الفرنسيين الذين يبحرون على السفن الطرابلسية ، والذين تقع عليهم أضرار بسبب خطأ السفن التابعة للدول التى ترتبط مع الحكومة بمعاهدات صلح (١) .

(١) فيما يتعلق بالمفاوضات التى قام بها دوسولت وعن موقفه من القنصل اكسيللى راجع أ . مكافى العلاقات ... الخ السالفة الذكر ص ٧٥ - ٧٧

وفي يوم ٣١ يوليو سافر دوسولت من طرابلس بعد أن تمت مهمته ،
أما القنصل أكسبيللي الذي شعر بالاحتقار والمهانة من معاملة دوسولت
وعدم الأخذ بنصائحه ، فقد حاول الانتقام لنفسه بإضعاف الثقة بعمل
دوسولت ، ذاكرأ أن المعاهدة عقدت لصالح الباشا رحدة^(١) .

وعلى كل حال فقد وافقت الحكومة الفرنسية على معاهدة ٤ يوليه
سنة ١٧٢٠ التي أبرمها دوسولت^(٢) . وأرسلت في شهر سبتمبر من السنة
ذاتها حملة بقيادة ماركيز دلافارين La Varenne لضمان تنفيذها ، ووصلت
السفن إلى مياه طرابلس في يوم ١٤ سبتمبر ، وجرت تحيتها حسب ما نصت
عليه المعاهدة ، بإطلاق ٢٩ طلقة مدفع من القلعة ومن الحصون ، وحصل
القومندان على أمر بأنه يجب إطلاق سراح السفن الفرنسية الموجودة في الميناء
في الحال ، بمجرد تسليم الباشا كمية البارود التي وعده بها دوسولت ، وبعد
أربعة أيام فقط ألق القومندان بسفنه^(٣) .

وفي السنوات التي تلت الصلح المبرم في ٤ يوليو سنة ١٧٢٠ ، بقيت
العلاقات بين الحكومة والدول الأوروبية على خير ما يرام ، فقد وقعت بعض
الحوادث ، ولكن عمل القناصل كان كافياً لاحترام مصالح وكرامة الحكومات
التي كانوا يمثلونها .

وفي شهر فبراير من عام ١٧٢١ ذاعت إشاعة مؤداها أن بعض الأسرى
الطرابلسيين الذين كانوا موجودين في ميناء « المدينة القديمة بروما » ومن
بينهم أحد القضاة الشرعيين قد أهيئوا وضربوا بالعصى ، فغضب أهالي طرابلس
وثاروا على قساوسة الإرساليات الدينية الذين سجنوا في الزرف السفلي
الموجودة تحت بناء القلعة ، ولكن سرعان ما أطلق سراحهم ، وحصلوا على
أمر بممارسة نشاطهم الديني في الكنيسة التي كان قد تم إغلاقها ، وذلك

(١) خطابا القنصل أكسبيللي المؤرخان في ٢٠ يوليو و ١١ أغسطس سنة ١٧٢٠

(٢) نشرت في كتاب « معاهدات فرنسا مع بلاد شمال أفريقية » باريس ، بيدون ،

سنة ١٩٠٦ ص ٢٥٥ وما يليها لمؤلفه Rouard de Card

(٣) خطابا القنصل أكسبيللي المؤرخان في ١٧ سبتمبر و ١٤ أكتوبر سنة ١٧٢٠

بفضل تدخل القنصل اكسبيللى ، واستطاع أحمد القرماني نتيجة توفيقه في سياسته الخارجية أن يتفرغ لتوجيه قواته ضد أعدائه في داخل البلاد، فأرسل في مايو سنة ١٧٢١ جيشاً قوامه ١٥٠٠ رجل من الفرسان وألف جندي من المشاة إلى شرق طرابلس الغرب تحت قيادة رجل يوناني اعتنق الإسلام^(١) لمقاتلة أنصار محمد باشا، ولما كان هذا الأخير يعتقد بأنه لا يستطيع الاعتماد على أنصاره في برقة، فقد اندفع بزورق كبير وأربع سفن حتى قرب « زواره » على أمل أن ينضم إليه جميع الساخطين على القرماني ، ولكنه بعد أن بقي ثمانية أيام في هذا المرسى تبددت آماله ، ورحل خوفاً من أن تفاجئه قوات الباشا^(٢) .

ومع هذا فإن الهدوء لم يستتب ، إذ قتل الرئيس أحمد الحاج شعبان بيك أخا القرماني شرقتة ، وتأثر الباشا كثيراً لمقتل أخيه ولم يهدى من روعه وصول سفينة مسلحة بنمانية وأربعين مدفعاً أرسلها إليه السلطان هدية مع الاعتراف بحكومته ، الولاية^(٣) ، ولم تعد إليه طمأنينته إلا بعد أن قبض على القاتل الرئيس أحمد بن الرئيس وعذبه عذاباً شديداً^(٤) .

وكان من الأسباب الأخرى لسرور الباشا وارتياحه نقل القنصل اكسبيللى من طرابلس ، ذلك النقل الذي كان قد أصر على طلبه كثيراً من الحكومة الفرنسية والذي تم ونفذ في أوائل سنة ١٧٢٢^(٥) .

(١) خطاب القنصل اكسبيللى المؤرخ في ٢٠ مايو سنة ١٧٢١ (ترجمة أ. روسي « الأخبار العربية الطرابلسية » ... الخ السالف الذكر ص ١٦٥) وقد ذكر ابن غابون اسم ابراهيم على أنه قائد الحملة ، وربما كان هو الحاج ابراهيم أوزون (الطويل) المذكور في سجل المحكمة الشرعية بطرابلس رقم ٣ ص ٢٢٠ .

(٢) خطاب القنصل اكسبيللى المؤرخ في ٢٦ يوليو سنة ١٧٢١ .

(٣) خطاب القنصل اكسبيللى المؤرخ في ٢٦ نوفمبر سنة ١٧٢١ .

(٤) خطاب القنصل اكسبيللى المؤرخ في أول أبريل سنة ١٧٢٢ .

(٥) نقل القنصل اكسبيللى إلى مدينة صيدا (سوريا) وحل محله القنصل مارتان ، وكان قد عهد بإدارة القنصلية إلى مأمورها « بروش Broche » مؤقناً انظر خطاب القنصل اكسبيللى من مالطة المؤرخ في ٩ أكتوبر سنة ١٧٢٢ .

استطاع أحمد القرماني أن يعتبر نفسه آمناً على عرشه في ذلك الوقت، وساعد الحظ شجاعته وجرأته، ونجح في أن يحصل من السلطان على الاعتراف له بالسلطة على البلاد التي كانت في الواقع خارجة عن سلطة الباب العالي .

ولما كان الباشا يعتمد منذ البداية على قوة أهالي المنشية والساحل ، الذين ظلوا ما يزيد على قرن من الزمان أقوى دعامة للأسرة القرمانية ، والذين أعفوا من الضرائب والعوائد والتكاليف ، ولم يكن عليهم أي التزام آخر سوى تقديم الجيوش التي كان الباشا يطلبها منهم ، فإنه قام بعمل من أعمال العنف الذي هداه إليه تفكيره وهو قتل طوائف الانكشارية ، وهدم بذلك التشكيلات الوحيدة التي كان في استطاعتها أن تمنعه من إنشاء الدولة الجديدة التي كانت مستقلة عن الباب العالي بالفعل لا بالاسم . ولما كان الباشا يقدر ضرورة وجود القوات المسلحة لفرض سلطته على القبائل الضاربة في داخل البلاد ، لذلك أنشأ جيشاً من طوائف القولوغلية والعرب كان يتألف عادة من ألف وخمسة مائة فارس وستة آلاف من المشاة ، وكان يمكن زيادتها عند الضرورة زيادة كبيرة وذلك خلاف حرسه الخاص .

وقد استطاع الباشا بهذه القوات أن يفرض حكمه على قبائل الدواخل وأن يبقى فزان تابعة له تدفع الجزية ، وأن يخمد الثورات وأعمال التمرد والعصيان التي تعددت في الأيام الأولى من حكمه . تلك الثورات التي تناقصت وأصبحت نادرة وأقل خطراً مع مضي الزمن .

ومن جهة أخرى فإن الباشا لم يعرف فقط كيف يستفيد بمهارة من الخصومات التي كانت تفرق بين القبائل ، بل إنه قد نجح بإنشائه الدولة الجديدة في إيهام الجميع أنه قد أنشأ حكومة مستقلة فعلا عن أي نفوذ أجنبي ، ولقد حاول أيضاً بقدر ما سنحت له الظروف وأحوال البلاد أن ينهض بالأحوال الاقتصادية في الولاية ، إذ شجع الأهالي على زراعة الأراضي كما شجع التجارة .

كذلك شجع الأجانب أيضاً على الإقامة في طرابلس ، وعلى إدخال بعض الصناعات فيها ، وهكذا نشأت بعض الصناعات اليدوية كصناعة نسيج الأقمشة الصوفية ودبغ الجلود وصباغتها وجملة القول إذا كان قد أثار بعض المخاوف بين الرعايا ، إلا أنه لقي تأييداً منهم ، واستطاع دون صعوبة أن يجعل السلطة وراثية في أسرته .

وقد أنشأ الباشا حكومة استبدادية مطلقة وذلك لأن الديوان^(١) الذي كانت موافقته ضرورية على القرارات في الشؤون الهامة في الماضي وخاصة كل ما يتعلق بالعلاقات مع السلطان ومع الدول الأوروبية والصلح والحرب والمعاهدات ، فقد كل أهميته بعد أن أعطيت للقواد أوامر وسلطات حكومية لمنح الضمانات والرخص وجوازات سفر - وأصبح لا يدعى إلا عندما يرى الباشا لزوماً لذلك ، إذ أن إرادة ذلك الباشا صارت القانون الأوحد في الدولة .

وكان « البيك » في المرتبة الأولى من رجال الدولة وهو رئيس كل القوات العسكرية ، ويقع على عاتقه أمر استتباب الأمن والنظام في البلاد ، وتحصيل الضرائب ، ولقد شغل القرمانلي منصب البيك بمجرد استيلائه على السلطة ، ثم منح هذا المنصب لأخيه من أمه الحاج شعبان ، ثم منحه بعد ذلك لابنه بالوراثة .

وكان يتبع الباشا مختلف « الأغوات » والرؤساء العسكريون الذين كان على رأسهم في الأهمية أغا الإنكشارية^(٢) .

وكان على رأس الأسطول « ريس البحرية أو قبطان الميناء » وكان من واجبه تجهيز واعداد السفن التي كانت تخرج من الميناء للغزو وحفظ النظام في كل ما يتعلق بابحار السفن ورسوها في الميناء ، وشحن البضائع

(١) كان الديوان يتألف من الوزراء وكبار موظفي الدولة ومن كل من كانوا سفراء لدى الممالك الأوروبية ومن ضباط الجيش ورؤساء البحرية .
(٢) في أيام الدولة الفرمانلية كان يقصد بالإنكشارية جماعة مؤلفة من القولوغلية كان يتألف منهم الحرس الحماص في أيام السلم وفرقة الفرسان أثناء الحروب .

وتفريغها وتحصيل الضرائب الجركية ، وكان يتبعه الرؤساء الذين كانوا يتولون قيادة سفن المغامرة .

وكان الأول في المرتبة والسلطة من بين الموظفين المدنيين « الكيخيا الكبير » وهو مستشار الباشا الخاص ، والقاضي الذي يفصل فيما يقع من خصومات بين القبائل وكان من واجبه العمل على إطاعة وقبول قوانين الباشا وأوامره ومعاقبة مخالفيها ، وفي حالة عدم وجود الكيخيا أو وجود ما يمنعه من القيام بعمله ، كان يوجد « الكيخيا الصغير » الذي يحل محله وهو ناظر القلعة وقائد حرس الباشا ، وكان يوكل إليه أيضاً أمر تربية « البيك » وتعليمه .

أما الشؤون المالية فكان يشرف عليها ويتولى تصريفها الخازن دار أو أمين الخزانة الذي كان من اختصاصه العناية بإرسال الرسائل الرسمية والإشراف على ممالك الباشا ، وكانت حكومة النواحي المختلفة والقبائل موكولة إلى « القائد » .

وكان يوجد في مدينة طرابلس موظف قضائي كبير لحفظ النظام وإدارة القضاء ، وهو « الشيخ » وكان يعين في وظيفة « قائد » بعض الموظفين القضائيين الخصوصيين الذين يتراأسون بعض السلالات والأجناس المعينة ، أو بعض طوائف النشاط الاقتصادي .

وكان يحلو للباشا أن يفصل بنفسه في الخصومات بين رعاياه . وعند ذلك كان يساعده المفتي والقاضي ، وكان هذا الأخير هو رئيس القضاء الشرعي^(١) .

وكان لأمناء الباشا (الخوجات) أهمية خاصة ، إذ كان يختار من بينهم غالباً السفراء لدى الدول العظمى .

(١) كان قضاء طرابلس أثناء حكم أحمد القرماني وابنه محمد من الأتراك الخفية ، وكان حسن بن الحاج سليمان التوغار الذي عينه على القرماني سنة ١٧٦٨ أول قاض طرابلسي وإن كان من أصل تركي وحنفي المذهب .

أما المصادر الرئيسية للدخل فقد كانت الضرائب على الواردات والصادرات وضريبة الرأس على بعض الأشخاص مثل اليهود. والجزية التي كانت تدفعها القبائل العربية بالداخل في طرابلس وفزان ، و « المبلغ » السنوي الذي كانت تدفعه « البندقية » لاستغلال الملاجات في « بوكاش » .
وإنه لمن الصعب كثيراً ، بل من المستحيل علينا ، أن نذكر حساباً ولو تقريبياً لمقدار هذا الدخل ، نظراً لعدم استقرار التجارة وتغير الإنتاج في البلاد بين سنة وأخرى ، وميل الأهالي للتخلص من دفع الضرائب .
ومن الممكن أن نعتقد أن طرابلس نظراً لموقعها ومينائها ، كانت لها تجارة بحرية واسعة ، وكانت هذه التجارة ضئيلة جداً في الواقع وكانت تقوم بها السفن الأوربية دون غيرها ، وأغلبها من السفن الفرنسية أو سفن « راجوزا Ragusa » .

ولم تكن السفن التي كانت ترسو أمام طرابلس تزيد على مائة سفينة في العام وكانت طرابلس تستورد من مرسيليا الأقمشة ومواد البويات ، (التلوين) والحديد ، والسكر والنيذ والشربات ، ومن مدينة « ليفورنو » الأقمشة الحريرية والصوفية والدمقس والورق والأسلحة النارية ، ومن البندقية الحرير والتيل والمعدات الحربية والزجاج وقضبان الحديد والصلب ، ومن مالطة أنبذة صقلية ومن نابولي قضبان الفضة ، ومن تونس الزيت النقي والجلود والبلح والطواقي الحمراء ، ومن مراكش والجزائر في أيام الجفاف القمح والأرز ، وكانت طرابلس تصدر بعض المنتجات المحلية كالصوف والجلود الخام والبلح والنطرون (كربونات الصودا) والملح^(١) ، وما تحمله القوافل من داخل إفريقية كالصمغ والتبر وريش النعام والعاج والرقيق .

(١) كان الملح يؤخذ من ملاحه « البريقة » ومن ملاحه « بو نومه » التي يطلق عليها في الوقت الحاضر اسم « بوكاش » . وكانت سفن البندقية تأتي منذ القرن الثالث عشر لشحنه من مرساة البريقة ، وهي خليج واسع حصين في الشمال من رأس « الخبز » ، وكان البنادقة يسمون هذا المكان باسم « ملاحه زواره » نسبة إلى مدينة زواره ، وهي مركز هام على الشاطئ على مسافة تقدر بحوالي أربعين كيلو متراً من رأس الخبز .

وكانت للقوافل الكبرى المراكشية والجزائرية أهمية تستحق الذكر بالنسبة للتجارة ، تلك القوافل التي تنقل الحجاج إلى مكة ، والتي تتوقف سواء في ذهابها أو عودتها ، عدة أيام في طرابلس ، لا تحصل على المؤن وحدها ، بل لتشتري أيضاً الحرير الدمقسى الإيطالي ، والمصنوعات الزجاجية الواردة من البندقية ، وكانت تحضر من الشرق خيوط القطن والبن والعقاقير .

كان الباشا يحصل على دخل من غزوات المغامرين أكثر مما كان يحصل عليه من الضرائب المباشرة أو الضرائب الاستثنائية أو من التجارة . وكان أسطولُه يتألف عادة من عدد معين من السفن والمراكب والزوارق المهداة من السلطان ، أو المشتراة أو التي تم الإستيلاء عليها واغتنامها ، ومن عدد كبير من الزوارق والسفن الصغيرة المسلحة بالمجانيق ، يبلغ طاقم كل منها ثلاثين أو أربعين رجلا ، وكانت تؤدي خدمات أكثر نفعا من السفن الكبيرة لأنها صالحة للملاحة بالأسرعة أو بالمجاديف ، ومن السهل تحويلها إلى أى اتجاه وتسييرها أو هربها بسرعة أمام القوات التي تتفوق عليها .

وكانت هذه السفن إذا ما خرجت من طرابلس ، تتجه عادة إلى مالطة أو سواحل صقلية ، وتسير من هناك بمحاذاة شواطئ كالابريا ، وتدخل في البحر الإيوني وتتوغل في البحر الأدرىاتيكي ، ثم تنتقل إلى بحر إيجه ، وهي تسير دائماً على مقربة من الشواطئ ، ثم تأخذ طريقها إلى طرابلس مارة بشواطئ سوريا ومصر .

وقد حدثت معاهدات الصلح المعقودة مع الدول الأوربية الكبرى من ميدان عمل المغامرين الطرابلسيين ، وبالتالي أنقصت الغنائم الشرعية نقصاناً كبيراً .

= انظر ك . أ . فالينو «البندقية وصفاقس في القرن الثامن عشر في العبد المشوي لمولد ميخائيل أماري (مؤلف كتاب تاريخ المسلمين في صقلية ») بالرمو . فرزى سنة ١٩١٠ جزء أول ص ٣٤٤-٣٥٢ .

وهذا يفسر لنا السبب في مهاجمة سفن الدول التي ارتبطت معها طرابلس بمعايدات صلح ، وفي حالة احتياج الدول التي كان يصيدها الضرر ، كان الباشا على أتم الاستعداد للتوصل من عمل رؤساء بحريته واستنكاره ، والوعد بدفع التعويضات التي كان يماطل في دفعها بمختلف المعاذير ، كما كان يعطى الضمانات بعدم وقوع أى عمل عدائى فى المستقبل^(١) .

وفي الحقيقة كانت تظهر أيضاً فى أحمد القرمانلى ، الذى كان دون شك خيراً أمراء الأسرة القرمانلية ، تلك الفضائل السلبية التى كانت أكثر ظهوراً فى خلفائه ، وهى الطمع الذى كان يجعله طاغية ما دام يأمن عدم العقوبة ، وغريزة المحافظة على حياته التى كانت تجعله يسلم تحت التهديد بخاطر عاجل ، ونية خبيثة معتادة كانت تجعله يتعهد بتعهدات ، وهو يضمن فى نفسه عدم الوفاء بها .

(١) عن كل ما قيل حول الحكومة والأحوال الاقتصادية فى حكومة « نيابة الغرب » راجع (تعليمات عن مكتب القنصل الإنجليزى فى طرابلس وأخبار عن دولة طرابلس حوالى سنة ١٧٦٨ ، التى أملاها « أنتونى نيخت Antony Knecht » مأمور القنصلية الإنجليزية فى طرابلس من ١٧ نوفمبر سنة ١٧٦٤ الى ١٧ مارس سنة ١٧٦٦ . وفيما يتعلق بالقنصل ادوارد باركر فى كتاب توسكى « وثائق لم تنشر عن تاريخ طرابلس الغرب » الجزء الثانى « فى حويلات المعهد الملكى الشرقى بنابلى ، سبتمبر سنة ١٩٣٠ جزء ٨ المجلد الثالث ص ٣٨٨ وما يليها .

أعلام طرابلس الغرب في القرن الثامن عشر



٣ - علم الجزائر وتونس وطرابلس .
كله أحمر .

٢ - علم طرابلس
أحمر ذو ثلاث أهلة
بيضاء .

١ - علم طرابلس
من ٩. أشرطة أفقية :
أخضر - أصفر برتقالي -
أحمر - أبيض مظلم -
أخضر - أصفر برتقالي -
أحمر - أبيض مظلم -
أخضر .

الفصل الثاني

المنازعات بين أحمد القرماني والدول الأوربية

عندما أعلنت النمسا التي كانت حليفة للبندقية (في ١٣ أبريل سنة ١٧١٦) الحرب على تركيا، أخذ المغامرون في طرابلس، مثل مغامري الجزائر وتونس بمهاجمة سفن نابلي، فضلا عن سفن جنوا وتوسكانا والبندقية التي كانت تقوم بالملاحة بعد معاهدة أوترخت تحت علم النمسا. وكانت الأساطيل الإيطالية التجارية طعماً سائغاً للمغامرين، وكانت الخسائر التي تتحملها هذه السفن تدفع كمفدية للسفن الفرنسية^(١).

وتتضمن خطابات القناصل الفرنسيين في طرابلس أخباراً كثيرة عن سفن الدول الإيطالية التي غنمها المغامرون الطرابلسيون، وسفن البندقية وجنوا التي لم تسلم هي الأخرى من مهاجمتهم وكذلك الحال بالنسبة لميناء « مرسة البريقة، التي كانت تعتبر دائماً منطقة حرة لجميع السفن التي كانت تأتي إليها لشحن الملح^(٢).

وعندما أصبحت النمسا بسبب امتلاكها الإيطالية إحدى دول البحر المتوسط كان لا بد لها أن تهتم بهذا الموقف، ولذلك دار البحث في مسألة الغزوات التي يمارسها سكان شمال أفريقية في المؤتمر الذي عقد في باساروفتس Passarowitz والذي أراد الأمير أوجينيو Eugenio قبول مندوبين عن البندقية فيه.

(١) راندال : سفارة فرنسية في أيام لويس الخامس عشر، بعثة الركيز فيلنيف Villeneuve (سنة ١٧٢٨ — ١٧٤١، باريس، بيلون سنة ١٨٨٧ ص ٩٢).
(٢) خطابات القنصل أكسيللي المؤرخة في ٥ مايو سنة ١٧١٨، الخاصة بأسر الباخرة « l'Annunziata » التابعة لحكومة البندقية. وفي ١٢ أكتوبر سنة ١٧١٩ و ١٥ أبريل سنة ١٧٢٠ و ١٥ مايو سنة ١٧٢٠.

وفي معاهدة ٢١ يوليو ١٧١٨ وضعت مادة تنص على تعهد الباب العالي بإلزام كل من الجزائر وتونس وطرابلس بإبرام صلح مع النمسا وجمهورية البندقية. وكانت فرنسا ترى أن عقد هذا الصلح سيكون خطراً على تجارتها في البحر المتوسط، وكانت تحاول إبقاء العداوة بين الولايات الثلاث ضد امبراطورية النمسا والبندقية (١).

وفي السنوات التي تلت صلح باساروفتز مباشرة، قام المغامرون الأفريقيون بتوسيع مدى حركاتهم. ولم تنج من هجماتهم السفن التابعة للدول التي كانت طرابلس قد عقدت معاهدات صلح معها.

ففي نوفمبر من عام ١٧٢٢ أسر المغامرون الطرابلسيون سفينة فرنسية محملة ببالات من الحرير يقودها القبطان أوليه دي مارسيليا Ollier di Marsiglia وبالرغم من مطالبة بروش القائم بأعمال القنصلية الفرنسية بعد سفر القنصل أكسيللي بإرجاعها، قرر الباشا أن أسر السفينة كان غنيمة قانونية، مدعياً بأنها كانت من سفن جنوا وليست فرنسية، ولم تؤد مساعي القنصل الفرنسي الجديد مارتان Martin الذي وصل إلى طرابلس في فبراير من السنة التالية إلى أية نتيجة. وكان من الواجب في هذا الوقت معاينة المغامرين الطرابلسيين لوضع حد لتبجحهم.

وفي يوم ٢٢ أبريل، أفلعت سفينة القيادة الطرابلسية التي كانت تحمل ثمان وأربعين مدفعاً وأربعة عشر منجانيقاً، والتي كان السلطان قد أهداها إلى الباشا، من ميناء طرابلس متجهة إلى سواحل صقلية. فشهدتها الفرقاطة سان فنسنزو San Vincenzo من أسطول جماعة فرسان مالطة تحت قيادة دي شامبري De Chambray في مياه جزيرة بانتليريا Pantelleria وطارقتها، وعندما لحقت بها نشب بينهما قتال دام

(١) بلانتيه: في كتابه سالف الذكر جزء ٢ ص ١٤٢.

(٢) خطاب القائم بأعمال القنصلية « بروش Broche » المؤرخ في ٣ أكتوبر

أربع ساعات فقد رجال سفينة طرابلس على أثره ثلث عدد رجالهم ، واضطروا للاستلام^(١) .

وقد أثر ضياع أكبر وأحسن سفن الباشا فيه تأثيراً كبيراً ، فصمم على الانتقام من جميع السفن التجارية لمختلف الدول ، ورفض أن يتسلم احتجاجات الدول صاحبة الشأن . وانكر عليها أية ترضية .

وعند ما حمل قابوجى باشى إليه فى ٢٣ أكتوبر أمر السلطان بعقد الصلح مع الامبراطورية النمساوية وجمهورية البندقية ، راوغه ، مؤكداً أن مثل ذلك الصلح يجعله فى حالة لا تسمح له أن يعيش نظراً لقلّة موارد حكومة نيابة الغرب ثم صرح للمندوب السلطانى بأن هناك مفاوضات تجرى مع البنادقة لإبرام صلح معهم بطريق مباشر . ولكنه ينتظر فقط مرافقة مجلس شيوخ البندقية على طلباته ، أما الصلح مع الامبراطورية النمساوية فسيكون معناه نهاية حرب الغزو وأن المغامرين من طرابلس يعملون خاصة بمحاذاة مملكة نابلى وصقلية ، وأنه ليس فى استطاعته التنازل عن هذه الأعمال إلا إذا دفع له السلطان مرتبات جنوده^(٢) .

ولقد سافر قابوجى باشى من طرابلس فى شهر نوفمبر وهو يحمل هذا الرد ، وعاد فى مايو من السنة التالية حاملاً للقمرمانلى مع الباشوية أوامر جديدة حول الصلح ، وأمر بإعادة الرعايا النمساويين المعتقلين كأسرى فى طرابلس . وفى هذه المرة اكتفى الباشا بالتصريح بأنه لا بد أن يتفاوض مباشرة مع النمسا .

وفى شهر مايو من عام ١٧٢٤ وصل إلى مياه طرابلس أسطول فرنسى كان يحمل إلى القسطنطينية سفير الملك المسيحى الصميم^(٣) الفيكونت

(١) تقرير عن أسر الفرقاطة (سان فخنزو) التابعة للعقيدة الدينية الأورشليمية (فرسان القديس يوحنا) لسفينة القيادة الطرابلسية ، بواسطة القبطان الفارس دى شامبرى فى يوم ١٣ مايو سنة ١٧٢٣ — فى جنوا . جيو . بانستا . كازامارا — المصاييح الخمسة ، بأمر من الرؤساء .

(٢) خطاب القنصل الفرنسى مارتان المؤرخ فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٧٢٣ .

(المراجع)

(٣) يقصد ملك فرنسا .

دى اندرزل d'Andrezel وحاول قائد الأسطول « نيقولا دى جراندبرى
Nicola de Grandpre أن يحصل من الباشا على ترصية عن أسر سفينة
القبطان أوليه ولكنه اضطر إلى الرحيل دون أن يحصل على شيء^(١).
ورغم المسلك العنيف الذى وقفه القرمانلى ، وظهر فيه بأنه لا يتحدى
الدول المسيحية فحسب ، بل يتحدى سيده السلطان أيضاً ، إلا أنه كان يفهم
ضرورة عدم التمادى فى إغضاب السلطان وأهمية منع فرنسا من القيام
بتوجيه حملة تأديبية على حكومته ، تلك الحملة التى كان يعد لها الفرنسيون
سفناً من الأسطول فى طولون والتى وصلت أخبارها إلى طرابلس وتحدث
عنها الجميع .

وبينما كان يعمل للصلح مع الإمبراطورية النمساوية وجمهورية البندقية
بأن أرسل محمد خوجه كسفير له فى فيينا وكلفه أيضاً بالمفاوضة بمدينة
البندقية ، لتجديد اتفاقية استغلال ملاحات « بوكاش »^(٢) ، أخذ يحاول إقناع
الحكومة الفرنسية ويؤكد لها بأنه على استعداد لبذل الترضيات اللازمة .

ولكن هذه الحكومة قررت على أثر تصريح الباشا والأخبار التى أبلغها
إليها القنصل « مارتان Martin » ، أن ترسل أسطولاً إلى طرابلس فى
الربيع التالى لحل مختلف المسائل المتعلقة .

وأثناء ذلك استؤنفت بعض الاضطرابات الداخلية ، فإن ابن الباشا
الذى كان أهالى درنة قد اعترفوا به أخيراً بيكاً^(٣) كاد يقع فريسة لمؤامرة
جريئة دبرها ضده رجل يرجع أصله إلى مدينة قرمان ولجأ إلى طرابلس
بعد أن طرد من الجزائر وأصبح أحد رجال البلاط ومحمل ثقة القرمانلى
ولكن المؤامرة اكتشفت فى الوقت المناسب وأعدم المشتركون فيها جميعاً^(٤).

(١) انظر مذكرة الفيكونت اندرزل المؤرخة فى مايو سنة ١٧٢٤ فى الجزء الخامس
مراسلات قنصلية طرابلس الغرب المودعة فى محفوظات وزارة الخارجية بباريس (انظر المراجع)

(٢) انظر مذكرة الكونت داندزل السالفة الذكر .

(٣) خطاب القنصل مارتان المؤرخ فى ٢٠ يناير سنة ١٧٢٥ :

(٤) خطابا القنصل مارتان المؤرخان فى ١٠ يوليو و ٢ أغسطس سنة ١٧٢٥ .

وفي يوم ٢٢ يوليو سنة ١٧٢٥ واصل إلى طرابلس أسطول فرنسي بقيادة القاضي « دي فاتان De Vattan » وتمكن بوساطة القنصل مارتان من الوصول إلى اتفاق مع الباشا مؤداه أنه في حالة عدم وجود أموال لدى الباشا يعطى لفرنسا قمحاً وزيتاً بالقيمة المساوية للسفن التي تم الاستيلاء عليها بطريقة غير قانونية ، كما تعهد بإعدام الرئيس المتهم بذبح طاقم سفينة فرنسية ، ولكن بمجرد أن ابتعد الأسطول الفرنسي ، ظهر بوضوح سوء نية الباشا ، لأن « الرئيس » لم يعدم ، وأخذ الباشا يماطل ويسوف في دفع التعويضات ، ومع ذلك فقد رأى القنصل الفرنسي بأنه يجب عليه أن ينتظر بعض الوقت لإزاء مبررات الباشا وما أبداه من الأعذار . وعندما ظهر في طرابلس بعض بيكوات القاهرة الذين فروا من مصر ، نزل مارتان على إرادة الباشا ، واتجه إلى السفير الفرنسي داندريزل بالقسطنطينية حتى يحصل على عفو من السلطان عن محمد شركس أكبر هؤلاء المماليك نفوذاً والسماح له بالعودة إلى وطنه (١) .

وأثناء ذلك ، أصدر السلطان أمراً بما له من سلطة ، في يوم ٣٠ يونيو سنة ١٧٢٦ بإرسال « قابو جي باشي » (٢) إلى طرابلس لتنفيذ معاهدة الصلح التي تم الإتفاق عليها في شهر أبريل بين سفير صاحب الجلالة القيصرية بالقسطنطينية أي « سفير النمسا » و « قبطان باشا » الذي كان يتفاوض بأمر السلطان ولمصلحة « باشا » طرابلس .

وكان يلزم لإبرام مثل هذه المعاهدة وإتمامها الكف عن أعمال العدوان بين الحكومة في طرابلس والامبراطورية ، وتأمين الملاحاة بصفة تامة ودائمة ، وتأمين الرسو في أملاك هذا الطرف أو ذلك لرعايا حكومة طرابلس ورعايا

(١) خطاب القنصل مارتان المؤرخ في ٢٤ أبريل سنة ١٧٢٦ وأ . روسي الأخبار

العربية الطرابلسية ... الخ السالف الذكر ص ١٦٦ و ١٦٧ .

(٢) ذكر فيرو أن كبير الياوران اسماعيل هو الذي حضر على رأس أسطول قوى

يحمل أمراً من السلطان موجهاً إلى « داي » الجزائر وإلى « بيك » تونس وإلى « باشا »

طرابلس « ل . ك . فيرو » الكتاب السالف الذكر ص ٢٣٦ .

الامبراطورية بما فيهم الألمان والهولنديون والصقليون والنابليون
والسكلابريون وأهالي مينائى فيومى وتريستا ، وبالجملة جميع رعايا الامبراطورية
والممتلكات النمساوية . وكان على المغامرين الطرابلسيين أن يمتنعوا عن
مهاجمة السفن التى يخفق فوقها العلم النمساوى ، كما كان يجب رد الغنائم التى
أخذت بعد إبرام الإتفاقية ، وتعيين قنصل امبراطورى فى طرابلس تكون
له فيها الأسبقية المطلقة على القناصل الآخرين^(١) . وإذا كان الباشا قد
أظهر رغبته فى الخضوع لأمر السلطان إلا أنه سرعان ما أقام الاعتراضات
بشأن رد الغنائم التى أخذت فى الفترة الواقعة بين إبرام المعاهدة وإبلاغها إليه^(٢)

وعلى كل حال فإنه أرسل سفيره محمد خوجه رأساً إلى نابلى وفيها
يحمل إلى صاحب الجلالة القيصرية بعض خيول البلد وحيواناته كهدايا
وليتفاوض فى إطلاق سراح بعض الأسرى النابليين والسكلابريين الذين
أخذوا السفن الثلاث التى جرى اغتنامها بعد إبرام الصلح^(٣) .

وفى يناير سنة ١٧٢٧ أمر الباشا فجأة بخنق صهره الذى ظل بيكالدرنة
مدة عامين ثم عاد منها منذ وقت قريب وشغل منصبه القديم كرئيس للبحرية .
وقيل تبريراً لذلك إن هذا البيك كان يتآمر لخلع الباشا ولكن الرأى
السائد هو أن الباشا أمر بإعدامه للاستيلاء على ثروته .

وكان من بين شروط الصلح الذى فرضه السلطان أن يتمتع المغامرون
الطرابلسيون عن مهاجمة وسلب سفن البندقية والبلاد الخاضعة للنمسا ،
ولما لم يعد فى استطاعتهم مخالفة ذلك عاودوا مهاجمة السفن الفرنسية .

ولكى تضع الحكومة الفرنسية حداً لذلك النشاط الموجه ضد بحريتها
وتجارتها ، قررت فى سنة ١٧٢٧ إعطاء درس قاس للمغامرين بواسطة
عمل تشترك فيه أساطيل شرق فرنسا وغربها ، فخرجت ست بوارج من

(١) خطاب القنصل مارتان المؤرخ فى ٨ يوليو سنة ١٧٢٦ .

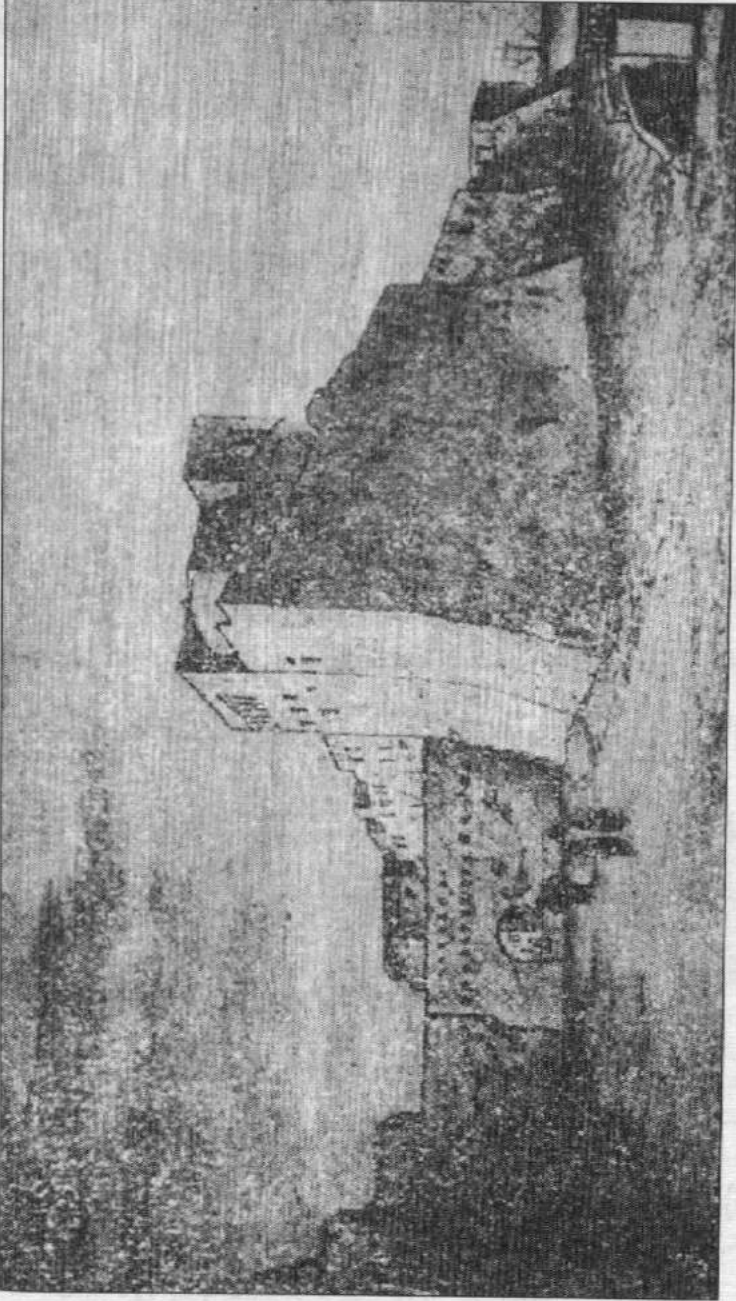
(٢) خطاب القنصل مارتان المؤرخ فى ٨ يوليو سنة ١٧٢٦ .

(٣) خطاب القنصل مارتان المؤرخ فى ١٢ سبتمبر سنة ١٧٢٦ .

ميناء « برست » لتنضم في مياه « فورمنتيرا Formentera » إلى خمس بوارج خرجت من ميناء طولون بقيادة قائد الأسطول « دي مونس De Mons » ولكن هذا المشروع قد باء بالفشل ، بسبب جرأة المغامرين التونسيين الذين جاءوا في شهر أبريل إلى جزائر « هيرس Hyeres » واتجهوا منها إلى سواحل إقليم « بروفانس » ولم ينسحبوا إلا بعد أن أحضرت إحدى بوارج أسطول دي مونس زورقاً مسلحاً بثمانية وثلاثين مدفعاً ، ثم أقلع دي مونس بسفنه نحو طرابلس حيث كانت قد ذاعت أخبار ورودت من إيطاليا عن أعمال التسليح والاستعدادات التي تمت في طولون وعن احتمال ضرب مدينة طرابلس بالقنابل ، وقد وصل دي مونس إلى تلك المياه في صباح يوم ٨ يونيو .

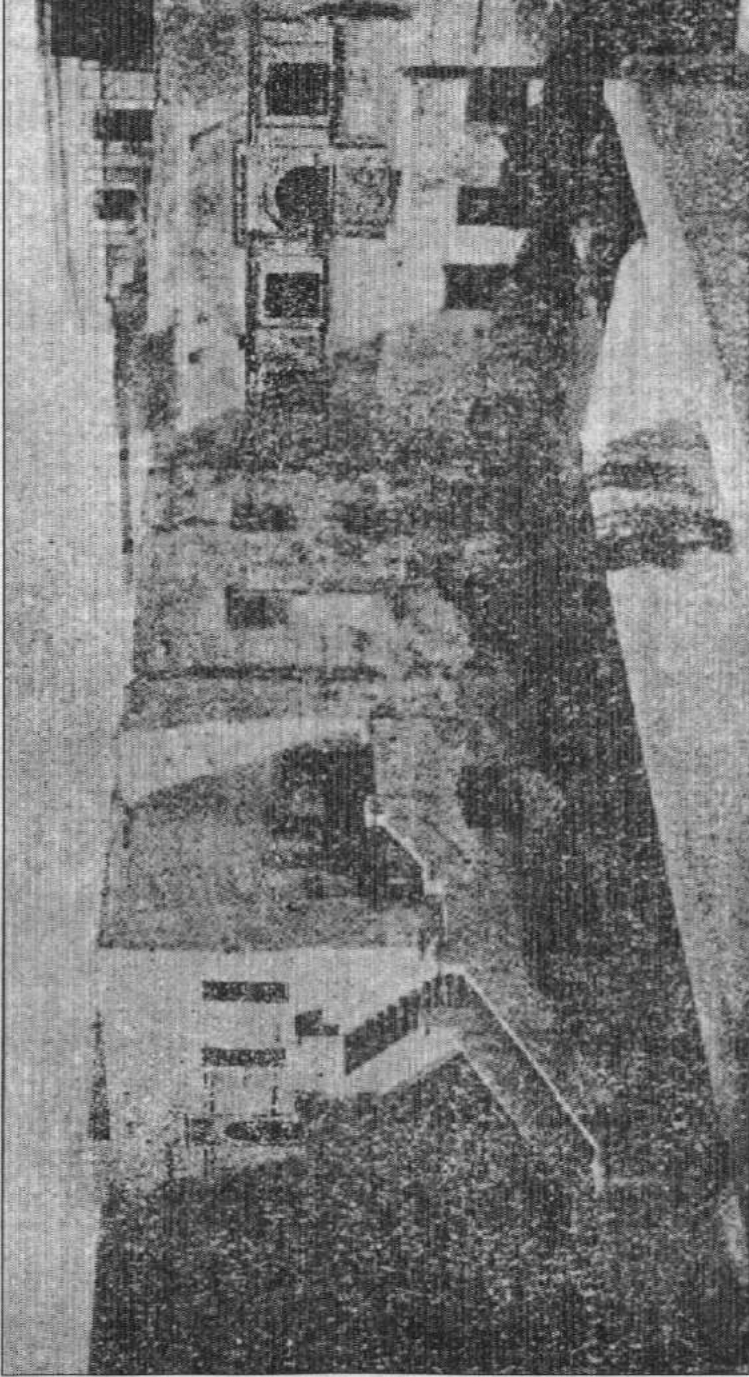
ورغم أن القنصل مارتان أسرع بالتوجه في الحال إلى سفينة القائد ، إلا أنه كان لا يتوقع أن يستطيع الحصول على أية ترصية إلا باستعمال القوة فإن القائد آثر اختيار طريق المفارضة ، وأنزل إلى البر طبيب الأسطول ، لتقديم التحية إلى الباشا ، وطلب الترضية عن الأعمال التي ارتكبت ضد العلم الفرنسي ، وعلى الأخص أسر زورق القبطان « أوليه Ollier » .
وحاول الباشا تأجيل المفاوضات ، ولكنه عندما علم أنه ستأتي بعض القوات البحرية الأخرى لتأييد الأسطول الذي يقوده « دي مونس » أكد بأنه سيعمل كل ما يمكنه لدفع ثمن السفينة والحمولة التي أخذت من أوليه نقداً أو ما يوازيها من المنتجات المحلية .

واكتفى دي مونس بهذه التأكيدات وأقلع في ليلة ١٢ - ١٣ متجهاً إلى تونس حيث لم يصادف نجاحاً وتوفيقاً أكثر مما صادفه في طرابلس وعندما لحقت به الحملة البحرية القادة من ميناء « برست » ، قام بمظاهرة أمام مدينة الجزائر كان نصيبها الفشل مثل سابقها التي حدثت أمام طرابلس .
وقد دفع إصرار فرنسا على طلب الترضية وتكرار إرسال سفنها الحربية للباشا ليفكر في إعداد المدينة لتكون في حالة دفاع ضد أي هجوم عليها



قلعة طرابلس حوالى منتصف القرن التاسع عشر

Da Ludwig Salvator (Erzherzog) : yacht — Reise in den
Syrten 1873. Prag. Mercy ,1874.



الفناء الرئيسي لقلعة طرابلس مع مجموعة من مباني طراز
القرن الثامن عشر

من البحر أو ضربها بالتمنابل ، أو إنزال جنود إليها ، وبدأ الباشا بتجديد أسوارها وتقويتها . وكانت المدينة محاطة بأسوار عالية متينة ، ومحصنة بستة أبراج ، ولها بابان أحدهما في الجهة الجنوبية ناحية المنشية ، والثاني في الجهة الغربية ناحية الميناء ، وكانت القلعة مبنية واسعاً غير منتظم ، يقع في الزاوية الجنوبية من المدينة ، مربعة الشكل ، لها بابان نحو المدينة ، وبابان خلفيان ، أحدهما تجاه الميناء والآخر تجاه الأراضي الزراعية ، وكانت محصنة بمدافع من البرونز لم يكن لها أى تأثير ، ولا تصلح للدفاع ضد السفن الحربية ، ولكنها كانت عظمة الفائدة لصد أى هجوم يأتي من جهة البر .

وكانت هناك ثلاثة حصون تحمي المدينة من جهة البحر ، وكانت سعة الميناء تسمح بوجود عشرات من السفن التجارية ، وكان عمقه كافياً لرسو البوارج المسلحة ، ويحميه من الجهة الشمالية الغربية ثلاثة صخور ، كانت تبدو على شكل قوس دائرة يغلق الميناء وكانت السفن التجارية ترسو تحت أسوار المدينة ، أما السفن الحربية فكانت ترسو أمام الحصن الجنوبي الذي كان يحمي ينايبع الحميدية ، وكان الناس يطلقون عليه عادة إسم « الحصن الإنجليزى »^{١١} .

ولم يكتف الباشا بإصلاح (برج المنديريك) الذي كان يحمي الميناء من الجهة الشمالية الغربية ، ولكنه بدأ في تشييد حصن جديد مسلح بعشرة إلى اثني عشر مدفعاً فوق صخرة تقع على بعد مائة ذراع من سور المدينة الشمالي

(١) راجع عن كل ذلك تقارير مأمور القنصلية « كنخت Knecht السالف الذكر والمؤلف ف . س . أوريجما Ourigemma » « تحصينات مدينة طرابلس » في المعلومات الأثرية التي تصدرها وزارة المستعمرات جزء ٢ ص ٢١٩ وما يليها ، و« تحصينات مدينة طرابلس في المآثر القديمة التي يرجع عهداها إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر في مجلة المستعمرات الإيطالية جزء ٣ ص ١١٠٤ - ١١٢٨ و ١٢١٧ - ١٢٣٧ . وفيما يتعلق بتاريخ تحصينات طرابلس انظر المراجع السابقة جزء ٣ ص ٤٦٠ وما يليها وقلعة طرابلس الغرب في كتاب ج . فولبي « بعث طرابلس الغرب » ، ميلانو ، موندادوري سنة ١٩٢٦ ، ص ٥٣٥ - ص ٥٦٣ .

أمام برج التراب تقريباً . وكان الماريشال « دي استرى d' Estrees » قد وضع عليها إحدى البطاريات أثناء إغارة سنة ١٦٨٥ .

وقد عنى الباشا عناية كبيرة بتشييد هذا الحصن الذى أطلق عليه فيما بعد اسم الحصن الفرنسى (برج الفرنسيس) (١) .

ولما كان تسليح الحصون بمدافع قديمة مصنوعة من الحديد ومدافع من البرونز يتراوح عددها من ثمانية عشر إلى عشرين مدفعاً ، غير كاف لإعدادها لصد نهراى السفن الحربية والمدمرات بنجاح . فقد أرسل الباشا نقوداً إلى القسطنطينية لشراء مدافع ذات عيار كبير ، وأخطر القنصل مارتان وزارة البحرية الفرنسية بذلك ، كما أخطر سفير فرنسا فى القسطنطينية الفيكونت داندريدزلى حتى يمنع السفن الفرنسية من حمل هذه المدافع إلى طرابلس (٢) .

وأثناء ذلك ، أراد الباشا أن يستأنف أعمال المغامرة علنا ضد السفن الفرنسية إما لأنه كان يعتقد بعدم إمكان رد عدوانه أو أن الحاجة دفعته إلى المغامرة والمخاطرة ، ولكنه عدل عن ذلك بسبب عدم موافقة الديوان على إثارة غضب ملك قوى عليه مثل ملك فرنسا (٣) .

وذاعت الأخبار عن وجود استعدادات بحرية وأعمال تسليح كبيرة فى ميناء طولون ، وحاول الباشا أن يعرف عنها أخباراً أكيدة فكان يتصل باستمرار بيدك تونس الذى كان هو الآخر يخشى قيام فرنسا بحملة تأديبية ضده (٤) .

على أن هذا القلق وانشغال البال لم يمنع الباشا من أن يزحف على بعض قبائل الجبل التى كانت ترفض دفع الجزية ، ولكن هذه الحملة التى بدأت بداية موافقة انتهت بالفشل (٥) .

(١) خطابا القنصل مارتان المؤرخان فى ٦ يوليو و ٢٦ سبتمبر سنة ١٧٢٧

(٢) خطاب القنصل مارتان المؤرخ فى ٣ نوفمبر سنة ١٧٢٧

(٣) » » » » » »

(٤) خطابا القنصل مارتان المؤرخان فى ٧ يناير وأول فبراير سنة ١٧٢٨

(٥) خطاب القنصل مارتان المؤرخ فى ٢٣ فبراير سنة ١٧٢٨

وهكذا عاد الباشا في شهر فبراير إلى طرابلس حيث بقي فيها خوفاً من
حصول حملة فرنسية^(١) ، ذلك الخوف الذي كان له ما يبرره .

وربما كانت رغبته في منع أية محاولة للثورة ضده إذا ما قامت فرنسا
بعمل عدواني ، أو ما كان يؤكد الرأي العام عن حاجته إلى النقود ، هو
الذي جعله يحاول قتل أحد أبناء أعمامه وهو محمود بو شاكور الذي كان
عائداً بعد الحج من مسكة ولكن ابن عمه هذا استطاع الهرب والاحتباء بالجبل .
وعندما أفلتت من يده هذه الغنيمة أمر بخلق أغنى تاجر في المدينة بحجة
أنه قام بتبنيه الهارب ، واستولى على جميع أملاكه^(٢)

وأثناء ذلك كان الباشا يبرع في بناء الحصن الجديد الذي كان مسلحاً
بسته مدافع وهي المدافع البعيدة المرمى التي كانت لديه ، وما كاد يتم استعداداته
الدفاعية حتى وصل خبر مؤداه أن الأسطول الفرنسي وصل إلى تونس
ويستعد للاتجاه إلى طرابلس ، وكان هذا الأسطول يتكون من بارجتين
وأربع فرقاطات وثلاث مدمرات وزورقين وسفينتين صغيرتين ، أي أنه
كان في مجموعه مكوناً من ثلاث عشرة وحدة مسلحة بمدافع يبلغ عددها
٣٩٨ وبطاقم يبلغ عدد رجاله ٣٦٠٠ تحت إمرة قبطان الأسطول ، نيقولا
دى جراند بريه Nicola de Grandpré ، وقد أبحر هذا الأسطول من
طولون في يوم ٦ يوليو سنة ١٧٢٨ ، وكانت الأوامر التي تلقاها تقتضي أن
يتوجه القبطان إلى تونس وطرابلس ويطلب منهما ترصية في الحال عن كل
إهانة لحقت بالعلم الفرنسي ، وإلا قام بضرب المدينتين بالقنابل عقاباً لهما ،
وأن يأخذ منهما وعداً صريحاً بالألا ينتهكا معاهدات الصلح ، وأن يقوما بعمل
عنى يدل على خضوعهما لفرنسا .

وبمجرد أن وصل الأسطول أمام « حلق الوادي في تونس » أسرع بيك
تونس بقبول الشروط التي فرضت عليه ، وعندئذ أقلع القبطان الفرنسي

(١) خطاب الفنصل مارتان المؤرخ في ٢٣ فبراير سنة ١٧٢٨

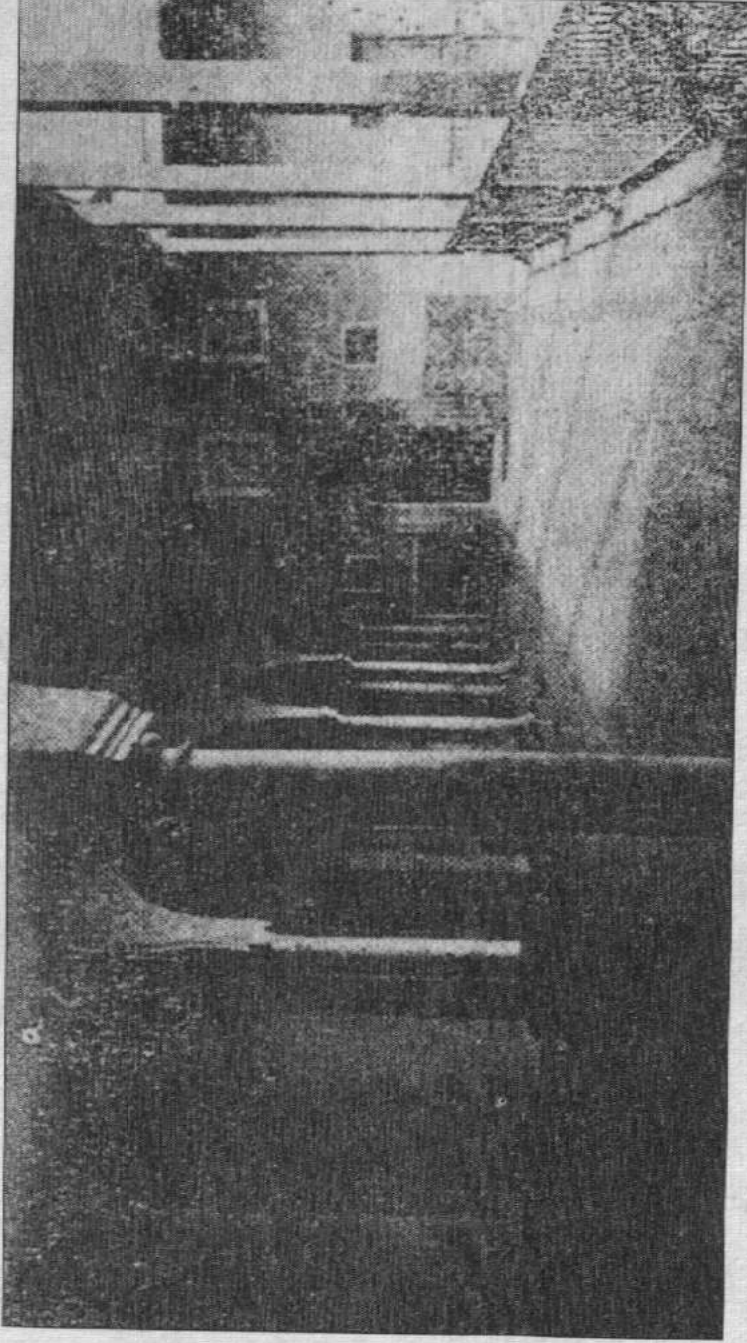
(٢) خطاب الفنصل مارتان المؤرخ في ١٥ أبريل سنة ١٧٢٨ .

نيقولا دي جراند بريه متجها إلى طرابلس ووصلها في يوم ١٦ يوليو سنة ١٧٢٨^(١).

وقد توجه القنصل مارتان في الحال إلى الباشا مع سيموني ترافرسو من مواليد جنوا والذي عاد إلى طرابلس وكان محل الرعاية والاحترام، وذكر للباشا أن الأسطول جاء لجديد معاهدة الصلح، وليحصل على وعد بالوفاء بالتعهدات التي سبق للباشا أن تعهد بها، ولكن القبطان كان يريد الافراج عن السفن الفرنسية التي كانت قد حجزت في الميناء منذ أكثر من شهر بمختلف الحجج والمعاذير والتي أخذت منها قواربها بمجرد ظهور الأسطول.

وفي اليوم التالي لوصول الأسطول قبل أن تبدأ المفاوضات أرسل الباشا الكخيا، ليقدم التحية بالنيابة عنه للقائد، ولكن القائد لم يقم برده هذه الزيارة. وعندما أظهر الباشا دهشته من ذلك، أفهمه القنصل أن دي ريكورت Mr. d'Hericourt القومي سير العام سينزل إلى البر إذا ما أرسلت بعض الرهائن إلى سفينته، فوافق الباشا على إرسال ابنه كرهينة، ولكن عندما أصر القنصل على إرسال أربعة أو خمسة من أعيان المدينة شعر الباشا بالإهانة التي وجهت إليه بالإقلال من أهمية الرهينة التي اقترحها، وسحب العرض الذي قدمه. ومع ذلك فقد استمرت المفاوضات بواسطة القنصل مارتان الذي طالب باسم حكومته برد الغنيمة التي أخذت من القبطان «أوليه»، والتي قدرت بمبلغ ٥٠.٠٠٠ قرش واطلاق سراح اثني عشر أسير، ودفعت تعويض عن الإهانات التي ألحقها المغامرون الطرابلسيون بالعلم الفرنسي وإبرام معاهدة صلح جديدة.

(١) ر. فادالا في الكتاب السالف الذكر ص ١٨٤، ش. ل. فيرو في كتابه السالف الذكر ص ٢٢٨ وما يليها، والأب س. برينا Bergna في كتابه طرابلس من سنة ١٥١٠ - ١٨٥٠، وطرابلس، الفنون التخطيطية سنة ١٩٢٥ ص ٢٢٧ وما يليها، ويوميات ما حدث في طرابلس الغرب عند وصول أسطول الملك بقيادة المسيو دي جراند بريه حتى يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٧٢٨ التي نشرها ميكاكي في العلاقات .. الخ السالف الذكر. حاشية ١ ص ١٦٩ وما يليها، وأ. بلانقيه الكتاب السالف الذكر ص ٢١٣ وما يليها.



فناء القرمانيين والمقصورة العليا بقاعة طرابلس

والباب الموجود في الداخلة هو باب الصلاة الكبرى للاختفالات والاجتماعات
وهي ذات أهمية خاصة ، .

وقد صرح الباشا بأن المبالغ المطلوب كتعويض مبالغ فيه لا يتفق مع أسر قارب القبطان ، أوليه ، واقترح أن يرد ما أخذه منه فعلا ، وأصر على الدخول في مفاوضات مباشرة مع دى ريكورت ، وجدد الاقتراحات التي سبق أن اقترحت بإرسال رهائن ، وعندما ذكر القنصل أن دى ريكورت لن ينزل إلى البر وان المفاوضات يجب أن تتم بواسطة هو ، استنكر الباشا ذلك كل الاستنكار ، وقرر أنه إزاء هذه الحالة يفضل المغامرة بالعداوة والدخول في الحرب .

وفي صبيحة اليوم التاسع عشر ، بينما اتخذت المدمرات مواقعها أمام التحصينات واستعدت للقتال ، استمرت المناقشات حول قيمة السفينة والحمولة التي أخذت من القبطان أوليه Ollier ، وقرر الباشا في حضور قناصل هولنده وانجلترا والمستشار ترافرسو Traverso أنه لم يأخذ من الغنيمة ما قيمته خمسون ألف قرش بل أخذ ثلاثة عشر ألف قرش ، وقرر أنه على استعداد لأن يدفع سبعة آلاف قرش بدلا منها .

وعندما توجه القنصل إلى سفينة القائد لإبلاغ اقتراحات الباشا ، استبقى فيها وربما كان ذلك بناء على طلبه ، وأرسل انذار نهائي إلى الباشا عن طريق بروش القائم بأعمال القنصلية لدفع خمسين ألف قرش في الجال تعويضا عن الخسائر والغنائم التي أخذت من الاثنتي عشرة سفينة تجارية ، وإطلاق سراح الأسرى المسيحيين ، وتجديد معاهدات الصلح المبرمة في عام ١٦٨٥ وعام ١٧٢٠ وأعطى الباشا مهلة لقبول هذه الطلبات حتى ظهر اليوم التالي .

وعندما اجتمع الديوان في صباح اليوم التالي ، عرض الباشا كل ما حدث بعد وصول الأسطول وعرض أمر الإنذار النهائي ، وطلب رأى الأعضاء المجتمعين . فأجمعوا على أنه لا ينبغي دفع مبلغ أكثر مما عرضه الباشا ، حتى ولو وصل الأمر إلى تدمير المدينة وانتهى الاجتماع بعد أن أقسموا اليمين على أنهم مستعدون للتضحية بحياتهم وأموالهم في سبيل خدمته .

ولقد تشجع الباشا على المفاوضات ، ورد على الإنذار النهائي بتوله ، فقد جمعت ديوانى ، وقد تسامل جميع أعضائه ، وجميع القواد وأعيان المدينة وكبرائها عما إذا كان صديقنا امبراطور فرنسا قد أرسل هؤلاء الناس لإعلان الحرب فى هذه الساعة المبكرة ؟ ولكن إذا كان إرسالهم لعقد صلح فيجب عليكم أن تنزلوا بعض رجالكم إلى البر ، لإبلاغنا رغبة الامبراطور وليتسلم إجاباتنا ، لأن عقد الصلح معنا معناه عقد صلح حقيقى . أما فيما يتعلق بدفع النقود فإنه ليس هناك من يقبل دفعها ، وليس هناك من يدفعها ، ويجب أن تكونوا متأكدين من ذلك . أما القنابل فإننا لا نخشاها ، وفى استطاعتكم أن تطلقوا علينا منها ما تشاؤون ، ولكن يجب أن تعلموا أنه إذا ما حدث ذلك فلن نعقد معكم صلحاً أبداً الدهر .

وعندما تسلم القومندان دى جراند برييه de Grandpré هذه الإجابة وهو على السفينة سانت سبرى Saint Esprit قرر مجلس الحرب البدء فى الأعمال العدوانية .

وعندما تمت استعدادات الأسطول ، واتخذت المدمرات أماكنها ، واعتقد الجميع أنها على وشك العمل وإطلاق النيران ، ولجأ قنصل إنجلترا وقنصل هولندا ورؤساء الإرساليات الدينية إلى أحد منازل المنشية الذى كان الباشا قد أعده لهم ، كما لجأ إليه بروش القائم بأعمال القنصلية الفرنسية لأن الباشا لم يسمح له بالعودة إلى سفينة القيادة ، وقد لجأ أيضاً إلى المنشية معظم سكان المدينة وهم يحملون ما لديهم من الأشياء النفيسة والأمتعة حتى أبواب ونوافذ مساكنهم .

وفى الساعة الثامنة والربع مساءً أطلقت المدمرات نيرانها ، واستمرت تضرب المدينة بالقنابل حتى الساعة الرابعة من صباح اليوم اتتالى ، وقد قاومتها القلاع مدة من الزمن ولكن دون أن يكون لها أى تأثير .

ولقد سقطت أولى قنابل الأسطول الفرنسى على القلعة ، واضطرت الباشا إلى مغادرتها ، ليعسكر خارج أسوار المدينة ، كما سقطت قنبلتان

فوق قنصلية فرنسا التي نهبت ، ثم بدأ إطلاق القنابل ثانية في مساء يوم ٢١ يوليو وقد أصيبت الحمامات^(١) وأصبح من الضروري إخراج الأسرى ونقلهم منها ، فسيقوا والقيود في أرجلهم إلى خارج المدينة .

واستمر قذف المدينة بالقنابل بعنف وشدة في مساء أيام ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ يوليو وفي صباح يوم ٢٥ يوليو أرسل قومندان الأسطول الفرنسي إلى الباشا خطابا يحثه فيه على الصلح . وتكرر ذلك عدة مرات يوم ٢٦ يوليو .

وعندئذ جمع الباشا الديوان . ورأت الأغلبية العظمى عدم المفاوضة وذلك رغم الخطبة القوية المؤثرة التي ألقاها القاراباغلي أغا الإنكشارية مؤيداً فيها عقد الصلح .

ولذلك رد الباشا رسائل قائد الأسطول الفرنسي إليه دون فتحها وذكر أنه في استطاعتهم الاستمرار في ضرب المدينة بالقنابل ، ولكنهم لن يضطروه إلى مفاوضتهم .

وكان قد تم تدمير أكثر من ثلث المدينة التي ألقى عليها ما يزيد على ١٨٠٠ قنبلة ، وحتى مسكن الباشا نفسه لم يسلم من هذه القنابل ، إذ أصابه أكثر من أربعين قنبلة .

وإذا كانت الضحايا في الأرواح قليلة ، فإن الخسائر والأضرار الأخرى كانت كبيرة ، ومع هذا فإن الباشا لم يكن يشير أية إشارة إلى الخضوع .

وعندما نفذت كميات القنابل التي كانت لدى جراند برى قائد الأسطول الفرنسي وخشى تغير الجو اضطر إلى الانسحاب .

وفي عصر يوم ٢٩ يوليو حلّ القائد أسرع سفنه استعداداً للرحيل، وأقلع من الميناء . وما كاد يحل المساء حتى كانت سفنه قد غابت عن الأنظار^(٢) بسبب صفاء الجو وملاءمته .

(١) كان يطبق اسم حمام في طرابلس على الأماكن التي كان يقيم فيها الأسرى (المراجع)

(٢) وبعد أن توقف الأسطول فترة في تونس ، وصل إلى طولون في ٨ سبتمبر .

وفي اليوم التالي عاد الباشا إلى القلعة واستأنفت المدينة حياتها العادية..
وبينما كانت الحرب دائرة كانت تسرع سفن أخرى لاستئناف أعمال
الغزو. وقد أعيد رفع سارية العلم الفرنسي على القنصلية الفرنسية في
طرابلس بقصد اجتذاب السفن الفرنسية التي كانت تمر قرب المدينة إلى
الميناء، وهي تجهل تدهور السلام.

ومما يستحق الذكر أيضاً أن القائم بأعمال القنصلية المسيو بروش والفرنسيين
الآخرين الذين وضعهم الباشا تحت حمايته الخاصة كانوا يتمتعون بالحرية في
طرابلس ولم يتعرضوا لأي خطر، أما الأسرى الآخرون الذين كانوا
مسجونين في الحمامات ومعرضين لأسوأ المعاملات وللتهديدات المستمرة.
فقد كانوا في فزع من الوقوع ضحايا سخط الجماهير وحنقها وحدث هذا
عندما ظهرت سفن حربية على مرأى من المدينة في ١٨ سبتمبر، ولكن
لحسن الحظ أذيع في الحال أن هذه السفن ما هي إلا أسطول هولاندى
حيث حضر الأميرال الهولاندى بارون دى جريف Barone de Graeve
على رأس أسطول مكون من سبع سفن حربية وثلاث من سفن النقل
للتصديق على الإتفاقيات السابقة. وجرت المفاوضات بسرعة.

وفي يوم ٢ أكتوبر نشرت المعاهدة الجديدة، وتاقى الباشا على سبيل
الهدية نقوداً ومدافع وكميات من البارود^(١).

وأثناء ذلك كان الغزاة الطرابلسيون قد خرجوا لاقتناص السفن
الفرنسية، وأسروا في أيام قليلة خمساً منها أقيدت إلى طرابلس وبيعت،
وأسر رجالها بطريقتة لا تخلو من القسوة، وسجنوا في الحمامات.

ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، لم تكن السفن الفرنسية لتجرؤ على
الإقتراب من جنوب مالطة، وكانت تسعى إلى ضمان سلامتها بسيرها
جماعات، وفي بعض الأحيان كانت تستطيع النجاة بنفسها بفضل ما تبديه

(١) خطاب القائم بأعمال القنصلية مؤرخ في ٢٩ سبتمبر سنة ١٧٢٨

من جرأة يائسة ، كما حدث عندما قام القبطان جرونبار Grognard بحمل سفينتين من سفن المغامرین الطرابلسيين على الفرار وكانا قد أسرا سفينة فرنسية بالقرب من كورونا Corona (١) .

ومع ذلك لم تسلم السفن التي كانت ترفع أعلام الدول الأخرى ولم تنج من الاعتداء .

فلم تكن التجربة التي مر بها القنصل الإمبراطوري جوزيبي ميير بالهينة فإنه بعد أن وصل من القسطنطينية إلى مالطة على ظهر سفينة فرنسية ركب إحدى مراكب نابولي لكي يصل إلى طرابلس .

وفي ٦ أغسطس شوهد المركب على بعد عشرين ميلاً من مدينة طرابلس وقد تعرضت له سفينتان من سفن المغامرین ، وأمر رئيس إحدى هاتين السفينتين القنصل بالانتقال إلى سفينته دون أن يراعى منصبه ومركزه وأوراق الاعتماد الرسمية التي كان يحملها من الباب العالي ، وقد حجزه لديه بينما قام رجاله الذين صعدوا إلى مركب القنصل بنهبه ولم تنج من ذلك حقايب القنصل نفسها .

أما الباشا فإنه بمجرد أن تلقى خبراً بما حدث خشي أن يؤدي هذا الحادث إلى ارتباك خطيرة ، فأسرع بإرسال اثنين من كبار الضباط لكي يردا للقنصل ما أخذ منه . ثم أمر بعزل الرئيس وعاقب بعض رجاله بالشنق . وعندما نزل القنصل ميير Meyer إلى البر في اليوم الثامن ، أمر الباشا بأن تؤدي له التحيات المعتادة ، وأعد القنصلية الفرنسية لتكون مسكناً له ، وكانت نوافذ القنصلية المطلة على البحر قد أصيبت بأضرار بسبب ضرب المدينة بالقنابل .

(١) تقرير عن معركة وقعت أمام كورونا Corona في يوم ٥ سبتمبر سنة ١٧٢٨ في الجزء الخامس من المجلدات القنصلية بطرابلس الغرب المودعة في محفوظات وزارة الخارجية ببائيس .

وفي سبتمبر وأكتوبر اشتد نشاط المغامرين الطرابلسيين رغم ضآلة القوات التي كانت لديهم ، إذ أن معظم سفنهم لم تكن قادرة على البقاء طويلاً في البحر ، وليس لديها العدة للقيام بأعمال الغزو لانقارها إلى الرجال .

وعندما انتهى شهر أكتوبر كان رجال الباشا قد استولوا على سبعة عشر سفينة فرنسية بما في ذلك السفن التي كانت موجودة في موانئ الحكومة عند بداية الحصومة^(١) .

كما استولوا على ثلاث سفن أخرى في أوائل أيام شهر نوفمبر .

ومع هذا فإن الباشا لم يكن في استطاعته أن يهدأ ، وكان يشعر أن التهديد الفرنسي يلاحقه دائماً ، ويخشى أن يستفيد من ذلك قريبه محمود بوشاكور الذي أخذ يحاول إثارة الأهالي بعد توجهه إلى الجبل ، وقد دفعه ذلك الخوف إلى عقد الديوان حتى يتأكد من إخلاص أعيان المدينة ووجهائها ، وعرف كيف يؤثر ببلاغته على رجال الديوان ويحصل منهم على قسم بتقديم حياتهم وأموالهم في سبيل خدمته ، كما وصلته تأكيدات الولاء والإخلاص من الحاميد .

ولم يضطر أنصاره للوفاء بما عاهدوه عليه ، إذ أنهم هاجموا خصومه وجعلوا ينحون عليهم باللائمة ، حتى أن محمود بوشاكور فقد شجاعته بسبب قلة أنصاره وانفضاضهم من حوله . ولذلك طلب من الباشا أن يسمح له بالانسحاب دون قيد إلى فزان أو إلى الإسكندرية^(٢) ، على أن بعض الثوار وصلوا أبواب مدينة طرابلس ، ومنعوا تموينها ، ولكن لحسن الحظ وصلت حمولة من الشعير مرسلة من باي تونس .

وكان استئناف هذه الاضطرابات دافعاً للباشا لمجافاة خصومه الحقيقيين أو المزعومين ، فأمر بشنق عبد العزيز بن مروان من سكان تاجوراء ،

(١) العلاقات : السالفة الذكر

(٢) خطاب القائم بأعمال القنصلية المؤرخ في يوم ٧ نوفمبر ١٧٢٨ .

وأحد كبار رجال الشريعة بها، إما لأنه كان يشك في تأمره مع بوشا كور^(١) أو لأنه كان يريد الاستيلاء على أمواله في لحظة كان يستعد فيها لدفع عشرة آلاف قرش إلى قابوجى باشا، مندوب السلطان الذى كان قد وصل في يوم ٣٠ أكتوبر.

وأثناء ذلك كانت الحكومة الفرنسية التى لم تستطع الاقتناع بالنتائج التى وصل إليها دى جراند برييه، قد أخذت في الاستعداد للقيام بعمل حاسم بسبب الاعتداء على كرامتها وشرفها وسمعتها ولتأمين الملاحة الفرنسية في البحر المتوسط. وكان الكونت دى موريبا de Maurepas، وكيل وزارة البحرية يريد أن ينهى الأمر دفعة واحدة مع المغامرين الطرابلسيين، وقدّم إليه راينو Raynaud الذى كان قد اشترك في حملة أسطول دى جراند برييه، مذكرة يرى فيها ضرورة الاستيلاء على طرابلس وقلعتها، أو على الأقل تدميرها وتدمير تحصيناتها وسفن المغامرين، فإذا صعب تنفيذ ذلك نصح بمطاردة سفن المغامرين الطرابلسيين بالقرارب الخفيفة وأراد دى موريبا أن يعرف رأى دى جاى تروان Du Guay Trouin القائد العام للسلاح البحرى لحكومة صاحب الجلالة الذى كان أشهر وأجل وأعظم رجال البحار الفرنسيين^(٢).

وبعد أن تلقى دى جاى تروان معلومات مستفيضة عن الموقف من نائب الغرفة التجارية بمرسيليا، وعن أحوال الحكومة في طرابلس من القنصل مارتان Martin وصل هو أيضاً إلى أنه ليس من الممكن تأمين الملاحة في البحر المتوسط دون الاستيلاء على طرابلس وهدم ذلك الوكر الذى يلجأ إليه المغامرون، وإلقاء الرعب بمثل هذا العمل في قلب تونس والجزائر واقترح مشروعاً لحملة يكون قائداً لها^(٣).

(١) انظر روسى — الأخبار العربية الطرابلسية السالف الذكر ص ١٧٠

(٢) العلاقات — الكتاب سالف الذكر ص ٢٥٩ وما يليها، وكان راينو هذا قد قدم

في سبتمبر سنة ١٧٢٧ مشروعاً بضرب تونس بالقبائل والنزول فيها. انظر Plantet الكتاب المذكور سابقاً ص ١٨٦ وما يليها

(٣) العلاقات — السالف الذكر — الحاشية انظر ص ٢٦٦ وما يليها.

ووفقاً لمشروعه هذا كان جيش الحملة يتألف من ١١٠٠٠ رجل
يبحرون فوق ثلاثين أو أربعين سفينة في مجموعتين يحرسهما أسطول قوى ،
ويتجه هذا الجيش نحو طرابلس ، ويرسو على مقربة من المدينة التي يجب
أن تقذفها في نفس اوقت البوارج الكبيرة والمدمرات بالقنابل . وعندما
ينزل الجنود إلى البر يعدون معسكراً تحيط به الخنادق أمام المدينة ، وحالما
يتم تدمير الحصون والبطاريات ، وفتح ثغرات في أسوارها بعد ضربها
بالقنابل تندفع الجيوش للهجوم على المدينة بالاشتراك مع رجال البحرية
الذين يندفعون إليها من الميناء .

وكان الكونت موريبا يؤيد رأى دى جواى كما أن الكردينال فليرى
Fleury كان يعترف بملاءمة توجيه حملة لاحتلال طرابلس . وتدمير
مينائها وجعله غير صالح للاستعمال وأعطيت الأوامر انلازمة فعلا ،
وسرعان ما بدأت الاستعدادات في ميناء طولون لتسليح أسطول جديد
أقوى من الأسطول السابق وجمع النقالات والمؤن والذخائر ، وإعداد كل
ما هو لازم للمشروع .

وأثارت أخبار هذه الاستعدادات الكبيرة وغير المعتادة وما شاع بين
السكان بأنها موجهة ضد طرابلس الشبهات والشكوك لدى الباب العالى ،
الذى كان يحتفظ لنفسه لدى الدول الأوروبية بالحق فى اتخاذ الاجرامات
ضد ولاته ، الذين كان يهمهم إيقافهم عند حدهم ، ولم يكن على استعداد لأن
يسمح بأن تحتل أية دولة من الدول الكبرى مساحة ما من الساحل الأفريقى ،
أو تقوم بتدمير المدن التابعة للباب العالى ، وقد طلب القابودان باشا
تفسيرات من السفير الفرنسى المركزى دى فليلينيف de Villeneuve عن هذه
الاستعدادات فحاول السفير تهدئة قلق الباب العالى ، وفى نفس الوقت
الحصول على اعتراف يعطى لفرنسا حق تأديب حكومة طرابلس بالوسائل
التي تراها أكثر ملاءمة . وإزاء احتمال وقوع سوء تفاهم مع تركيا التي قد
تستطيع نتيجة لذلك ، إثارة التعصب الشعبى ضد التجار ورجال الدين

الفرنسيين وإلحاق أضرار بهم لا يمكن إصلاحها بالنفوذ الفرنسي ، الذي كان حتى ذلك الوقت مسانداً في الشرق ، فقد ترددت الحكومة الفرنسية ، وأرسلت تعليمات إلى المركزي دي فلانيف لإقناع الحكومة التركية ، بأنه إذا اضطرت الملك لاستخدام العنف ضد الطرابلسيين أو غيرهم ، بتأديهم بضرب القنابل ، فإن هذا يكون دائماً أمراً مؤسفاً وليس الغرض منه إنقاص سلطة جلالة السلطان ، أو زيادة سلطة المالك وأنه إذا قامت فرنسا ببعض الأعمال العدوانية ضد المدن والسواحل الإفريقية فلا يمكن أن يهتمها أحد بغاية استعمارية أو غرض الفتح والتوسع أو التدمير والتخريب ولكن ذلك يحدث بقصد إلزام المغاربه بأن يساكنوا نحو فرنسا المسلمك الواجب .

وقد نفذ السفير هذه التعليمات بمنتهى المهارة ونجح في الحصول على وعد بالألا يقوم الباب العالي بأى عمل مفاجيء ويبقى في انتظار الأحداث .

وأثناء ذلك صدرت الأوامر بقيام عدد من السفن السريعة المسلحة تسليحاً قوياً والبدء في حملة نشيطة ضد المغامرين الطرابلسيين ، ووصل قبطان البارجة دي جويون de Gouyon مع فرقاطين وقاربين في يناير سنة ١٧٣٩ أمام مياه طرابلس ثم لحقت به خمس فرقاطات تم تجهيزها في طولون وبرست الأمر الذي أوقف نشاط المغامرين الطرابلسيين وألحق ضرراً كبيراً بالباشا ، فبدأ يميل أخيراً إلى التفكير في الصلح وإلى إرسال سفارة إلى فرنسا طبقاً لنصيحة نائب القنصلية الفرنسية بروش وقنصل فرنسا في تونس المدعو بينون Pignon . ودفعه إلى ذلك التفكير أيضاً ، وصول موظفين كبيرين من موظفي الباب العالي أرسلها السلطان إليه بأوامر لعقد الصلح مع الامبراطورية النمساوية ومع فرنسا ، ولكن الديوان الذي انعقد لبحث هذا الأمر عارض إرسال مبعوث إلى فرنسا وقرر على العكس من ذلك إرسال سفير إلى القسطنطينية ليطلب من السلطان التدخل لتأييد حكومة طرابلس ، كما قرر بأن يبدأ في الحال في اصلاح وتقوية أسوار المدينة بمنتهى السرعة ابتداء من الجهة المقابلة للميناء التي كانت في حالة سيئة .

وأجاب الديوان عن مسألة الغنائم المأخوذة من رعايا امبراطور النمسا بعد معاهدة الصلح ، بأن التأخير مدة عامين في إرسال القناصل كان يبعث على الاعتقاد بأن المعاهدة ليس لها أى أثر ، وأن الغنائم لا يمكن إعادتها لأنها وزعت بين الطوائف^(١) .

وبالرغم من القرارات التى اتخذها الديوان فإن الباشا استأنف مشروعه يطلب الصلح لما كان يتوقعه من اجراءات شديدة يتخذها ملك فرنسا ضده ولخوفه من استغلال محمود بوشا كور لهذا الموقف فيجمع أنصاراً جديداً ويصبح أكثر خطراً ، وأرسل مندوبيه إلى تونس ليسهل لهم قنصل فرنسا بينيون السفر إلى طولون^(٢) .

وأثناء ذلك ، ولكي يظهر الباشا إخلاص أغراضه ونواياه ، لم يكنف بإعفاء رؤساء السفن الفرنسية الأسرى من الأشغال الشاقة فقط ، بل فعل ما هو أهم من ذلك ، إذ أصدر الأوامر إلى المغامر من رجاله بعدم الاعتداء على السفن الفرنسية ، وقرر بأن هذه السفن تستطيع من الآن فصاعداً الدخول إلى الموانئ التابعة لحكومة طرابلس دون أن يقع عليها أى اعتداء ، وأرسل سفيره محمد خوجه إلى فرنسا مزوداً بكافة السلطات لإبرام الصلح وحل جميع المسائل المتعلقة ، مثل دفع ما اغتصب من القبطان أوليه Ollier وإطلاق سراح الفرنسيين الأسرى^(٣) .

وأدى العمل الحازم الذى قام به الباشا ضد العصاة ، إلى جعل محمود بوشا كور يترك الميدان ، ويرحل بعيداً عن أراضي حكومة طرابلس ويتوجه إلى الاسكندرية مما جعل الجميع يلتفون حول الباشا بما فيهم أعوان الثائر الذين كانوا يخشون انتقامه بعد النصر^(٤) .

(١) انظر ما قبله

(٢) خطاب القائم بأعمال القنصلية بروش المؤرخ في ١٠ فبراير سنة ١٧٢٩

(٣) خطاب القائم بأعمال القنصلية بروش المؤرخ في ٢٥ فبراير سنة ١٧٢٩

(٤) انظر المراجع السابقة

وفي يوم ١٦ فبراير سنة ١٧٢٩ سافر سفراء الباشا إلى القسطنطينية ،
وفي يوم ٦ مارس أبحر محمد خوجه إلى تونس ومعه مصطفى أغا وعلى أغا ،
على ظهر سفينة أعطيت إلى قبطان فرنسي بدلا من سفينته التي سبق اغتنامها
منه (١) .

وفي خطاب طويل إلى « الكونت دي موريبا » حاول الباشا تبرير
مسلكه وسرد الحوادث بطريقة بارعة ، وعبر عن رغبته الشديدة في إبرام
الصلح (٢) .

وأثناء ذلك لم تبق السفن الفرنسية المتجمعة دون عمل ، فقد التقى
الفارس دي جويون de Gouyon في يوم ١٦ فبراير بزورق تابع لمملكة
نابلي ، كان يبحر عليه عدد من التجار الطرابلسيين ببضائعهم ، واستولى على
الحمولة وأسر التجار وترك السفينة . وفي اليوم التالي استرد سفينة فرنسية
كان المغامرون الطرابلسيون قد استولوا عليها وأرسلها إلى طولون ، وكانت
تحمل العلم الامبراطوري وتقل السفراء الموفدين إلى القسطنطينية و ٢٨
تاجراً طرابلسياً ومعهم ١٦٨ عبداً وبضائع كثيرة ، واضطربت طرابلس
اضطراباً شديداً عندما وصلها النبأ في يوم ٢٣ مارس عن طريق إحدى
السفن المالطية الموالية الأمر الذي أحزن الباشا وأفرغه كثيراً ، فحاول تهدئة
ثورة الأهالي بأن أعد في الحال سفينة أخرى لإرسال سفراء آخرين إلى
القسطنطينية وأخطر في نفس الوقت القنصل بنيون بكل ما حدث واتخذ
الإجراءات اللازمة حتى لا يعتدى أحد على الفرنسيين (٣) .

وفي تلك الأيام بالذات سافر إلى الاسكندرية أحمد بوشا كور هو
وزوجته وأولاده ، مع قافلة مراكش والجزائر المسافرة إلى مكة بعد مرافقة

(١) خطاب من القائم بالأعمال بروش بتاريخ ٢ مارس سنة ١٧٢٩

(٢) خطاب أحمد باشا إلى صاحب السعادة الكونت دي موريبا المؤرخ في ٦ مارس
سنة ١٧٢٩ . الجزء الخامس من المراسلات القنصلية من طرابلس القرب المودعة في محفوظات
وزارة الخارجية بباريس .

(٣) خطاب القائم بالأعمال بروش المؤرخ في ٢٧ مارس سنة ١٧٢٩

الباشا على سفرهم معها، وفر كثيرون من أعوانه خوفاً من اكتشاف أمرهم^(١) وأخيراً وجد الباشا نفسه حراً طليقاً من كل قلق أو اشتباه .
وحوالى منتصف شهر مارس اقتربت من ميناء طرابلس سفينتان حربيّتان فرنسيّتان ، هما زفيرو وفلورا Zeffiro , Flora وبعد أن طلب القائد دي بانديفل de Bandeville إرسال سفراء إلى فرنسا لطلب الصلح ، وافق في يوم ١٣ مارس على إيقاف أعمال العدوان . وبعد أن أرسل القائد السفينة فلورا لإبلاغ ذلك الخبر إلى سفن الحملة الأخرى ، أقلع بالسفينة زفيرو عائداً إلى طولون حيث وصلها في يوم ٢٨ مارس قبل وصول مندوبى الباشا بيوم واحد ، وواصل مندوبو الباشا سفرهم إلى باريس وطالبوا المفارضة فى الصلح بصفتهم مفوضين فى ذلك ، ولكن الفكوت دى موريبا رفض أن يتفاوض معهم لأنه كان يعتقد بأن المفاوضات أمام طرابلس تأتى بنتائج أفضل حيث تستطيع مدافع الأسطول تقوية العمل الدبلوماسى .
ولذلك فإنه أعطى التعليمات المناسبة إلى الفارس دى جويون ، ومع ذلك أمر بإبقاء مندوبى الباشا فى باريس عند حضورهم لما كان يتوقعه من نفع كبير .
أما الفارس دى جويون الذى كان قد أجه نحو شرق البحر المتوسط لإبلاغ الأوامر بوقف الأعمال العدوانية فى تلك الجهات ، فقد عاد إلى مالطة فى يوم ٢٢ مايو وتلقى التعليمات الموجهة إليه ، ثم أقلع إلى طرابلس مع معظم قوائمه .

وعندما وصل طرابلس فى يوم ٣١ مايو أرسل إلى الباشا لإبلاغه بالأوامر التى يحملها فنصل فرنسا فى تونس بنيون الذى كان قد بدأ منذ عدة أيام المفاوضات مع الباشا لإبرام الصلح^(٢) . وقد نجح بنيون فى الاتفاق مع الباشا بكل سهولة . وتعهد أن يدفع فى الحال ٢٠٠٠ قرش ويسترد الأسرى وقبل جميع الشروط الأخرى .

(١) خطاب القائم بالأعمال بروش المؤرخ فى ٢٦ مارس سنة ١٧٢٩

(٢) بلائقيه الكتات السالف الذكر جز ٢٠ ص ٢٤٠ - ٢٤٢

وفي يوم ٩ يونيو تم التوقيع على معاهدة الصلح وأسرع الفارس
دى جويون طبقاً للتعليمات التي تلقاها بحمل المعاهدة إلى باريس من
نسختين إحداهما باللغة الفرنسية والأخرى باللغة التركية تحمل توقيعات
الباشا وكبار الموظفين الآخرين^(١).

وبعد جولة قصيرة عاد دى جويون بالأسطول أمام طرابلس ينتظر
التعليمات^(٢).

وعرضت المعاهدة في باريس على المسيو «بيتي دي لا كروا»
Mr. Petis de la Croix مترجم الملك والخبير في اللغات الشرقية لبحثها
فاكتشف وجود خلافات كبيرة بين النسخة الفرنسية والنسخة التركية ،
إذ حذفت في النسخة التركية قيمة التعويض الذي كان يجب على الحكومة
الطرابلسية دفعه ، كما ظهر فيها التلمص من النصوص المهمة في طلب العفو .
وقد استدعى الكونت دى موريبا المندوبين الطرابلسيين إليه ، وصرح
لهم بأن غضب الملك بلغ أشده ، وأنه لا يريد أن يحتمل وجود ممثلي شعب
لا عهد له ولا وفاء في عاصمته وأبعدهم إلى شالون Chalons فذب الرعب في
قلوب محمد خوجه وزميليه ، وخشوا حدوث ما هو أسوأ فكتبوا إلى الباشا
يتضرعون إليه ويلتمسون منه قبول كل مطالب فرنسا ، إذ أنه بغير هذه
الطريقة لا يمكن إبرام الصلح مطلقاً .

أما الكونت دى موريبا الذي كان يريد الضغط على الباشا فإنه
اكتفى برسالة مندوبي الباشا إليه ، ولم يتحدث أحد بعد ذلك عن مسألة

(١) وقعها قنصل فرنسا في طرابلس De Guyon وفتصلها في تونس Pignon
من الجانب الفرنسي ووقعها من الجانب اللبني أحمد القرمانلي ونهمان ويوسف بن أحمد ميرلواء
وحسن كاتردار ورمضان أغا الانكشارية وحين بك محمود القبطان ومصطفى بن الحاج شعبان
قبطان الميناء ومحمد بطرونه وعثمان خزندار « لمراجع »

« سجلات القنصاية الفرنسية بمدينة طرابلس »

(٢) انظر فيما يتعلق بعمل الفارس دى جويون س . ماكين العلاقات ... الخ (السالف

الذكر) حاشية ٦ ص ٢٧٤ وما يليها

نفيهم ، ثم أرسل تبي دي لاكروا معاهدة أخرى حررها باللغة التركية إلى « دي جويون » لكي يعرضها على الباشا للتوقيع عليها دون أن يسمح له بمناقشتها ، واضطر أحمد القرمانلي للإذعان واحتمال هذا الذل . وتم التوقيع على المعاهدة في صورتها الجديدة والنهائية ، وكلف الباشا المندوبين الطرابلسيين بتقديم طلب بالعفو إلى الملك . فاستقبلهم الملك لويس الخامس عشر في غرفته وإلى جانبه السكردينال فلورى Fleury واليكونت دي موريبا والوزراء وجمهور من كبار الموظفين وأعيان البلاد . وردد السفراء الصيغة المتفق عليها وكانت تنجم فقرة بعد فقرة ، ثم استقبلتهم الملكة بعد ذلك .

وفي تلك الليلة ذاتها سافروا إلى مارسيليا ، وبمجرد التوقيع على المعاهدة الجديدة^(١) وقع حادث غريب فإن القنصل النمساوي ف . ج . ماير الذي كان قد أقام مؤقتاً بدار القنصلية الفرنسية التي كان قد تهدم جزء منها ، وكانت بعض غرفها في حالة جيدة ، رفض أن يرد المبنى إلى ملاك القدامى ليقم فيه القنصل الفرنسي الجديد « دي رايموندي de Raimondis » وظل العلم النمساوي يخفق على مبنى القنصلية الفرنسية ، ولذلك فإن دي جويون أعلن أنه لن ينزل إلى البر إلا إذا رأى العلم الفرنسي يرفع مكانه فوق القنصلية وبعد أن تؤدي له التحية من مدفعية الأسطول والميدان .

وأخيراً وضع الباشا حداً لهذا النزاع المضحك فأمر قواسيه بنقل القنصل النمساوي ماير إلى مكان آخر ، وهكذا رفع العلم الفرنسي من جديد في يوم ٢٤ يونيو سنة ١٧٣٩ فوق القنصلية الفرنسية ، وبعد أن قامت المدفعية بتأدية التحية استطاع القنصل الفرنسي دي رايموندي أن يضع يده على القنصلية ويباشر عمله .

(١) نصرت في كتاب أ . رواردي كاردي « E. Rouard de Card » المؤلف

الذكر ص ٢٦٣ وما يليها

وبعد ثلاثة أشهر أعادت فرقاطة فرنسية بقيادة الفارس دي سابران de Sabran إلى طرابلس جميع رعايا الباشا الذين كانوا قد أخذوا من السفن الطرابلسية وحجزوا في طولون .

وأقيمت احتفالات كبرى بهذه المناسبة في طرابلس . وازدادت هذه الاحتفالات والمهرجانات زيادة كبيرة عند ما عاد دي سابران ثانية إلى طرابلس ومعه السفراء الذين كان الباشا قد أوفدهم لعقد الصلح . وقد امتدح هؤلاء السفراء المعاملة الحسنة التي وجدوها في فرنسا، ولم يمض غير قليل حتى عاد في ٢٩ سبتمبر السفراء الذين كان الباشا قد أوفدهم إلى إنجلترا ، وقد حملتهم إلى طرابلس بارجة حربية قدم قائدها إلى الباشا ١٥٠٠ قنطاراً من البارود ووعدته بأن يحمل إليه هدايا خاصة في الربيع التالي (١) .

(١) خطاب قنصل فرنسا de Raimondis المؤرخ في ٢٤ مارس سنة ١٧٢٩

الفصل الثالث

أيام لحمد القرماني الأخيرة

بعد أن أصبح أحمد القرماني سيداً للحكومة في طرابلس ، لم يعد يرسل إلى الباب العالي العشرة في المائة من قيمة الغنائم التي كان يفتنمها مغامروه ، فأرسل السلطان أحد كبار رجاله إليه لتحصيل المبالغ المستحقة عليه من هذه الغنائم ، وجاء هذا الطلب في وقت غير مناسب ، لأن الباشا كان مضطراً عندئذ لدفع المبلغ الذي طلبته فرنسا ، ولأن أحمد ناصر حاكم فزان كان قد رفض دفع الجزية التي كان قد تعهد بدفعها .

ويبدو أن عاد مندوب السلطان بوعود مهمة ، أعد الباشا حملة فزان وطلب من الحكومة الفرنسية مدفعين ، فأسرعت بإرسالهما إليه^(١) وذلك لأنه كان لا يزال يذكر الصعوبات التي صادفها في المرات السابقة .

وبينما كانت الاستعدادات تتم لهذه الحملة ، وصل في يوم ١٠ إبريل سنة ١٧٣٠ أسطول إنجليزي يتألف من أربعة بوارج بقيادة الأميرال كافنديش Cavendish وفي يوم ١٢ إبريل تمت الموافقة على معاهدة الصلح . وفي يوم ٥ أفلح الأسطول متجهاً نحو الغرب .

ومن جهة أخرى فإن نائب ملك نابلي ، دفع لأحمد باشا ١٤٠٠٠ دوكية ، وبضاً عن الزورق الذي أخذه دي جويون في فبراير سنة ١٧٢٩ فضلاً عن ٧٠٠٠ دوكية أخرى ، وأرسل إليه الإمبراطور هدايا ثمينة آتية من الفضة وأقمشة وأسلحة تبلغ قيمتها حوالي ٣٠٠٠٠ قرش^(٢)

(١) خطاب القنصل دي رايوندي المؤرخ في ٢٤ مارس سنة ١٧٣٠

(٢) خطابات القنصل دي رايوندي المؤرخة في ١٩ إبريل سنة ١٧٣٠ و٥ يناير و٢٠

وفي ١٣ يوليو سنة ١٧٣١ وصل إلى ميناء طرابلس أسطول فرنسي يتألف من أربع بوارج بقيادة « دي جوي تروا Du Guay Trouin » وكان قد غادر هذا الأسطول طولون في يوم ٣ يونيو ووصل في يوم ١٧ أمام مدينة الجزائر حيث أرغم « الداى » على قبول قنصل فرنسي، ثم توجه بعد ذلك إلى تونس للتوسط في إطلاق سراح بعض الأسرى الفرنسيين، ووصل بعد ذلك إلى طرابلس لكي يتأكد من اتجاه حكومة طرابلس إزاء فرنسا، ونزل قومندان البارجة « الماركيز دانتان » d'Antin مع حاشية كبيرة لزيارة الباشا الذي استقبله بحفاوة كبيرة كما استقبله السكان الذين كانوا قد تأثروا هم أيضاً كثيراً من ضرب مدينتهم بالقنابل في يوم ١٨ يونيو^(١) استقبالا حافلاً ..

وعلى عكس ذلك، أثار وصول البارجتين النمساويتين إلى ميناء طرابلس في ٢٤ أغسطس كثيراً من الخلاف والاصطدام بين القنصل الامبراطوري والباشا، سواء بسبب عدد طلقات المدافع التي كان على مدفعية الميدان أن تطلقها لتحيتهما، أو لأن قومندان الأسطول كان يطالب بإطلاق سراح الألمان والنابلين والصقليين الذين كانوا قد أخذوا أسرى^(٢).

وفي خريف تلك السنة نفسها غادرت طرابلس الحملة الموجهة ضد فزان بقيادة محمد بك ثانی أبناء الباشا، وكانت هذه الولاية الصغيرة التابعة لباشا طرابلس تضم في ذلك الوقت ثلاث مدن وخمس قرى وعدداً كبيراً من مخيمات البدو، وبعد أن غزا محمد بك المرا كز المأهولة والواحات حاصر مدينة مرزق أهم مدن فزان، وسلمت المدينة بعد أن وصلته الامدادات من أخيه محمد ومن خليل بن خليل قائد مسلاته.

وعرض أحمد ناصر حاكم فزان أن تبقى سيادته على الاقليم بشرط أن يدفع نفقات الحرب والجزية المتأخرة^(٣)، ولكن الباشا لم يوافق وصمم على إعطاء درس

(١) خطاب القنصل دي رايوندى المؤرخ في ٢٠ يوليو سنة ١٧٣١ السالف الذكر

(٢) خطاب القنصل دي رايوندى المؤرخ في ٣١ أغسطس سنة ١٧٣١

(٣) انظر ما قبله وانظر أيضاً موجز تاريخ المغاربة - سالف الذكر

يمنع تكرار أعمال التردد التي تقوم بها فزان من آن لآخر ، فأصدر أوامره
لأنجله باستمرار الأعمال الحربية حتى يستسلم أحمد ناصر .
وعندئذ عاد محمد بك لمحاصرة فزان وقبض على السلطان المتمرّد وساقه
إلى طرابلس .

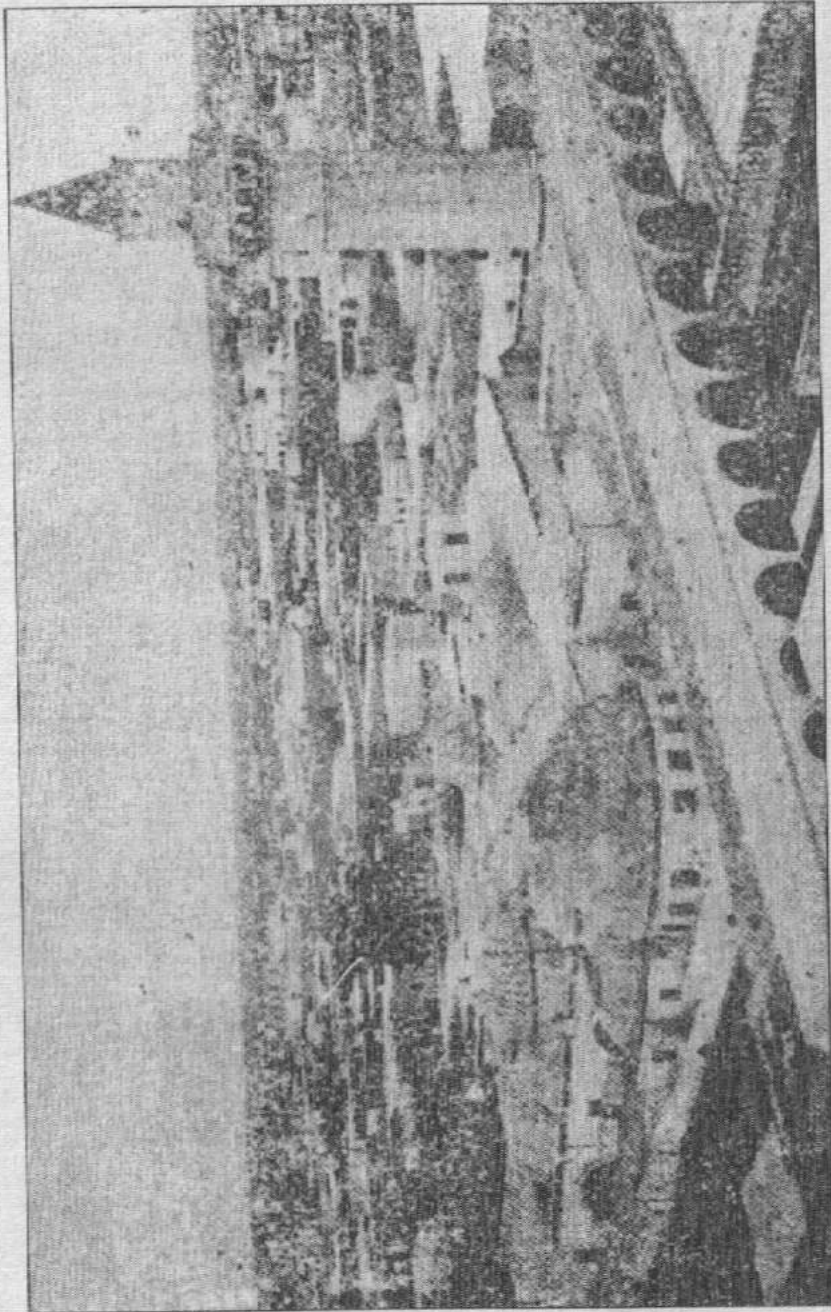
كان الباشا يود أن يحكم على سلطان فزان بالإعدام ، ولكنه نزل بعد ذلك
على إلحاح ابنه ووافق على إبدال العقوبة . وعندما اجتمع الديوان عرض الباشا
السلطان أحمد ناصر وابنه للبيع بالمزاد بوصفهما من العبيد ، فاشترهما محمد
بيك بعمليتين صغيرتين من النحاس ، وبعد هذه العملية المهينة أعيدت إلى
أحمد ناصر جميع سلطاته وتولى ثانية حكم فزان بلقب « شيخ » وعاد إلى
مدينة مرزق مع حرس مكون من عدد كبير من الجنود ليهدم أسوار تلك
المدينة (١)

وأثناء الحملة على فزان ، اجتاحت مدينة طرابلس والريف طاعون شديد ،
كان من بين ضحاياه القنصل الفرنسي وابناه والقائم بأعمال القنصلية
والقنصل النمساوي وكثير من الأوربيين الأحرار والأسرى .
وقد ظلت أرملة القنصل رايوندى Raimondis تدير القنصلية بنشاط
لم يكن معهوداً في النساء ثم أنابت دى جيربانت De Gerbant قنصل هولندا في
رعاية مصالح مواطنيها فقام بذلك العمل حتى وصل المسيو بنيون Pignon الذي
كان من قبل قنصلاً لفرنسا في تونس (٢) ، وكلفته حكومته بإعادة تنظيم
القنصلية ثم بشراء خيول من بنغازي ودرنه فرغب في زيارة المدينة المتحجرة
(أي المروية) وحصل من الباشا على كل مساعدة ممكنة لتحقيق غرضه .
وقد تمتعت البلاد في هذه الفترة بوضع سنوات من الهدوء والاستقرار ،
والازدهار الاقتصادي ، وعمل أحمد القرمانلي على تجميل المدينة بإزالة كل أثر
من آثار ضربها سنة ١٧٢٨ بالقنابل

(١) وقد بنيت ثانية بعد ذلك سنة ١٧٤٦ أثناء حكم محمد باشا القرمانلي لطرابلس

(٢) خطابات المسيو دى جيربانت المؤرخة في ٣ و ١٢ يوليو سنة ١٧٢٣

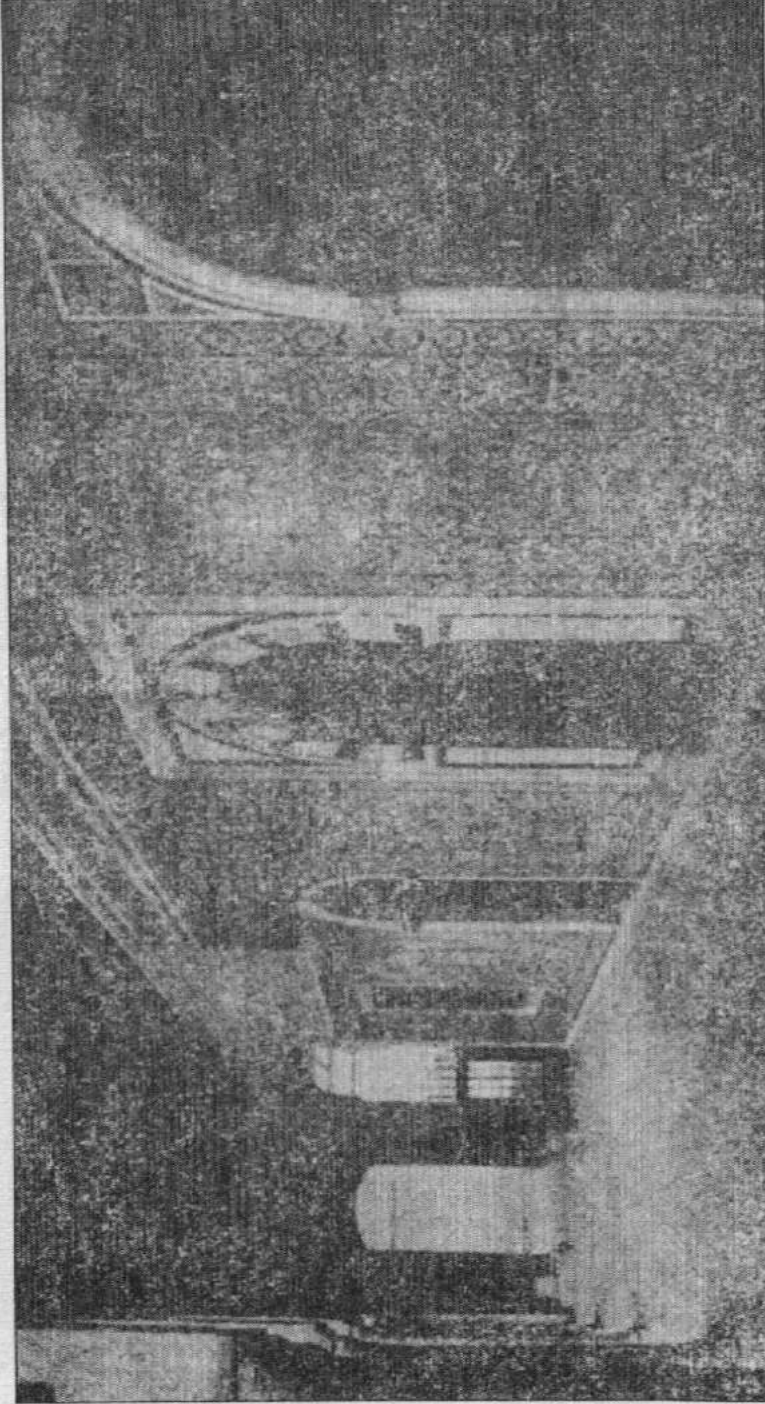
(٣) خطاب المسيو بنيون بتاريخ ٣ أغسطس ١٧٢٣



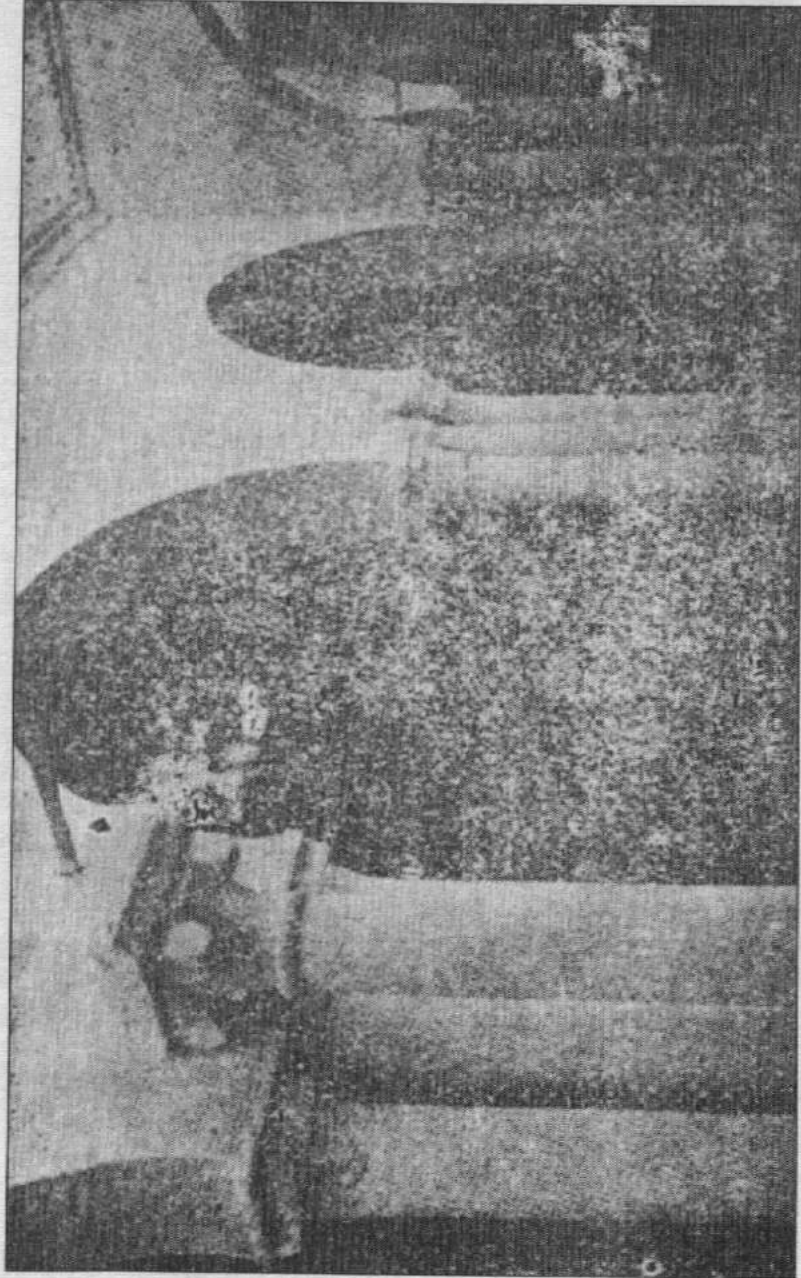
مدينة طرابلس - مسجد أحمد باشا - يلاحظ الرواق الطويل ذو البوابة لسوق المشير - والقبعة الكبرى إلى يسار الضريح .



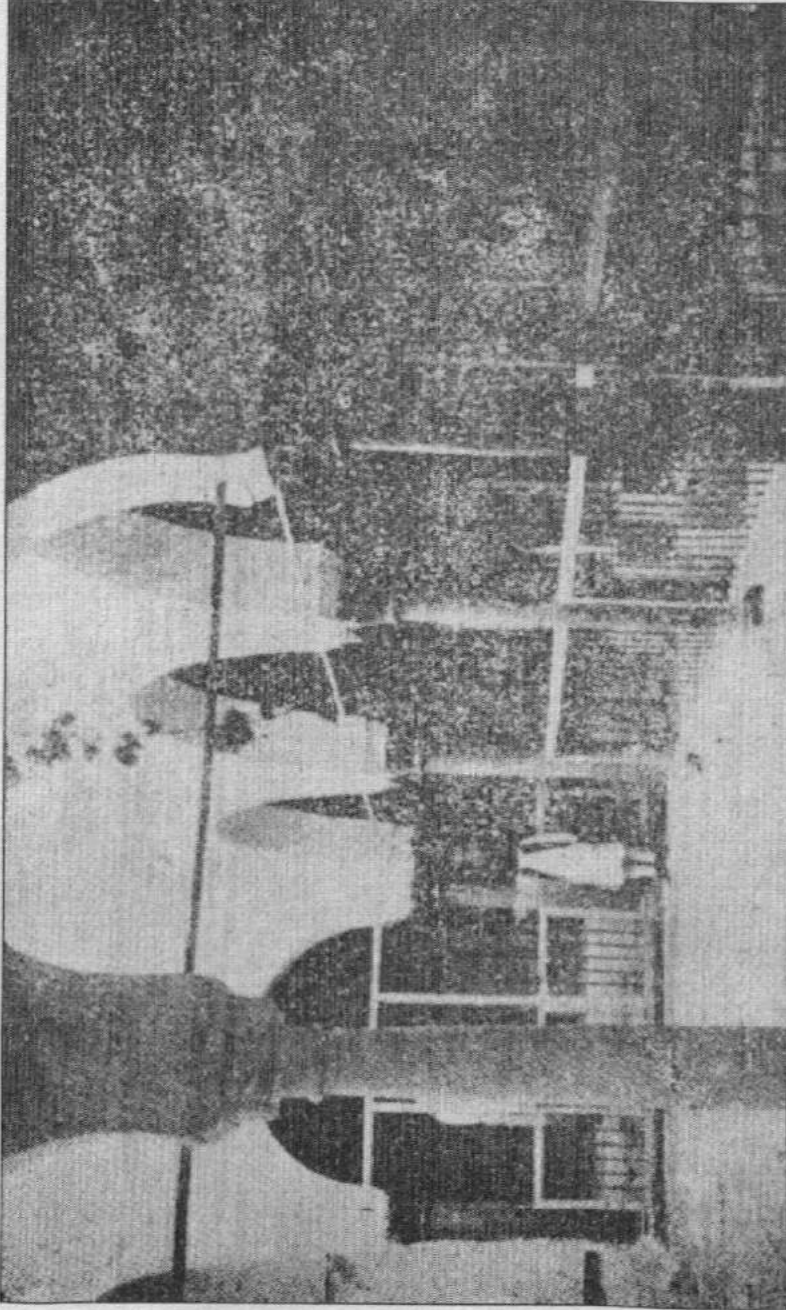
الباب الرئيسي لمسجد أحمد باشا في ناحية الغرب



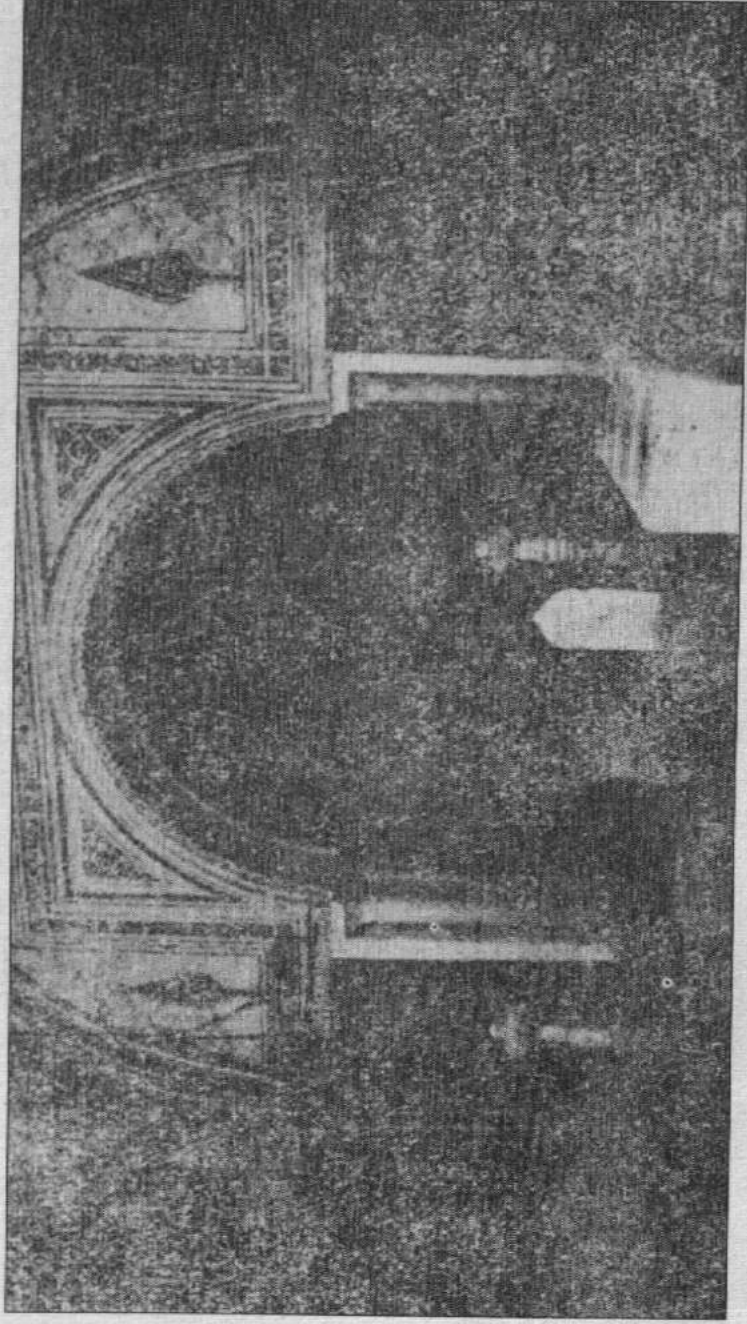
مدخل بجاني من الغرب لمسجد أحمد باشا والرواق ذو البواقي



الفناء الداخلى لمسجد أحمد باشا



فناء مدخل مسجد أحمد باشا من جهة سوق المشير



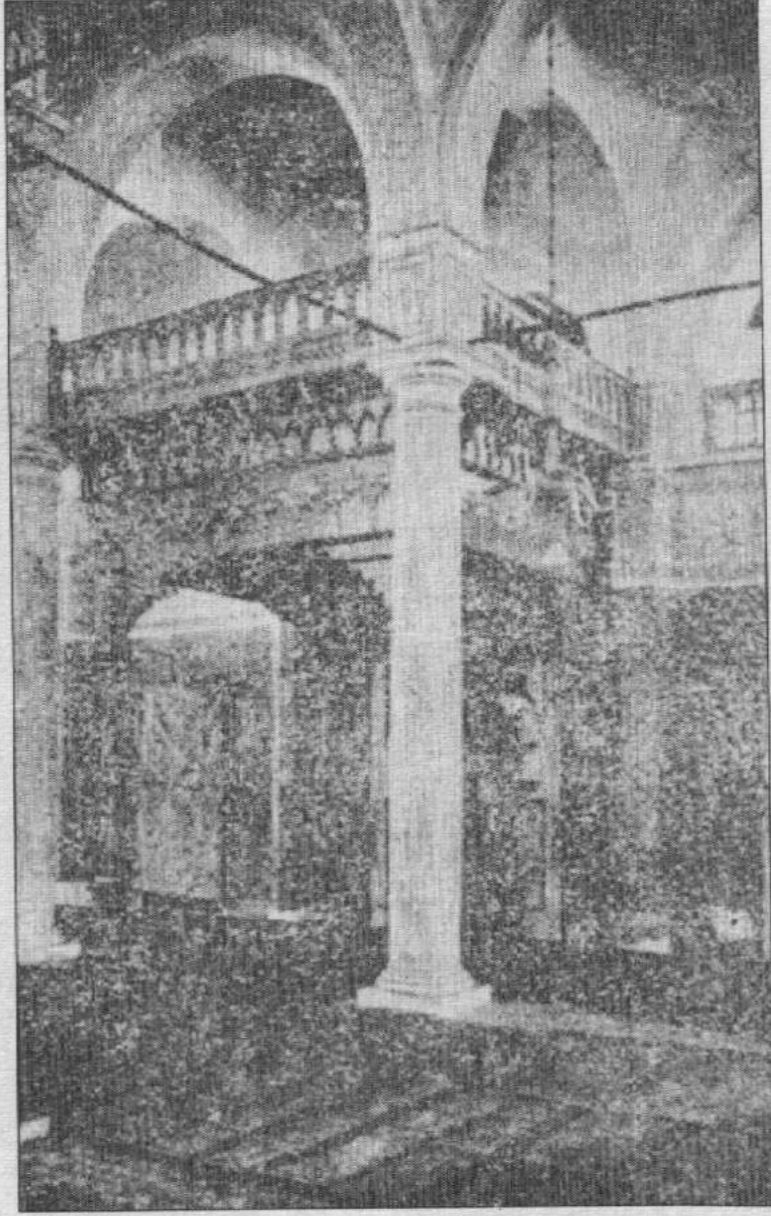
الأضرحة الموجودة بمسجد أحمد باشا وقد دفن بها أحمد القرماني



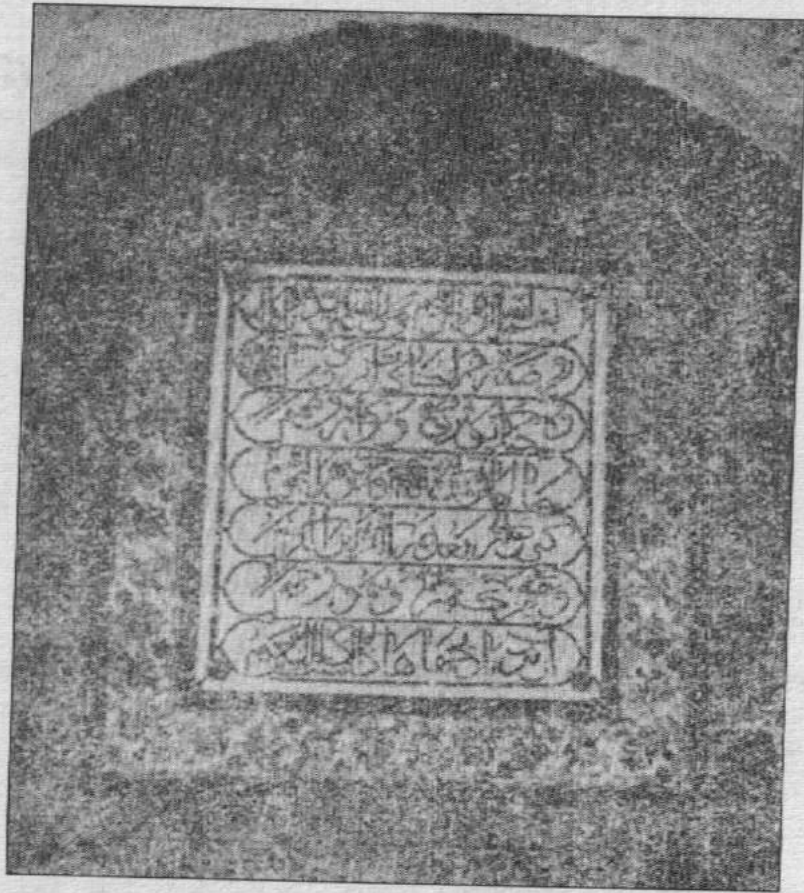
الأذنرحة الموجودة بمسجد أحمد باشا وضريح أحمد باشا هو
أعلاها في آخرها على اليمين.



محراب مسجد أحمد باشا



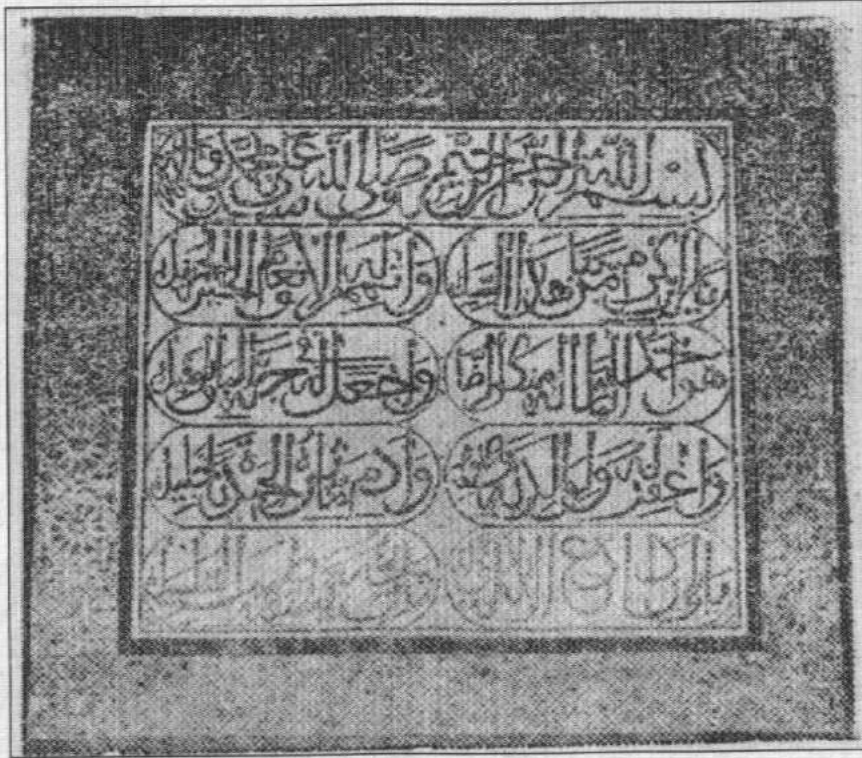
مَبَايَعَةُ مَسْجِدِ أَحْمَدِ بَاشَا الَّتِي تَعْلُو المَدْخَلَ العَمُومِي



نقوش کتابیہ تعلقو واجہہ باب مسجد أحمد باشا
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

روضه زهراجنه ذات بردونسيم
وحيا كوثر ونوار وشميم
حيا لها ابن ملك فاخرت زهر النجوم
كى توارى بعد عمر الكريم بن الكريم
وتقيبه من جحيم وسموم وحميم
أن ترد تاريخها هذا زاد النعيم

سنه ۱۱۴۹ هـ



نقوش كتابية على واجهة الباب الرئيسي لمسجد أحمد باشا
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

يا رب أكرم من بنى هذا السبيل	وأتمم له الإنعام والخير الجزيل
هو أحمد الباشا له منك الرضا	واجعل له في جنة المأوى مقيل
واغفر له ولوالديه وبنوه	وأدم مآثره الحميدة يا جليل
يا واردا أدع الإله له وقل	تاريخه يسقيه طيب السلسبيل



نقوش كتابية على باب مسجد أحمد باشا من جهة سوق المشير

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

الحمد لله للولي على نعم
هو أحمد الباشا الذي أجرى لنا
وبنى لنا برجا وأسس جامعاً
ياربنا وأتمم له الخمس التي
واجعل جوازا إذ دعوت مؤرخا
مُجمِلت بطلعة حاكم متفضل
ماء يسيل إلى سبيل منهل
في الحسنن جاء من الطراز الأول
ترجى لميم الملك في المستقبل
قل نال في الفردوس أحضى منهل

وفي سنة ١٧٣٦ - ١٧٣٧ شيد أحمد القرماني المسجد المعروف الآن باسمه في المكان الذي كانت تقوم فيه مساكن الإنكشارية ومكان اجتماعهم والمسجد الذي كان يطلق عليه اسم مسجد الديوان - ويعد هذا المسجد الذي شيده القرماني أجمل المساجد في طرابلس وقد أوقف عليه الباشا وقفا يدر ريعاً كبيراً ، وشيد على مقربة منه المقبرة الأنيقة التي أعدها لمثواه الأخير هو وأعضاء أسرته الآخرين ، وزخرفها زخرفة بديعة^(١)

وقد وقعت في جزيرة جربا Gerba القريبة من طرابلس حوادث دامية لم يكن لها رد فعل في طرابلس فقد ثار سكان جربا ضد الشيخ موسى بن صالح الذي كان يريد على بن محمد بيك تونس فرضه عليهم بينما كانوا يفضلون الشيخ أحمد ، وأدى هذا النزاع إلى وقوع كثير من القتلى الذين قطعت رؤوسهم ، ونصبت عن أجسادهم وكدست في كومة كبيرة^(٢).

وقد لجأ الشيخ أحمد إلى طرابلس ، وطلب من الباشا أن يتنازل له عن الجزيرة ، فرفض الباشا ذلك العرض حتى لا يدخل في نزاع مع بيك تونس . ثم استولى على بن محمد في سنة ١٧٢٥ على تونس وخلع عمه حسين بن علي عن العرش . وتدهورت منذ ذلك الوقت علاقات حسن الجوار التقليدية التي كانت قائمة بين الدولتين المتجاورتين .

وكان القرماني يتبع في كثير من الشكوك سياسة بيك تونس الجديد ويخشى أن يفكر هذا الأخير في الهجوم على طرابلس ، ولذلك كان يحاول التودد إلى إبراهيم « داي » الجزائر حتى يحصل منه على المعونة في حالة وقوع حرب بين تونس وطرابلس ، ولهذا الغرض لم يتورع عن ارتكاب جريمة قتل شنيعة .

(١) Aurigemma S. : مسجد أحمد القرماني بطرابلس - « Dedalo » -

السنة السابعة جزء ٨ . انظر حول نشاط أحمد باشا والمباني التي شيدها - كتاب Rossi E. الأخبار العربية الطرابلسية .. الخ السالف الذكر ص ١٧٥ أنظر الصور من ص ٦٧ - ص ٧٨

(٢) ش . مونشيكورت Ch. Monchicourt « الحملة الأسبانية في سنة ١٥٦٠ -

ضد جزيرة جربة » - باريس - إيروود - سنة ١٩١٣ صفحة ١٥٦

الإذني إبراهيم بك صهره الحاج محمد ابن الداي السابق لما كان يتمتع به من شعبية . فذهب الحاج محمد إلى القاهرة وتمكن من جمع ثروات طائلة جعلته لا يشعر بألم من ذلك النفي ومن مركزه كمواطن عادي . ولكنه كان شديد الرغبة في العودة إلى الجزائر للاستيلاء على السلطة التي كان صهره قد اغتصبها منه اغتصاباً ، وكان يشجعه بيك تونس على تحقيق أطماعه ويعدّه بكل مساعدة ممكنة سواء بالمال أو بالسلاح للقيام بهذا المشروع .
ولما نفذ صبره تحرك في نهاية أبريل سنة ١٧٤٢ من القاهرة نحو الغرب ،
ومعه جيش يبلغ عدده نحو ستمائة من الرجال المسلحين .

ولم تؤكد أخبار هذه الاستعدادات تصل إلى باشا طرابلس حتى أبلغها إلى داي الجزائر وأمر بيك بنغازي بأن يعترض مرور الحملة ، ولكن الحاج محمد تفادى كل ما اعترضه وبعد أن قضى ٧٥ يوماً في سير سريع وصل إلى حدود طرابلس في يوم ٥ يونيو حيث كان يتوهم خطأ أنه سيحل ضيفاً كريماً فيها .
وقد أرسل الباشا لمقابلته أنه محمد وحسن أغا أحد وزرائه فقدم له التحية ودعياه للتوجه إلى القلعة ، وقبل الحاج محمد هذه الدعوة بسرور ، وترك رجاله المسلحين عند أبواب المدينة ، وسار مع الضباط المكلفين بحراسته دون أن يساوره أي شك .

ولكن ما أن دخل القلعة حتى أحاط به بعض الإنكشارية وخنقوه بعد صراع قصير . واضطر رجال حرسه للتسليم لقوة تزيد عنهم عدداً ، أما الأسلحة والخيول والجمال وأموال المقتول وتبلغ قيمتها حوالي خمسمائة ألف زكيني فقد أصبحت غنيمة للباشا (١) .

وغضب بيك تونس غضباً شديداً لهذه الجريمة الشنعاء ، وراجت إشاعة تدبيره لحملة عسكرية يقوم بها ضد الطرابلسيين ، حتى أن الباشا استعد للدفاع (٢) ، ولكن هذا التهديد كان وقتياً ، ولم يدم طويلاً ، إذ أن داي

(١) خطاب قنصل فرنسا جوتيه Gautier المؤرخ في ٨ يونيو سنة ١٧٤٢

(٢) خطاب القنصل جوتيه المؤرخ في ٢٧ أكتوبر سنة ١٧٤٢

الجزائر رغبة منه في أن يسود الوئام بين الحكومات الثلاث ، اقترح أن تتحد في محالفة دفاعية وهجومية ، وأن يتضامن الأمراء الثلاث ، ويضمن كل منهم عرش الآخرين ضد أعدائه من الأجانب ومن سكان البلاد ، وقد قوبل هذا الاقتراح بارتياح وبقبول حسن .

واختيرت تونس مركزاً للمفاوضات ، وأرسل إليها الباشا مندوباً عنه هو حسن أغا . ولقد وفر إقرار العلاقات الطيبة مع بيك تونس على القرمانلي الشعور بأى قلق من جانب أسرة بوشاكور المطالب بالعرش والذي جاء من الاسكندرية إلى تونس ، وكان له حتى ذلك الوقت أنصار بين سكان الجبل " .

عاد نشاط المغامرين من جديد كنتيجة للحرب التي دارت بسبب وراثته العرش النمساوي في شهر أكتوبر سنة ١٧٤٣ ، اتخذ الباشا من أسر سفينة طرابلسية وبجارتها على سواحل كلابريا مبرراً لإعلان الحرب على ملك نابولي . ولم يكتف بسجن رجال سفينتين تابعتين لحكومة ملك نابولي كانتا في ميناء طرابلس ، بل أخرج غزاته لتهاجم السفن التابعة لحكومة نابولي رغم تدخل الباب العالي لإعادة السلام .

وبينما لم يكن الباشا يعد حساباً للدول الصغرى كان يحاول أن يظل على الحياد بين فرنسا وإنجلترا ، اللتين كانت سفنهما قد بدأت في التقاتل قبل أن تعان الحرب رسمياً بينهما ، وكان للعمليات الحربية في البحر المتوسط رد فعل حتى في ميناء طرابلس .

وفي خريف سنة ١٧٤٤ أخذت سفينة انجليزية تتحرك أمام مدخل الميناء لمطاردة السفن الفرنسية ، ولما كان الباشا يخشى قوة البحرية الانجليزية فإنه لم يجروء على اتخاذ أية اجراءات لضمان حرية دخول السفن المطاردة ، كما لم يمنع قباطنة السفن الفرنسية التي كانت لاجئة في ميناء طرابلس من

(١) خطاب القنصل جوتيه المؤرخ في ٢٣ أكتوبر سنة ١٧٤٣

مهاجمة السفن الانجليزية ، وإرغامها على الفرار وكذلك بمنعها من أسر سفينة تجارية كان يرفرف عليها علم انجليزي .

ولما علم الفارس دي كايوس De Caylus الذي كان يبحر بالقرب من مالطة بخبر هذه الحوادث، أرسل إحدى بوارجه المسماة «ديامنت Diamante» ، بأمر الماركيز دي كوزن مانيفيل De Quesne Manneville فوصل أمام طرابلس في يوم ١٤ أكتوبر .

وقد استقبله الباشا رغم مرضه استقبالا حافلا ، وقدم له امارات الاحترام والتبجيل وأكده احترامه واخلاصه للملك (١) .

وكان لمهمة دي كوزن ما ثقيل أثر كبير ، إذ تدخل الباشا في وقت مبكر ضد خمسة من الشراكة الذين كانوا يعرقلون أعمال الملاحة على طول سواحل حكومة طرابلس .

وكذلك وصل إلى طرابلس في ١٠ سبتمبر سنة ١٧٤٤ مندوب نابولي السنيور فوسكي Voschi لتجديد الصلح (٢) ونجح بعد بضعة أشهر انقضت في مفاوضات عقيمة ، في الاتفاق مع الباشا بعد أن قدم له باسم مليكه قمحا وشعيراً ، لتخفيف وطأة القحط الذي أصاب بلاد حكومة طرابلس . وفي يوم ١٢ ابريل أعلن ذلك الاتفاق في احتفال كبير . وكان الاتفاق يقضى بأن يمنح ملك نابولي كميات كبيرة من القمح والشعير للباشا ، ويرد السفن التي سبق أسرها ، ويطلق سراح رجالها ويرسل هدايا للباشا ، ويبقى فوسكي رهينة حتى يتم التصديق على هذا الاتفاق . وسرعان ما تم تنفيذ كل ذلك إذ قامت فرقاطة تابعة لحكومة نابولي بحراسة حمولة الحبوب والسفينة وملاحها ، وحصل الباشا على الهدايا الثمينة التي وعدها - خلاف مبلغ ٤ آلاف زكيني نقداً وعداً (٣) .

(١) خطاب الفئصل جوتييه المؤرخ في ١٩ أكتوبر سنة ١٧٤٤

(٢) خطاب الفئصل جوتييه المؤرخ في ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٤٤

(٣) خطاب الفئصل جوتييه المؤرخ في ١٢ أبريل سنة ١٧٤٥

كانت هذه هي آخر أعمال حكمة أحمد القرمانلي الذي كان منذ زمن قصير قد فقد بصره ومع ذلك نجح في إخفاء هذه العادة التي أصيب بها حتى لم يعلم بها أحد سوى قليل من أخصائه والمقربين إليه .

وعندما شعر بعجزه عن إدارة الدولة والسيطرة عليها في ذلك الوقت عهد بالعناية بأمور الدولة إلى ابنه محمد .

ولما كانت تآبي عليه نفسه أن يكون موضع عطف أوائك الذين كان يفرض عليهم إرادته حتى ذلك الوقت ، آثر الموت على الحياة ، وأطلق على نفسه رصاصة من مسدس أصابته في الجزء الأسفل من بطنه ، وسرعان ما فارق الحياة^(١) في ٤ نوفمبر سنة ١٧٤٥ .

وهكذا مات أحمد القرمانلي في التاسعة والخمسين من عمره بعد أن استطاع بفضل صفاته الشخصية العظيمة . وعلى الأخص إرادته القوية ، وثباته الذي لا يعرف الخضوع ، أن يبقى على العرش ويستقر فيه بهذه الصورة وأن ينقله إلى ذريته من بعده ، وعرف كيف يقاوم بهزيمة الدول العظمى نفسها مثل فرنسا وجعل الجميع يعترفون له بالسلطان ، حتى أهالي الدولة الكثيرة الشعب والمقيمين في أقاصي مملكته .

(١) خطاب القنصل الفرنسي دي جاردان De Gardan المؤرخ في ٦ نوفمبر سنة ١٧٤٥

الفصل الرابع حكم محمد القرماني

ما كاد أحمد القرماني يموت في ٤ نوفمبر سنة ١٧٤٥ حتى تم الاعتراف بابنه الثاني محمد خليفة له ، فقد تمت توليته للعرش دون أية صعوبة نظراً لغياب محمود بن أحمد البكر الذي وصله نبأ وفاة أبيه واعتلاء أخيه العرش في وقت واحد .

وكان هذا الأمير الشاب الذي اختاره والده ليكون خلفاً له يحظى بالرضاء العام ، ليس لمواهبه الشخصية فقط ، بل لأنه ابن زينب أرملة خليل باشا وابنة محمد باشا شائ العين ، وقد كانت سيدة محبوبة جداً ويقدرها الشعب الطرابلسي كل التقدير ، وقد توجه قناصل الدول العظمى الذين أتتحت لهم فرصة معرفته وتقديره في الفترة القصيرة التي أدار فيها الحكومة أثناء حياة والده ، لتمنيته بمناسبة ارتقائه العرش ، كما قدم قائد البارجة السويدية التي حملت السفير الطرابلسي إلى طرابلس الهدايا التي كانت لأبيه ، وهي عبارة عن بلشونة (طير ملك الحزين) محلاة بالماس ، وفراء وأقمشة وغيرها وتبلغ قيمتها حوالي ١٨ ألف سكودي^(١) .

وقد وعد محمد القرماني القناصل باحترام المعاهدات كما أظهر للقائم بأعمال القنصلية الفرنسية عزمه على إرسال سفير إلى حكومة فرنسا ، ورجاه في أن يتوسط لدى السفير الفرنسي بالقسطنطينية ليعمل على تأييده لدى السلطان .

وكان من أول الأعمال التي قام بها إرسال بعثة إلى السلطان تحمل هدايا ثمينة وتطلب الاعتراف به بصفته باشا طرابلس .

(١) خطاب القنصل دي جاردان De Gardan المؤرخ في ٦ نوفمبر سنة ١٧٤٥

كأوجه بعد ذلك رسالة لملك فرنسا يبلغه فيها بوفاء والده ، وبتعيينه خلفاً له ، وتسلمه زمام السلطة ، ويطلب منه أن يظل متمتعاً بما كان يتمتع به والده من رعاية فرنسا وصدقتها^(١) . وقد أظهر رغبته في الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع فرنسا وذلك بحسن استقباله للقنصل كولىت Caullet الذى وصل إلى طرابلس ، وتسلم أعباء منصبه فى شهر يونيو من تلك السنة . ولم يكن يرمى إلى غرض آخر من إرسال تلك السفارة إلى ملك فرنسا . وقد عين لهذه السفارة صهره أحمد بن حسن^(٢) كخيا الذى ينتمى إلى أسرة تشغل جميع أفرادها أعلى المناصب منذ زمن بعيد ، وكان يتمتع بسلطة واسعة فى الدولة ، ولكنه أنهم بفاة هو ووالده فى ٢١ فبراير سنة ١٧٤٥ بالتأمر للاستيلاء على الحكم ، وأعدما ، ولقى نفس المصير أحد اخوته الثلاث ، ونجح الثانى فى الإلتجاء إلى تونس ، أما الثالث وهو مصطفى الذى كان يعيش فى درنة بصفته حاكماً لها ، فإنه اضطر إلى الهرب^(٣) بمجرد أن علم بخبر هذه الكارثة التى ألمت بأهله ، وبعد أن حاول عبثاً ودون جدوى إثارة أهالى ذلك الإقليم ، فعين الباشا مكانه أخاه محمود القرمانلى بيكا على بنغازى^(٤) إذ كان وجوده فى طرابلس موضع شك وقلق لمحمد باشا .

وخوفاً من تمرد أنصاره وعصيانهم فقد أمر محمد باشا فى سبتمبر سنة ١٧٤٦ بقتل اثنين من أشهر هؤلاء الأنصار وأعظمهم نفوذاً ، وهما ريس البحرية وابنه ، رغم أن أولهما كان ابن عمه وصهره ، والثانى ابن أخته ، ولم يكن لهذا من أثر فإن محمود بيك ، ولو أنه تألم كثيراً لذلك العمل إلا أنه لم يظهر أى غضب أو سخط على أخيه .

(١) خطاب محمد القرمانلى المؤرخ فى ٦ يناير سنة ١٧٤٦ إلى ملك فرنسا

(٢) المقصود هو حسن كخيا بن ابراهيم كخيا فازداغلى المشهور باسم الصغير حتى لا يختلط بحسين كخيا على فازداغلى المشهور باسم ابراهيم الأحمر والوالد اللالا حليلة زوجة على باشا . وقد تزوجت إحدى بناته المسماة فاطمة أرملة يوسف ، الابن الأكبر لأحمد القرمانلى الذى لم ينجب منها - من محمد باشا

(٣) خطابا القنصل دى جاردان المؤرخان فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٧٤٥ و ٧ يونيو سنة ١٧٤٦

(٤) خطاب القنصل دى جاردان المؤرخ فى ١٧ يناير سنة ١٩٤٦

بقي الأهالي ساكنين وقدموا الدليل بعد ذلك على تعلقهم بالأسرة الحاكمة ، عندما استعد ابننا حسن كخياً المتعطشان للانتقام ، لغزو أراضى دولة طرابلس ، أحدهما من مصر بجيش قوامه خمسمائة رجل مسلح ، والثانى من تونس على أمل إثارة ثورة عامة فى البلاد .

أما قوات الأول فهزمت بسهولة أثناء تقدمها فى صحارى (سرت) وأما الثانى فقد منعتة الحرب التى كانت قائمة بين تونس والجزائر من أن يجمع القوات اللازمة ، ولذلك لم يستطع أن يخوض المعركة فى نفس الوقت الذى خاضها فيه أخوه ، ومع هذا فإن الأخوين نجحا فى الاتصال ببعضهما فى جبل غريان ، حيث جمعا بعض الأنصار ، ولكنهم كانوا قليلين وغير كافيين للزحف على طرابلس ، وبعد زمن قليل تفرق الأنصار ، فلبأ الأخوان إلى تونس .

وأظهر محمد القرمانيلى فى أيام حكمه الأولى معارضته لأعمال الغزو والمغامرات ولكن الديوان الذى كان يحاول الاستفادة من تغيير الأمير لاستعادة جزء من سلطته المفقودة ، قرر أن أعمال المغامرة يجب أن تستأنف ضد سفن جميع الدول المسيحية ، واستطاع الباشا بعد معارضة شديدة الحصول على استثناء بسفن فرنسا وإنجلترا .

وبدا أنه لا بد من الحرب ضد مملكة نابولى (١) ، واستمرت العلاقات متوترة مدة من الزمن . ولكن الطرفين وصلا بعد ذلك إلى اتفاق . وأثناء ذلك بلغت المغامرات الطرابلسية أعظم مداها ، واندفع المغامرون الطرابلسيون حتى شمال البحر المتوسط يهاجمون السفن الغير مسلحة ويغنمونها (٢) .

وبطبيعة الحال تعددت الحوادث مع مختلف الدول ، واستمرت فى الازدياد ، وكان على الباشا فى أغلب الأحيان تقديم الترضيات عن الأضرار التى كان يحدثها رؤساء سفنه ، وأن يأمر أيضاً بإعادة السفن المستولى عليها .

(١) خطاب قنصل فرنسا كواليه Cauilet المؤرخ فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٤٦

(٢) ف. الأ - الكتاب سالف الذكر ص ١٨٣

وحصلت عدة دول على الصلح بتقديم هدايا كبيرة ، وعقدت النمسا مع حكومة « طرابلس الغرب » ، اتفاق ٧ يناير سنة ١٧٤٩ ، واستطاعت الدانيمرك في فبراير سنة ١٧٤٩ إبرام معاهدة بعد أن وعدت بدفع ٢ ألف زكيني^(١) .

وحدثت مظاهرات بحرية كبيرة ، إذ أرسلت إنجلترا أسطولاً بقيادة الأميرال اجستوكيل Augusto Keppel الذي ألزم الباشا بتجديد المعاهدات السابقة ، وبأن يتعهد صراحة باحترام السفن الإنجليزية (معاهدة ١٩ سبتمبر سنة ١٧٥١) .

وكانت فرنسا قد أرسلت في أغسطس سنة ١٧٤٨ أسطولاً بقيادة قبطان البارجة دي ريفست Du Revest وطلب الملازم الفارس دي جراس دي بار Cavaliere de Grasse Du Bar نيابة عن القائد مقابلة الباشا وطلب معاقبة المغامرين الذين شكت منهم فرنسا كترضية أولى .

وكان رفض الباشا سبباً في قطع المفاوضات رغم أن على أفندي سفير الباشا في فرنسا كان قد أكد لوزير البحرية المسيو دي رويديه De Rouillé كونت دي جوي De Jouy أن المغامرين سوف يعاقبون وسوف يجرمون من الإمكانيات التي تجعلهم يواصلون الغزو^(٢) .

وأرسل دي ريفست Du Rivest مرة ثانية إلى طرابلس حيث عقد في ٣ مايو سنة ١٧٥٢ مع الباشا الاتفاق التالي :

« إن المغامرين من طرابلس الذين لا يخضعون لنص المادة ، أى المادة التاسعة من معاهدة ٦ يونيو ١٧٢٩ والذين يطلبون من القباطنة وأصحاب السفن الفرنسية مؤناً ، أو أدوات أو ذخائر

(١) بلاتيه « العلاقات إلى آخره » المصنفات السالف الذكر ص ٤٤١

(٢) كان على أفندي قد صرح بأن الرئيس حماد « وهو رجل من أهالي مرسيليا كان اسمه Sicard واعتنق الإسلام ، وأوقع أعظم الأضرار بأبناء وطنه الفرنسيين » لم يكن قد وضع قدمه بعد على أية سفينة طرابلسية .

أو غير ذلك ، والذين يعرقلون سير الملاحاة سواء بتأخير السفن أو بفرض الحجر الصحي عليها دون حاجة إلى ذلك - أو أولئك الذين يهينون العلم الفرنسي بأية طريقة كانت ، سوف يعاقبون بمنتهى الشدة وبالإعدام أيضاً في حالة إساءة معاملتهم لهؤلاء القباطنة أو لأصحاب السفن الفرنسية أو لبجارتها - وسوف تكون لهذه المادة قوتها وتبقى سارية المفعول كما لو كانت قد أدمجت حرفياً في المعاهدة المؤرخة في ٢ أغسطس سنة ١٧٢٩ إذ المفروض أنها جزء منها^(١) .

وقد غضب المغامرون ، وعلى الأخص الألبانيون منهم والأرناؤوط من مسلك الباشا وقاموا بتدمير مؤامرة لخلعه وإحلال أحد رؤسائهم محله . وفي مساء ٣٠ يولية سنة ١٧٥٢ حوالى الساعة العاشرة بينما كان سكان المدينة يملأون المقاهى والأسواق بمناسبة حلول شهر رمضان ، اندفع المغامرون بأسلحتهم فى الشوارع ، وبعد أن قتلوا شيخ البلد وثلاثة أو أربعة من أعيان المدينة ، استولوا على جزء من أسوار مدينة طرابلس ووجهوا مدفعيتهم نحو القلعة وأخذوا فى إطلاق النيران .

وعندما شعر السكان بذلك ، ساروا فى جماعات كبيرة يهتفون باسم الباشا وعندما وجد الثأرون أن الأهالى لا يؤيدونهم ، استولى عليهم الرعب وولوا الأدبار . ودخل حوالى مائتين منهم بالقوة فى الميناء ، واستولوا على سفينة انجليزية كانت راسية وأقلعوا ، ونجوا بأنفسهم . أما الذين لم يتمكنوا من الهرب وكانوا حوالى ٥٠ شخصاً ومن بينهم بعض الرؤساء فقد قبض عليهم وأعدموا^(٢) .

(١) رواردى كارد Rouard De Card الكتاب السالف الذكر ص ٢٧٤ -

لأن تاريخ ٢ أغسطس سنة ١٧٢٩ هو تاريخ التصديق على معاهدة ٩ يونيه السابق عقدها .

(٢) خطاب الفصيل الدنمركى سمث المؤرخ فى ٣١ يولية سنة ١٧٥٢ عن الحادث نقلها

توللى عن ماك كارثى - المرجع السالف الذكر - الباب الأول ص ٤٠ - ٤٢ .

وهدأت المدينة بعد إخماد هذه الفتنة ولكن أعمال النهب والسلب والاضطرابات اجتاحت بعض أقاليم الدولة .

وفي صيف سنة ١٧٥٣، اضطر الباشا إلى إرسال الإمدادات إلى « بيك » درنه الذي عجز عن إخضاع بعض القبائل النائرة بقواته وحدها .
وفي ربيع سنة ١٧٥٤ ثارت بعض قبائل غريان ، فأسرع محمد باشا الذي حرّمته ثورة سنة ١٧٥٢ وما تلاها من أعمال العصيان والتمرد من خيرة جنوده ، أسرع بتجنيد بعض مئات من الإنكشارية من مدينة أزمير . وقد استطاع البيك التغلب على الثوار بجنوده المحليين وإخماد ثورتهم وإخضاعهم وإلزامهم بدفع جزية كبيرة^(١) .

استقر النظام بعد ذلك في كل مكان ، ولكن الباشا لم يستطع التمتع بهذا الاستقرار زمناً طويلاً، إذ اعتلت صحته بسبب حياته المضطربة وخاصة بسبب إدمانه شرب النبيذ والخمر^(٢) ، وتوفي ولم يبلغ من العمر سوى خمسة وأربعين عاماً . وكانت وفاته في يوم ٢٤ يولييه من تلك السنة^(٣) ، ودفن إلى جانب أبيه في مقبرة المسجد الذي شيده أبوه قبل وفاته .

(١) خطاب القنصل سميت المؤرخ في ٣١ أغسطس سنة ١٧٥٣

(٢) خطاب القنصل سميت المؤرخ في ١٦ أبريل سنة ١٧٥٤

(٣) خطابا القنصل سميت المؤرخان في ٢٥ يولييه و ١٦ أغسطس سنة ١٧٥٤ . راجع

أيضاً ب. توسكي B. Toscki في كتابه وثائق لم تنشر عن تاريخ طرابلس الغرب السالف الذكر ص ٣٨ .

الفصل الخامس حكم علي القرماني

استطاع علي القرماني أن يخاف والده محمد باشا دون أية معارضة وذلك بفضل الإجراءات التي اتخذها الانكشارية الذين كانوا يلتفون حوله .

وقد كان رئيس الدولة الجديد شاباً يبلغ من العمر ٢٣ عاماً ، جميل الصورة رقيق الطباع ، وكانت أخلاقه خليطاً من الحياء والقسوة ، والكرم والجشع ، كان عديم الخبرة وغير ميال إلى العمل ، وقد ترك الانكشارية يحكمون البلاد باسمه فركزت في أيديهم أعلى مناصب الدولة ، وأصبحت لهم كل السيطرة ، وتغلبوا تماماً على إرادته الضعيفة ، وسيطروا عليه لمصلحتهم الخاصة - وكان ذلك في معظم الأحيان على حسابه وعلى حساب البلاد - وقد أبقوه منعزلاً في القلعة حتى يمنعوا أصوات الساخطين من الوصول إليه^(١) .

وبفضل سلطانهم على الباشا حملوه على أن يستأنف أعمال الغزو البحري على نطاق واسع وأعطيت للانكشاري سيكار قيادة إحدى سفن الغزو بالرغم من التأكيدات التي أعطاها على أفندي سفير الباشا لوزير البحرية الفرنسية في باريس ، ورغم احتجاجات قنصل فرنسا في طرابلس .

وفي الوقت الذي أفسد استئناف حرب المغامرات العلاقات الطيبة التي كانت تحتفظ بها حكومة نيابة طرابلس الغرب مع الدول الأوروبية في السنوات

(١) أجمعت الخطابات التي أرسلها القناصل الأوروبيون كل منهم إلى حكومته في السنوات العشر الأولى من حكم علي باشا ، على تأكيد ضعف الأمير وعلى سيطرة الانكشارية وعلى السخط العام الذي ساد البلاد ، ويمكن الرجوع بوجه خاص إلى خطابات القناصل الفرنسيين كولييه وجاردان والقنصل الدانماركي سميث والقنصل الإنجليزي فريزر .

العشر الأخيرة - كانت الاضطرابات والقلقل قد بدأت في داخلية البلاد إذ بذل الانكشارية جهدهم حتى يجعلوا الباشا يشته في أمر ويشك في إخلاص كل من كان محل ثقة الشعب ووجهه ، بسبب حسبه أو نسبه ، أو المناصب التي تولاها ولو كان ينتمى لأسرة القرماني ذاتها . وكان هؤلاء يفقدون حياتهم بسبب أطعماء وأخطاء قد تكون في أغلب الأحيان من نسج الخيال . وكان أول الضحايا ، أحد أعمام الباشا المدعو خليل الذي كان يشغل منصب « باى » درنه ، فإنه بعد بضعة أشهر من وصوله إلى طرابلس بعد ارتقاء على القرماني العرش أنهم بمحاولة إثارة الفتنة وحكم عليه بالإعدام^(١) .

وبعد مدة تزيد على السنة ، اشتبه في أمر اثنين من أقارب الباشا ، كان يشغل أحدهما منصب الخازن دار ، كما كان الثاني يشغل وظيفة « ريس » البحرية . فشنق الأول ونفى الثاني^(٢) .

كما كان هناك كثيرون آخرون ذهبوا ضحية غيرة الانكشارية وحسدهم كما سنرى فيما بعد .

كان على القرماني قد أرسل منذ شهر ديسمبر سنة ١٧٥٤ على خوجه سفيراً له في القسطنطينية ، لإبلاغ السلطان نبأ اعتلائه العرش . ولكن موت السلطان محمود الأول في تلك الأيام بالذات كان سبباً في تأخير منح القرماني الخاص بتولية على باشا حتى أرسله السلطان الجديد عثمان الثالث مع هدايا ثمينة في شهر أغسطس من السنة التالية^(٣) .

وعندما تسلم على باشا ، براءة الولاية على العرش من السلطان ، اقترح أن يرسل سفراء له إلى الدول الأوروبية التي كانت لها مصالح في البحر المتوسط لتأييد المعاهدات القائمة أو لعقد اتفاقيات جديدة ، ولم يكن من

(١) خطاب القنصل سميث بتاريخ ٢٥ أكتوبر سنة ١٧٥٤

(٢) خطاب القنصل سميث بتاريخ ٢٦ مارس سنة ١٧٥٦

(٣) خطاب القنصل سميث بتاريخ ١٦ سبتمبر سنة ١٧٥٥

الممكن تنفيذ أغراضه دائماً ، لأن معظم الدول التي كان لها قنصل في طرابلس كانت تحاول بواسطتهم منع إرسال مثل هؤلاء السفراء للحد من الإسراف وجشع الباشا المالي ، ولم يكن ذلك لأنه كان يكلف كثيراً من النفقات فحسب ، بل لأنه كان يسبب الكثير من الحوادث المؤلمة .

ومع هذا تم إرسال السفراء إلى فيينا وهولندا والدانيمارك وسويسرا . وأثناء ذلك كثرت الاستعدادات العسكرية للمغامرات البحرية بيناء بعض السفن وتجنيد بعض البحارة الألبانيين ، بالرغم من التجربة الأليمة التي حدثت في سنة ١٧٥٢^(١) .

ولم تعد في شيء خسارة بعض السفن ، أو احتجاجات القناصل ، أو أوامر السلطان باحترام سفن الدول التي كانت في ونام مع الباب العالي ، ولم تنقص من نشاط المغامرين الطرابلسيين الذين أصبحوا مصدر تعب وقلق للتجارة في البحر المتوسط .

ولكن إذا كانت هذه المغامرات تزيد من ثروة الباشا بفضل الغنائم التي كانت تؤخذ من السفن المغتصبة ، وكذلك ثروة إنكشاريته ، فإنها كانت تقضي تقريباً على التجارة البحرية ، وتزيد حالة البلاد سوءاً وكانت قد ساءت من قبل نظراً لقلّة المحصول في سنوات متوالية .

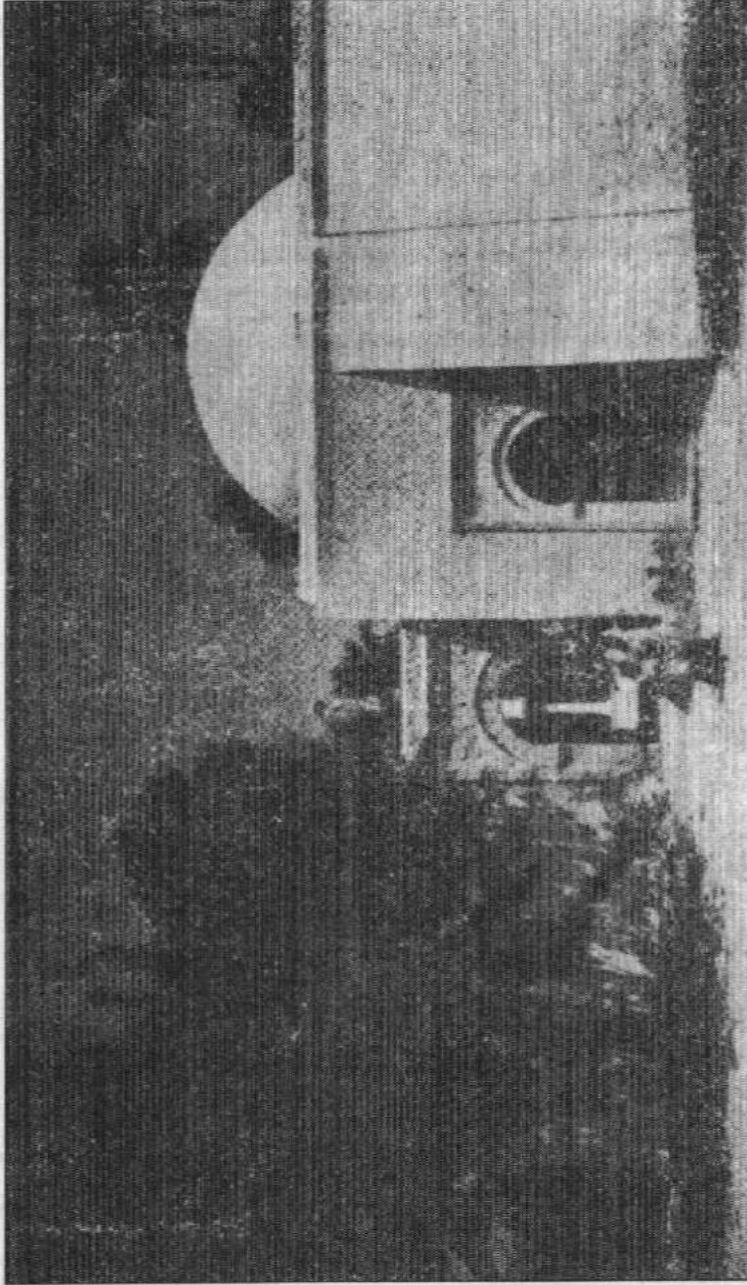
وكان السخط عظيماً ، فإن الأهالي وبالأخص الفئة الممتازة بسبب غناها أو بسبب المناصب التي شغلها كانت مستاءة كل الاستياء من الإنكشارية بوجه عام ، وعلى الأخص من جورجيو اليوناني الذي كان يدعى حسين^(٢) ، والذي كان يسيطر سيطرة تامة على أفكار الباشا وقد حاول بوشاكور الذي كان يطالب بالعرش منذ مدة طويلة ، والذي كان يتتبع الحوادث وهو

(١) خطاب القنصل سميت بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٧٥٥ (يقصد مؤامرة الألبانيين ضد

محمد باشا)

(٢) ربما كان الرئيس حسين فوزجي المذكور في سجل محكمة طرابلس الشرعية في عهد

علي باشا



مسجد سيدي عموره من الخارج - مدينة طرابلس

مقيم في تونس الاستفادة من الأحوال السائدة وعندما وصله خبر من أسرة المكسني ومن مفتي طرابلس بأنه قد حانت اللحظة الملائمة للعمل ، عاد سراً إلى طرابلس الغرب في سبتمبر سنة ١٧٥٨ ، ولكن المؤامرة كشفت وافتضح أمرها .

وفي ليلة ٢٠ سبتمبر وأول أكتوبر بينما كان ينتظر في إحدى حدائق المنشية قام أنصاره بجمع القوات التي كانت تحت تصرفهم ، ووصل خبر ذلك إلى القلعة وإلى المدينة ، فتحركت جنود الباشا ضد المطالب بالعرش الذي تخلى عنه معظم رجاله وحاول النجاة بنفسه بالهرب مع قليل من أنصاره ، ولكن جنود الباشا لحقوا به حيث قتله القائد عموره^(١) وتلا ذلك فترة اضطرابات وهياج .

وفي أغسطس سنة ١٧٦٠ أمر الباشا بقتل أقاربه المشتبه في تأمرهم ضده^(٢) .

شغلت الأعمال البحرية التي وقعت بين فرنسا وانجلترا في حرب السنوات السبع انتباهاً ومجوداً في غرب البحر المتوسط فشجعت المغامرين الطرابلسيين على متابعة الغزو وأسروا سفناً عديدة تابعة للدول الصغرى ، وعلى الأخص سفن نابلي ، ولم تسلم من شرهم السفن الفرنسية ذاتها . ورغب المغامرون الطرابلسيون في تعويض الخسائر التي لحقت بهم ، وعلى الأخص من جانب البنادقة يبناء سفن جديدة أو شراء سفن وتسليحها للقيام بأعمال الغزو^(٣) .

(١) رءا كان القائد عموره الملقب بالساحدار - خطاب القنصل سميت بتاريخ ٨ ديسمبر

سنة ١٧٥٨

(٢) خطاب القنصل سميت بتاريخ ٨ أكتوبر سنة ١٧٦٠

(٣) في أواخر سنة ١٧٦٠ بينما كانت ترسو في ميناء طرابلس سفينة حربية ، تم شراء سفينة مسلحة بستة وثلاثين مدفعاً من الأسكندرية وعابها ٢٥٠ ملاحاً أرناؤوطياً ، كما تم شراء سفينة فرنسية من الإنجليز كانوا قد أسروها ، وهي مسلحة بثمانية عشر مدفعاً ويبلغ بحارتها ٢١٦ رجلاً ووضعت تحت قيادة الانكشاري سيكارد (خطاب القنصل سميت بتاريخ

١٧ يناير سنة ١٧٦١)

ولكن عندما استقر السلام ثانية في عام ١٧١٢ م قامت كل من فرنسا وانجلترا على انفراد بعمل حاسم لضمان الملاحة في البحر المتوسط حتى أصبح ميدان العمل أمام المغامرين الطرابلسيين محدوداً ، وزاد في تحديده أيضاً ذلك الصلح المبرم مع البنادقة في شهر أبريل سنة ١٧٦٤ م ، ذلك الصلح الذي أبعد المغامرون بمقتضاه عن البحر الادرياتيكي (١) ، ومنذ تلك اللحظة تدهورت أحوال البحرية الطرابلسية وتناقصت قواتها وأصبحت مقصورة على ثلاث سفن ، كانت أقواها مسلحة بعشرين مدفعاً ، وعلى خمسة زوارق (٢) .

وقد أدى نقص الإيراد من المغامرة إلى جعل الباشا أكثر إلحاحاً على الدول التي كان يطلب منها الأموال والهبات عند تجديد المعاهدات ، وعند تعيين كل قنصل أو إبداله بغيره ، وكانت هذه الأموال والهبات تعتبر غير كافية مهما كانت كبيرة .

فقد تعهدت البندقية لإقرار السلام بدفع ٢٥٠٠ زكيني سنوياً ، فضلاً عن دفع زكينو واحد مقابل كل كيس من الملح ، وأرسلت أسطولاً بحرياً بقيادة القبطان بولتس Bulich إلى طرابلس لمرافقة قنصلها الجديد السكونت

(١) في يوم ٢ يولييه سنة ١٧٦٢ جدد الأميرال ارشيبالد كليفلاند معاهدة الصلح بين إنجلترا ونيابة طرابلس الغرب

(٢) خطابات الفنصل سميت بتاريخ ٢٩ أكتوبر سنة ١٧٦٣ و ٢٤ يناير و ٣١ مارس و ١٧ أكتوبر سنة ١٧٦٤ — عقد الحاج عبد الرحمن أغا الموفد إلى البندقية في أكتوبر سنة ١٧٦٣ م. بروسبرو فالمارانا Prospero Valmarana المفوض من قبل حكومته للمفاوضة ، اتفاقاً منحت البندقية بمقتضاه امتياز استثمار ملاحات بوكاش بتصدير ٢٥٠٠ كيس (٨٣٣١ هكتونتر) من الملح سنوياً — وفي أبريل سنة ١٧٦٤ عقد اتفاق للصلح نص على ألا يسمح لسفن المغامرين الطرابلسيين بدخول خليج البندقية لأي سبب أو بأي عذر ، وأن تكون حدود عمل هذه السفن رأس سانت ماريا من جهة وسيمارا من جهة أخرى — السكونت ف . ناني متشينيغو Mocenigo في « طرابلس والبنادقة » (قيادة هيئة أركان الحرب — الإدارة التاريخية ، ومذكرات تاريخية عسكرية) جزء ١٠ مدينة القاعة . اتحاد الفنون التخطيطية سنة ١٩١٤ م ص ٧٩ وما بعدها و س رومانين Romanin « تاريخ البندقية بالوثائق » جزء ٨ — البندقية ، مارآوفنش Naratovitch ص ١٥٢

جوزيبي بالوفتش Giuseppe Bollovich الذي قام للبasha هدية ثمينة^(١) .
ومع هذا فإن هذه الهدايا لم ترض الباشا - كما لم ترضه أيضاً تلك الهدايا
التي حملتها إليه في يونيه من نفس السنة بارجة هولندية ، أو الهدايا التي أرسلتها
إليه إنجلترا بعد ذلك ببضعة شهور بمناسبة تعيين قنصلها فيزرز^(٢) في طرابلس .
وفي سنة ١٧٦٥ أرسل الباشا سفيره أحمد أغا إلى إنجلترا ولكن ذهاب
هذا السفير إلى لندن لم يقد في حل بعض الخلافات الخاصة بدفع الديون
الانجليزية .

وأرسل القائد هاريسون Harrison قائد أسطول البحر المتوسط البريطاني
إلى طرابلس في مايو سنة ١٧٦٦ لتسوية هذه الديون وللحصول على ثمن
السفينة بورت ماهون Port Mahon التي أسرها المغامرون الطرابلسيون .
فحصل على الترضيات الكاملة ورافق قنصلاً جديداً يدعى ويلكي Wilkie
ليحل محل القنصل فيزرز Fraser الذي كان قد استدعى قبل ذلك بقليل
إلى بلاده لأنه كان قد أثار سلسلة من الحوادث الخطيرة مع قناصل
الدول الأخرى ، وعلى الأخص مع القنصل الامبراطوري النمساوي^(٤) .
وفي اليوم السابع من يولييه من ذلك العام وصل إلى مياه طرابلس أسطول
فرنسي بقيادة بوفريمونت Baufremont أمير ليستينوا Listenois^(٥) . وبعد

(١) خطاب القنصل سميت بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٧٦٦

(٢) في هذه المناسبة قام القبطان بوتش Bubitch بمعاونة المهندس العسكري البيزي
ميلانوفيتش Alvisé Milanovitch بتمهيد المدينة وإصلاح حصونها ومبانيها « الكونف
ف ناني موتشينيغو Mocenigo » في (طرابلس والبنادقة) سالف الذكر ص ٨٢

(٣) خطابات القنصل سميت المؤرخة في ١٧ أكتوبر سنة ١٧٦٤ و ١٥ مايو

سنة ١٧٦٥

(٤) قادالا - الكتاب السالف الذكر ص ١٩٩ وما بينها ، وخطاب القنصل سميت

في ١٠ و ٢٤ مايو سنة ١٧٦٦

(٥) خطاب القنصل سميت في ٢٥ سبتمبر سنة ١٧٦٦ - ج لاكور جاييه Lacour

Gayet في (بحرية فرنسا العسكرية في عهد لويس الخامس عشر - باريس ، شامبون ،
سنة ١٩١٠ ص ٤٣٦ .

أن تلقى أمراً من حكومته بالقيام بحملة على موانئ الشرق . وعلى سواحل
الأقطار المغربية لتسوية المسائل الجارية وفرض احترام المعاهدات
ولما كان الباشا يخشى ضرب المدينة بالقنابل من جديد ، فإنه أجاب على
المطالب التي قدمها إليه القبطان بروفس Broves باسم قائد الأسطول بالتعهد
صراحة بأنه من الآن فصاعداً سوف يعدم كل مغامر يقوم بأعمال العنف
ضد أية سفينة فرنسية ويعلق جثته للعرض عبرة لغيره . وأكد الباشا بنفسه
فيما بعد تعهداته هذ في خطاب أرسله إلى وزير البحرية الدوق دي براسلان
De Praslin عبر فيه بعد عبارات الود التقليدية عن أسفه للأعمال التي
ارتكبها المغامرون وأبلغه العقوبات التي وقّعها على بعضهم^(١) ، وقد وافق
فضلاً عن ذلك على إرسال أحد الضباط الفرنسيين لتخفيف بروز الشواطئ
وعلى الأخص في خليج « سرت الكبير »^(٢) .

وبعد مدة تقل عن الشهر ، أي في الرابع من أغسطس ظهر أمام ميناء
طرابلس أسطول تابع للبيدقية يتألف من أربع فرقاطات وسفينتين بقيادة
جياكوموناني Giacomo Nani الذي كانت لديه أوامر بالحصول على
الترضيات عن المخالفات المستمرة من جانب المغامرين الطرابلسيين للمعاهدة
والذين لم يقتحموا البحر الإدرياتيكي فقط ، بل أسروا بعض سفن البنادقة
في مياه بحر الأرخييل وموانئه .

وبمجرد أن شوهد الأسطول وأصبح على مرأى من المدينة ، ساد
للقلق الشديد في القلعة والمدينة وأعدت الاستعدادات للدفاع ضد احتمال ضرب
المدينة بالقنابل ، وأرسل الباشا أسرته إلى المنشية ، وحذا المواطنون حذوه ،
ونكن بعد مفاوضات دامت خمسة أيام مع القنصل ، تم الوصول إلى اتفاق

(١) انظر الخطاب في « فيرو » الكتاب سالف الذكر ص ٢٥٨ وما يليها
(٢) أرسلت الفرقاطة ايرونديل L'Eirondelle بقيادة القبطان مركيز دي جابرت
كوجلين لهذا الغرض ، ووصلت إلى طرابلس في ٢ سبتمبر سنة ١٧٦٦ ، وقد توّجتها
من الباشا استقبالا حافلاً . راجع خطابات ١٠ نوفمبر سنة ١٧٦٦ المرسلة إلى قنصل فرنسا
دي لانسي — ج لا كورجاييه سالف الذكر ص ٥٠٧ و ٥١٣
(م ٧ — طرابلس الغرب)

أعد بمقتضاه تأكيد صلح سنة ١٧٦٤ ، وتم الاتفاق على ضرورة إعادة سفن
البنادقة المسلوقة وإرسال سفن أخرى بدلا من السفن المفقودة .

وفي يوم ١٦ أغسطس نزل قائد الأسطول « ناني Nani » إلى البر ،
وتوجهه تتبعه حاشية كبيرة لزيارة الباشا الذي استقبله استقبالا حافلا^(١) .
ونجح « ناني » أيضا في التوفيق بين قنصل البندقية « بالوفتش Ballovich »
وقنصل فرنسا دي لانسي اللذين كانا على خلاف بسبب حادث خطير أثاره
هذا الأخير في يناير من نفس السنة^(٢) .

وحفز عدم قيام حكومة نيابة طرابلس الغرب بتنفيذ التعهدات التي
تعهدت بها صراحة بعض الدول على إرسال بعض سفنها الحربية من جديد
إلى مياه طرابلس فوصلت إليها فعلا في أغسطس سنة ١٧٦٨ م فرقاطة
فرنسية ، كما وصلت في أكتوبر بارجتان من البندقية ووصلت في نوفمبر
فرقاطة انجليزية ، فأكد الباشا في مقابلاته مع رؤساء وقواد هذه الأساطيل
تأكيداته المعتادة^(٣) .

وكان عدم احترام الباشا للمعاهدات بهذه الطريقة المنظمة ، يرجع قبل
كل شيء إلى سوء الأحوال في البلاد ، فضلا عن سوء النية التقليدي الذي
امتازت به حكومات المغرب .

والواقع أنه حل بالبلاد في عام ١٧٦٧ قحط شديد أدى إلى هجرة كثير
من السكان إلى مصر وتونس ، وإصابة الآخرين بأمراض كان بعضها معديا
كالكوليرا ، هلك بسببها في مدينة طرابلس وحدها ما يزيد على خمسمائة شخص
كما أدت الحروب التي نشبت بين قبائل أولاد سليمان والفرجان الداوون
بترهونه إلى خراب البلاد .

(١) الكونت ف ناني متشينو في (طرابلس والبنادقة) المؤلف الذكر ص ٨٤
وما يابها . خطاب القنصل سميث بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٧٦٦
(٢) الأب ك برينا Bergna (إرسالية الفرنسيين في ليبيا) ، طرابلس ، اتحاد
الفنون التخطيطية ، سنة ١٩٢٤ ، ص ٩٩ وما يليها
(٣) خطاب القنصل سميث في ٢ يناير سنة ١٧٦٩

وأرسل الباشا جيشاً صغيراً بقيادة الإنكشارى الصقلى عثمان أغا لإعادة
النظام والاستقرار ، فلم يتقدم إلى أبعد من وادى الميجينين Megenin ومع
ذلك فقد توسط أحد الشيوخ الصالحين المرابطين حتى أعلن أولاد سليمان
خضوعهم كما هاجر جانب من قبائل فرجان الداوون إلى تونس .

وظهر انحطاط وبؤس حكومة نيابة طرابلس الغرب بشكل واضح
عندما طلب الباب العالى بعد تدمير الأسطول العثمانى فى مرفعة تشيزميه
Cesme فى يولييه سنة ١٧٧٠ إمدادات من السفن من الدول التابعة له ، إذ
أسرعت كل من تونس والجزائر بإرسال عدة سمن بينما يجح الباشا بعد جهد
بمساعدة الأعيان من المواطنين فى تسليح سفينتين صغيرتين وأربعة زوارق^(١)
وقد أثارت الإشاعة التى راجت حول التقرد والهدايا الثمينة التى تسلمها
السفير الذى أوفده الباشا إلى غليوم الخامس ملك هولندا فى نفوس الإنكشارية
الذين كانوا يسيطرون دائماً على السلطة - الرغبة فى تجربة حظ بعضهم كسفراء
يرسلون إلى إنجلترا والسويد والنمسا ، أما السفير الذى أوفد إلى فرنسا فإنه
لم يسمح له بأن يتعدى حدود مرسيليا حيث عومل معاملة المسافرين العاديين^(٢).

وقد أدى هذا العمل مع منع السفن الفرنسية من نقل سفراء الباشا ، إلى
مطالبة الباشا الحكومة الفرنسية باستدعاء القنصل دى لانسى ، ولكن طلب
الباشا لم يحظ بالقبول ولم يلتفت إليه لأن هذا القنصل كان ينفذ التعليمات التى
تلقاها من حكومته .

وحدثت أيضاً بعض الحوادث والخلافات مع القنصل الانجلىزى فأرسل
الباشا سفيره ابراهيم قورجى^(٣) إلى لندن لتسوية ذلك الخلاف .

(١) خطاب القنصل الدايماركى ل . ك لوختر L. C. Lochner المؤرخ فى ١٨ أغسطس

سنة ١٧٧١

(٢) انظر فادالا . الكتاب السالف الذكر ص ٢٨٩ وخطاب القنصل دى لانسى

للمؤرخ فى ١٨ مايو سنة ١٧٧٢

(٣) فادالا - الكتاب السالف الذكر ص ٢٠٠ - خطاب القنصل ل . ك لوختر

للمؤرخ فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٧٧٤ . كان لبراهيم قورجى ابناً لاريس حسين قورجى

وعندما اعتلى لويس السادس عرش فرنسا ، تم التصديق على المعاهدات السابقة في اتفقيه ١٢ ديسمبر سنة ١٧٧٤ ، وأرسل الباشا وفداً يتألف من الحاج عبد الرحمن آغا وأحمد بك ابن أخيه وصهره لتقديم التهنئة للملك ، وأرسل إليه أيضاً خيولاً وجمالاً ونعاماً وصقوراً وغزلاناً وبعض عينات أخرى من الحيوانات المحلية ، واستقبل الوفد استقبالاً حسناً في فرساي ، ثم توجه بعد ذلك إلى ريمس للاشتراك في حفلة تتويج الملك — وبعد إقامة قصيرة في باريس ، أبحر الوفد من مرسايا على ظهر فرقاطه فرنسية أقلته إلى ميناء ليفورنو ، ومنها توجه إلى البندقية ثم واصل الوفد سيره بعد ذلك إلى طراباس ومعه على ظهر هذه السفينة القنصل بنيزيه أرمني Peneset Armeny الذي خلف القنصل دي لانسي وكان يحمل معه هدايا ثمينة إلى الباشا (١) .

أما السفيران اللذان أرسلوا إلى البندقية فقد لقياً معاملة تختلف كل الاختلاف عن هذه المعاملة ، إذ أن حكومة تلك الجمهورية لم تعترف بهما كسفراء ، وبعد حوالي شهر من وصولهما وضعت تحت تصرفهما إحدى السفن لتنقلهما إلى وطنهما ، وتلا ذلك توتر في العلاقات انتهى في سنة ١٧٧٧ بإرسال أسطول من أساطيل البنادقة وبتغيير القنصل ، وفي أغسطس من السنة التالية ، وصل الأميرال انجلو إيمو Angelo Imo على رأس أسطول صغير ونجح في عقد الاتفاقية .

وأثناء ذلك كان المغامررن الطرابلسيون قد استأنفوا أعمالهم بمتهمي الشدة والعنف ، وساعدهم على ذلك تعيين الأمير حسن أكبر أنجال الباشا

(١) راجع فيما يختص بهذه السفارة الحظاين الرساين إلى تنازل Pinatel القائم بأعمال القنصلية الفرنسية في طرابلس المؤرخين في ٢٠ مارس و ٢١ يونيه سنة ١٧٧٥ وخضاين القنصل ل . ك لوخنر Lochner بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٧٧٦ و ١٩ سبتمبر سنة ١٧٧٨

في منصب «باي» بتاريخ ٢٦ أغسطس سنة ١٧٧٣^(١). فاستطاع أن يحصل على سلطة كبيرة في حكومة نيابة طرابلس الغرب^(٢).

كان حسن بك يعتبر الانكشارية الذين كانوا في ذلك الوقت يسيطرون على إرادة أبيه أعداء شخصيين له، وكان يراهم شؤماً على البلاد، ويريد أن يحو سلطتهم أو على الأقل ينقصها إلى أقل الحدود، وكان يفهم حق الفهم أنه لا بد له من الحصول على موارد مالية كبيرة لكي يحتفظ بإخلاص أعوانه وزيادة عددهم، ولما لم تكن لديه موارد أخرى للدخل فقد رأى أنه يستطيع الحصول على هذه الموارد بما يحصل عليه من الغزو، فعمل على إعادة بناء أسطوله واشترى سفناً وبني غيرها، وجند البحارة اللازمين لها، وبدأت السفن التي قام بتسليحها عملها في البحر المتوسط، وأصابت سفن مملكة نابولي بأعظم الأضرار. ولم تعد سفن الدول الأخرى تشعر بأمان منها، حتى أرسلت إنجلترا في سنة ١٧٧٦ وفرنسا في السنة التالية سفناً حربية لحمل الباشا على احترام المعاهدات احتراماً تاماً وتنفيذها بمنتهى الدقة^(٣).

وقد أدى استئناف الحرب بين إنجلترا وفرنسا على أثر تأييد فرنسا للمستعمرات الإنجليزية في أمريكا إلى امتداد تأثير تلك الحرب إلى داخل ميناء طرابلس، حيث حاولت سفن كل من الدولتين تسليح سفن المغامرين لمساعدتها^(٤) الأمر الذي أفسح ميدان العمل أمام المغامرين الطرابلسيين.

(١) خطاب الفنصل ل. ك. لوختر Lochner بتاريخ ٢٨ مايو سنة ١٧٧٣

(٢) كان شاباً طموحاً نائب الجنان اغتصب منذ عهد بيد السلطة الحقيقية من أبيه، وترك له ظلماً ومظهرها « هذا ما كتبه عنه التاجر البندقى Morino Doxera » في أحد تقاريره عن الرحلة التي قام بها أندريا كويريني Andrea Querini على سواحل المغرب. واجم ف كورو في بحثه « تقرير بندقى عن طرابلس في القرن الثامن عشر » « المنشور بمجلة للمستعمرات الإيطالية » المجلد الرابع سنة (١٩٣٠ - ٨) فقرة ١٢، ص ١٠٩٦

(٣) الخطاب المرسل إلى فنصل فرنسا دي روشيه Du Rocher بتاريخ ٢٢ ديسمبر

سنة ١٧٧٧ والودع بمحفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس سجل رقم ٢ من تلك السنة

(٤) محفوظات القنصلية الإنجليزية بطرابلس. السجل رقم ٣ بتاريخ ١٨٧٨

وعندئذ أرسلت فرنسا - رغبة في تأمين سلامة سفنها - فرقاطتين بقيادة دي فياليس De Vialis الذي اتفق مع الباشا في ٢٠ مايو سنة ١٧٨١ بواسطة القنصل دندريه على إضافة خمس مواد تأكدت بمقتضاها الأمور التالية :

المادة الأولى : أسبقية قنصل فرنسا .

المادة الثانية والثالثة : ضمان سلامة رعايا ملك فرنسا .

المادة الرابعة : الالتزام بحجز السفن الحربية الخاصة بالدول المعادية لفرنسا مدة ٤٨ ساعة بعد رحيل السفن التجارية الفرنسية .

المادة الخامسة : في حالة منع السفن من الإبحار ، لا يمكن حجز السفن الفرنسية أكثر من ثمانية أيام .

وفي تلك السنوات حدثت اضطرابات شديدة أفلقت حكومة نيابة طرابلس الغرب إذ أنه في أواخر سنة ١٧٧٩ ظهر مطالب بالعرش كان يعمل لحساب مصطفى القرمانلي ابن عم الباشا ، وبيك ، بنغازي سابقاً ، وكان يقول إنه هرب عند وقوع مذبحة سنة ١٧٦٠ . ووصل في شهر ديسمبر على رأس خمسمائة أو ستمائة رجل مسلح تحت أسوار مدينة طرابلس ، ووجد له أعوانا ولكنه لم يجرؤ على مهاجمة المدينة نظراً لقلّة قواته وبقي بضعة أشهر أحدث فيها التخريب بالبلاد وضواحيها المحيطة بها ، وبعد الهجوم الأول الذي لم يكن لها أي تأثير ، نجح جنود الباشا في ضرب الثوار وهزيمتهم ، واضطر المطالب بالعرش أن يجد السلامة في الهرب " والنجاة بنفسه .

توالت عدّة سنوات قل فيها المحصول ، ونقصت الإيرادات من المغامرات البحرية ، وأصبح الباشا في حالة ضيق ، وكانت حاجته إلى

(١) خطابات قنصل الدانيمرك ج . ف . لوختر بتاريخ ١٥ يناير و ١٠ أبريل و ٩٢ أكتوبر سنة ١٧٨٠

المال قد اضطرتة إلى صهر أوانيہ الفضية وسكها نقوداً^(١) ، والالتجاء إلى أعمال التأديب والعنف التي كان من شأنها إحداث اضطرابات شديدة ، إذ صادر كمية من الزعفران كانت قد أرسلها الشيخ بن مخيرق ، من قبيلة المحاميد ، إلى طرابلس لكي تحملها قافلة الحجاج الآتية من مكة إلى مراكش ، ثار المحاميد ، واستولوا على قلعة غريان ، بعد أن قتلوا حاميتها . وانضم الورشفانيون الذين كانوا يقيمون في زنور للدفاع عن مدينة طرابلس من جهة الغرب إلى الثوار ، وامتدت الثورة إلى شرق طرابلس ، حيث هاجم الشيخ سيف النصر معسكر رمضان أغا الأدغم حاكم مصراته . ومع ذلك فإنه بفضل تدخل بعض رجال الدين المرابطين تم الوصول إلى صلح مؤقت . وحضر أحمد شيخ قبيلة النوائل أولاد بنى نوير وعلى بن وشاح ابن أخ أبو القاسم كبير مشايخ المحاميد وابنه بالنبنى - إلى طرابلس للتعهد بالصلح ، غير أن هذا الصلح لم يكن صلحاً دائماً ، إذ قامت حملة من النوائل ضد الورشفانيين ، للانتقام لأنفسهم من غزوة كان هؤلاء قد قاموا بها على أراضيهم ، وتدخل المحاميد حلفاء الورشفانيين في الأمر ، ووقعت معركة حامية الوطيس على مقربة من زنور . سيطر سيف النصر تماماً على إقليم سرت بأ كمله بعد أن قتل رمضان أغا وتدخل أحد رجال الدين^(٢) هذه المرة أيضاً وتم الصلح ، وأرسل سيف النصر ابنه الشاب إلى الباشا فاستقبله بكل ترحاب وعفا عنه ، وتصلح أغا مصراته الجديد الحاج سالم^(٣) ، أما على الحدود الغربية فقد استمرت المعارك بين القبائل وجماعات الورجماء الذين جاءوا لمهاجمة النوائل ، فردم هؤلاء بمعاونة الورشفانيين إلى ما وراء الحدود .

جمع البيك حسن جيشاً قوياً لإقرار النظام ومنع الغزوات التي كانت

(١) خطاب الفحصل ج . ف . لوختر بتاريخ ٦ مارس سنة ١٧٨٢

(٢) سيدى الصيد (المراحم)

(٣) كان الحاج سالم إنبأ لرمضان أغا الأدغم ، رئيس طائفة القول أوغايه بمصراته وحاتماً لذلك الإقليم .

تعطل تجارة القوافل ، فأخضع القبائل المتمردة وألزمها بدفع جزية يبلغ مقدارها حوالي ثلاثين ألف زيكني Zecckini ^(١) .

وفي سنة ١٧٨٤ عقدت مملكة أسبانيا مع تركيا معاهدة صلح كان من نتيجتها عقد اتفاقيات مع دولة نيابة طرابلس الغرب .
إذ في شهر أغسطس من تلك السنة ، تم توقيع معاهدة بين الباشا وبين بيترو وجوفاني سولر (Pietro , Giovanni Soler) من ميناء ماهون Mahon اللذين كان لديهما التفويض الكامل من صاحب الجلالة الكاثوليكي ملك أسبانيا لإبرام الصلح مع حكومات الغرب ، وقد حصلت أسبانيا بمقتضى هذه المعاهدة على تأمين سلامة سفنها التجارية وعلى حقها في إرسال قنصل إلى طرابلس ^(٢) .

أما المغامرون الطرابلسيون الذين كانوا منذ سنة ١٧٨٠ قد استأنفوا تسليحهم ^(٣) ، فإنهم أظهروا سخطهم على ذلك الاتفاق الذي كان يحدد ميدان عملهم ، ولكن الباشا أصر على رأيه لأنه كان يأمل أن يحصل بمثل ذلك الصلح على أموال وهدايا ثمينة ، ولذلك أرسل أحمد خوجه سفيرا له في أسبانيا ، ولكن هذا السفير اعتنق المسيحية بعد ذلك واستبدل بسيدى عموره ^(٤) .

وفي يوم ٢٣ أكتوبر سنة ١٧٨٤ وصل الأميرال البندقي « انجيلو ايمو » Angelo Emo الذي كان يعمل بأسطوله ضدريك تونس ، وصل مع بعض سفنه إلى مياه طرابلس ، واستقبله الباشا استقبالا حافلا ، وجدد معه المعاهدة السابقة التي كانت تعطى البندقية دون غيرها امتياز استخراج الملح من « بولاش » نظير مبلغ ٦ آلاف زيكني سنويا ، فضلا عن نفقات العمال

(١) خطاب القنصل ج . ف . لوخر المؤرخ في ٣٠ يوليو سنة ١٧٨٣

(٢) « » « » « » ٢٠ أغسطس سنة ١٧٨٤

(٣) « » « » « » ٢ فبراير سنة ١٧٨١

(٤) فدالا — الكتاب السالف الذكر ، ص ٢٠٦

المستخدمين في استخراج الملح^(١).

وبعد عقد هذه الاتفاقيات أقام الأميرال على ظهر سفنه احتفالاً بالغ العظمة ، بقيت ذكراه زمناً طويلاً لكثرة من اشتركوا فيه^(٢).

وفي تلك السنة ذاتها حاولت روسيا بعد أن حصلت بمقتضى معاهدة كينارجي Cainargi على حرية المرور في البحر الأسود ، أن تجد لها قاعدة بحرية في البحر المتوسط وقدمت إلى الباشا اقتراحاً بالحصول على امتياز استخراج الملح من ملاحات « بوكماش » وإقامة حصن فيها . وبعد أن عرض الباشا الأمر على الديوان قرر أنه مستعد لعقد معاهدة صلح ولكنه لم يذكر شيئاً عن الامتياز المطلوب ، ولذلك لم تسفر المفاوضات عن أية نتيجة^(٣).

وفي سبتمبر سنة ١٧٨٦ وصل إلى ميناء طرابلس أسطول هولندي ، وقدم قائده هدايا ثمينة إلى الباشا حتى يعدل عن إرسال سفيره إلى مدينة لاهاي ، ولكنه لم ينجح في غرضه إذ رغم احتجاج القنصل الهولندي ، سافر السفير في آخر مارس سنة ١٧٨٨ ، وتأثر الباشا كثيراً بسبب الاستقبال الغير الودي الذي لقيه هذا السفير ، وأمر القنصل الهولندي بمغادرة البلاد . وقد غادر القنصل مدينة طرابلس بعد أن كلف قنصل البندقية بحماية مواطنيه من رعايا هولندا ، ولكنه استطاع العودة إلى طرابلس في السنة التالية (سنة ١٧٩٠) بعد أن أرسلت حكومته هدايا جديدة إلى الباشا^(٤).

ولقد كانت حاجة الباشا الشديدة إلى المال . وأمله في الحصول على

(١) وربما كان أحد الأسباب التي دعت الأميرال إلى الحجى إلى طرابلس ذلك الخبر الفل بأن على باشا أرسل إلى « صفاص » مدافع عادية ومدافع هاون . انظر ك . أ . نالينو . في كتابه « البندقية و صفاص في القرن الثامن عشر » السابق الإشارة إليه ص ٣٤٦ .

(٢) ر . تولي . ترجمة ماك كارثي السابق ذكره ص ١٥٩ ، ص ١٦٠ .

(٣) خطاب القنصل ج . ف . لوخنر المؤرخ في ٢٦ يولييه سنة ١٧٨٤ .

(٤) خطابات القنصل ج . ف . لوخنر بتاريخ ١٥ نوفمبر سنة ١٧٨٦ و ٣٠ مارس

سنة ١٧٨٨ و ٥ يونيه و ٢٢ أكتوبر سنة ١٧٨٩ و ٢٨ نوفمبر سنة ١٧٩٠ .

نصيب منه هي السبب في إصراره على إرسال مندوبين غير مرغوب فيهم ولما كانت لا توجد لديه موارد أخرى للحصول على المال فقد كان لا يعتمد إلا على الهدايا التي تأتيه من الدول الأجنبية إما قسراً أو بصفة ودية .

ولذلك كان يؤدي عدم إرسال هذه الهدايا أو تأخيرها إلى أسوأ النتائج فمثلاً كان الباشا يعتمد على هبات وينتظرها من ملك أسبانيا ، ولكن التأخير في إرسال هذه الهدايا المنتظرة ، وضعه في حالة ضيق شديد حتى أنه اضطر إلى رهن « بلشونه »^(١) المرصع بالماس عند قنصل فرنسا ضماناً للمبالغ التي كان قد اقترضها منه .

وكان القدر يخفي أياماً أسوأ من هذه الأيام لعل القرماني .

ففي شهر مايو سنة ٧٨٥ انتشر وباء الطاعون في بلاد الريف ، ثم انتقل منها الى مدينة طرابلس ، وازداد عدد الموتى منذ شهر مايو حتى نهاية شهر يوليو ، ولم يسلم من هذا الطاعون حتى من أحياء المدينة ولا أية طبقة من طبقات الشعب .

وترك لنا شاهد عيان^(٢) وصفاً مؤثراً عن المدينة عندما أصابها الطاعون وللقلعة التي كثر فيها عدد الموتى كثرة كبيرة ، وربما كان ذلك بسبب كثرة من كانوا يداخلها .

وفي آخر يوليو عندما أخذ هذا الوباء يقل كان قد هلك من المدينة خمساً أهلها المسلمين ونصف سكانها اليهود ، وتسعة أعشار المسيحيين . ويمكن إحصاء عدد الموتى في المدينة والمنشية بما لا يقل عن ٢٧٠٠٠ شخص^(٣)

(١) نوع من المجوهرات على شكل طائر يعرف باسم « مالك المزين » أو البشون « المراجع »

(٢) ر . تولى ، ترجمة ماك كارثي ، الكتاب السالف الذكر ، جزء ١ ، ص ١٨٦ - ٢٤٩

(٣) فقد الباشا بسبب هذا الطاعون ابنتين ، وواحد أخوته كما فقد البيك ابنتين من بناته . ولم ينج من وزراء الباشا القدامى سوى ثلاثة - راجع خطاب القنصل ج . ف . لو-ختر بتاريخ ٢٠ أغسطس سنة ١٧٨٥ - - وراجع فيما يختص بالضحايا المسيحيين في طرابلس كتاب الأب ك . برينا « الإرسالية الفرنسية في ليبيا » السالف الذكر ص ١٠٣

وعندما خفت وطأة الطاعون استؤنفت العلاقات الدولية .
ففي شهر أغسطس وقع الباشا بعد المفاوضات التي أجراها قنصل أسبانيا
في طرابلس على الصلح مع ملك نابلي و فرديناندو الرابع ، بنفس الشروط التي
تم الاتفاق عليها مع ملك أسبانيا ، وأرسل محمودا ابن أخيه (١) سفيراً له
في بلاط نابلي - وأدى هذا الصلح إلى تحديد أعمال الغزو حيث تحولت سفن
المغامرات إلى سفن تجارية ، ومن حسن حظ الباشا أن الأسطول الأسباني وصل
في آخر سبتمبر حاملاً معه هدايا تقدر قيمتها بما يزيد على ٣٠٠٠٠٠ زكيني (٢) .
وبعد ذلك بسنتين أرسل ملك نابلي أيضاً هدايا ونقوداً تقدر بنحو
٥٠٠٠٠ قرش وسفنأ مشحونة بالقمح والشعير (٣) .

وكان من أسباب قلق الباشا وصول أسطول تركي إلى طرابلس في أوائل
سنة ١٧٨٦ بقيادة قبودان باشا حسن الجزائرلي أحد أبطال معركة شيزمي
والذي كان منذ أيام السلطان مصطفى الثالث يؤيد سياسة إعادة نفوذ
السلطان على الدول التابعة له . وكان معلوماً أن هذا الشخص من خصوم
القرمانلي وأن لديه أوامر لعزل علي باشا ولكن هذا الأميرال لم ينزل إلى
البر ، واقتصر على إرسال أحد مندوبيه إلى الباشا ليطلب تسليم بحار من الغزاة
لجأ إلى طرابلس ، ثم أفلح بأسطوله إلى تونس . وقد راجت اشاعة مؤداها
أنه أراد معاينة حالة التحصينات لكي يحاول مهاجمتها فيما بعد ، ولكن
الأسطول التركي بعد عودته من تونس ، أمام طرابلس دون أن يقف
بها ، ثم استؤنفت الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا والنمسا فاستدعى
قبودان باشا إلى القسطنطينية على عجل .

ولم تكن أحوال الامبراطورية التركية تسمح بإخضاع الدولة المغربية
المشاغبة ، فقد انتهت تلك الحرب التي أعلنتها السلطان عبد الحميد الأول

(١) ر . تولى ترجمة ماك كارثي الكتاب السالف الذكر ص ١٥٧ - وفادالا الكتاب
السالف الذكر ٢٠١ وخطاب القنصل ج . ف . لوختر بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١٧٨٦
(٢) خطاب القنصل ج . ف . لوختر المشار إليه فيما سبق
(٣) ر . تولى ، ترجمة ماك كارثي ، الكتاب السابق الذكر ، جزء ١ ، ص ٢٠٨ ، ٢٦٢

مضطراً بسبب إثارة روسيا حليفة النمسا له وانتهت هذه الحرب بعدة هزائم
لتركيا - أو بالأحرى بانتصار حاسم لروسيا رغم تخلي النمسا عنها ، وعندما
طلبت تركيا من حكومات نيابات الغرب الثلاث إمداد أسطوطها ببعض سفن
الغزو أرسلت تلك الحكومات إمدادات غير كافية .

وقد طلب من علي باشا إرسال خمس سفن ، ولكنه وجد من المستحيل
عليه إطاعة هذا الأمر ، فاكتفى بأن أصلح على نفقته السفن التي أرسلها
« بيك » تونس والتي لجأت إلى ميناء طرابلس بعد أن أتلفتها العواصف
تلهاً كبيراً (١) .

ومن جهة أخرى فإنه عند ما أخطر بإعلان الحرب ، قرر أن يلتزم
الحيداء ولكنه أمر بإزالة العلم عن منزل القنصل الامبراطوري النمساوي
بعد أن تلقى أمراً بذلك من قابو جى باشا ، وخوفاً من ثورة الرأي العام عليه
وحدوث اضطرابات نتيجة عدم طاعته (٢) .

كانت أحوال حكومة نيابة طرابلس الغرب قد وصلت إلى حالة تستدعي
قيام حكومة تركيا بعمل حاسم ضدها .

وقد كتب نائب قنصل فرنسا فليسيير Vallière الذي حل في سنة ١٧٨٦
محل القنصل العام «داندريه d'Andrè» مانصه «إن الباشا لا يحكم إلا رعايا
متمردين ومناطق جرباء وأكديساً من الأطلال والخرائب ، وإن المدينة
التي يقيم فيها ليس فيها سوى الخراب والدمار ، كما أن قصره ينهار من جميع
جوانبه . أما أسوار المدينة فإنها بسبب تدهورها في كثير من أجزائها تجعل
أبواب المدينة عديمة الجدوى ولا قيمة لها - وأما الحصون والبطاريات
المعدة بمدافع قديمة وفاسدة فإنها تتداعى كلها أطلقت لنحية البوارج
الحربية التي تأتي لإلقاء مراسيها في الميناء - وأن سبع سنوات أو ثمان من

(١) خطابا القنصل ج . ف . لوختر بتاريخ ٢ سبتمبر سنة ١٧٨٩ و ٢٥ مايو

سنة ١٧٩٠

(٢) خطابا القنصل ج . ف . لوختر بتاريخ ٢٤ مايو و ٣ أغسطس سنة ١٧٨٨

القحط ضاعفت الموتى والمهاجرين ، وأخيراً تفشى الطاعون ، وزادت هذه الكوارث زيادة كبيرة ، وهكذا أصبحت طرابلس صحراء مقفرة - وكانت قبل هذه السنوات الشنيعة تصدر في كل عام مقادير كبيرة من القمح والشعير والزيوت ، كان الزارع غنياً وكانت الحكومة تربح من رسوم التصدير ، وكان استهلاك الكماليات ذا أهمية عظيمة ، كما كانت فرنسا وإيطاليا وبلاد الشرق والاسكندرية تصدر هذه الكماليات ، وكانت تتقاضى ثمنها صوفاً وریش نعام وسنامكى وتبراً ورقيقاً وعاجاً .. الخ .

وبعد أن حل القحط لم تكن تصل إلى طرابلس إلا سفن مشحونة بالمواد الغذائية وفي هذه الأوقات العصبية كانت القوافل^(١) ترحل أرباحاً طائلة ، كما كان التجار يحنون أرباحاً كبيرة وكانت منتجات البلاد أقل بكثير من أن تصل إلى مقدار الواردات التي كان يجب دفع ثمنها نقداً . وقد أخفى عرب الدواخل أموالهم تحت الأرض ، وحُرِم ساكن المدينة منها ، فقد باع هذا وذاك ما كان لديهم من نفائس ومصوغات وحلى نسائهم ، وهببت قيمة المصوغات الذهبية والفضية إلى عشرين أو خمسة وعشرين في المائة من قيمتها الفعلية في أوروبا^(٢) نتيجة لذلك البؤس والفقر المدقع . وفي عامي ١٧٨٣ ، ١٧٨٤ كان القحط شديداً جداً ، حتى أن الباشا استنجد بمولاي محمد سلطان مراکش الذي كانت تربطه بأسرة القرمانليين علاقات ود وثيقة منذ أن مر بطرابلس وهو ذاهب إلى مكة لأداء فريضة الحج وعودته منها ، تلك الصداقة التي توثقت عراها بعد ذلك الاستقبال الذي لقيه ابنه مولاي يزيد عند ذهابه لأداء فريضة الحج في سنة ١٧٧٩ والسنوات التالية ، ولذلك أرسل سلطان مراکش مبالغ من المال وسفنأ

(١) المراد بكلمة « قوافل » ما هو التنقل بين مختلف موانئ حكومة نيابة الغرب وبين هذه وموانئ الشرق الخاضعة للدولة العثمانية وكان هذا التنقل يتم دائماً تحت العلم الفرنسي
(٢) ش . ل . فيرو ، الكتاب السابق الذكر ص ٢٧٣ - ٢٧٤

مشحونة بالغلل^(١) عدة مرات وحذا حذوه « بيك » تونس^(٢) .

وكانت تحتفظ طرابلس ببعض الصلات التجارية مع مدينة ليفورنو ، وكان اليهود يحتكرون هذه التجارة ويستوردون كل عام من هذه الميناء الحرة التي كانوا يتمتعون فيها بحماية واسعة النطاق ، بضائع تبلغ قيمتها من أربعة إلى خمسة ملايين من الليرات ، وكادت التجارة مع البندقية ومالطة ومارسيليا تصبح في حكم العدم ، أما المنتجات التي كانت تصدر من طرابلس فقد كانت تشمل خلاف الملاح المستخرج من بوكاش ، والصدرا المستخرجة من صبراته وزواره الحصير والزعفران والجلود والاسفنج . وكان التجار العرب الشركاء مع اليهود ، يحتفظون بعلاقات تجارية مع سوكنه وفزان وأغاديس . وكان عدد الأرقاء والرقائق الذين يؤخذون من هذه البلاد يبلغ حوالى الألف في العام .

لم يكن على القرماني في الواقع رجلاً يستطيع الصمود أمام مثل هذه المشاق ، فقد كان يامر وينهى ولكنه لم يكن مطاعاً . وكان سيداً لمناطق واسعة لا تدر عليه أى شيء ، يعيش فى بؤس وشقاء ، بينما كان فى إمكان إدارة حكيمة أن تمهد له طريق اليسر والرخاء ، وكان ملازماً لحريمه ، منغمساً فى ملذاته وحببه للنساء ، وعلى الأخص السودارات ، مدمناً للشراب والخور والمسكرات ، وبلغ به الأمر أنه كان يقوم بتقطير المشروبات الروحية لاستعماله الخاص ، ولم يكن يقيم المباني ولا يقوم بالإصلاحات ، بل كان يدع كل المباني تنهار ، وكان يسيطر عليه كل من كان حوله من الإنكشارية الذين كانوا يملكونه لكي يكونوا أحراراً فى العمل باسمه ، وكان أولاده لا يقيمون له وزناً أو يعملون له حساباً وحتى اليهود استطاعوا

(١) س ١ تولى ، ترجمة ماك كارثى ، الكتاب السالف الذكر ، جز ١٠ ، ص ١٥٨ -

١٥٩ . وخطابات القنصل ج . ف . لوختر بتاريخ ٢٤ مارس سنة ١٧٨٢ و ٥ مايو و ٢٨

يوليو سنة ١٧٨٤ و ٣ مارس سنة ١٧٨٧

(٢) خطاب القنصل ج . ف . لوختر بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ١٧٨١

حماية مصالحهم عن طريق إحدى محظياته ، التي كان يطلق عليها اسم
المملكة « استر » .

أما أعيان المدينة الذين رأوا أثناء حكمه كل موارد الرمح في البلا - قد
نضبت ، وكل خيراتها قد نفذت ، فإنهم أصبحوا شديدي الرغبة في
إحداث تغيير في الحكومة فضلاً عن أن الباشا الذي كان يسيطر عليه
القلق النفسي والتعب البدني قد انحطت قواه ، ونفذ صبر ابنه الأكبر حسن
بك الذي كان رجلاً على الهمة جم النشاط وأراد أن يخلفه ، وكان
يمارس الإدارة الحكومية لحسابه الخاص ، وكان الجميع يطيعونه ويخشونه .
أما ابنه الآخران فقد كانا يحكمان المناطق الخصبة ، إذ كان نجله الثاني قائداً
لزواره ، أما ابنه الثالث يوسف فكان قائداً لزنزور . ولم تكن علاقات
الصفاء تسود الأخوة الثلاث ، ولم تكن الغيرة التي تفرق بينهم غريبة على
أحد ، لأنها كانت تبدو بوضوح وجلاء في كل مناسبة . فعندما أصيب
الباشا في ديسمبر سنة ١٧٨٧ بداء الشلل وفقد كل قدرة على تحريك زراعته
وساقه مدة من الزمن ، تحدث الناس عن احتمال تنازله عن العرش لصالح ابنه
حسن بيك ولكن هذا الاقتراح لقي أشد معارضة من ابنه الآخرين
والمقربين إليه^(١) . غير أن شفاه الباشا السريع سرعان ما قضى على هذا المشروع
ولكنه لم يقض على الحقد الذي أثاره في نفس الأخوين ضد أخيهما الأكبر
وخاصة الأخ الثالث يوسف . ففي أثناء حفلة من حفلات عيد الفطر ،
بينما كان القناصل في القلعة في قاعة الاستقبال دخل الأمراء الثلاثة فجأة
مع ضباطهم وحرسمهم مسلحين تسليحاً غير معتاد ، وكان كل واحد منهم
محاطاً بحرسه الخاص ، ودخل كل منهم على حدة لتقبيل يد الباشا الذي
استقبلهم بمظاهر الخوف والاضطراب ، وكان الأمراء ثلاث مجموعات
منفصلة ، وتحدثوا مع القناصل ورجال البلاط بكل حربة كما جرت بذلك
عادتهم ولكن دون أن يلتفت أحدهم للآخر ، وبعد وقت قصير انسحبوا

(١) خطاب القنصل ج . ف . لوختر بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٧٨٧

بنفس النظام كما دخلوا^(١١) . وكانت والدتهم اللالا حلالمة تتألم كثيراً من مسلكهم وموقفهم إزاء بعضهم البعض ، وتعمل كل ما في وسعها لإعادة التوفيق بينهم . وقد نزل حسن بك على إرادة أمه وإصرارها وإلحاحها . ولم يكن هذا هو حال أخويه حتى أنه عد أن قدم الدليل تلو الدليل على أناته وصبره ، دعاهما صراحة إلى الألا يجعلاه يضع صبره موضع تجربة قاسية^(١٢) . ومن جهة أخرى فإنه لم يكن يؤمن بأن أخويه جديران بالتوقف في وجهه بالفعل ، وكانت نفسه تأبى أن يتخذ الاحتياطات منهما ، فكان يتحدث إليهما وإلى رجالهما دون خوف ، وكان ضباطه يشفقون عليه من ذلك إشفاقاً كبيراً . وكان أشد إخوته عداً له هو أخوه الأصغر يوسف الذى كان لا يخفى خصومته له ، فقد كان رغم صغر سنه شجاعاً ، قوى الشكيمة شديد المراس ، قاسى القلب ، وكان « البيك » ، يعتذر أمام الأجانب عن هفوات أخيه وسلوكه ويبدى إعجابه بشجاعته ويدافع عنه أمام من يتهمون به ، ويطلق عليه اسم الشاب الجرى^(١٣) .

كان كل شيء يوحى بالخوف من أن يقوم الأخوان الصغيران عند موت الباشا بمنازعة « البيك » فى وراثة العرش بكل وسيلة من الوسائل ، وقد بدأ ذلك واضحاً جلياً ، سواء أثناء مرض الباشا ، أو بعد أن تم شفاؤه ، عندما استطاع أحمد ويوسف أن يجعلاه يشك فى أن « البيك » يريد خلعاه عن العرش^(١٤) ، أو عند ما رفض الأميران فى آخر الأمر الاشتراك تحت قيادة أخيهما الأكبر فى الحملة التى قادها فى الشهور الأولى من سنة ١٧٨٩ ضد بعض القبائل المتمردة^(١٥) .

(١) ر . تولى ، ترجمة ماك كارثى ، الكتاب السالف الذكر ، جزء ١ من ٢٧٣ - ٢٧٦

(٢) انظر المرجع السابق

(٣) ر . تولى ، ترجمة ماك كارثى ، الكتاب السالف الذكر ، جزء ١ من ٣٠١

(٤) خطاباً المنصل ج . ف . لوخترى ٢٨ ديسمبر سنة ١٧٨٧ و ٣ مارس سنة ١٧٨٨

(٥) ر . تولى ، ماك كارثى الكتاب السالف الذكر ، جزء ٢ ، ص ٥ .

وقد هزمت هذه القبائل التي ثارت بإيعاز من سيف النصر هزيمة منكرة واضطرت للخضوع والاستسلام^(١).

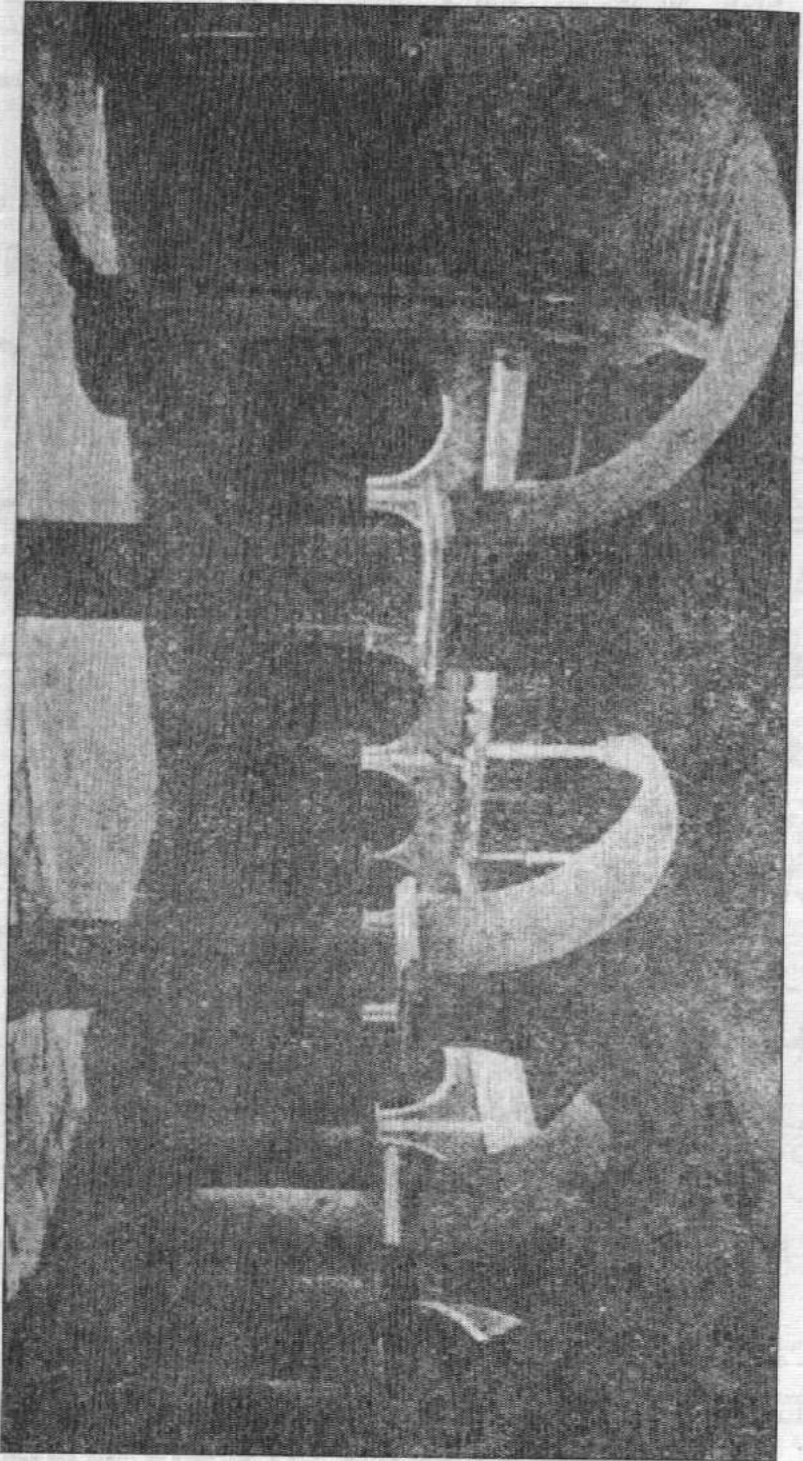
وعندما عاد البيك ، إلى طرابلس ، استقبله أبوه استقبالا حافلا وذهب الأميران في مظاهرة كبيرة إلى مسجد أحمد باشا^(٢).

هذا وأن الانتصار الذي أحرزه « البيك » لم يكن من شأنه إلا زيادة حقد أخويه اللذين كانا في الواقع على خلاف فيما بينهما ، ولكي يمنع الباشا أبناءه من الدخول في نزاع سافر ، أمر ابنه يوسف بالذهاب إلى منزله في الريف وأطاع الابن أمر أبيه وهو يخفي استيائه وحنقه ، واستعد للتخلص من أخيه الأكبر والاستيلاء على السلطة . وكان واثقا من تأييد عامة الأهالي له كما تأكد من تأييد خليل بن عون رئيس منطقة يفرن وأحد مشايخ الحاميد ودخل المدينة في يوم ٢٠ يوليو سنة ١٧٩٠ مع حاشية أكثر عدداً من الحاشية المعتادة ، وتوجه إلى القلعة بحجة زيارة والديه - وأثناء لقائه لأمه صرح لها بأنه يريد الصلح مع أخيه ، ورجاها في أن ترسل في طلبه حتى يتم التوفيق بينهما في حضرتها . ولما كانت الأم تتمنى سرعة إتمام هذا الوفاق فإنها أرسلت إلى البيك ترحوه في الحضور إليها ، فأجاب حسن دعوة أمه حيث قتله أخوه يوسف بين ذراعيها ، وبعد أن ارتكب يوسف هذه الجريمة أسرع بالخروج من مسكن أمه ، وعندما قابل الكرخيا الكبير طعنه بخنجر ، وخرج بعد ذلك من القلعة ولجأ إلى بيته الريفي يتبعه رفاقه^(٣).

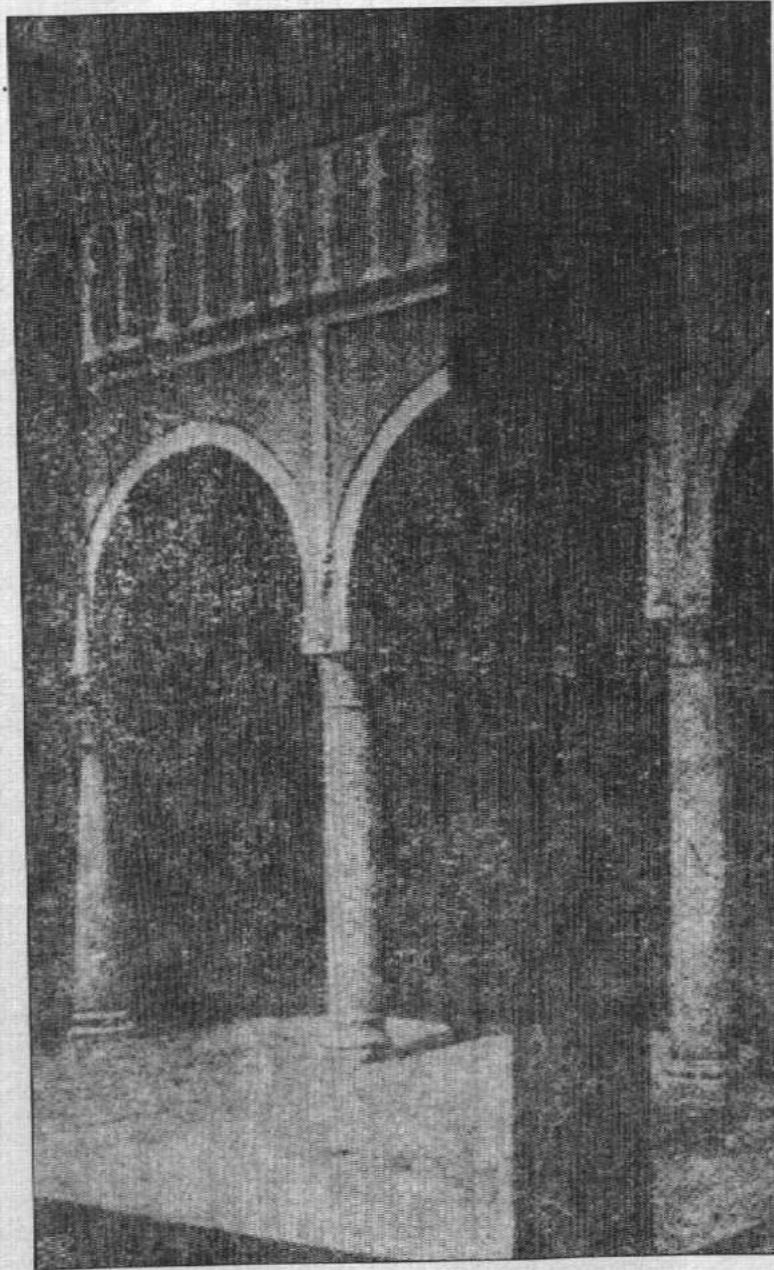
(١) خطاب الفنصل ج . ف . لوخر ٣٠ يناير سنة ١٧٨٩

(٢) ر . تولى ، ترجمة ماك كارثي ، الكتاب السالف الذكر ، جزء ٢ ، ص ٥٦ - ٥٧

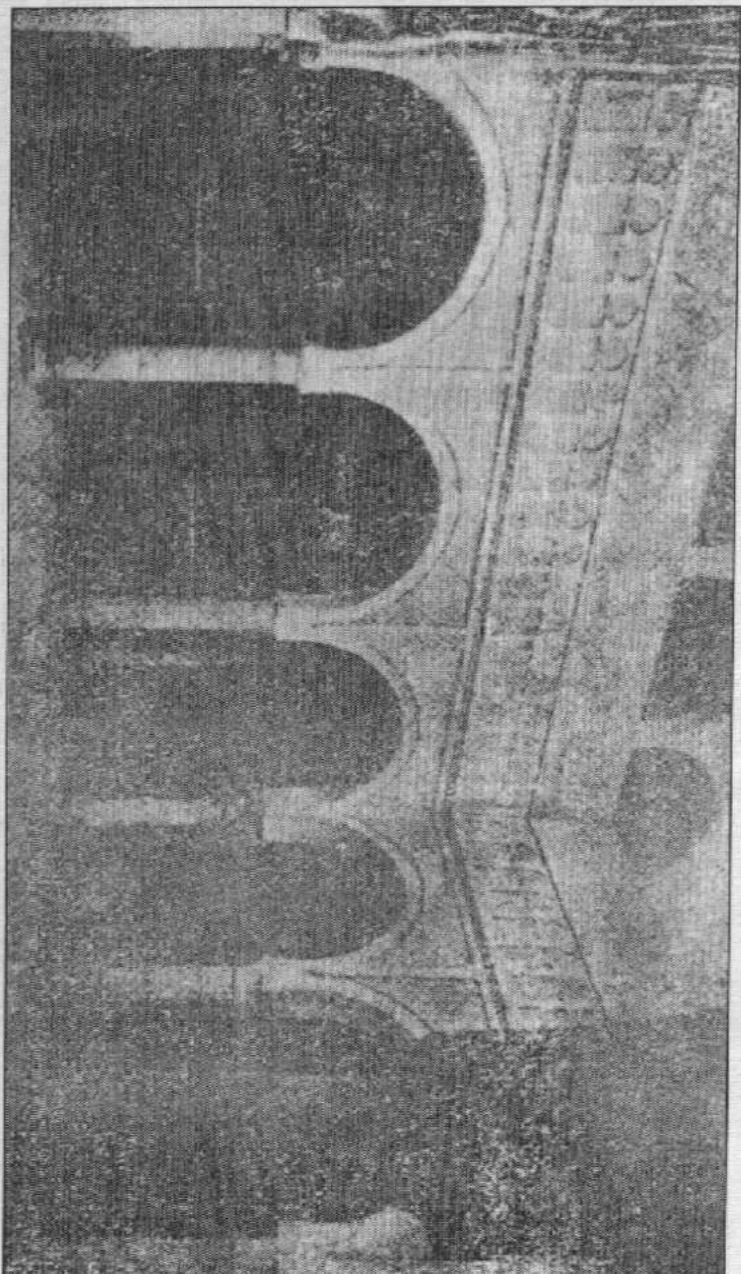
(٣) عند وصول يوسف إلى القصر توجه إلى مسكن أمه وصرح لها برغبته في الصلح مع أخيه الأكبر . وطلب منها أن ترسل في البحث عن « البيك » حتى يتم صلحها في حضورها . ولما كانت لا حالومة تود أن يستتب الصلح بين أولادها أرسلت في الحال رسالة سرية إلى البيك لتخبره بأن أخاه « سيدى يوسف » موجود في هذه اللحظة معها دون سلاح وينتظره لإتمام هذا الصلح معه ، وأنه إذا كان « البيك » يشعر نحوها ببعض الحب يذهب إليها في الحال دون سلاح .



صحن القرماندين بقلمه طرا ايلس



الصحن الاسباني بقلعة طرابلس



قلعة طرابلس — الصحن الأسياني
قتل يوسف القرمانلي أخاه حسن باي في إحدى حجرات هذا الصحن

وقد أثار خبر مقتل «البيك» في المدينة كثيراً من الاضطراب والارتباك والرعب، ولم يكن هذا الخرف مقصوراً على أنصار القتل الذين كانوا يخشون سوء المصير، فإن أقاربه وأصدقاءه وكبار المواطنين ما كانوا ليجرؤوا على التعبير عن ألمهم عندهما دُفن سيدهم في عصر ذلك اليوم (١).

لم يفعل الباشا شيئاً للقاتل، واكتفى بأن أرسل في طلب ابنه الثاني أحمد الذي كان غائباً عن طرابلس، وأصدر بياناً أكد فيه بعد أن ابتهل إلى الله يطلب الرحمة والسعادة في الحياة الآخرة لابنه الشهيد، أنه لن يلقي أحد من عباد الله المؤمنين معاملة سيئة أو تقع عليه أية إهانة.

ولما رأت «لا لالومة» أن البيك عند حضوره إلى مسكنها يحمل سيفاً رجمته أن يضعه جانباً قبل البدء في الحديث، وأكدت له من جديد بأن أخاه لا يحمل سلاحاً وعندئذ سلم «البيك» سيفه بسهولة إلى أمه فوضعت فوق إحدى الأرائك التي كانوا يقفون بالقرب منها. ولما كانت «لا لالومة» مفتحة كل الافتتاح بإخلاس «البيك» في نواياه ومخدوعة كل الانخداع في نوايا «سيدي يوسف»، فقد دعتهما لتجلس على الأريكة وجلست جنبهما ممسكة بيد كل منهما في إحدى يديها. وبمجرد أن جاسوا حاول «البيك» أن يقنع أخاه بأنه ليس له أولاد ويعتبر سيدي يوسف وسيدي حامد كأولاده، وأنه عند اعتلائه العرش سيما ملهما دائماً على هذا الاعتبار. وقد صرح سيدي يوسف بأنه «سرور بهذا التصريح، ولكنه لكي يجعل لا لالومة سعيدة كل السعادة قال بأنه يعتقد أن البيك إن يكون لديه أي اعتراض أن يتحم هذا الصلح بخلف لمن على القرآن. فأجابه البيك قائلاً «من صميم قلبي» فوقف سيدي يوسف بحمد وطب القرآن بصوت عال وتصد بذلك طلب المسدس من خصيانه، فآخضروه له في الحال فأخذه وأطاعه على أخيه الذي كان جالساً إلى جانب أمه فخرج بعدها عندما مدت ذراعها لتحمي «البيك» الذي أصابه الرصاصة في جانبه فتاه في الحال، وتناول سيفه من على النافذة وطعن به أخاه طعنة لم تجرحه إلا جرحاً خفيفاً في وجهه، وعندئذ أطلق عليه سيدي يوسف طلقة ثانية من مسدسه نفذت من جسمه وعندما رأى سيدي يوسف أخاه يسقط صريعاً نادى عبيده وقال لهم هاجوذا «البيك» أجهزوا عليه فجرؤه في الحال من المكان الذي كان لا يزال يردد فيه أنفاسه وأطلق عليه كل منهم طلقة من البارود «س. تولى، ترجمة ماك كارثي، الكتاب السالف الذكر جزء ٤ ص ١٠٢ وما يابها»، وتقول إحدى الروايات المحلقة أن البيك حسن قد نزل في بهو يطل على القناء الاسباني بالقلمة.

(١) خطاب القنصل ج. ف. لوختر بتاريخ ٢٠ يوليو سنة ١٧٩٠، دفن «البيك» حسن في المقبرة الملحقة بمسجد أحمد باشا وكتب على مقبرته «اللهم ادخل في جنتك حسن بك ابن علي بن محمد باشا ابن أحمد باشا انقرمانلي الذي توفي شهيداً في شهر ذو القعدة سنة ١٢٠٤ هجرية».

وقد وصل أحمد في المساء إلى المدينة بحرس يبلغ عدده بضع مئات من الرجال المسلحين ، وعندما علم أن أباه دعا القاتل للنوجه إلى القلعة وأرسل إليه مسبحته كدليل على الأمان ، ذهب إليه لكي يحتج على ذلك ، ولكن يطلب منه الاعتراف به « بيكا » فراوغ على باشا ، ثم صرح بأنه على استعداد للوفاق على هذا الطلب إذا ما وافق يوسف على ذلك . وبعد مقابلة بين الأخوين عين أحمد في منصب بيك في يوم ٣٠ يوليو^(١) . وكان يتحتم على يوسف أن ينتقل إلى مصراته حسب ما تم من اتفاقيات ، ولكن سكان هذا الإقليم صرحوا بأنهم لا يقبلونه ولا يريدونه قائداً عليهم ، وحذر سيف النصر الباشا بأنه لن يتساح في أي هجوم عليه ، وعندئذ دفع يوسف أباه إلى إرسال حملة بقيادة « البيك » حتى يعاقب أعداءه بهذه الوسيلة ويفرق بين أخيه وأنصاره ، وقد حاول أحمد الامتناع والدفاع عن نفسه ، ولكن كان يجب عليه أن يطيع والده ويتولى قيادة الحملة التي أدت إلى هزيمة أهالي مصراته وحثيقهم سيف النصر وإرغامهم على الخضوع والتسليم .

لم يستمر الوفاق بين الأخوين طويلاً ، إذ انسحب يوسف إلى منزله في الريف وتحصن فيه وأخذ يجمع الرجال المسلحين .

وفي ليلة ٢٣ يونية سنة ١٧٩١ حاول يوسف الاستيلاء على مدينة طرابلس بالقوة ، ولكن أحداً كان قد سلاح الأهالي ، وتلقى مدداً من الرجال من مصراته ، واعتُبر يوسف ثائراً ، وبدأت المدينة إذ ذاك كأنها في حصار ، وقام يوسف بمحاولات جديدة للاستيلاء عليها ولكن دون جدوى ، وبدأت عندئذ فترة من فترات الضيق الشديد للمواطنين الذين وقعوا بين الخوف الذي أثاره يوسف بينهم وخوفهم من أولئك الرجال المسلحين الذين جاؤوا من الجبل للدفاع عن المدينة .

وفي بداية عام ١٧٩٢ كانت الحكومة تعاني ارتباكاً شديداً ، إذ انضم أهالي أمسللاته إلى يوسف وأخذوا في تقوية جيوشه ، حتى تعددت الهجمات

(١) خطاب القصل ج . ف . لوخذ بتاريخ ٢٠ أغسطس سنة ١٧٩٠

وتلاحقت المناوشات ، وعندئذ أعلن الباشا عن مكافأة لمن يأتيه برأس ابنه
الشائر المتمرد ، وطلب النجدة من بيك تونس ، ولم يتحسن الموقف بعد
وصول صهره « بيك » بنغازى ومعه النقود والمؤن والإمدادات التي كان
يقودها « أغا » مصراته .

وعندما اشتد سحق أعيان المدينة من طول الحصار ، ومن المخاوف
المسيطرة على حياتهم ، ومن النقص الكبير في المؤن والأغذية ، أرسلوا
عرائض إلى القسطنطينية التمسوا فيها من السلطان أن يرسل جنوده لإقرار
النظام وإعادة الطمأنينة والأمان الى البلاد (١) .
وكان لا بد من أن يلقي هذا الالتماس أذناً صاغية .

(١) خطاب من السنيور « بلاتو Bellato » فنصل جمهورية البندقية والقائم بأعمال
القنصلية الداعمركية بتاريخ ٣٠ يوليو سنة ١٧٩٣

الفصل السادس

على برغل يسول على طرابلس عودة القرمانيين وحكم احمد الثاني

عندما اعتلى السلطان سليم الثالث عرش الإمبراطورية التركية كان مصمماً كل التصميم على النهوض بتركيا من كبوتها ، وبعد عقد صلح ياسي Jassy عزم على تعديل مشروع الإصلاح الذي كلفه فيما بعد عرشه وحياته . وكان حسن باشا الجزائرلى عدو القرمانيين اللدود قد مات في أواخر سنة ١٧٩٠ وذهب ضحية الاضطرابات التي قامت في القسطنطينية على أثر إعلان سقوط مدينة اسماعيل ، في أيدي الروس . ولكن برنامج الذي كان يرمى إلى إعادة سيطرة الباب العالي الفعلية على الدول التابعة له ، كان قد أصبح موضع تنفيذ وزراء سليم الثالث ، فقد وصلت مطالب أعيان طرابلس التي أرسلوها إلى الباب العالي في الوقت المناسب ، وكان من اللازم لإعادة فتح طرابلس الغرب وطرد القرمانيين منها القيام ببذل مجهود حربي كبير ، وهذا ما جعل السلطان يتردد في القيام بمثل هذا العمل .

وقد خلاصه من تردده هذا مشروع وضعه رجل مغامر جرى ، اسمه على أفدي وهو انكشاري من بلاد جورجيا أقام في الجزائر حيث عمل بحاراً مغامراً ، ثم وصل إلى منصب رئيس البحرية ، وبعد أن فقد مركزه لجأ إلى القسطنطينية حيث أقام عند أخيه الذي كان نائباً لأميرال الأسطول العثماني (١) والذي شجعه على القيام باسترداد الولاية (طرابلس) وإعادة إقرار النظام بها ، وتعمد بإعداد الحملة على نفقته الخاصة ، كما تعهد بأن يدفع للباب العالي الجزية السنوية بانتظام إذا نجح المشروع .

(١) خطاب الفصل الإنجليزي س . لوкас S. Lucas بتاريخ ٨ أغسطس سنة ١٧٩٣

ولم تشأ الحكومة التركية أن ترتبط بشيء بطريقة علنية ، ولكنها وافقت على أن يقوم بهذا المشروع لحسابه وتحت مسؤوليته .

ومع ذلك فقد استخدم «قبودان باشا» نفوذه للحصول على بعض السفن وما يلزمها من البحارة الذين كانوا يتألفون من مرتزقة من جميع البلاد وكلمهم رجال لا عمل لهم ، متمطشون إلى النهب والسلب (١) . واجتمع الأسطول الصغير المكون من ثماني سفن صغيرة في ميناء مودوني Modone ، ثم أقبل منها إلى طرابلس .

وبينما كان يوسف يضاعف قوائمه لإخضاع مدينة طرابلس لسلطته ، ويزيد كل يوم في قذفها بالقنابل والهجوم عليها . ظهر فجأة في يوم ٢٦ يولية سنة ١٧٩٣ أمام الميناء أسطول صغير يتألف من ست سفن صغيرة مسلحة تحمل العلم العثماني ومن سفيتي نقل إحداهما من سفن البندقية والأخرى زورق أسباني .

وما أن ألقى الأسطول مراسيه حتى نزل منه قابو جي باشي ومعه حوالي ٤٠٠ رجل مسلح ، وتلا علناً مرسوماً سلطانياً (فرمانا) ، حقيقياً كان أم مزوراً ، أعلن فيه سقوط على القرماني وتولية على أفندي الذي عين بدلا منه ودعا القرماني للخضوع لأمر السلطان وهدده بقرب وصول قبودان باشا على رأس أسطول كبير .

شعر الباشا عندئذ بشيء من همة الشباب وكان يود المقاومة ، ولكن الرعب استولى على قلوب جميع من كانوا حوله ، أما الأهالي الذين أنهكهم الحصار الطويل وكانوا يخافون الجوع إذا أغلق الأسطول التركي الميناء ، فقد أقنعهم شيخ البلد بوجوب الخضوع والتسليم (٢) .

(١) لقد أفهمونا أن الأتراك الذين كانوا على وشك الهزيمة ليسوا من القسطنطينية ، وأنهم ليسوا إلا مغارين ليس لهم أي غرض إلا النهب المدينة — وأن الأتراك الذين يحيطون بنا لا يمكن اعتبارهم بأي حال إلا جماعة من قطاع الطرق

انظر : ر. تولى ، ترجمة ماك كارثي ، الكتاب السالف الذكر ، جزء ٢ ، ص ٣٢١ و ٣٤٠

(٢) خطاب القنصل « بللاتو Bellato » بتاريخ ٣٠ يوليو سنة ١٧٩٣

وبعد أن عقد على القرماني مجلساً مع وزرائه ، ورأى أن الجميع قد تخلوا عنه ، اضطر للهرب والنجاة بنفسه . وحوالي منتصف الليل بينما كان البحارة الذين نزلوا إلى البر يحتلون الحصون دون مقاومة ، وبينما قدم كثيرون من الأعيان لتقديم التحية للباشا الجديد ، غادر على القرماني هو وابنه أحمد وضباط البلاط القلعة وخرجوا من المدينة ومعهم حوالي ٢٠٠ من أنصارهم المخلصين متجهين نحو تونس ، وبقيت زوجته « لالا حلومة » بمفردها مع بعض وصيفاتها في طرابلس لأن حالتها لم تكن تسمح لها بالسفر^(١) .

وفي صباح اليوم التالي كان على أفندي - أو بالأحرى على برغل^(٢) وهو الاسم الذي خلعه عليه الرويات المحلية - يحتل مدينة طرابلس . وعندما دخل القلعة بين قصف المدافع ، أحل العلم الأحمر التركي ذا الهلال الذهبي محل علم القرمانيين ، وصرح للجمهورين بأنه سيجعل هذه الدولة في درجة لا تقل عظمة عن دولة الجزائر ، وأنه سيقوم في الحال بإصلاح التحصينات وتسليح المغامرين وإحضار جنود عديدين من بلاد الشرق . ولم يخف عزمه على قطع العلاقات مع الدول الأوروبية الصغرى منها أروا إذا لم تتعهد بدفع نفس الجزية التي تدفعها للجزائر . وقدم الدليل على غطرسته إن لم يكن على احتقار المسيحيين عند مقابلاته الأولى للقناصل إذ أنهم عندما طلبوا الاجتماع به لتهنئته على توليه السلطة ، حدد لهم ساعة الاجتماع ، ولكن عندما حضر القنصل الانجليزي والقنصل النمساوي إلى القلعة أخبرهما بأنه يتحتم عليها ترك سيفيهما ، وخلع حذاءيهما ليقبل الباشا الاجتماع بهما وبأنه يتحتم عليهما أيضاً تقبيل يده ، وعندئذ قرر القنصلان عدم

(١) ر . تولوى ، ترجمة ماك كارثي ، الكتاب السالف الذكر ، جزء ٢ ، ص ٢٢٦

وخطاب القنصل « بلانو » بتاريخ ٣٠ يوليو سنة ١٧٩٢

(٢) على أفندي هذا الملقب بالجزائري نظراً لطول مدة إقامته في الجزائر قد لقب أيضاً باسم بلفر أو برغل ، وكلمة برغل كلمة تركية معناها التمتع السلوق - وقد أطلق هذا الاسم على على أفندي ، لأنه كان يطعم جنوده البرغل بدلاً من الأرز - وهذا ما يؤكده محمد بهيج الدين في ص ٨ ، من كتابه « تاريخ طرابلس » المكتوب باللغة التركية ترجمة ابن غلبون

استطاعتها الخضوع لهذه الإجراءات الجديدة إلا بعد رجوع كل منهما إلى حكومته ، وصرح القناصل الآخرون تصريحات مماثلة . ولقد أدى مسلك القناصل هذا ووصول أسطول انجليزى إلى الميناء إلى تخليه عن هذه المطالب . ومن جهة أخرى فإن مركز على برغل كان لا يزال مزعزعا - إذ بينما كان يوسف القرمانلى يراوغه ويعدده بالتسليم استمر في حصار المدينة ، وكان يرسل إلى أخيه يطلب منه أن يدع حقه جانبا ، ويسرع مع أعوانه وينضم إليه ضد المعتصب .

وبعد أن صحب أحمد والده إلى مكان أمين ، حضر مع عدد كبير من أتباعه ومع اثنين من أمراء المنشية وشددوا الحصار على المدينة . وسرعان ما زاد عذاب الجوع^(١) نتيجة ويلات الحرب ، ومع هذا فإن أعيان طرابلس استماتوا في المقاومة خوفا من انتقام القرمانليين منهم إذا ما نادوا إلى الحكم ، على أن عامة الشعب لم تكن لهم بما هو حادث ووقفت موقفاً فاتراً إزاء الباشا الجديد الذى عرف أنه لا يستطيع الإعتماد عليهم ، وأسرع بإرسال سفينتين من سفنه إلى القسطنطينية وأزمير لتجنيد جيوش عديدة ، وطلب من القناصل الحصول له على أسلحة ومؤن وذخائر ولكنه لم يحصل إلا على شيء قليل - ورغمما عن المدد البالغ عدده ٥٠٠ رجل الذى وصله من الشرق ، فإنه لم يكن يعتمد إلا على ثمانمائة أو تسعمائة من الأتراك وألف من الأهالى وكلمهم من المرتزقة - وبعد أن استولى على كل ما كان يملكه على القرمانلى وأسرته ، أمر بوضع القيود والأغلال فى يدي المملوك إستر ، وهددهم بالإعدام إن لم تدفع له مائة ألف قرش^(٢) حتى يحصل بذلك على ما يريد من أموال .

(١) دفع بعض الأغوات القناصل الأوربيين إلى إرسال سفينة إلى مالطة للحصول على الحاجيات الضرورية . خطابات القنصل س . لوكاس بتاريخ ١٢ و ٢٣ سبتمبر و ٢٣ أكتوبر سنة ١٧٩٣ « لم يترك الأهالى الفقراء أعشاباً ، أو جذوراً فى الطرقات دون أكالها » انظر أ . دى اجوستيني فى بحثه « وثيقة لم تنشر عن على برغل فى طرابلس » (سنة ١٧٩٣ - سنة ١٧٩٥) فى النشرة الجغرافية التى تصدرها حكومة طرابلس وبرقة بالعدين ٦ و ٥ يوابو - ديسمبر سنة ١٩٣٣ - ويناير - يونيو سنة ١٩٣٤ ص ٧٥ -

(٢) خطاب القنصل « بلانو » بتاريخ ٨ أغسطس سنة ١٧٩٣

وقد أثار هذا العمل قلقاً شديداً بين يهود طرابلس الذين كان بينهم عدد كبير من الأعوان المخلصين للقروانيين ، و حاول أحدهم وهو يوسف كوهين الذي كان يعلم سخط بعض المرتزقة الألبانيين إغراء قائدهم ليخون الباشا . ووعده بمبلغ كبير من المال مقابل أن يفتح أبواب المدينة في منتصف ليلة ١٨ -- ١٩ يناير لأحمد ويوسف القرماني ورجالهما ، ولكن القائد بعد أن تظاهر بقبول هذا الإقتراح أبلغ عن كوهين وشركائه فأودعوا السجن في صباح اليوم التاسع عشر -- ووضع كوهين ويهودى آخر فوق كومة من الأخشاب وأشعلت فيهما النيران ، كما شنت إثنان وعشرون آخرون من الطرابلسيين ، وأودع كثير من أفراد الأسرة القرمانية في السجن أو نفوا خارج البلاد بعد أن صودرت أموالهم .

ومنذ ذلك الوقت فصاعداً ، أصبح الأهالي يتوقعون ما هو أسوأ ، ولما كان التجار العرب واليهود يخافون على أموالهم أكثر مما كانوا يخشون على حياتهم ، فقد رحلوا عن المدينة أو اعتكفوا في منازلهم ، وأصبح منظر المدينة يدل على الكآبة والموت . وكان الواقع يفوق كل ما يمكن توقعه ، إذ أن حكومة على برغل كانت قاسية كل القسوة ، وكانت تستعمل العنف والتجريد من الأموال وتحكم بالإعدام لآتفه الأسباب ، كما ألزمت الطائفة اليهودية بدفع معونة مالية تبلغ ستين ألف زكيني ، وصادرت أملاك الكثير من المسلمين ، وكان يحكم بالإعدام على كل من يشبهه في أمره ، وبالجملة فقد كانت حكومة إرهابية بمعنى الكلمة ، وبقيت ذكراهما في نفوس الأهالي زمناً طويلاً (٢) .

(١) خطاب الفصل س . لوкас بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٧٩٤

(٢) لم يمض يوم دون قطع رأس بعض الأتراك والمراكشين ممن يقيمون في البلاد ، ومن القادمين من الخارج . وأصبحت الحكومة بالغة القسوة لدرجة أنها كانت تقطع رؤوس ثمانية أشخاص في بعض الأيام ، وعشرة في أيام أخرى . وكان هناك من يجرى خنقهم أو دفنهم أحياء أو يلقى بهم في النار . وكان يخرج على برغل بنفسه في الليل يتجول متنكراً حتى في خارج المدينة ، وما كان يرجع إلى القلعة مطلقاً دون أن يلوث يديه بدم إنسان . كان رجلاً بريئاً قاسي القلب ، أسوأ من نبيرون وأشد قسوة منه — هذا ما كتبه الأب ماريانو دا أوتانو =

في هذه الاثناء استمر أحمد ويوسف القرمانلي مع سبعة أو ثمانية آلاف رجل يضيّقون الحصار على المدينة ، ولم يتغير الموقف بسبب وصول قابوچى باشا من القسطنطينية يحمل إلى « على برغل » (القفطان) علامة توليه السلطة ، وقرأ علنا مرسوما سلطانيا « فرمانا » يطلب فيه من الثائرين الخضوع في مدى خمسة أيام . وكذلك قدمت له سفينة مسيحية بثلاثين مدفعا وعليها طاقم مكون من مائة وخمسين رجلا كمساعدة فعالة ، وقد استأنف الباشا بها وبغيرها من السفن أعمال الغزو للحصول على طعام للمدينة (٢) .

بدأت المفاوضات أيضاً مع أغامهراته الذي كان عدوا صريحاً ليوسف القرمانلي ، وحصل على برغل منه على وعد بإرسال الأغذية والإمدادات العسكرية ، وعندئذ تحول يوسف ضد أهل مصراته وأخضعهم ، وحاول المحاصرون فك الحصار والخروج من المدينة ، ولكن أخا يوسف ردهم على أعقابهم (٣) . ولكن يبدو أن الحظ كان قد تخلى نهائياً عن القرمانليين ، فإن الباشا استمال إلى جانبه سكان زنزور بالمال ، وأرسل جزءاً من جيوشه بحراً لكي تعسكر في تلك الجهة ، فلحقهم يوسف ، ولكنه منى بالهزيمة بعد قتال طويل وعندما تخلى عنه معظم رجاله ، اضطر إلى العدول عن القتال ، ولجأ هو وأخوه إلى تونس (٤) .

وفي يوم أول سبتمبر نودي بالمتنصر على برغل في جميع الأسواق الوطنية باشا لطرابلس (٤) .

-
- المبعوث الرسول لإرسالية الفرنسيين بطنابلس ، في ملخص مذكرات الإرسالية في طرابلس الغرب — مع حاشية تتضمن بعض الأخبار التاريخية عن هذه الإرسالية التي نشره أ . دي اجوستيني ، بعنوان وثيقة لم تنشر — المرجع السابق الذكر ص ٧٦
- (١) خطاب الفصل س . لوكلان المؤرخ في ١٢ فبراير سنة ١٧٩٤ (حاشية في ٥ أبريل)
- وخطاب فصل البندقية « بيلانو » المؤرخ في ٢٧ يونيو سنة ١٧٩٤
- (٢) خطاب فصل البندقية بيلانو المؤرخ في ١٥ أغسطس سنة ١٧٩٤
- (٣) خطاب الفصل س . لوكلان المؤرخ في ٥ سبتمبر سنة ١٧٩٤
- (٤) « » « » ١٣ أكتوبر سنة ١٧٩٤

بقي على برغل سيداً لطراباس دون منازع ، ولكن سلطته لم تكن تتعدى أسوار المدينة . وفي هذا المحيط الضيق ، كان أنصاره قليلين وغير مخلصين ، وكان يعيش بمفرده في رعب وقلق ، ولم تقف غطرسته في علاقاته مع قناصل الدول الأوروبية عند حد بعد الانتصار الذي أحرزه على القرمانيين في الوقت الذي كان مصير المدينة لا يزال مجهولاً ، فقد أعلن أنه لن يراعى الاتفاقيات التي عقدها أسلافه ، وقدم مطالب جديدة مبالغاً فيها لإقرار السلام .

وحاولت الحكومة الأسبانية وحكومة نابلي رغبة منهما في إقامة علاقات طيبة معه - لتجنب الأضرار الناشئة عن استئناف أعمال الغزو حاولتا إرضاءه فقدمتا له المهبات اللازمة والعمال لإصلاح سفنه وتسليحها ، كما قدمتا له كميات كبيرة من الحبوب أثناء الحصار وبعده^(١) .

أما الحكومات الأخرى فقد بقيت في انتظار ما تأتي به الحوادث .

وعندما وصل القنصل الانجليزي ، على أثر نزول على برغل إلى البر مباشرة ، لم ير من المناسب أن يقدم إليه الهبات المعتادة ، أما القنصل الفرنسي الذي لم تؤيده حكومته فإنه اضطر لاتباع سياسة حازمة فقدم احتجاجات على الأعمال المخالفة للاتفاقيات المعقودة مثل مسأله حماية الباشا لآباء الإرساليات الدينية الذين رفضوا الاعتراف بحماية أمة حكمت الكنيسة بحرمانها ، وذلك بعد إعلان الجمهورية في فرنسا .

وكان على برغل يشعر بحقد شديد على رئيسي الحكومتين الأخرتين^(٢) المجاورتين في إفريقية وعلى الأخص على بيك تونس ، سواء بسبب استضافته لآل القرمانيين ، أو لأنه كان يخشى تدخلهما في الشؤون الطرابلسية . وقد دل على ما كان يشعر به من حقد أمره إحدى سفن المغامرة التونسية المسلحة بثمانية وعشرين مدفعاً وعليها طاقم مؤلف من مائتي رجل .

(١) خطاب القنصل س . لوкас المؤرخ في ١٢٠ أكتوبر سنة ١٧٩٤

(٢) يقصد تونس والجزائر

وكانت هذه السفينة قد اضطرت بسبب العواصف إلى الالتجاء بميناء طرابلس^(١) وقرر علناً بأنه يريد أن ينتزع من بيك تونس صفاقس وسوسة وموناستير والحمامات فضلاً عن جزيرة جربة . وعندما شعر على برغل بالقوة والانتعاش بسبب الانتصار الذي أحرزه أخذ في الاستعداد لتنفيذ مشروعه .

وفي يوم ٢٤ سبتمبر أفلعت سبع سفن مسلحة من طرابلس متجهة نحو جزيرة جربة تحمل حوالى الألف رجل بقيادة قره محمد الذي كان فيما مضى خازن داراً بالجزائر ، بينما تحرك حوالى ألفين من النوائل برأ نحو نفس الاتجاه^(٢) وقد نجحت الحملة تماماً ، إذ بينما كان الأسطول الصغير يستبسل في مرسى رامبا Marsa Ramba انتهز النوائل فرصة جزر البحر ، وعبروا القنال الذى يفصل الجزيرة عن البر ، ولم يستطع أهالى الجزيرة الذين أخذوا على غرة المقاومة ، وتمكن قائدهم من الهرب وقد استمرت أعمال النهب والسلب حتى اقتضى الأمر وجود خمس سفن لنقل الأسلاب^(٣) .

وعندما علم بيك تونس محمود باشا بنجر احتلال جزيرة جربة استعد للانتقام من هذه الإهانة ، فإنه إذا كان قد استقبل على القرمانلى وأولاده بكل ترحاب ، فإنه لم يكن يريد قط بأية حال التدخل فى شئون الحكومة المجاورة ، فجمع باشا تونس قوات كبيرة لاسترداد الجزيرة ولإعادة القرمانليين إلى الحكم .

وفي يوم ٢ نوفمبر سنة ١٧٩٤ بينما كان الأسطول التونسى يقلع تجاه

(١) خطاب القنصل س . لوكل المؤرخ فى ١٢ فبراير سنة ١٧٩٤

(٢) كان النوائل أعداء لأهالى جربة منذ القدم ، ومن المحتمل أن يكون على برغل قد ضمهم الى جانبه بوعده بإيهم بإسرا كهم فى الحملة على الجزيرة . خطاب القنصل ر . ف لوخز من ليفورنو Livorno - المؤرخ فى ٣١ أكتوبر سنة ١٧٩٦

(٣) خطاب القنصل ج . ف . لوخز السالف الذكر - وخطاب القنصل ر . لوكل المؤرخ فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٧٩٤

جربه كانت تتحرك أيضاً حملة البيك وقوامها نحو عشرين ألف رجل بما فيهم أحمد ويوسف القرمانلي بقيادة مصطفى خوجه . وبعد استرداد جزيرة جربه التي أخلاها قره محمد عند اقترابهم منها ، اخترقت القوات التونسية الحدود وتقدمت في الأراضي الطرابلسية وعسكرت على طول طريق الرؤساء الموالين للأسرة الحاكمة المعزولة .

وقد وصل جيش التحرير الذي ازداد عدده حتى بلغ ثلاثين ألف رجل إلى قرب المدينة في يوم ١٦ يناير سنة ١٧٩٥ ، واحتل المنشية والساحل وتاجوراء أثناء الليل .

وفي صبيحة اليوم الثامن عشر حاولت القوات التي استطاع على برغل جمعها فك الحصار والقيام بهجوم مضاد ، ولكن بعد مناوشات قصيرة المدى عادت الهجمات إلى المدينة ثانية وزحف الغزاه وبدموا هجومهم بقصف المدينة بالمدفعية وضربها بالقنابل .

وعندما رأى على برغل أنه من المستحيل عليه أن يستمر في المقاومة ، وشعر أن الجميع قد تخلوا عنه ، لم يفكر إلا في الهرب ، واستعد للرحيل من حيث أتى كأحد المغامرين . وكان قد أمر بترحيل ثلاث سفن مشحونة بالفواكه والمؤن .

وفي ليلة ١٨ / ١٩ يناير دلاً على برغل سفينتين بما سلبه من القلعة ، وبعد أن ارتكب آخر عمل من أعمال القسوة بذبحه الرهائن والأسرى ، أبحر مع رجاله ورفع شراعه متجهاً نحو مصر^(١) .

(١) خطابا الفصل ج . ف . لوخر من ليفورنو المؤرخين في ٢٢ ديسمبر سنة ١٧٩٤ و ١٣ فبراير سنة ١٧٩٥ وخطاب الفصل س . لوكاس المؤرخ في ٦ فبراير سنة ١٧٩٥ . راجع فضلاً عن ذلك فيما يتعلق بحكم على برغل ل . فيرو (الكتاب السالف الذكر ص ٨٩ و ٩١ و ر . تولى الكتاب السالف الذكر ، مجلد ٢ ، صفحة ٣٧٦ وما يتبعها ، ج . مدينا Medina « القرمانليون في طرابلس الغرب واحتلال على برغل المؤقت لطرابلس » . في مجلة تونس ، عدد ١٤ ، سنة ١٩٠٧ ، صفحة ٢١ وما يتبعها و ب . روى « وثائق عن حملة طرابلس في سنة ١٢٠٩ هجرية » (١٧٩٥ م) في مجلة تونس ، عدد ١٣ ، سنة ١٩٠٦ ، صفحة ٢٨٣ وما يتبعها ، ر . دي اجوستيني « وثيقة لم تنشر » السالف ذكرها .

وما أن ذاع نبأ هرب المغتصب في صبيحة اليوم التاسع عشر بين المحاصرين في المدينة حتى بدأ هؤلاء في النزاحم على أبوابها ، ولكن الأهالي الذين كانوا يخشون خروج عدد كبير من الجنود عن حدودهم وتعطشهم إلى السلب والنهب ، رفضوا فتح أبوابها واستعدوا للدفاع ، ومع هذا فقد كانت المقاومة أمراً مستحيلاً ، وكان النهب أمراً لا بد منه لو لم يقيم أحمد ويوسف القرمانلي بجعل مصطفى خوجه يعلن الأمان للمدينة نظير دفع مائة ألف محبوب . (أى ما يقدر بنحو ٥٠٠ ألف قرش) .

وفي اليوم التالي دخل أحمد ويوسف المدينة دخول الفاتحين في احتفال مهيب ، واستقبلهما الأهالي بمظاهرات الفرح والسرور ، ونودي بأولهما الذى تنازل له أبوه على باشا عن العرش باسم أحمد الثانى (١) . تلقى الباشا الجديد تحيات القناصل ، كما تقبل بالغبطة تلك الهدية التى لم يسلمها القنصل الانجليزى لعلى برغل وذلك فى اللحظة التى اشتدت فيها حاجته .

وفي يوم ٢٦ يناير عادت الحملة التونسية ثم عاد على قرمانلي باشا إلى طرابلس على ظهر سفينة حربية انجليزية (٢) بعد حوالى شهر . ولم يكن من الممكن لأحمد القرمانلي الاحتفاظ بالسلطة طويلاً إذ بينما كان ينتظر التولية من المملطان الذى كان قد اتجه إليه منذ ٣١ يناير ، وعرض عليه حالة حكومة على برغل السيئة ، وطلب منه الموافقة على توليته باشا لطرابلس ، وهى المدينة التى كان يتوارثها آل القرمانلي ، رغم ذلك ، كان الباشا الجديد يهمل شئون الحكومة وينهمك فى المسرات ، كما لو كان يريد أن يجد فى الملذات وعلى الأخص فى التبيذ ما ينسيه الأيام الحزينة التى قضاه فى المنفى . وقد عرف كيف يستفيد يوسف الظموح العنيد من السخط العام

(١) خطابات القنصل ج . ف . لوختر من ليفورنو المؤرخة فى ١٣ فبراير و ٣ أبريل

سنة ١٧٩٥ وخطاب القنصل س . لوكلس المؤرخ فى ٦ فبراير سنة ١٧٩٥

(٢) خطاب القنصل س . لوكلس المؤرخ فى ٢٨ فبراير سنة ١٧٩٥

(٣) نفس الخطاب السابق

على مسالك أخيه، فقد أبدى هذا الرجل الشجاع الذى لا ضمير له، والذى كانت لاتعوزه الصفات اللازمة للحصول على محبة الشعب فى بلد مثل طرابلس، أبدى عدم رضائه على ترك كل شئون الحكومة وإهمالها، وجعل الناس يفهمون أن فى إمكانه إنقاذ البلاد من الحراب إذا حل محل أخيه. وكان هناك كثيرون من الناس يثقون فيه ويرغبون فى أن يتولى مقاليد الحكم.

وكان أحمد محتاطاً لنفسه، فلم يكن يخرج من أسوار المدينة دون أن يأخذ يوسف معه خوفاً من أن يقوم فى غيابه بعمل انقلاب مفاجئ، ولكن هذا أيضاً لم يجد نفعاً، إذ أنهما عندما كانا معاً فى المشية فى الفترة من ١ إلى ١١ يونية حدث شجار بينهما، فجرى يوسف إلى المدينة وأمر أتباعه بإغلاق أبوابها فى وجه السكير الكبير. وسرعان ما نادى به أعوانه رئيساً لدولة نيابة طرابلس الغرب، وأيده أبوه فى اعتلائه العرش الذى اغتصبه من أخيه (٢). وقد طلب أعيان المدينة من بيك تونس أن يتفضل بالتدخل لدى السلطان حتى يوافق على تولية يوسف، ورجا قنصل فرنسا فى طرابلس السفير الفرنسى فى القسطنطينية أن يعمل لهذا الغرض ويهتم بهذا الأمر.

وقد منح يوسف أخاه المعزول منصب بيك بنغازى ودرنه (٣)، وقبل أحمد هذا المنصب وأبحر إلى بنغازى، واضطرت له عاصفة هوجاء إلى الالتجاء إلى جزيرة مالطة فلم يواصل السفر ثم انسحب إلى تونس رافضاً المنصب الجديد (٣).

(١) س . تولى، نشر ماك كارثى السالف ذكره، المجلد ٢، صفحات ٢٨٣ - ٢٨٤ -

خطاب القنصل س . لو كاس فى ٢٠ يونيه سنة ١٧٩٥

(٢) خطاب القنصل لو كاس المؤرخ فى ٢٠ يونيه سنة ١٧٩٥

(٣) ٢٠ يوليو سنة ١٧٩٥

الفصل السابع

السنوات الأولى من حكم يوسف القرماني

« إنه ليحزني من أجل سيدي يوسف ومن أجل الطرابلسيين أن يحتفظ هذا الأمير بالعرش ، لأنني أخشى أن يزيد أيضاً في عدد جرائمه ويجعل حالة بلاده تزداد سوءاً .

هذا ما عبرت به سيدة إنجليزية ، كانت شاهدة عيان للأحداث التي وقعت في العشر سنوات الأخيرة ، وكانت تعرف التفاصيل الكاملة لأوساط البلاط معرفة جيدة^(١) .

إلا أن الحوادث كذبت هذه التنبؤات ، لأن يوسف عندما نجح في الوصول لمآربه واعتلى العرش ، ظهر بمظهر يخالف كل المخالفة المظهر الذي كان يبدو به حتى هذه اللحظة .

فلم تعد توجد القسوة وهي سمة أعمال حياته السابقة ، بل امتاز بصرامة عادلة كانت تشوبها في بعض الأحيان كياسة لم يكن ينتظر توافرها في أمير إفريقي . « لقد حكمت البلاد بطريقة أقل استبداداً بكثير عما كان معتقداً ، لا سيما في عهد الباشا الحالي سيدي يوسف بن علي ، الذي كان أميراً عادلاً ، متحرراً ، مسالماً ، حتى ليتمكن القول بأنه لم تكن هناك حكومة من حكومات النيابات المغربية تستطيع أن تتحدى حكومة طرابلس أو تنافسها في أعمال التمدين أو في الإنكار التحررية . »

هذا هو رأي قنصل أروبي عاش مدة طويلة في البلاد أثناء حكم يوسف القرماني^(٢) .

(١) تولى - ترجمة ماك كارثي في الجزء الثاني ، صفحة ٣٨٦ .

(٢) أ . جرابرج دي همسو Graberg de Hemso في بحثه بيان عن تجارة طرابلس الأفريقية وعلاقتها بتجارة إيطاليا المنشور في مجلة أنتولوجيا Antologia سنة ١٨٢٧ ، عدد ٣١ ، صحيفة ٧٩ وما يليها .

وقد قدم لنا الأسباني دومينجو بادياي ليبليك Domingo Badiay Leblick الذي تظاهر بأنه أمير مسلم والذي قام برحلة استغرقت مدة طويلة من الزمن في إفريقيا وآسيا وأقام بطرابلس من شتاء سنة ١٨٠٥ إلى سنة ١٨٠٦^(١) قدم لنا عن يوسف باشا الصورة التالية :

« سيدى يوسف رجل حسن المظهر يبلغ من العمر حوالى ٤٠ عاماً لا يخلو من الذكاء وحضور البديهة، يتحدث الإيطالية بدرجة جيدة، يحب الأبهة والتخففة، ويحتفظ بالوقار والحشمة دون أن يهمل المجاملة والكياسة. واقد انقضت عشر سنوات ونصف وهو متربع على العرش والشعب راض كل الرضا عنه^(٢) .

وفي الحقيقة مهما كانت آراء المعاصرين وحكمهم على اعماله فان قتله لأخيه، وتمرده على أبيه، وطريقة عزله لأخيه أحمد، والحرب التي شنها على القبائل الداخلية، ومنازعاته مع الدول الأوروبية، كل هذا يجعله الأمير القرماني الوحيد الذي بسبب طموحه الذي لا حد له، وبارادته القوية الصلبة وعدم ترده يمكن اعتباره مؤسس الأسرة .

وكان سيدى يوسف ماهراً في دس الدسائس، على استعداد للتخلص من تعهداته عند كانت مصلحته تتطلب ذلك، وكان قادراً على استخدام جميع الوسائل للحصول على المال، يمثل الطراز الأول للبلوك المغاربة الصغار الذين أنزلوا الرعب مدة طويلة من الزمن بسفن الدول الأوروبية

(١) ر . ميكاكى Micacchi R. المفاسرات الغربية التي قام بها دومينجو بادياي ليبليك، وإقامته في طرابلس الغرب في شتاء سنة ١٨٠٥ - سنة ١٨٠٦، في مجلة المستعمرات الإيطالية سنة ١٩٢٣، عدد ٨ - ٩ .
(٢) رحلات على بك العباسي في أفريقيا وآسيا من سنة ١٨٠٣ حتى نهاية سنة ١٨٠٧ ترجمة الدكتور ستيفانو تيكوزي Stefano Ticozzi، ميلانو، سونزو Sonzognو سنة ١٨١٦ جزء ٢ ص ١٨٥ .

وعندما استولى على السلطة ، كانت أحوال البلاد وعلى الأخص مدينة
طرابلس في أسوأ حال . وكانت القلعة قد نُهبت نهياً تاماً ، فاضطر للاتجاه
للقناصل الأوروبيين واستجدائهم^(١) حتى يؤثروا بالأثاث الضروري لها .
كانت مالية البلاد خالية ، فطلب من الدول أن تدفع عدايا وهدايا فوق العادة
أو أن ترسل إليه مقدماً الهدايا المعتادة ؛ فأرسلت أسبانيا إليه في الحال ١٢
ألف قرش ، فقبلها الباشا على شرط أن تدفع إليه مبلغاً أكبر عند تجديد
معاهدة الصلح^(٢) .

نجا أرسلت إليه البندقية أسطولاً بقيادة كوندلير Condulmer الذي
حمل إلى الباشا قسطين سنويين من الجزية الخاضعة باحتكار ملاحات بوكاش
وهدية لتأييد المعاهدة السابقة^(٣) .

وقد وافقت دول أخرى على طلبات يوسف باشا وحصل بذلك في أقل من
ثلاث سنوات على ما يقرب من ٣٢٠ ألف قرش .

كانت تسود البلاد فوضى شاملة فقد كانت ترتكب أعمال قطع الطرق
والسرقات في كل مكان . وعمل يوسف بكلهمة على إعادة إقرار النظام ،
فأمر بأن يحكم بالإعدام على كل من يرتكب أى عمل من أعمال الاعتداء .
وكان لشدته أحسن الآثار في القضاء على السرقة ، وقد أظهر تسامحاً
كبيراً نحو اليهود ، الذين تمتعوا بفضل حمايته بالهدوء والطمأنينة والنجاح

(١) أرسلت فرنسا ١٣ صندوقاً من الأثاث ، سجاجيد ، وشهدانات ومهايا . الخ
كانت قد نزعَت من تصور اللوك السابقين . خطاب القنصل لوكلان المؤرخ في ٢٨ يولييه سنة
١٧٩٥ ، وكان في استطاعة يوسف القرمانلي وحاشيته أن ينظموا بنجاح أثنائهم وأمتعتهم
وساعاتهم . ف شارل رو Charles Roux F.
في « أعمال هرقل أو أعمال البعثة فوق العادة المرسلة إلى بلاد المغرب » باريس ،
جمعية تاريخ المستعمرات الفرنسية ، ص ١٦٨ .

(٢) خطاب القنصل لوكلان ، المؤرخ في ٣٠ يولييه سنة ١٧٩٥ .

(٣) خطاب القنصل لوكلان ، المؤرخ في ٢٨ يولييه سنة ١٧٩٥ السالف الذكر .

الذي لم يحدث من قبل (١) ، حتى أن كثيرين من يهود البلاد الأخرى جاؤوا للإقامة في طرابلس (٢).

وقد دفعه حبه لمظاهر العظمة إلى إحاطة نفسه بيلاط يحاكي بلاط الأمراء ، كما دلت على ذلك الملابس الفخمة التي كانت ترتديها نسائه وخادmates والمفروشات التي كان يملأ بها قصوره (٣).

شيد يوسف كثيراً من المباني في المدينة ، كما بدأ بإصلاح الأسوار مبتدئاً بالصور المواجه للبحر الذي نصب عليه سبعين مدفعاً معظمها من البرونز (٤) ، ولم يحتفظ بجيوش ثابتة عدا حرسه الخاص ، وجماعات القولوغلية الذين كان يستطيع استخدامهم في الخدمة العسكرية عند الضرورة ، وعين عدد الجنود الذين كان على كل رئيس إرسالهم إليه عند طلبه ، بحيث يستطيع

(١) وقد لقي اليهود الذين كان لهم في طرابلس ثلاثة معابد ، معاملة خيراً من المعاملة التي لاقيها في مراكن وكان يبلغ عددهم نحو ألفين ، يرتدون ملابس المسلمين غير أن قدامهم وأحذيتهم كانت سوداء ، وكان يلبس العمامة الزرقاء منهم ثلاث أسر من الأسر الواسعة الثراء .

أما الآخرون فهم من الصنائع أو من الصياغ . الخ . وكانت التجارة الأوربية تركز كلها في أيديهم ، وكانوا على اتصال دائم مع مارسيليا وليفرونو والبندقية وتريستا والاطة ، من رحلة على بك العباسي ، السالفة الذكر ، جزء ٢ ، ص ١٦٥ .

(٢) لجأ إلى طرابلس في سنة ١٨٠٢ اليهود المماريون من تونس بسبب الاضطرابات التي وقعت بها .

وفي سنة ١٨٠٥ وصل عدد كبير من الجزائر بسبب الاضطرابات الشديدة التي وقعت فيها كما هاجر إلى طرابلس يهود أوروبيون ، وعلى الأخص الإيطاليين للتخلص من الأحوال التي نشأت نتيجة لحروب نابليون ، واستقروا فيها بعد أن تبرأوا من بني دينهم الذين أسرم المغامرون .

(٣) لم يكن لسيدى يوسف سوى زوجتين شرعيتين ، لاحداها ابنة عمه وهي بضاء وقد أجمت منه ثلاثة ذكور وثلاث إناث ، وأما الأخرى فكانت زنجياً وكان له منها ذكر وابنتان . وكان لديه كثير من الجواري السوداوات ولم تكن بينهن واحدة بيضاء .

ويؤيد لنا حبه للفخامة والعظمة ، ما كان يبدو في ملابس نسائه وفي مفروشات مساكنهن (أنظر رحلات على بك العباسي سالفة الذكر ، جزء ٢ ، ص ١٥٨)

(٤) خطاب القنصل لوكلس بتاريخ ٢٦ يوليو سنة ١٧٩٦ .

تأليف جيش يتكون من عشرة آلاف فارس وأربعين ألفاً المشاه (١).
وقد أعاد الباشا تنظيم بحريته (٢) وولى قيادتها انجليزيا اسمه بيتربيل
Peter Lyle اعتنق الإسلام وتسمى باسمه مراد رئيسه ، وزوجه من إحدى
قربياته ، وشجع أعمال الغزو وقواها ، مستغلا الفوضى التي كانت سائدة
في البحر المتوسط .
وبذلك أصبحت طرابلس مستودعاً كبيراً للغنائم والأسرى المسيحيين
وكان يحصل على نصيب الأسد منها .

تمتع يوسف بثمة رعاياه ، ولم يكن لديه ما يخشاه من جانب أبيه الذي
اعتكف وسكن إلى حياته الخاصة ، وتوفي بعد ذلك بقليل في طرابلس
في يوم ٢٣ يولية سنة ١٧٩٦ (٣) ، كما لم يكن يخشى أخاه الذي خلعه ، والذي
رحل إلى تونس وابتعد عن جميع الدسائس ، ووجه كل عنايته لتقوية بلاده
حتى لا تكون أقل من البلاد المجاورة - أي تونس والجزائر .

(١) لا يجب أن نجعلنا عدد الجنود نتخذ في قوة الجيش الحقيقية . وقد وصف لنا
الدكتور باولو دلاسل الذي عمل كطبيب عسكري في حملة عسكرية أرسلها يوسف ضد برقة
التي كانت قد تارت ضده بعد ذلك بمدة سنوات وصف جيش الباشا حيث قال « لم يكن
هناك أي نظام في التحركات أو زى عسكري موحد - أما من جهة التسليح فلم يكن يظهر على
الجنود سوى روح البؤس وعدم الكفاية ، الشيء الذي كان سائداً بين الجيوش وكانت
الجندى مسلحاً ببندقية رديئة وعمدسين أردأ ، ويرتدى معطفاً مهملًا من الصوف ويلبس
الجنود بدلا من الأحذية قطعتين من جلود الجمال المجففة في الشمس ، والمربوطة حول أقدامهم
بالحال ، وكان على الجندى أن يدبر طعامه ومعداته على حسابه الخاص ، ومع ذلك كان يسمر
بارتداء هذا الزي والخرائط في جيش الباشا ، إذ كان يهتس على حساب الأهالي الذين يمر
ببلادهم ، وينهب من هنا ومن هناك كل ما يقيم تحت يديه » راجع الدكتور ب . دلاسل في
(رحلة من طرابلس الغرب إلى حدود مصر الغربية) الطبعة الثالثة سنة ١٨١٩ - قيادة
هيئة أركان حرب الإدارة التاريخية - مدينة القلعة ١٩١٢ ص ١٣ .

(٢) كان أسطول الباشا قد انخفض إلى خمس أو ست سفن سيئة التسليح عند توليته
وكان يتألف في سنة ١٨٠٥ من فرقاطتين ، لحداهما مسلحة بثمانية وعشرين مدفاً والأخرى
بسته عشر مدفاً ومن تسع سفن أقل تسليحاً بها ٥٩ مدفاً ، فضلاً عن ست سفن تجسارية
كانت تسليح في زمن الحرب « من رحلات علي بك العباسي » سالفه أن ذكر جزء ٢ ، ص ١٦٠
(٣) خطاب القنصل ج . ف لوخه في ٢٥ يولية سنة ١٧٩٦ .

وبعد أن حصل يوسف القرماني من السلطان سليم الثالث على أمر التولية (الفرمان) وتأكد من استقراره على العرش، اتخذ مسلكاً معادياً نحو تلك الدول الصغرى، التي لم تقبل مطالبه لدفع الجزية والهبات، وعلى الأخص هولندا والدانيمارك وسويسرا، وأمر رجاله من المغامرين بمهاجمة سفنها، وسرعان ما تم أسر عدد من السفن الدانيمركية والسويدية التي أخذت إلى طرابلس.

وكذلك لم تنج سفن الدول الأخرى.

وفي شهر سبتمبر سنة ١٧٩٦، تم أسر سفينتين تابعتين للولايات المتحدة الأميركية فضلاً عن سفينة تابعة للبندقية، وأخرى روسية؛ وكانت إحدى السفن التابعة للولايات المتحدة تحمل جواز سفر من داي الجزائر، ومعهما الجزية والهبات طبقاً للصلح الذي تم إبرامه أخيراً بينهما، وقد أطلق سراح هذه السفينتين في الحال، أما السفينة الأميركية الأخرى فقد أمر الباشا بتسليحها للقيام بأعمال الغزو^(١) وقد عادت السفينة الأميركية التي أطلق سراحها في يوم أول نوفمبر، إذ تفاوض قبطانها أوبريان O'Brien بمساعدة قنصل أسبانيا مع الباشا، واستطاع إبرام الصلح الذي نشر في اليوم الرابع وتم الوصول إلى هذه النتيجة بسرعة بفضل توسط داي الجزائر الذي كتب إلى يوسف، حتى يقنع بمبلغ أربعين ألف قرش تدفع مقدماً^(٢).

وفي تلك الأيام بالذات، وصلت فرقاطة دنماركية بقيادة القبطان فيشر Fischer الذي كان مكلفاً من حكومته بإبرام الصلح. ولكن مطالب الباشا الباهظة أدت إلى فشل المفاوضات، فأمر فيشر القنصل الدنماركي بإنزال العلم، ولم يستطع منع أحد المغامرين الطرابلسيين من سحب سفينتين دانمركيتين وأسرهما، ثم أخذ القنصل معه ورحل^(٣).

(١) خطابات القنصل لوкас بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٧٩٦ و ٧ أبريل سنة ١٧٩٧

وخطابات القنصل ج. ف. لوختر ٢١ سبتمبر و ١٢ نوفمبر سنة ١٧٩٦

(٢) خطاب القنصل ج. ف. لوختر بتاريخ ١٢ نوفمبر سنة ١٧٩٦

(٣) خطاب القنصل لوкас المؤرخ في ١٣ يناير سنة ١٧٩٧

وفي مايو التالي ، حضر أسطول دانيماركي صغير أمام طرابلس ، واشتبك في معركة عنيفة مع خمس من سفن الغزو واضطرها إلى العودة إلى الميناء بعد أن كبدها خسارة في الأرواح وبعض الأضرار ، وعندئذ أبدى الباشا ميله لعقد الصلح ، وأخيراً تم إبرام الاتفاق الذي تعهدت فيه الدانيمارك بدفع مبلغ ٧٥٠٠٠٠ قرش في الحال وبدفع مبلغ سبعة آلاف كل ثلاث سنوات (١) .

وكانت السويد قد حصلت على هدية بعد تدخل الباب العالي ولكن تلك الهدية كانت قصيرة الأجل ، واستأنف المغامرون الطرابلسيون مهاجمة السفن السويدية وأسروا منها سبعة في أشهر قليلة .

وفي شهر يونية سنة ١٧٩٨ تم مع ذلك الوصول إلى اتفاق حصل الباشا بمقتضاه على مبلغ ٧٧ ٠٠ قرش دفعة واحدة ، على أن يدفع له مبلغ ١٥٠٠٠ قرش كل ثلاث سنوات ، فضلاً عن سفينة محملة بالذخائر الحربية وهدايا ثمينة من المجوهرات وأقمشة وساعات . الخ .

أصبحت تعتبر حكومة نيابة طرابلس الغرب منذ ذلك الوقت بفضل هممة وحزم رئيسها ، وزيادة سفن الغزو لديها في مرتبة لا تقل عن مرتبة الجزائر وتونس - كما كانت الدول الكبرى تبذل كل ما في وسعها لتوثيق علاقاتها الطيبة بها (٢) . أما أسبانيا التي كانت تقابل بالترحاب دائماً مطالب يوسف ، فإنها أرسلت إليه في سنة ١٧٩٧ مهندساً متخصصاً في بناء السفن ومعه بعض العمال الإخصائيين ، ووافقت على أن يقوم المغامرون الطرابلسيون بإصلاح سفنهم في ترسانة قرطاجنة بأسبانيا (٣) - كما سلمت إليه إنجلترا هدايا ثمينة .

(١) خطابا الفصل ج . ف . لوختر بتاريخ ٢٨ فبراير و ٣٠ مايو سنة ١٧٩٧

(٢) خطاب الفصل ج . ف . لوختر بتاريخ ٦ ديسمبر سنة ١٧٩٧ وخطاب الفصل

لوكاس بتاريخ ٧ أبريل سنة ١٧٩٧

(٣) خطاب الفصل ج . ف . لوختر بتاريخ ١٠ أكتوبر سنة ١٧٩٧ و ٢٦ يوليو

حاولت فرنسا بعد ذلك توثيق صداقتها مع يوسف - لاسبب سياستها التقليدية إزاء القرمانيين ، بل وأيضاً لأن الحرب بينها وبين إنجلترا التي استولت على جزيرة كورسيكا كانت تزيد من أهمية نيابات الغرب في نظرها ، بما فيها نيابة طرابلس الغرب ، لأن تلك النيابات المغربية كانت تستطيع السفن الفرنسية أن تجد ملجأ لها في موانئها ، وأن تمون فرنسا في أوقات الشدة بالحبوب والأطعمة .

وفي يوليو سنة ١٧٩٦ وقع حادث خطير إذ هاجمت فصيلة من الجنود المحليين قنصلية فرنسا ، وانتهكت حصانها الدبلوماسية ، لإطلاق سراح جندي كان قد دخلها عنوة ، وأسره فيها خدم القنصل جوى Guys ، ولكن هذه المشكلة تمت تسويتها بسرعة عند ما قام الباشا بجميع الترضيات المطلوبة . ولم تتغير سياسة الباشا الودية نحو فرنسا ، كما لاحظ ذلك القائد دالوا دركوليه d'Allois d'Herculais المعتمد العام للجمهورية الفرنسية ومندوبها الخاص الذي وصل إلى طرابلس في أبريل من السنة التالية (٣) .

وكانت حكومة فرنسا قد كلفت دالوا دركوليه في أكتوبر سنة ١٧٩٤ ، بمهمة تسوية كل خلاف مع رؤساء حكومات نيابات الغرب وتوثيق عرى الصداقة المتينة معهم ، حسب تعليمات ذكرت خلاصتها في مذكرة عامة خاصة بتلك البلاد ، وفي ثلاث مذكرات منفصلة تختص كل واحدة منها بإقليم من الأقاليم الثلاث (تونس والجزائر وطرابلس) وكانت المذكرة الخاتمة بطرابلس ، التي كانت إذ ذاك تحت حكم « علي برغل » ، تلفت نظر المندوب إلى مشروع القنصل « جوى » ، الذي يرمى إلى تنازله للباشا عن قلعة « لا كال La Calle » التي كانت من ممتلكات « الشركة الأفريقية » ،

(١) خطاب القنصل ج . ف . لوختر بتاريخ ٢٥ يونيو سنة ١٧٨٩

(٢) خطاب القنصل ج . ف . لوختر المؤرخ في ٢٥ يوليو سنة ١٧٩٦ - راجع

دى اجوستيني ، في « وثيقة لم تنشر ... الخ » السالف الذكر ، ص ٨١ - ٨٢

(٣) راجع فيما يتعلق بشخصية « دالوا دركوليه » والعمل الذي قام به في الجزائر وتونس

وطرابلس كتاب « ف . شارل رو Charles-Roux أعمال دركوليه » السالف الذكر .

على سواحل الجزائر^(١)، وذلك مقابل ميناء « بومبا Bomba » التي كانت روسيا تريد وضع يدها عليه ، وكانت المفاوضات قد بدأت بين روسيا وعلى باشا القرماني بشأنها أثناء إقامة هذا الأخير في تونس ، كما تلفت المذكرة النظر إلى النزاع الذي قام في طرابلس بين القنصل « جوى » والآباء الفرنسيين الذين كانوا يرفضون البقاء تحت حماية فرنسا بعد أن تحولت حكومتها إلى جمهورية .

وبعد أن أقام « دالوا دركوليه » مدة طويلة في تونس والجزائر جاء أخيراً إلى طرابلس ، حاملاً هدايا ثمينة للباشا الذي استقبله استقبالا حافلا ، ولكنه لم يستطع إتمام المفاوضات ، إذ عزله حكومة الإدارة الفرنسية من منصبه ومن كل سلطة وذلك بعد خمسة عشر يوماً من وصوله إلى طرابلس .

وقد أكد دركوليه بعد أن هذا الإجراء قد أصابه في الوقت الذي نجح فيه في الحصول من الباشا على التنازل عن ميناء « بومبا » وكان على وشك عقد معاهدة عظيمة الفائدة لفرنسا^(٢) .

ولا ندري إذا كان « دالوا » صادقاً أو كاذباً فيما قاله فيما لاشك فيه أن يوسف لم يكن يخفي في تلك الأيام صداقته مع فرنسا ، سواء بدافع مصالحه الخاصة ، أو سبب ما كان يشعر به من الخوف ، ولم يغير من مسلكه معارضة القنصل « جوى » الصريحة لما ادعاه يوسف من أن الجمهورية الفرنسية أصبحت بعد معاهدة كمبرفورميو Campoformio مسيطرة على جزر البحر الأيوني وأنها يجب أن تستمر على دفع الضريبة السنوية التي كانت البندقية قد التزمت بدفعها في مقابل استثمار ملاحات بوكماش^(٣) .

(١) التي حلت محل « الشركة الملكية بأفريقية »

(٢) ف . شال رو — أعمال دركوليه ، المؤلف الذكر ، ص ١٧٢

(٣) خطاب القنصل ج . ك . لوختر المؤرخ في ٤ يونيو ١٧٩٨ « كانت لدى الباشا

معلومات عن معاهدة كمبرفورميو في ديسمبر سنة ١٧٩٧ وسرعان ما أنزل صاري علم البندقية وصادر منقولات القنصلية بحجة أنه كان يدين الجمهورية التي سقطت — خطاب القنصل

ج . ك . لوختر بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٧٩٨

نقل القنصل «جوى» إلى عكا وأبحر على سفينة فرنسية للوصول إلى مقر عمله الجديد فأسر الانجليز السفينة واقتادوها إلى ميناء طرابلس ، وتدخل يوسف بحزم وحصل على أمر بإطلاق سراحه (١) .

ومما لا شك فيه أن يوسف اتخذ هذا المسلك بسبب قلقه - هو وبك تونس - من ذلك الخبر القائل بأن الفرنسيين احتلوا جزيرة مالطه ، فقد وصلت الحملة التي كان يقودها بونايرت والتي غادرت ميناء طولون في ١٩ مايو - إلى مالطه في يوم ١٣ يونيه - وبعد أن استسلمت عاصمة الجزيرة ترك فيها بونايرت حامية صغيرة بقيادة الجنرال « فوبوا Vaubois وألمع إلى الاسكندرية . وبقي هدف الحملة - كما هو معلوم - في طى الكتمان .

وفي أوائل يونيه أرسل تاليران Talleyrand وزير الخارجية الفرنسية خطاباً إلى القنصل الفرنسي في طرابلس وصله بعد رسالة جاءته من بونايرت يطلب فيها إبلاغ الباشا باستيلائه على مالطه ، وأن المغاربة والأتراك الذين كانوا حتى ذلك الوقت أسرى في سفن البندقية سوف يعتبرون أسرى حرب ، وسوف يطلق سراحهم بمجرد أن يطلق رؤساء نيابات الغرب سراح الأسرى الفرنسيين أو المالطيين الموجودين تحت أيديهم (٢) .

والآن وبعد احتلال مالطه ، أصبحت طرابلس ذات أهمية بالنسبة للفرنسيين الذين كانوا يأملون في أن يحصلوا منها على مؤونة للجزيرة ، وأن تكون لهم مواصلات مع مصر عبر طرابلس الغرب .

== ويتضح من حجة صادرة من محكمة طرابلس الشرعية بتاريخ آخر محرم ١٢١١ هجرية (٦ أغسطس سنة ١٧٩٦) أن الدار الموجودة في « رنقة القمرى » على مقربة من مسجد درغوت باشا والتي كانت مقر فتصلية البندقية ، كانت ملكاً للسيدة لالا حلومه - التي كانت قد باعته منذ سبع سنوات لإبناها يوسف - ومن المحتمل أن يكون قد أمر بتحرير هذه الحجة كطريقة لإثبات أنها أمه قبل وفاتها . وبينما كان على باشا وإبناها أحمد ويوسف قد لجئوا إلى تونس على أثر اغتصاب على برغل للحكم ، كانت لالا حلومه قد وهبت مجوهراتها وحليها إلى أولاد ابنها حسن بك اليتامى ولغيرهم دون أن تترك شيئاً لأحمد أو ليوسف .

(١) خطاب القنصل ج . ك . لوختر بتاريخ ٢٧ أغسطس سنة ١٧٩٣ وخطاب القنصل الفرنسي « بوسيه Beaussie » بتاريخ ١٣ فركتيدور السنة السادسة (سبتمبر ١٧٩٨)

(٢) ف . شارل رو . في « بونايرت وطرابلس الغرب » باريس - الجمعية الجغرافية

البحرية والاستعمارية سنة ١٩٢٩ - ص ١٦ وما يليها

ومن جهة أخرى سرعان ما أدرك يوسف الفوائد التي يستطيع الحصول عليها من هذا الموقف، إذا ما قام هو بنفسه أو بواسطة الغير بتوريد ما يُطلب منه من حبوب أو علف أو ماشية .

وبدأ في تبادل المراسلات والهدايا مع الجنرال « فوبوا » . قبل أن يدفعه إلى ذلك القنصل جوى الذي عاد إلى طرابلس بعد أن غاب عنها مدة من الزمن ، واطلع على خطابي بونا بورت وتاليران . وأخذ يعمل وفق تعليماتهما - غير أن خبر نزول الفرنسيين في الإسكندرية لم يقع من نفس الباشا موقفاً حسناً ، إذ أثار في نفسه الخوف من أن احتلال دولة مسيحية لمصر قد يكون له عواقب وخيمة على نيابة طرابلس الغرب . وزادت مخاوفه ، ولم تجد تأكيدات القنصل « جوى » . البارعة في تبديدها بسبب وصول السفن الحربية الإنجليزية ، وانقطاع وصول الأخبار من مالطه .

وفي أوائل أكتوبر وصل إلى طرابلس « بونا فتورا بوسيه Bouna Ventura Bousseaux » القنصل الذي خلف جوى والذي كان من قبل قنصلاً لفرنسا في تونس ، وكانت قد مضت حوالي ثلاثة أشهر لم تصل في أثناءها أخبار من جزيرة مالطه . وراجت إشاعات بأن أهالي مالطه ناروا على الفرنسيين وأن الجنرال فوبوا قد أمر بمنع السفن الموجودة في موانئ مالطه من مغادرتها (١) .

وعلم الباشا أخيراً أن مالطه حاصرها أسطول برتغالي يعمل في خدمة انجلترا ، وكان لهذا النبأ في نفس الباشا وقع أسوأ من وقع نبأ الانتصار الذي أحرزه الانجليز في أبي قير ، إذ جعله يخشى عدم إمكان تحقيق المشروع الاقتصادي الذي كان يعلق عليه أكبر الآمال .

ومع هذا ورغم وصول أمر سلطاني (فرمان) بإعلان الحرب بين الباب العالي وفرنسا ، وأوامر بحجز الفرنسيين المقيمين في طرابلس بصفة

(١) خطاب القنصل « بوسيه » بتاريخ ٢٥ قيدمال السنة السابعة (١٦ أكتوبر

رهائن وإرسال قوات بحرية لمعاونة قبودان باشا ، فإن يوسف باشا استجاب لرغبة القنصل ، بوسيديه ، وأرسل إلى مالطه شحنة أخرى من العجول (١) على ظهر سفينة فرنسية صغيرة وإذا كانت الظروف قد جعلت من الصعب تموين مالطه بالرغم من رغبة الباشا في الريح ، فإن مشروع إيجاد مواصلات بين مصر وفرنسا عبر أراضي نيابة طرابلس - ذلك المشروع الذى حاول الفرنسيون تنفيذه قبل هزيمة أبي قير - قد أصبح لا يمكن تنفيذه فعلا بعد أن أصبحت جيوشهم أسرى فى مصر .

وعندما وصل الحجاج الطرابلسيون العائدون من مكة إلى مدينة القاهرة ، كانوا محل رعاية خاصة وبدأت المفاوضات مع زعيمهم الشيخ أبي القاسم الذى تعهد بإيصال ثلاث من رجال البريد على ظهور الجمال يحمون إلى قنصل فرنسا فى طرابلس رسائل مع بعض أخبار مصر ، كما تعهد بأن يعمل على إيصال أخبار فرنسا بهذه الطريقة إلى مصر كل عشرة أيام على الأقل .

وانقضى وقت طويل دون أن يصل أى خبر عن رجال البريد هؤلاء ، ونفذ صبر بونابرت ، وأرسل أحد مترجمى أركان حربه المدعو Arnout فأبحر من الاسكندرية إلى طرابلس على أن يعود منها بطريق البحر إلى درنة ثم يسلك بعد ذلك طريق البر إلى مصر .

وفى يوم ١٣ أكتوبر وصل إلى الباشا خبر مؤداه أن قافلة الحجاج قد وصلت إلى بنغازى . وفى يوم ٢٤ - أى بعد ٧٢ يوما بدلا من ٣٠ يوما وصلت رسائل بونابرت إلى بوسيديه (٢) الذى أسرع فى الحال ، نزولا على التعليمات التى تلقاها بإرسال رسول إلى مصر وأتبعه بآخر فى شهر فبراير من السنة التالية بعد وصول القائد البحرى الفرنسى ، فابريه Fabbre ، الذى وصل على إحدى السفن من الاسكندرية إلى مصراته ، ومنها بطريق البر إلى

(١) خطاب القنصل « بوسيديه » المؤرخ فى ٢٥ فندميال السنة السابعة (١٦ أكتوبر سنة ١٧٩٨)

(٢) خطابات القنصل بوسيديه المؤرخة فى ٢٦ فندميال و ٢٩ بروميال السنة السابعة (١٧ أكتوبر و ٢٩ نوفمبر سنة ١٧٩٨) .

طرابلس وأخيراً وصله أرنو، في ٢١ فبراير على ظهر السفينة «لودى» Lodi،

وإذا كان مندوبو برنابرت الثلاث استطاعوا الوصول في مدى ستة أشهر إلى طرابلس، فإن أولئك الذين قاموا من طرابلس لم يكن لهم مثل هذا الحظ - ومن بينهم المترجم «أرنو»، الذي اضطر إلى النزول إلى البر في مصراته بسبب سوء معاملة قائد السفينة «لودى»، وأن يسلك طريق البر في عودته إلى مصر، وقد اعتقله رجال الشيخ سيف النصر، وعندما أمر الباشا بإطلاق سراحه توجه إلى طرابلس ثم قتل^(١).

وحدثت محاولة جديدة لتموين مالطه في أوائل شهر يناير سنة ١٧٩٩ إذ وصل إلى طرابلس مندوب من قبل الجنرال فوبوا لشراء مواد تموينية. وقد أمر هذا المندوب بأهداء الزورق الذي حضر به إلى الباشا لضمان رضائه كما أمر بإرسال هدايا أخرى لكبار رجال بلاط الباشا، ومع هذا فلم يكن من الصعب الوصول إلى إرسال بعض الشحنات من الأغذية إلى مالطه^(٢). وكانت مجاملة الباشا لفرنسا علناً بسبب مصالحه الشخصية وليس طبقاً لسياسة مرسومة تعرضه لأخطار كانت لاتخفى عليه.

ففي منتصف شهر مايو جاءته أخبار بأن مندوباً من قبل الباب العالي في طريقه إلى طرابلس بعد أن حمل أوامر من السلطان إلى «داي» الجزائر والي «بيك» تونس وتأكد من تنفيذهما لها، فأخطر الباشا القنصل «بوسيديه» حتى يسرع بنقل المئون المخصصة لجزيرة مالطه، وتظاهر بأنه يقوم ببعض الأعمال العدائية ضد الفرنسيين^(٣)، وبعد وصول قابوجي باشي أمر بإنزال العلم الذي كان مرفوعاً فوق مقر قنصلية فرنسا وانتزاع صارى العلم منها،

(١) خطابات القنصل بوسيديه في ١٥ و ٢١ بفيال و ٢٦ جرمينال السنة السابعة ف شارل - روفي «بونايرت و طرابلس الغرب» السالف الذكر، ص ٦٧ - ٧٦.

(٢) خطاب القنصل بوسيديه المؤرخ في ٢٩ فيال السنة السابعة (يناير سنة ١٧٩٩).

(٣) خطاب القنصل بوسيديه المؤرخ في ٢٩ فيال السنة السابعة (يناير سنة ١٧٩٩).

ووضع حارساً على مسكن القنصل الذي كان للفرنسيين الآخرين حق الإقامة فيه ، ولكنه كان قد أكد في نفس الوقت للقنصل بوسيديه أن هذه الإجراءات سوف تلغى بمجرد رحيل مندوب السلطان (١).

وفي الواقع بمجرد أن ابتعد قابو جي باشي عن طرابلس في يوم ٢٥ فبراير عاد القنصل ومواطنوه أحراراً يتمتعون بكامل حريتهم . وبعد ذلك لم يكتف الباشا باستقبال « أرنو » ، فحسب ، بل وعد القنصل بوسيديه بالعناية به والاهتمام بشئونه ، وأكد له رغبته في أنه إن يعدل عن صداقته الوثيقة التي تربطه بالجمهورية الفرنسية . غير أنه قد وصل قابو جي باشي آخر في ١٦ أبريل على ظهر سفينة عثمانية محملة بذخائر حربية مرسله كهدية إلى يوسف باشا وكان يحمل أمراً عالياً من السلطان سليم الثالث يطلب فيه من يوسف باشا أن يقود جيوشه ويتحرك ضد مصر للهجوم على الفرنسيين من الجهة الغربية ، بينما يهاجم جيش سوريا من الجهة الشرقية وينزل جيش تركي آخر في دنيا النيل ، ولم يجد يوسف صعوبة في إظهار استحالة تنفيذ هذا الأمر ، نظراً لعدم كفاية قواته العسكرية والعسر المالى الذى كان يرزح تحته ، ولكنه اضطر في هذه المرة أيضاً إلى اتخاذ إجراءات قهرية ضد قنصل فرنسا ومواطنيه ، وبعد ذلك بخمسة أيام وصل مندوب رابع من قبل الباب العالي وكان في هذه المرة شاوشا وطلب من الباشا أن يسلم إليه جميع الفرنسيين الموجودين في بلاد نيابة طرابلس الغرب ، ولكن يوسف رغم موافقة الديوان على قبول طلبات السلطان ، رفض إرسال الحملة إلى مصر كما رفض تسليم الفرنسيين (٢).

ولكن إذا كان يوسف باشا قد نجح بفضل مكره ودهائه في التخلص من التزاماته نحو الباب العالي ، فقد كان يخشى أن يضطر لإرضاء تعصب

(١) خطابا القنصل بوسيديه المؤرخان ١٥ و ٢٠ بلوفيال السنة السابعة (٢٠ يناير و ٤ فبراير سنة ١٧٩٩) .

(٢) خطاب القنصل بوسيديه بتاريخ ٢٦ جبرميسال السنة السابعة (١٧ أبريل سنة ١٧٩٩) .

رعاياه ، ومن جهة أخرى كان يرى أمامه خطراً أشد عاقبة وهو وخطر تدخل
الانجليز ، فان القنصل الإنجليزي س . لوكاس الذى كان رجلاً لا يعتد
به (١) قليل التدخل انتهى به الأمر إلى كشف الأعيب الباشا وكتب بذلك
إلى نلسون Nelson الذى كان فى ذلك الوقت فى الرمو وأخبره بالأحداث
وطلب منه التدخل ، فأرسل نلسون البارجة « فانجارد Vanguard بقيادة
القبطان هاردى Hardy الذى حصل من الباشا على تأكيدات كتبها فى
خطاب محرر إلى الأميرال نلسن ثم رحل من طرابلس بعد أن أخذ معه
القنصل لوكاس (٢) ، وكان الباشا يخشى من أن يقوم هذا القنصل بإبلاغ
نلسون بحقيقة الأحوال ويزعزع الثقة فى تأكيدات الباشا ويجعلها غير ذات
قيمة أو وزن ، وقد أرسل نلسون فعلاً إلى مياه طرابلس بارجة برتغالية
بقيادة القائد الإنجليزي « كامبل Campell ، وعاد عليهم اللوكاس يحمل
خطاباً من الأميرال نلسون إلى الباشا يطلب منه فيه أن يقوم فى الحال بتسليم
الفرنسيين ورؤساء البحرية المشتبه فى أنهم يعملون لمصلحة فرنسا ، وهدد
باستخدام القوة فى حالة الرفض وكان هذا فى الواقع « انذاراً أخيراً ، بمعنى
الكلمة إلى الباشا ومع هذا فقد رفض يوسف الخضوع له ، فأعلن القائد
الانجليزى القناصل بأنه سيدبأ فى حصار موانئ حكومة نيابة طرابلس
الغرب ، وقذف حصون المدينة بالقنابل ، ولكنه اضطر إلى الرحيل (٣)
بسبب إصابة بارجته بعطب مفاجئ .

ثم عادت البارجة ثانية بعد أربعة أيام إلى الظهور ، وهى تطارد
سفينتين من سفن المغامرین الطرابلسيين ، واستولت على إحداهما وهى التى
كان يقودها مراد الرئيس .

(١) خطاب القنصل ج . ف . لوختر بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٧٩٧ .

(٢) خطاب القنصل ج . ف . لوختر بتاريخ ١٨ أبريل سنة ١٧٩٧ .

(٣) خطاب القنصل ج . ف . ١١ مايو سنة ١٧٩٩ وخطاب القنصل بوسيه فى ٢٢

فلوريال السنة السابعة (١٣ مايو سنة ١٧٩٩) .

كان يوسف يود الاستمرار في المقاومة ، ولكن إلحاح المحيطين به وصباح الجماهير اضطراره إلى العدول عن رأيه وإعلان الاستعداد للمفاوضة ، وفي نفس اليوم سلم القنصل الفرنسي بوسيديه أربعين فرنسياً إلى كامبل فنقلهم إلى مدينة بالرمو حيث أمر نلسون بنقلهم إلى جنوه (١) .

لم يكتف يوسف بمحاولة الاستفادة من هذا الموقف الناشئ في البحر المتوسط على أثر الحملة على مصر ، بل إنه انتهز الفرصة المواتية واللحظة المناسبة ، وأمر المغامر ين بإبداء منتهى النشاط ، وبعد أن رفضت فرنسا أن ترسل إليه الضريبة التي كانت تدفعها البندقية ، طالب بها امبراطور النمسا الذي ضم تحت حكمه معظم أراضي جمهورية البندقية القديمة ، وعندما رفض طلبه بدأ الأعمال الحربية ضد السفن التي كانت تحمل العلم الامبراطوري (أى النمساوى) وأسر ستاً منها على التوالي ، ثم أطلق سراحها فيما بعد على أثر تدخل الباب العالي ، واحتفظ بإحداها بعد أن اضطر قائدها إلى قبول ثمن لها يقل كثيراً عن ثمنها الفعلي (٢) . ولم يكن الباشا يخفي سخطه على الدول التي كانت تتأخر في الوفاء بالتزاماتها المقررة في المعاهدات والتي كانت لا تظهر ميلها لإجابة طلباته التي كان يتقدم بها باستمرار ، وعلى الأخص الولايات المتحدة الأمريكية التي كان قد أبرم معها صلحاً إرضاء لداى الجزائر بشروط لم تكن له فيها مصالح كبيرة ، وبعد أن توفي هذا الداى أخذ يوسف يبحث عن عذر لفسخ هذا الاتفاق . وعندما وصل القنصل كاثكارت Cathcart في إبريل سنة ١٧٩٩ ومعه الهدايا المعتادة ، أكد يوسف له أنه كان يأمل في إرسال زورق مسلح وكميات من الذخائر الحربية وأقام الصعوبات التي حالت دون نزول القنصل إلى البر وسمح بأن يستقبله

(١) خطاب القنصل ج . ف . لوخز في أول يونيو سنة ١٧٩٩ وخطاب القنصل بوسيديه

في ٢٤ فلوريال السنة السابعة (١٥ مايو سنة ١٧٩٩) و٦ ميسيدور السنة السابعة (٢٨

يوليو سنة ١٧٩٩)

(٢) خطاب القنصل ج . ف . لوخز في ٢٣ أغسطس سنة ١٧٩٨ .

بعد أن تعهد له بدفع مبلغ ١٨٠٠٠ قرش كتعويض عن عدم إرسال الزورق (١).

ثم خضع الباشا بعد ذلك لأوامر نلسن ، وأمر مغامر به بإيقاف جميع السفن التي تحمل مؤننا أو ذخائرنا إلى فرنسا - الأمر الذي يدل على عدم اعترافه بالمعاهدات التي تنص على إعطاء الضمانات لسفن الدول الصغرى (٢).

وقد هاجم المغامرون الطرابلسيون السفن الدانماركية والسويدية بنوع خاص ، وطالب قنصل الدانمارك باحترام المعاهدات ، وذهب طلبه أدرج الرياح ، كما لم يأتى التجاؤه إلى محمد الدغيس (٣) بأية نتيجة ، وعندئذ طلب القنصل تدخل الباب العالى ، ولكن دون جدوى - لأنه عندما قدم للباشا أمراً سلطانياً (فرماناً) برد السفن الدانماركية الثلاث المأسورة سمعه يقول : « إنكم تعتقدون أن الفرمان شيء كبير ، ولكن يجب أن تعرفوا أنه من الممكن الحصول على فرمانات مقابل أربعين قرشاً شرقياً وأن هذه فرمانات ليست هنا سوى قصاصات من الورق (٤) » .

وبهذه الطريقة كان ينتقم من إهانات الدول الكبرى له والتي كان يرغب عليها من الدول الصغرى .

والواقع لم يكن « كامبل » قد طلب منه تسليم القنصل الفرنسى بوسيبه ومواطنيه الآخرين فحسب ، بل اضطره إلى عقد معاهدة صلح مع البرتغال ودفع مبلغ اثنى عشر ألف قرش ، ولم يترك له سوى سفينة المغامرة المأسورة . أخفى يوسف استيائه ، وعندما عاد القنصل لوكاس من الرمو عرف

(١) خطاب القنصل ج . ف لوختر بتاريخ ٢٥ أبريل سنة ١٧٩٩ .

(٢) خطاب القنصل ج . ف لوختر المؤرخ في ٢٤ أبريل سنة ١٧٩٩ .

(٣) كان محمد الدغيس وزيراً ليوسف القرماني عدة سنوات طويلة ، واشترك اشتراكاً عملياً في سياسة حكومة نيابة طرابلس الغرب أثناء السنوات العشر الأولى من القرن التاسع عشر .

(٤) خطابا القنصل ج . ف لوختر المؤرخان في ١٠ يولية سنة ١٧٩٩ و ٣١

مارس سنة ١٨٠٠ .

كيف يستميله إليه ، ويجعله يشهد في خطاب له أرسله إلى قبودان باشا على كراهيته الشديدة للفرنسيين (١) .

إذ لم يكن يخفى على أحد أنه كان ولا يزال يحاول توثيق أطياب العلاقات مع الجمهورية الفرنسية .

وايس من السهل أن نعرف الأسباب التي جعلت يوسف يتمسك بهذه السياسة إزاء فرنسا (٢) ، ولكن من المؤكد أنه رغم الإجراءات الإنتقامية التي سمحت باتخاذها حكومة « الادارة » ضد حكومات نيابات الغرب منذ فبراير سنة ١٧٩٩ ، فإنه منع مغامريه من مهاجمة السفن الفرنسية ، واستمر على هذا المنع حتى بعد أن فقدت سفينتين من سفن المغامرة ، شبت في إحداها النار واضطرت الثانية للانتجاء إلى جزيرة مالطة (٣) .

وقد تمسك يوسف بهذه السياسة إما لعله بأن « بونابرت » بعد أن عاد إلى فرنسا أصبح رئيس الدولة الفرنسية وكان يخشاه لما كانت له من شهرة كبرى عند مسلمي مصر بصفة خاصة وفي إفريقية بوجه عام أو لأنه كان يأمل في فوائد كثيرة ينالها عن طريق إرسال المساعدات عن طريق طرابلس الغرب إلى الجيش الفرنسي الموجود بمصر ، وعندما علم بتوقيع الهدنة بين الجمهورية الفرنسية ونيابات الجزائر وتونس أسرع بإعلان سياسته السلمية ، وطلب بطريق غير مباشر وقف الأعمال العدوانية .

وكتب الباشا في ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٠٠ بواسطة محمد الدغيس إلى « ديفواز Devoise » قنصل فرنسا يؤكد له سياسته الودية نحو فرنسا ، وفي

(١) خطاب القنصل لوкас بتاريخ ٧ فبراير سنة ١٨٠١ .

(٢) هذا ما قاله « ناودي Naudi » مندوب فرنسا الشبيه بالرسمي لإقرار الصلح مع فرنسا : « لقد سألتني يوسف عما إذا كان نابليون بونابرت في حالة عقد صلح مع الباب العالي سيثير مسألة استقلال بلاد الغرب ، مما يحمل على الاعتقاد بأنه كان يأمل أن ينال استقلاله عن الامبراطورية العثمانية عندما تقوم فرنسا المنتصرة بإملاء شروط الصلح - راجع ف - شارل رو في كتابه « بونابرت وطرابلس الغرب » السالف الذكر ص ١٣٥ .

(٣) خطاب القنصل ح . ف . لوختر المؤرخ في ٣١ مارس سنة ١٨٠٠ .

يوم ٢٣ من ديسمبر التالي ، عندما وصل مندوب من قبل « ديفواز » إلى طرابلس ، لم يكتف الباشا بقبول اقتراحات الهدنة ، ولكنه وافق أيضاً على أن يرسل البريد إلى القاهرة عن طريق طرابلس لإيصال الأخبار إلى الجنرال « مينو Menou » القائد العام للجيش الفرنسي بمصر بعد مقتل الجنرال « كليبر Kleber » (١)

كانت الظروف بالنسبة ليوسف عصبية وخطيرة ، فقد سلبت الحماية الفرنسية في مالطه في ٢٢ سبتمبر ، وعندما أصبح الانجليز يسيطرون على الجزيرة ، كانوا يطلبون إمدادهم بالمؤن . وأخذوا يضغطون لعقد الصلح مع ملك نابلي .

وإذا كانت السويد قد رضخت في سنة ١٨٠١ لقبول مطالب يوسف لعقد الصلح (٢) ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تهدده باستعمال القوة لفرض احترام المعاهدات ، وخاصة لأن الموقف في مصر كان يشغل باله ، إذ كان يخشى أن ينسحب الجيش الفرنسي منها أمام ضغط القوات الانجليزية والتركية ، ويقوم بغزو أراضي حكومة نيابة طرابلس الغرب ، وتكون النتيجة وبالاً على البلاد وعلى الأسرة الحاكمة ، وجعله هذا الخوف يحرص على بقاء الهدنة مع فرنسا قائمة حتى عندما استأنفت كل من تونس والجزائر الأعمال الحربية ، كما جعله يقبل عرض السلام المقدم من الماطلي « سافريوناودي ، Saverio Naudi » الذي كان مترجماً بالقنصلية الفرنسية في طرابلس ، وأرسلته الجمهورية كمندوب غير رسمي لها .

وصل ناودي في يوم ١٢ مايو ، وسرعان ما استقبله الباشا في جلسة علنية ، ثم استقبله بعد ذلك استقبالاً خاصاً ، عرض ناودي أثناءه العرض من

(١) خطاب القنصل « بوسيه » من مرسيليا المؤرخ في ٢٧ بلوفال السنة التاسعة (١٦ فبراير سنة ١٨٠١) ف . شارل — روفى كتابه « بونابرت وطرابلس الغرب » السالف الذكر من ١١٠ — ١١٦ .

(٢) خطاب القنصل لوكلس بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٨٠١ — تمت الاتفاقية مع السفير المفوض السويدي بشرط أن يقبل الباشا ٢٤٥٠٠٠ قرش دفعة واحدة و ٢٠٠٠٠ قرش كل سنة .

مهمته . وقد أعرب يوسف عن أسفه للموقف الذى اضطر لاتخاذہ نحو فرنسا ، وصرح بأنه على استعداد لتحويل الهدنة إلى صلح دائم ، ولقبول أى طلب بتأمين المواصلات البرية مع مصر ، والموافقة على مرور الجنود والذخائر للجيش الفرنسى الموجود فى الشرق عبر أراضى حكومة نيابة طرابلس الغرب .

وبالفعل بينما كانت تجرى المفاوضات لوضع نص المعاهدة الجديدة أرسل يوسف بريداً إلى الجنرال « مينو » وأوامر إلى بيك بنغازى ودرنه لى استقبال السفن الفرنسية استقبالا وديا فى هذين الثغرين ، وفى ميناء بمبسا (١) .

وفى يوم ١٠ يونية تم توقيع المعاهدة التى كانت فى جوهرها صورة من معاهدة سنة ١٧٢٩ ، مع إضافة بعض النصوص الجديدة التى كان من بينها بعض نصوص عزيزة على القنصل الأول بونايرت ، وهى التى ترمى إلى إيجاد مواصلات بين فرنسا ومصر عبر أراضى حكومات نيابات الغرب (٢) .

كان يوسف قد قبل بسهولة جميع اقتراحات ناودى عدا النصوص والاقتراحات التى كانت تجرح كرامته ، وتضر بمصالحه المباشرة ، وعارض

(١) خطاب س ناودى مندوب الجمهورية الفرنسية الشبه الرسمى المؤرخ فى ٦ برانيل السنة التاسعة (٢٦ مايو سنة ١٨٠١) .

(٢) راجع نص المعاهدة فى أ. روار دى . كار E. Rouard de Card فى كتابه سالف الذكر من ٢٧٦ — ٢٨٨ . عندما فقد صبر بونايرت فى يوم ١٨ برومير دون أن يستطیع إرسال معونة لى الجيش الفرنسى فى مصر ، حاول الإسراع فى إعادة العلاقات الدبلوماسية مع حكومات نيابات الغرب لجعل المواصلات ممكنة مع مصر التى كان يحاصرها الأسطول الإنجليزى ولتسهيل مرور الجنود والذخائر إذا احتاج الأمر لذلك . ومن هذا يمكننا أن نفهم أهمية طرابلس الغرب لتنفيذ هذا المشروع . ولتلك حاول بونايرت إعادة السلام مع يوسف القرمانلى ، ويضاف لى ذلك أن بونايرت كان قد قرر أن يرسل لى مصر جيشاً مؤلفاً من أربعة آلاف رجل ، فوق نقالات تجرّها فرقة بحرية بقيادة الأميرال لى جاتوم ، وكان يريد أن يحصل جاتوم على حق الرسو فى درنه ، أو مرافقاً بعبا ، إذا ما تعذر نزوله فى الأسكندرية ، انظر فى . شارل — روى فى كتابه «بونايرت وطرابلس الغرب» الكتاب السالف الذكر ، جزء أول ، ص ١٣٤ وما يلىها

أيضا في إدماج النصوص الخاصة بالندم على المخالفات التي حدثت بالنسبة للمعاهدة السابقة ، كما عارض في أن تظهر في المعاهدة المبالغ التي كان يتعهد بدفعها لتعويض الأضرار التي وقعت للفرنسيين في سنة ١٧٩٩ للقائد كامبل ، وكان يريد إضافة المادة ٥١ لإقرار التعهد المتبادل بعدم التدخل في المسائل التي نشأت في ذلك الوقت بين أحد الطرفين المتعاقدين وبين أية دولة أجنبية وكان يقصد بهذا النص منع تدخل فرنسا في الحلاف الذي نشب مع السويد ومع الولايات المتحدة (١) .

وبعد توقيع المعاهدة بأيام قلائل أي في يوم ٢١ يونيو كان الأسطول الفرنسي بقيادة جانتوم والذي منعه انجلترا من إنزال جنوده في المكان الذي سبق تعيينه على مقربة من الاسكندرية ، قد رسا أمام درنة ، ورغم أن الأميرال كان قد رفع العلم الأحمر ذا الهلال الأبيض ، ليظهر أنه حضر بصفة صديق ، فإن الأهالي أجابوه بإطلاق الرصاص من البنادق على القوارب المحملة بالجنود ، واضطر جانتوم أن يعدل عن مشروعه ، وعاد أسطوله في ٩ أغسطس إلى ميناء طولون .

وهكذا ظهر أن التدابير التي اتخذها الباشا لتسهيل نزول الجنود الفرنسيين للبر كانت غير فعالة ، وكان هذا لا يبعث على الدهشة فإن الأوامر بفرض وصولها ، يكون بيك درنة قد تلقاها وهو بعيد ، حيث كان يقوم بإحضار بعض الرؤساء المتمردين (٢) وكان الأهالي يبدون دائما تذمرهم من سلطة يوسف وسيطرته .

وعلى كل حال ، فإن ناودي والقنصل بوسيه الذي كان قد ساعد بنصائحه على قبول مشروع إنزال الإمدادات والذخائر المرسلّة إلى الجيش الفرنسي في مصر ، في أراضي برقه ، قد نسبا عدم نجاح المشروع إلى خطأ الأميرال الذي كان يجب عليه أن يفضل مرفأ بمبا أو ميناء طبرق لإنزال الإمدادات والذخائر (٣) .

(١) خطاب سافريو ناودي المؤرخ في ٢ ديسمبر السنة التاسعة (٢١ يونيو سنة ١٨٠١)

(٢) خطاب سافريو ناودي في تاريخ ٢٧ برومايو السنة العاشرة (١٧ نوفمبر سنة ١٨٠١)

(٣) انظر المرجع السالف الذكر

ورغم موقف الباشا المشكوك فيه في هذه المناسبة ، فقد وافق القنصل الأول بونا برت بناء على خطاب من الوزير تاليران لصالح الباشا - على نص المعاهدة في ١٢ أكتوبر سنة ١٨٠١ ، أى عندما ظهر من مقدمات الصلح مع إنجلترا وتركيا أن الجلاء عن مصر أصبح في حكم الأمر الواقع ، وهكذا اتضح أن التدابير المنصوص عنها في المعاهدة والخاصة بالمواصلات بين نيابة طرابلس الغرب ومصر لم يعد لها أى موجب .

ولهذا فإن تاليران أوضح للمندوب الفرنسى ناودى ملاممة القيام بعمل نص جديد لهذه المعاهدة لا تظهر فيه المواد ٣٩ و ٤٠ و ٤١ الخاصة بمثل هذا الإجراء .

ولكن الباشا الذى وصله خبر عن مقدمات الصلح ، كان يخشى أن تنجبه تركيا بعد أن أسكرتها نشوة النصر نحو طرابلس الغرب لإقرار سيطرتها عليها من جديد وحكمها بطريق مباشر مرة أخرى (١) .

كان الباشا يرى ضرورة الإحتفاظ بصداقة الجمهورية الفرنسية لكي يحصل على تأييدها له في حالة وقوع أى نزاع مع تركيا ، ولهذا الغرض أظهر ارتباطه بالحكومة الفرنسية بطريقة علنية وبصورة غير مألوفة ، فزار ناودى ، مرتين بصورة رسمية (٢) ومنع السنيور دى سوزا De Souza قنصل أسبانيا من وضع الآباء الفرنسيسكان تحت حمايته ، وكانت المادة ٢٩ من المعاهدة المعقودة مع فرنسا تنص على بقائهم تحت حمايتها (٣) ، وأراد أن يثبت بالأدلة

(١) في فبراير سنة ١٨٠٢ وصل إلى طرابلس مندوب يحمل فرماناً يخاطر فيه « ببودان باشا » ببناء النصر الذى أحرزته جيوش السلطان وبأمر فيه بإقامة صلوات الشكر في جميع المساجد : وحسب الأخبار التى أبلغها هذا المندوب كان يجب على حكومات الجزائر وتونس أن تساهم في نفقات الحرب ، ولما لم يبلغ مثل هذا الأمر إلى حكومة طرابلس ، فإن يوسف كان يتوقع لاجراءات أشد خطورة من الإجراءات التى اتخذت ضد الجزائر وتونس (٢) خطابا سافريو ناودى المؤرخان في ١١ مارس السنة العاشرة (أول يناير سنة

١٨٠٢) و ١٤ جرمينال السنة العاشرة (٤ ابريل سنة ١٨٠٢) .

(٣) كان « دى سوزا » قد وصل إلى طرابلس يحمل إلى الباشا هبات وهدايا في يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٠١ - وقد زاره الآباء الفرنسيسكان فعلا تحت حماية قنصل فرنسا - خطاب سافريو ناودى « المؤرخ » في ١٩ جرمينال السنة العاشرة (٦ ابريل سنة ١٨٠٢)

أنه في أخرج الأوقات لم تبقى أسرة القرمانلي صديقة لفرنسا فحسب ، بل أنها أيضاً قد خاطرت بمخاصمة السلطان ورعاياه ، وسهلت بقدر المستطاع غزو مصر بواسطة الجيش الفرنسي من الشرق ، ونتيجة لذلك فإنه عندما طلب ناودى إلغاء المواد الثلاث رفض يوسف ذلك رفضاً باتاً وأكد رغبته في بقائها ، كدليل على تعلقه بيونانرت القنصل الأول (١) .

وفي يوم ٢٠ مارس سنة ١٨٠٢ أعلن عقد الصلح بين فرنسا ونيابة طرابلس الغرب في احتفال عظيم .

وفي الشهر التاسع من تلك السنة عاد إلى طرابلس القنصل بوسيه كقومسير عام ، فاستقبله يوسف استقبالا وديا كريما (٢) ، وفضلا عما حمله من الهدايا الثمينة إلى الباشا ، فإن الجمهورية الفرنسية أرسلت إليه أيضاً السفينة « إسبرانس L'Esperance » تعويضاً عن السفينة الطرابلسية التي أحرقتها الأسطول الفرنسي قبل ذلك بستين وهو في طريقه إلى مالطه ، وقد أظهر القنصل الأول بإرساله كل هذه الهدايا تقديره لحكومة نيابة طرابلس الغرب ولرئيسها ، وليس هذا فحسب ، بل إنه أمر الكولونيل سبستيانو Sebastiano ، أحد رجال أركان حربه أن يمر بطرابلس وهو في طريقه إلى الإسكندرية والقسطنطينية لتعديل معاهدة الصلح ولحمل الباشا على عقد الصلح مع السويد والولايات المتحدة الأمريكية .

كانت حكومة نيابة طرابلس الغرب فعلا في حالة حرب مع هاتين الدولتين منذ السنة الماضية ، إذ خيبت الولايات المتحدة ظن يوسف الذي كان لا يستطيع الصبر على معاهدة لا يجنى من ورائها الفوائد الاقتصادية المعهودة ، ولذلك انتهز أول فرصة لإنزال العلم الأمريكي وطرده قنصل

(١) خطاب « سافريو ناودى » بتاريخ ٢٨ بوليفال السنة العاشرة (١٧ فبراير

سنة ١٨٠٢) .

(٢) خطاب القنصل بوسيه بتاريخ ٢٢ فركتيدور السنة العاشرة (٩٠ سبتمبر

سنة ١٨٠٢) .

أمريكا (١) ولم يكن ملك السويد قد صدق على الإتفاقية التي عقدها مندوبه المفوض في طرابلس سنة ١٨٠١ (٢) عندما خرج الغزاة الطرابلسيون لمهاجمة السفن السويدية والأمريكية من جديد واندفعوا لهذا الغرض حتى بورغاز جبل طارق . وقد ظهر أن الإجراءات التي اتخذتها الدولتان لم تكن فعالة - فقد وصل أسطول أمريكي صغير بقيادة القائد ر. ديل R. Dale أمام مدينة طرابلس في أغسطس سنة ١٨٠١ بعد أن أسر سفينة من سفن الغزو الطرابلسية في غرب البحر المتوسط، وبعد أن حاول حصار المدينة بدون جدوى رحل عنها وفي شهر مارس من السنة التالية وصل أسطول سويدي إلى مياه طرابلس ، وأبلغ قائده الباشا أن مليكه كان قد قرر عدم التصديق على المعاهدة المعقودة في سنة ١٨٠١ كما كان قد قرر أن يفرض بالقوة احترام المعاهدة السابقة (٣) .

ومع هذا فإنه أنزل إلى البر ضابطين من ضباطه لاستئناف المفاوضات ، ورغم وساطة « ناودي » لعقد الصلح بين الطرفين فإنه لم يكن من المستطاع الوصول إلى أى اتفاق .

وعندما فشلت المفاوضات أعلن قائد الأسطول السويدي قناصل الدول بأنه سيقوم بضرب المدينة بالقنابل ، ولكن هذا التهديد لم تترتب عليه أية نتيجة ولم يفلح في شيء ، كما لم يفلح الحصار الذي ضربه الأسطول السويدي بعض الوقت هو وأسطول تابع للولايات المتحدة بقيادة القائد ر. ج. موريس R. J. Morris إذ لم يستطع الأسطولان منع سفن الباشا من الخروج للغزو ، وأخذت سفن الباشا أسرى من طاقم سفينة أمريكية ومن سفينة أخرى

(١) خطاب « سافريو ناودي » المؤرخ في ٦ برانيل السنة التاسعة (٢٦ مايو سنة ١٨٠١) خطاب « سامريو ناودي » المؤرخ في ٢٥ تميدور السنة التاسعة (١٧ أغسطس سنة ١٨٠١) .

(٢) خطاب « سافريو ناودي » بتاريخ ٦ فركتيدور السنة العاشرة (٢٤ أغسطس سنة ١٨٠١) .

(٣) خطابا « سافريو ناودي » في ٢ و ١٠ فلوريال السنة التاسعة (٢٢ و ٣٠ أبريل سنة ١٨٠١) .

سويدية . وشجع فشل الاساطيل المهاجمة يوسف باشا على المقاومة ، كما شجعه أكثر من ذلك خضوع الدانيمارك وهولندا له وإجابة مطالبه . وكان القائد الدانيماركي كوفيويد Koefoed قد عقد اتفاقية لمدة خمس سنوات يدفع بموجبها أربعين ألف قرش ، كما كان الأميرال الهولندي دي ووتر De Winter الذى وصل على رأس أسطول قوى فى شهر سبتمبر ، قد تفاوض بوساطة قنصل أسبانيا لإعادة استتباب السلام ، بشرط أن تدفع حكومته ثمانية ألف قرش دفعة أولى ثم تدفع فى كل عام مبلغ خمسة آلاف قرش فضلا عن هدية ثمينة (١) .

وعندما قدم الأميرال السويدي سيندرستروم Cederstrom مبلغ مائة ألف قرش لإعادة العمل بالمعاهدة السابقة والإفراج عن الأسرى رفض الباشا رغم وساطة بوسيديه (٢) .

وفى يوم ٣٠ سبتمبر وصل سباستياني Sebastiani مع الأسطول البحرى الذى كان يقوده قائد البارجة جودرون Goudron وبعد أن أدى الباشا التحية للأسطول أسرع باستقبال المندوب أحسن استقبال وألقى هذا المندوب خطبة أشار فيها إلى قوة فرنسا وصدافة القنصل الأول ومودته الخاصة لنيابة طرابلس الغرب ، وطلب شمول ملاحه الجمهوريات الإيطالية بحماية فعالة . وقد أعاد يوسف تأكيده بتعلق أسرة القرمانلى بفرنسا ذلك التعلق الذى قد قدم هو بنفسه الدليل عليه فى أخرج الأوقات والظروف ، وصرح بأن غاية ما يتمناه هو إعطاء الدليل على صداقته للقنصل الأول — وبعد الاستقبال الرسمى تفاوض سبستيانى طبقاً للتعليمات التى تلقاها مع الباشا ، لوضع حد للنزاع القائم بين نيابة طرابلس الغرب وحكومة السويد ، وسرعان ما تم الوصول إلى اتفاق فى هذا الشأن تدفع بمقتضاه

(١) خطابا القنصل بوسيديه فى ٢٥ ترميدور السنة العاشرة (١٣ أغسطس سنة ١٨٠٢)

و ٣ فندميال السنة الحادية عشرة (٢٤ سبتمبر سنة ١٨٠٢) .

(٢) خطاب القنصل بوسيديه فى ٦ فندميال السنة الحادية عشر (٢٧ سبتمبر سنة ١٨٠٢)

حكومة السويد مبلغ مائة وخمسين ألف قرش كدفعة أولى وثمانية آلاف قرش كل عام على أن يبقى الأسرى فيما عدا الضباط الثلاث الذين أطلق سراحهم في الحال ، كرهائن حتى يتم دفع المبلغ المتفق عليه ، ولم ينجح سبستيانى في جعل الباشا يقبل مقترحات الولايات المتحدة الأمريكية .

وفي يوم ٢ أكتوبر رفع علم الجمهورية الإيطالية فوق مقر القنصلية الفرنسية وأبحر « سبستيانى » بعد ذلك مباشرة بالأسطول الفرنسى إلى الاسكندرية^(١) . كان مسلك أحمد أخ الباشا الذى تصالح معه يوسف للمرة الثانية إرضاء لبيك تونس يقلقه ويقض مضجعه ، فقد عينه من قبل في منصب « بيك درنا » ، وكان أحمد هذا قد تزوج سيدة من أسرة للموم^(٢) من قبيلة « الجوازى Giuazi » التى كانت في ذلك الوقت من أهم قبائل برقه ، وكان يعتمد على مناصرة هذه القبيلة لاستعادته السلطة ، ولهذا الغرض قبل مغادرة تونس بعد أن اتفق مع ايتون W . Eaton قنصل الولايات المتحدة في تلك المدينة على مساعدته ، وبدلاً من أن يترجعه مباشرة إلى برقه ، نزل في مالطه حيث دارت بينه وبين قواد الأساطيل السويدية والأمريكية مفاوضات سرية ، أدت هى والمسلك الذى سلكه بعد وصوله إلى مقره الجديد ، إلى اشتباه يوسف في أمره ، فلم يوافق على سفر أسرته وإبحارها إلى درنا ، لأنه كان يريد أن يأخذ من أخيه تعهداً بالإخلاص له^(٣) . وبما أكد شكه في أخيه وقوع خطاب بين يديه كتبه أحمد إلى القائد « موريس » يذكره فيه بوعدة له بقرض تبلغ قيمته أربعين ألف قرش وستة مدافع ، وكان

(١) خطاب القنصل بوسيه المؤرخ في ١٠ فيندميال السنة الحادية عشرة (أول أكتوبر سنة ١٨٠٢) راجع ف . شارل روفى كتابه « بونايرت وطرابلس الغرب » المؤلف ثلاث كرس ١٧٠ - ١٧٤ .

(٢) كان أحمد بك متزوجاً من خدوجة بنت القائد عموره سلحدار بن الحاج محمود للموم . راجع سجل محكمة طرابلس الشرعية في عهد على باشا .

(٣) خطاب القنصل بوسيه المؤرخ في ٢٠ فيندميال السنة الحادية عشرة (١١ أكتوبر سنة ١٨٠٢) .

الغرض من هذه الأسلحة والنقود هو التآمر على أخيه وإبعاده عن العرش الذي أخذه اغتصاباً^(١).

وأثناء ذلك استأنف الأسطول الأمريكي في أوائل مايو سنة ١٨٠٣ حصار طرابلس ، واستولى على بارجة طرابلسية صغيرة مشحونة بالأسلحة والذخائر ، بقيادة مراد الرئيس وأطلق قنابله على صبراته على سواحل طرابلس الغربية .

وبينما كانت المفاوضات دائرة بين موريس ومحمد الدغيس كان الحصار مستمراً دون جدوى ، حتى أن الباشا استطاع استخدام القوات المتجمعة للدفاع عن المدينة لإخضاع أهالي جبل غريان لطاعته^(٢) . وفي هذه المرة أيضاً لم يكن من الممكن الوصول إلى تفاهم ، وبعد قطع المفاوضات رحل الأسطول الأمريكي بعد أن تسبب للباشا في فقد إحدى سفن المغامرة التي جنحت وغاصت في الرمال عندما كانت تحاول أن ترسو على الشاطئ ، للدخول في الميناء وأشعل بحارتها النار فيها^(٣) .

وحرى إلى منتصف شهر أكتوبر استأنفت بعض وحدات الأسطول بقيادة القائد ريبيل (E. Preble^(٤)) حصار المدينة وقد أرسل هذا الأسطول ليحل محل الأسطول الذي كان تحت إمرة موريس .

وفي ٣١ أكتوبر ارتطمت السفينة فيلادلفيا إحدى السفن الأمريكية في شرق الميناء عندما كانت تطارد زورقا طرابلسياً ، وهي

(١) خطاب القنصل بوسيه المؤرخ في ١٩ جرمينال السنة الحادية عشرة (٩ أبريل سنة ١٨٠٣)

(٢) خطابات القنصل بوسيه المؤرخة ٢٦ مسيدور و ٢ فيندميال السنة الحادية عشرة . (١٦ يوليو و ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٠٣) و ٦ فلورميال السنة الثانية عشرة (٢٦ أبريل سنة ١٨٠٤) .

(٣) خطابا القنصل بوسيه المؤرخان في ٢٢ برانيل و ٣ مسيدور السنة الحادية عشرة . (١٢ ، و ٢٢ يونيو سنة ١٨٠٣) .

(٤) كان يتألف أسطول ريبيل من الفرقاطات « كونسيتوسو » Constitution التي يرفع عليها علم القيادة و « فيلادلفيا » ومن الزوارق « سيرين » Sirene و « أرجوس » Argus ومن السفن « فكسن » Vixen و « انتربريز » Entrepris و « نوتيلوس » Nautilus

فرقاطة مسلحة باثنين وأربعين مدفعاً وبها طاقم يبلغ عدد رجاله سبعة وثلاثين رجلاً بينهم تسعة وعشرون ضابطاً ، وكان يقودها القبطان « بين بردج Bainbridge » ، وعندئذ أسرع ثلاث سفن من سفن المغامرة بمهاجمتها واضطرتها للاستسلام . ثم اصطدمت الفرقاطة بعد ساعات قليلة بقوة الرياح وحدها ، وسيقت إلى الميناء (١) ، وزج ببجارتها في السجون ما عدا الضباط الذين تركوا أحراراً بعد وساطة قنصل فرنسا .

أما « بريبل » الذي وصل إلى جبل طارق حوالى أواخر سبتمبر ، فإنه اتجه إلى طنجة ليطلب الترضية من سلطان مراکش عن الإهانات التي لحقت بالسفن الأمريكية ، ثم ذهب إلى الجزائر ومنها إلى مالطة حيث وصله نبأ فقد الفرقاطة « فيلادلفيا » ، وبعد تفتيش سريع قام به في مياه طرابلس ، استعد للانتقام للإهانة التي لحقت به ، ولمنع الباشا من استعمال هذه الفرقاطة في أعمال الغزو ، ومنع الضرر الذي يحدث نتيجة ذلك .

وفي ليلة ١٦ - ١٧ فبراير سنة ١٨٠٤ نجحت سفينتان شرعيتان تقل ستين رجلاً بقيادة الملازمين « ديكاتور وستيوارت Decatur & Stewart » في التسلل تحت جناح الظلام إلى الميناء ، وصعدا على ظهر الفرقاطة التي كان بها عدد قليل من الحراس وأشعلا النار فيها (٢) . وقد أثار هذه الصفة مظاهرات عنيفة في المدينة ضد الضباط الأمريكيين الذين زج بهم مع البحارة في السجون ، ورفض الباشا الاقتراحات التي قدمها نائب بريبل في مالطة « جيستانو شمبى Gaetano Schembri » بطلب الإفراج عن

(١) خطاب القنصل بوسيه المؤرخ في ١٢ بروميال السنة الثانية عشر (٢ نوفمبر سنة ١٨٠٣) انظر أ . دى . ا . جوستيني في بحثه « حملة أمريكية في برقة سنة ١٨٠٥ المنشور في مجلة المستعمرات الإيطالية جزء ٢ سنة ١٩٢٨ رقم ٥ ص ٢٢٥ .

(٢) خطاب القنصل بوسيه المؤرخ في ٢٧ برميال Piovoso السنة الثانية عشرة (١٦ فبراير سنة ١٨٠٤)

(٣) خطابا القنصل بوسيه المؤرخان ٦ و ١٠ فينال ventose السنة الثانية عشرة (٢٥ فبراير وأول مارس سنة ١٨٠٤)

الأسرى ، وأخذ في تقوية أسوار المدينة والميناء لأنه كان يتوقع هجمات جديدة ، وكان يتولى إدارة هذه الأعمال بنفسه وبنشاط لا يعرف الملل .
وفي النصف الثاني من شهر مارس ، بينما كان « برييل » يعيد الحصار من جديد ، اتصل ببوسديه قنصل فرنسا ليستأنف المفاوضات مرة أخرى ، ولكن الاتفاق لم يكن ممكناً ، لأن الباشا كان عند كل فشل يصيب العدو ، يأمل في صلح أكثر فائدة له ، بينما كان « برييل » يرمى فقط إلى إطلاق سراح الأسرى ، وكان يعرض في سبيل ذلك ثمانين ألف قرش ، دون أن يطلب صلحاً كانت حكومته لا تريد إبرامه نظير ثمن حتى أن بوسديه و « أوبريان » قنصل الولايات المتحدة السابق في الجزائر الذي أوفده « برييل » إلى الباشا ، لم يفلحا في جعل الباشا يخفف من مطالبه ، وكل ما أمكنهما الوصول إليه هو موافقته على وصول الأقوات والملابس للأسرى (١) ، وعندئذ قام « برييل » بتسليح ثمانية قوارب من حاملات المدافع في مدينة سيرافكوزا التي كان قد اتخذها قاعدة ، وقرر استخدام القوة ، ووصل مع كل قواته في يوم ٢٥ يوليو إلى مياه طرابلس ، وبدأ في عصر يوم ٣ أغسطس قذف المدينة بالقنابل ، واستولى على ثلاثة قوارب طرابلسية مسلحة بالمدافع بعد معركة حامية الوطيس للسيطرة على مدخل الميناء ، ولكنه لم يذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ أنه بدلا من أن يستفيد من هذا النجاح ويستمر في الأعمال الحربية إلى النهاية ، أنزل إلى البر في اليوم التالي ١٣ جريحاً من الأسرى الطرابلسيين وأخبر الباشا أنه يحترم المقترحات السابقة وذلك حتى تصله الإمدادات المنتظرة ، وعندما لم يحصل على إجابة ، استأنف ضرب المدينة بالقنابل في يوم ٧ وانتهت بعد ثلاث ساعات عمليات قذف القنابل على بعض المنازل في الحى اليهودي ، وربما كان ذلك بسبب فقد زورق من الزوارق المهاجمة ، وبعد ذلك بيومين ، حاول برييل استئناف المفاوضات وعرض ثمانين ألف قرش

(١) خطابات القنصل بوسديه إلى برييل في ٢٨ مارس و ٦ يوليو سنة ١٨٠٤ ، وإلى

تاليران في ٢٥ براتيل السنة الثانية عشرة (١٤ يونيو سنة ١٨٠٤)

مقابل إطلاق سراح الأسرى ، ثم رفع هذا العرض بفضل تدخل القنصل بوسيه إلى مائة ألف قرش ، ولكن الباشا لم يتأثر بهذا العرض بقدر ما تأثر من التهديدات ، وظل ينتظر هجمات جديدة على طرابلس ، ولم يطل انتظاره ، إذ استؤنف ضرب المدينة بالقنابل مدة ساعتين في ليلة ٢٣ - ٢٤ أغسطس دون أن يحدث أى ضرر لها ، بل خسر المهاجمون زورقاً آخر مسلحاً بالمدافع ، واستمر القذف بالقنابل مدة ثلاث ساعات في ليلة ٢٧ - ٢٨ وحدثت أضرار طفيفة بالسور وخسارة بسيطة في الأرواح . وفي يوم ٣ أبريل أرسل برييل رسالة إلى بوسيه يرجوه فيها أن يقترح تبادل الأسرى ، ولكن الباشا كان قد تعب من تلك المحادثات التي لا طائل وراءها وكان يفسر هذه العروض التي كانت تقدم بعد التهديدات والعمليات الحربية بأنها دليل على ضعف وحرص وارتباك المهاجمين ، ولذلك رفض كل اقتراح في هذا الشأن ، وصرح بأنه مستعد للموافقة على إطلاق سراح الأسرى ، وعلى الصلح مقابل دفع أربع مائة ألف قرش ، خلاف تقديم الهدايا والهدايا المعتادة له ، ولضباط نيابة طرابلس الغرب الآخرين ، وكان يعتقد أنه يستطيع من الآن فصاعداً ، أن يتحدى وهو في غاية الاطمئنان ، أى هجوم تقوم به بحرية الولايات المتحدة كما كان يرغب في إعطاء هذه الدولة فكرة ضخمة عن قواته وشجاعته وأعاد ضرب الأسطول الأمريكى ضرب المدينة بالقنابل مرة ثانية في عصر يوم ٢ سبتمبر وفشلت محاولته نسف أحد الحصون في ليلة ٣ - ٤ سبتمبر إذ انفجر اللغم الظافي فوق الماء قبل الأوان وتسبب في وفاة أولئك الذين كانوا يدفعونه نحو الميناء ، ثم عاد الأسطول أدراجه وبقية بعض الوحدات مستمرة في حصار المدينة (١) .

(١) خطاب القنصل بوسيه في ١٤ فريكتيدور السنة الثانية عشرة (أول سبتمبر سنة ١٨٠٤)

(٢) خطاب القنصل بوسيه في ٣٠ فريكتيدور السنة الثانية عشرة (١٧ سبتمبر سنة ١٨٠٤) لم تكن الحاسر التي منى بها المهاجمون طفيفة ، فقد كان من بين الموتي ثلاثة من الضباط وهم الملازم « كالويل » قائد أحد القوارب حاملة المدافع ، والسيدان سومر Summers وورد سوورت Word sworth اللذان كانا يتوليان سحب اللغم العام . خطاب القنصل بوسيه في ١٥ بروير السنة الثالثة عشرة (٥ نوفمبر سنة ١٨٠٤) .

وأدت عدم فائدة هذه العمليات الحربية الخاطفة ، وعدم الاستمرار فيها حتى النهاية إلى حمل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على قبول اقترحات ايتون قنصلها السابق في تونس بإثارة شقيق يوسف المخلوع (١) عن العرش ضد أخيه ، وإعطاء الأوامر اللازمة إلى القائد « س . بارون S . Barron » الذي أرسل ليحل محل برييل في قيادة الأسطول ، وعندما وصل « س . بارون » إلى مالطه وضع بالاتفاق مع « ايتون » و« الكولونيل « لير Lear » قنصل الولايات المتحدة في الجزائر مشروع العمليات الحربية الجديدة ، ثم أسرع « ايتون » الذي كان يتولى إدارة هذه العملية بالإقلاع مع جزء من الأسطول إلى الإسكندرية لمفاوضة أحمد القرماني الذي كان قد لجأ الى مصر بعد أن تأكد أخوه يوسف من حقيقة ميوله وعزله من منصب « بيك » درنه (٢) ورسا ايتون في الإسكندرية ثم تابع سيره الى القاهرة ، فوجد أحمد في الوجه القبلي لدى محمد بيك الألفي أحد زعماء المماليك فكتب اليه بدعوه للحضور إلى القاهرة لاستئناف المفاوضات التي كانت قد بدأت منذ عامين في تونس ، وأكد له أن الولايات المتحدة لن تعقد الصلح مطلقاً مع يوسف ، وأرسل إليه بعد ذلك خطاب أمان من الوالي خورشيد باشا ، وأخبره أنه سيذهب للقائه في الفيوم . وبالرغم من أن الألفي بيك أقنع أحمد القرماني بعدم قبول هذه الدعوة ، إلا أنه حضر إلى الفيوم وعقد مع « ايتون » اتفاقاً صريحاً حصل بمقتضاه على تأكيدات بأن تبذل حكومة الولايات المتحدة كل جهد لإعادة تثبيتته على العرش ، وأن يتعهد بدوره بتسديد نفقات الحملة بعد إحراز النصر وأن

(١) وقد قالت إحدى الصحف الأمريكية أثناء هذه المداولات « ما هي الأسباب التي دعت الولايات المتحدة إلى أن تحذو حذو الدانمارك والسويد اللتان تدفمان الحزبية انيسامات الغرب ؟ لانا لم نوافق على أن تكون حرية الملاحة هبة من الدول الأوروبية ، ترى هل نذل أنفسنا بقبولها كإقطاع لغزو طرابلس ، وأن تحذو حذو قوات الدانمرك والسويد المتواضعة نحن يمكننا أن نحتذى بروح الاقتصاد السائدة في هولندا ، وعدم أكثر أسبانيا ، لأن هذا يتفق مع مصالحنا نحننا .

(٢) خطاب القنصل بوسيه في ١٥ رومبر السنة الثانية عشرة السالف الذكر .

توكل قيادة هذه الحملة إلى « ايتون » . وما أن جمع أحمد القرماني أعوانه حتى تحركت الحملة التي كانت تضم ثمانين أوروبياً من مختلف الجنسيات وأكثر من خمسمائة من الوطنيين في يوم ٨ مارس من برج العرب نحو الغرب (١) .

وما أن علم يوسف باشا بعقد الاتفاقية ، حتى أرسل حملة من الفرسان إلى درنة ، تلك الحملة التي كان يرغب ابنه البكر الذي كان قد عين بيكا في قيادتها ، ولكن الباشا لم يستجب لرغبة ابنه لأنه كان يرى أنه ليس من الممكن أن يتولى قيادة الحملة شاب في الثامنة عشرة من عمره ، عديم الخبرة بالشئون العسكرية أو لأنه لم يكن يثق به لأنه كان متزوجاً من إحدى بنات أحمد القرماني ، وشعر الابن بالمذلة نتيجة رفض طلبه ، وحاول الانتحار بأن أطلق على نفسه رصاصة من مسدسه وأصيب بجرح خطير (٢) .

وقد وصلت القوات التي أرسلها الباشا للدفاع عن درنة متأخرة إذ وصل ايتون إلى بمبا في ١٥ إبريل بعد زحف مرير ، وبعد أن صادف كثيراً من الصعوبات التي أكدت همته العالية وما امتاز به من مقدرة فوق العادة ، وعند وصوله إلى بومبا وصلت سفينتان من الأسطول نلاشترك في المشروع يحملان أقواتاً وأطعمة لجيش الحملة .

وفي يوم ٢٥ أصبح ايتون على مرأى من درنه وعند وصول خبر تقدم أحمد القرماني الذي لم يترك لنفسه سمعة طيبة في الفترة القصيرة التي حكم فيها المدينة ، فضلاً عن مخالفته للكفار التي زادت في عدم ثقة الأهالي به استعد معظم سكان المدينة المتجمعين في حي « بومنصور » لمساعدة اليك على المقاومة . وفي اليوم التالي بينما كان الأسطول البحري المكون من

(١) خطاب الفصل بوسيه بتاريخ ٦ فلورال السنة الثالثة عشرة - راجع فيما يتعلق بالحملة الأمريكية على درنه ، أ . دي اجوستيني ، في كتابه « حملة أمريكية في برقة » المؤلف الذكر

(٢) خطابا الفصل بوسيه في ١ - ٢ فينتال السنة الثالثة عشرة (٢٠ - ٢١ فبراير سنة ١٨٠٥) انظر أيضاً سجل المحفوظات رقم ٥ بتاريخ ١٢ فبراير سنة ١٨٠٥ في الفصيلة الإنجليزية في طرابلس

السفن الحربية أرجوس Argus وهورنت Hornet وناوتيلوس Nautilus تطلق نيرانها على البطارية التي كانت تتولى الدفاع عن الميناء لتوقفها عن إطلاق النار ، كان « ايتون » يوجه هجومه نحو الجهة الجنوبية الشرقية واستطاع بعد معركة طويلة أن يتغلب على المدافعين بهجوم عنيف سقط على أثره جريحاً بعد أن احتل المدينة. وقد اتخذ أحمد مسكناً له في القلعة التي كان « اليك » قد هرب منها وانضم إلى الجنود الذين أرسلهم الباشا وكانوا يعدون العدة للعمل (١) .

وفي يوم ١٣ مايو تحرك هؤلاء الجنود بعد أن انضم اليهم الهاربون من درنه ، وبدأوا الهجوم ، ولكنهم ردوا على أعقابهم بعد أن تحملوا خسائر في الأرواح ، ولم يكن الهجوم الجديد الذي قاموا به بعنف في أول يونيو أسعد حطاً من الهجوم الأول ، إذ لم يسفر إلا عن خذلان .

وفي اليوم ذاته وصلت إلى « ايتون » أخبار تنبئ ببدء مفاوضات الصلح ولم تكن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في الحقيقة تفكر قط في إعادة أحمد القرماني إلى العرش ، ولكنها كانت تريد الاستفادة منه عند الضرورة لتسهيل الدور الذي كان يجب على الجنرال « ايتون » القيام به ضد مدينة درنه لإلزام يوسف بالتسليم . ولذلك تقرر استئناف المفاوضات رغم استمرار العمليات الحربية . وكانت لدى ايتون جميع الحقوق والسلطات لإجرائها فكاف في ١١ نوفمبر سنة ١٨٠٣ (٢) الكولونيل « لير Lear » القنصل العام بالجزائر إجراء المفاوضات وعلم بذلك القائد « بارون Barron » في يوم ٦ يونيو سنة ١٨٠٤ من التعليمات التي أرسلت إليه ، وكان القائد بارون مكلفاً بالتعاون مع الكولونيل لير في الأعمال الدبلوماسية ، ومع الجنرال « ايتون » في العمليات الحربية ، وعندما وصل بارون إلى مالطة كما سبق أن ذكرنا ، تحدث مع كل من لير وايتون ، واتفق مع الأخير على برنامج للعمل ، كان دون شك

(١) خطاب القنصل بوسيه في ٦ براتيل السنة الثالثة عشرة (١٦ يونيو سنة ١٨٠٥)

(٢) خطاب القنصل بوسيه في ١٤ سيدور السنة الثالثة عشرة (٣ يوليو سنة ١٨٠٥)

يتعدى حدود رغبات حكومته ، غير أن تصرفه الشخصي لم يكن ذا أثر لأنه عندما اتجه بجزء من أسطوله إلى سيرا كوزا لتمضية الشتاء (١) مرض مرضاً شديداً ، وبقى لير ينتظر بجزيرة مالطة لاستئناف مفاوضات الصلح ، لأن العمل الحربي الذي قام به الجنرال « ايتون » قد أرغم الباشا على التعقل وتقديم طلبات أكثر اعتدالا . وفي الواقع كان يوسف لايساوره أى شك بشأن الاتفاقات بين أخيه أحمد وايتون وقرب زحفهما على درنه بسبب الأنباء التي وصلت إليه ، ولذلك أرسل قوة من الجنود للدفاع عن تلك المدينة وأخبر القائد الأمريكى ليير عن طريق دى سوزا De Souza قنصل أسبانيا بأنه على استعداد لعقد صلح مقابل ٣٠٠ ألف قرش . وكان محمد الدغيس في نفس الوقت يخبر القائد « بارون » عن طريق خطابات من القنصل الدانماركى نيسن Nissen و القبطان « بان بروج Bainbridge » بأن الباشا قد يقتنع بدفع مبلغ مائة ألف قرش . وعندما وصل إلى علم ليير أن الجنرال ايتون قد استولى على درنه ، رأى أن ساعة العمل قد حانت فأبحر إلى طرابلس ووصلها في ٢٧ مايو . واستمرت المفاوضات خمسة أيام وكان يقوم بها قنصل أسبانيا دى سوزا نيابة عن الباشا ؛ وأخيراً تم الوصول إلى الاتفاق الذي كان يقضى بتبادل عدد متساو من الأسرى ودفع مبلغ ستين ألف قرش في الحال عن المائتى أسير أمريكى الزائدين عن عدد الأسرى الطرابلسيين ، والإفراج في الحال عن الأسرى الأوربيين على أن يطلق سراح الأسرى الطرابلسيين تباعاً .

لم يرض الباشا عن الطريقة التي أدار بها سوزو المفاوضات فشكره على خدماته وأرسل القبطان الأمريكى « بان بروج » ثم القنصل الدانماركى « نيسن » الى لير أول الأمر لكي يطلب منه التعهد بإبعاد أحمد عن درنه وإعادة الزوارق المسلحة بمدافعها التي كان الأسطول الأمريكى قد استولى عليها في محاولاته للسيطرة على مدخل الميناء . فطلب ليير اعطائه مهلة قدرها أربعة

(١) خطاب القنصل يوسيه في ٢٢ بلوفيل السنة الثالثة عشرة (١١ فبراير سنة ١٨٠٥)

وعشرين ساعة لقبول الشروط التي اقترحها يوسف ؛ ورضخ يوسف لهذا الإنذار الأخير .

وتم التوقيع في يوم ٣ يونيو على مقدمات الصلح على ظهر الباخرة كونستليشن ، وقد تقرر فضلا على البنود السابقة الذكر أن تُمنع أي مساعدة حربية عن أحمد القرماني ، وأن يقوم الباشا بإرسال زوجته وأولاده إليه بمجرد أن ينتعد نهائياً عن أراضى حكومة نيابة طرابلس الغرب ، وقد أرسلت الفرقاطة « كونستليشن Constellation » لإبلاغ الجنرال ايتون خبر عقد الاتفاق ، وأمره بمغادرة درنه .

وفي ليلة ١٢ - ١٣ أبحر الأوروبيون المشتركون في الحملة وأحمد القرماني وحاشيته والمدفعية على ظهر فرقاطة أقلمت في الصباح بين لعنات سكان المدينة ، الذين وجدوا أنفسهم بعد ذلك تحت رحمة الباشا وانتقامه .
وأثناء ذلك نجح لير في طرابلس في عقد معاهدة صلح وصدقة بين الولايات المتحدة ونيابة طرابلس الغرب . وسمح للباشا بمهلة قدرها أربع سنوات بمقتضى اتفاق خاص لإعادة زوجة أخيه وأولاده .

وفي يوم ٢١ يونيو ، شغل السيد « ريجبلي Ridgley » الذي كان جراحاً بالبارجة فيلادلفيا قبل ذلك مهمة قائم بأعمال قنصل الولايات المتحدة في طرابلس ، وأبحر لير في نفس اليوم الذي غادر فيه الأسطول الأمريكى مياه طرابلس (١) وقد بقي أهالى درنه أنصار أحمد معرضين لانتقام الباشا الذي وعدهم بمنحهم عفواً شاملاً كاملاً بشرط عودتهم إلى طاعته ، ولكنه بمجرد رحيل الأسطول الأمريكى ، أرسل سفناً ورجالاً مسلحين لإجبارهم على دفع جزية إضافية (٢) أما أحمد القرماني فبعد أن وصل سرقوسة واتجه منها إلى الاسكندرية عاد ثانية إلى سرقوسة ولحقت به أسرته في شهر أكتوبر سنة ١٨٠٧ م .

(١) خطابات القنصل بوسيديه في ١٤ و ١٦ و ٢٢ برانيل السنة الثالثة عشرة
(٢ و ٣ و ٥ و ١١ يونيو سنة ١٨٠٥) و ١٤ مسيدور السنة الثالثة عشرة (٣ يوليو سنة ١٨٠٥)
(٢) خطاب القنصل بوسيديه في ٥ ترميدور السنة الثالثة عشرة (٢٤ يوليو سنة ١٨٠٥)

وكانت حكومة الولايات المتحدة قد حصلت بواسطة قنصلها في طرابلس
« ج. ديفز (G. Davis) » على موافقة الباشا على سفر أسرة أخيه ، ولذلك رأت
أنها قد أوفت بالتزاماتها نحو أحمد ، وامتنعت عن إعطائه أية إعانة مالية ،
فتوجه إلى مائنه يطلب توسط الانجليز لدى أخيه لينحى معاشاً سنوياً ، ومنحه
يوسف تحت ضغط ديفز منصب « بيك » درنه للمرة الثانية فوصلها أحمد
في شهر مايو سنة ١٨٠٩ وبقى فيها حتى بداية سنة ١٨١١ عندما وصله خبر عن
قرب وصول حملة عسكرية بقيادة محمد بيك ابن الباشا البكر فلجأ إلى
مصر ومات بها في ديسمبر من تلك السنة (١).

وقد تمتعت نيابة طرابلس الغرب بفترة ازدهار غير معتادة في الفترة
التي وقعت بين عقد الصلح مع الولايات المتحدة وسنة ١٨١٠ إذ حافظ سكان
البلاد الداخلية على هدوئهم ما عدا بعض قبائل برقة التي أرسل إليها الباشا في
بداية سنة ١٨١١ ابنه البكر محمد بيك على رأس جيش قوى فتقدم محمد بيك
حتى وصل درنه ، وأخذ يمارس السلب والنهب في البلاد ويخمد الثورة بكل
عنف ، وانتصر على أحمد سيف النصر الذي حاول أن يقطع عليه في سرت
طريق العودة إلى طرابلس وقتله وحمل معه رأسه المبتور وعاد إلى طرابلس
ودخلها في يوم ١٠ فبراير من السنة التالية (٢).

(١) خطابات القنصل بوسيه في ٢٩ مارس و ٢٦ مايو سنة ١٨٠٩ و ١٥ فبراير
سنة ١٨١٠ والنشرة رقم ٤ مارس سنة ١٨١٢
(٢) خطابات القنصل بوسيه في ١٥ فبراير و ١٦ ديسمبر سنة ١٨١١ وأول مارس
سنة ١٨١٢ — وقد رافق الدكتور أجو ستينوسرفيللي Agostino Cervelli محمد بك
كطبيب عسكري وكتب يوميات عن الحملة — وقام ديلايورت بترجمة الجزء الخاص بينغازي
وشحات ودرنه في هذه اليوميات

وكان ديلايورت في ذلك الوقت مأموراً ومنزجماً لقنصل فرنسا في طرابلس . وقد نشرت
هذه الترجمة مع رسالة عن برقة وضعها الأب باسيفيكو داموتى كسينو Pacifico da
Monte cessino الذي كان مبعوثاً دينياً في طرابلس تحت عنوان « تقارير لم تنشر عن برقة »
في مجلة « مجموعة الرحلات والمذكرات التي تنشرها الجمعية الجغرافية » ، جزء ٢ ، باريس .
مطبعة د . برينفال D. Erevall ، سنة ١٨٢٥ — ص ١٥ — ص ٣١ . وقد نشرت ترجمة
لبطالبة لهذه الرسائل في مجموعة الوثائق والسير الاستعمارية في الجزء الأول ، مايو سنة ١٩١٥

وقد أدت هذه الحملات التي غنم فيها الباشا عدداً كبيراً من الماشية وكية كبيرة من الذهب والفضة إلى هجرة بعض القبائل الهامة من برقة ، وانتقال بعض القبائل الأخرى من أماكنها . وبدأ رجال قبيلتي الجوازي و « الفوايد » هجرتهم إلى مصر كما انسحب أولاد علي إلى شرق السلوم (٢١)

كان الباشا يحصل على معظم إيراداته من الضرائب العادية والرسوم الجمرية والغزوات ومن المغامرات البحرية التي كان يمارسها بطمانينة وجرأة ، بعد أن حوّل استئناف الحروب الأوربية أنظار الدول عما كان يحدث في البحر المتوسط .

وبعد أن استقر الانجليز في مالطه لم يقوموا بعمل شيء لمنع أعمال المغامرات البحرية أو تحديدها ، وإذا كانوا في كثير من الأحيان قد أرسلوا سفنهم الحربية من تلك الجزيرة ومن موانئ صقلية إلى مياه طرابلس ، فإنهم لم يكن لهم هدف آخر سوى جعل الباشا يحافظ على مصالحهم .

وقد تخلى الباشا في الواقع بعد سنة ١٨٠٥ عن سياسة الصداقة مع فرنسا التي اعتبرها مسئولة عن الصلح الذي عقده مع الولايات المتحدة ولم يكن في مصلحته ولم تكن فرنسا تعتمد في محاربة الأسطول الانجليزي بعد موقعة الطرف الأغر التي دمر فيها أسطولها ومحيت قوتها البحرية لعدة سنوات طويلة إلا على شجاعة المغارين وجرأتهم . وقد قل احترام الباشا لحليفته القديمة التي كان يخشاها من قبل ، ولم تحسن الأخبار الواردة عن انتصارات جيوش نابليون في أوروبا من سمعة فرنسا في نظر الباشا ، لأن مثل تلك الانتصارات كان معناها زوال بعض الدول التي كانت قد تعهدت بأن تنفع له جزية سنوية لضمان ملاحه سفنها ، إما باندماجها في فرنسا أو ببيعيتها لها .

(١) خطابات القنصل بوسيه في ٢٢ مايو و ١٨ يوليو و ٢٧ سبتمبر سنة ١٨١٢

(٢) الكولونيل أريكو دي اجوستيني - في كتابه « أهالي برقة » التي قامت

بنشره حكومة « برقة » - بنغازي ، سنة ١٩٢٢-١٩٢٣ ، ص ٢٦-٢٩

إن إنشاء مملكة إيطاليا التي اتسعت على التوالي بانضمام البندقية وجنوا ومملكة « تروريا ، ودولة الكنيسة وتولى جوزيف بونابرت ويواقيم مورا عرش نابلي ، واعتلاء لويس بونابرت عرش هولنده ثم انضمامها إلى فرنسا ، وتأسيس الدولة الأسبانية كل ذلك كان موضوع محادثات رسمية بين القنصل بوسيه والباشا ، الذي كان رغم علمه بذلك يؤكد حقه في الجزية السنوية المستحقة له عند كل من هولنده ونابلي ، ولم يكن يخفي سخطه واستياءه من أن سفن هذه الدول كانت تستفيد بالمعاملات المبرمة بين فرنسا وحكومة نيابة طرابلس الغرب دون أن تدفع أى مقابل لذلك (١) .

وكان احتجاجه أشد بل لا يخلو من تهديد عندما حجرت سفينة تجارية طرابلسية فى ميناء ليفورنو ، إذ سمحت أثناء عبورها بزيارة الانجليز لها ، إذ ضربوا حصارا على البحر لتفتيش السفن الفرنسية وقد تجلت مظاهر الشعور العدائى (٢) الذى كان يضمرة الباشا هو وشعبه (٣) ضد فرنسا بشكل واضح مع مرور السنوات وكان يشعر فضلا عن ذلك بثقته فى الأمان من العقوبة . وقد توترت العلاقات بينه وبين القنصل بوسيه ثم بينه وبين دى لا بورت الذى كان يعمل قنصلا بالنيابة مدة من الزمن بعد وفاة بوسيه والذى حازل بكل الطرق حماية مصالح مواطنيه والدفاع عن كرامة حكومته - غير أن مركزه أصبح حرجا بعد أن أقصى الباشا محمد الدغيس عن الحكم بحجة ضعف بصره ، ولو أن أقصاه كان فى الحقيقة بسبب ميوله الفرنسية - ثم عين صهره أحمد بن مصطفى كخيار رئيس البحرية (٤) وزيراً للخارجية بدلاً منه .

(١) خطابات القنصل بوسيه فى ٨ أكتوبر سنة ١٨٠٦ - و ٣ فبراير سنة ١٨٠٧

و ١٠ ديسمبر سنة ١٨٠٩ و ٤ يونيو و ١٥ يوليو و ٢ أكتوبر سنة ١٨١٠

(٢) خطاب القنصل بوسيه بتاريخ ٩ مايو سنة ١٨١٠

(٣) خطاب القنصل بوسيه بتاريخ ٢١ يونيو سنة ١٨٠٩ وقد جاء فيه ما يأتى :-

« إن كل البلاد بوجه عام مخصصة للانجليز ، وتلهم على الأخبار التى فى غير مصلحتنا ، ونحمد علينا بسبب القيود والعقبات التى تجدها أعمال القزو والتجارة والملاحة الطرابلسية من جانبنا منذ عدد من السنين »

(٤) خطابا القنصل الفرنسى بوسيه بتاريخ ٢٥ أغسطس سنة ١٨٠٨ و ٧ يونيو

سنة ١٨٠٩ - وكان الرئيس أحمد متزوجاً من حوا أخت يوسف القرمانلى

وكان يوسف باشا يرد على احتجاجات القنصل الفرنسي على مخالفته
نصوص المعاهدة مخالفة مستمرة بالف والدوران المعروفين عنه ، كما كان
يسخر من كل تهديد قائلاً : « إن رمال مملكة طرابلس المتحركة ليست غنيمة
جذابة في نظر بونابرت » .

وكان يشجع الباشا على أعماله هذه ، قنصل إنجلترا ، وقنصل الولايات
المتحدة ، وكذلك قنصل أسبانيا « دى سوزا » الذى بقى فى طرابلس بعد
سقوط الأسرة البوربونىة كممثل لحكومة الثورة .

كما كان يشجعه على الأخص « سافريو ناودى » Saverio Naudi
الذى كان مفاوضاً فى صلح سنة ١٨٠٢ والذى عاد إلى طرابلس سنة ١٨٠٩
بعد أن غاب عنها عدة سنوات . عاد ناودى إلى طرابلس وهو ممتلىء حقداً على
فرنسا ، وأقام فيها تحت حماية يوسف الذى كان قد تمتع عدة سنوات
بأفضاله ورعايته ، أما بوسيديه الذى لم تكن تؤيده حكومته ، والتي لم تكن
حكومة نيابة طرابلس الغرب تقدم لحكومته بعض الخدمات التي قدمت
مثلها أثناء الحملة على مصر ، فإنه لم تكن لديه الوسائل للعمل . وفضلاً عن
ذلك فقد كانت تتعدد الإهانات ، ويتوالى انتهاك حرمة المعاهدات . وقد ذكر
بوسيديه فى خطاب له إلى الدوق « دى بسانو Ducu di Bassano وزير
الخارجية الفرنسية بتاريخ ٢٤ ديسمبر سنة ١٨١٢ أكثر من خمس وخمسين
مخالفة حدثت أثناء خمس سنوات . ولم تفد مخالفة فرنسا مع تركيا فى تغيير
مسلك يوسف الذى كان يقابل باحترام كبير سفراء تركيا الذين كانوا
يرسلون إلى طرابلس لإعلان تولى السلطان الجديد مثل مصطفى الرابع فى
سنة ١٨٠٨ ومحمود الثانى فى سنة ١٨٠٩ أو لى يحملوا إلى الباشا فرمان
التواية ، ولكنه من جهة أخرى كان لا يطيع أوامر الباب العالى ، إذ كان
يصدر أوامره إلى مغامريه بالاستيلاء على السفن العثمانية فى موازى بحر
الأرخبيل ذاتها (١) .

(١) خطابات القنصل « بوسيديه » بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٨٠٨ و ٦ سبتمبر سنة ١٨٠٩

و ٢١ أغسطس سنة ١٨١٢

وقد كان الانجليز يستفيدون من هذه الأمور لجعل الباشا يتخذ إجراءات تعتبر مخالفة صريحة لحياذمه لمصلحة الدول التي كانوا يحمونها ، وذلك مثل مسألة تموين مالطة ولم يكن الباشا يرمى من علاقاته مع انجلترا إلا رعاية مصالحه الخاصة . وكان يشكو كثيرا من أنه لم يكافأ بما فيه الكفاية على الخدمات التي أداها ، كما كان يرفض أحيانا قبول عروض لا يرى فيها فائدة كبيرة له ، ولذلك فإنه عندما حضر القبطان و. سميث W . Smith إلى طرابلس سنة ١٨١٢ يطالبه بعقد صلح مع صقلية اكتفى الباشا بمنحها هدية طالما بقي الانجليز بها أو ظلوا في تحالفهم مع فرناند الرابع ، ولم يقبل إطلاق سراح الأسرى الصقليين إلا بعد دفع ٣١٠ قرشا عن كل منهم مقدما (١) .

ولم يخل الأمر من وقوع حوادث مع دول أخرى . فقد وقع نزاع مع الدانيمارك والسويد بسبب تأخرهما في دفع الجزية السنوية ، ومع داي الجزائر اذى استولى في سنة ١٨١١ على بعض السفن الطرابلسية (٢) إثر الأعمال العدائية التي وقعت على سفنه .

ومع هذا يمكن القول بأن السنوات التي وقعت بين سنة ١٨٠٥ وسنة ١٨١٤ كانت سنوات ازدهار عظيم بالنسبة لحكومة نيابة طرابلس الغرب وأسرة القرمانلي . وقد تغيرت تلك الظروف بعد سقوط نابليون وإقرار السلام في أوروبا ، وعرف يوسف كيف يستفيد منها ويستغلها لمصلحته ، حتى ولو أدت هذه الظروف المتغيرة إلى سقوط دولة نيابة طرابلس الغرب والأسرة القرمانلية .

(١) خطاب القنصل الإنجليزي ويلكي Wilkie بتاريخ ٦ أبريل سنة ١٨١٢ وخطابة

القنصل بوسيه بتاريخ ٢٢ أبريل و ٢٢ مايو سنة ١٨١٢

(٢) خطابا القنصل بوسيه المؤرخان في ٢٢ أغسطس سنة ١٨١١ وأول مارس سنة ١٨١٢

الفصل الثامن الدولة الأوربية في مقاومة المغامرين

لم تتردد الدول الصغرى التي عانت كثيراً من أضرار المغامرات البحرية أثناء عهد نابليون وخاصة مملكة سردينيا في أن تعرض بواسطة وزير خارجيتها البارون فاليزا Vallezza^(١) مسألة أمن البحر المتوسط. على مؤتمر فيينا ولم يستطع هذا المؤتمر - الذي كان قد اهتم بناء على طلب إنجلترا ببحث مسألة إلغاء تجارة الرقيق أن يهمل العبودية التي كان يرزح تحتها المسيحيون الذين يأسرمهم عرب إفريقيا خاصة وأن الرأي العام الأوربي بعد الحملة الشديدة التي أثارها الأميرال الانجليزى «السير سيدنى سميث» Sidney Smith ضد الرق، كان يطالب باتخاذ إجراءات لوضع حد لهذه الأمور التي كانت تجعل أوروبا موضع السخرية.

وكان سميث هذا قد وجه في أغسطس من سنة ١٨٠٤ مذكرة إلى الدول صاحبة الشأن، ذكر فيها أنه ليس من المعقول في الوقت الذي تبحث فيه مسألة تحريم تجارة الرقيق على سواحل إفريقيا الغربية، ألا يهتم العالم بأعمال السطو التي يقوم بها المعامرون في الموانئ الشمالية، وطالب بتأليف أسطول دولي تقتصر أعماله على وضع حد للغزو في البحر المتوسط.

وقد أصدر المؤتمر في هذه المسألة التي أدمجت في جدول أعماله في ديسمبر سنة ١٨١٤ قراراً غير محدد، وبعد حرب المائة يوم أصدر قراراً حازماً ولكن لم يكن له أثر، إذ أنه لم تكن هناك دولة من الدول الكبرى تريد

(١) ج. فرارى - حملة أسطول سردينيا على طرابلس سنة ١٨٢٥

رئاسة أركان الحرب، المكتب التاريخي، روما، سنة ١٩٢٠، ص ١٧

تنفيذه عدا فرنسا بسبب مركزها السياسي الخاص ، فإن إنجلترا كانت تعتقد بأنه ليس من مصلحتها تدمير نيابات الغرب مخافة أن تحل محلها فرنسا أو غيرها مما يضعف نفوذ الإنجليز في البحر المتوسط .

وبينما كان المؤتمر يبحث هذا الموضوع ، كان يوسف قد استأنف الأعمال العدائية ضد النمسا إذ كان يطالبها بدفع أقساط الجزية المتأخرة منذ إبرام معاهدة كامبر فورميو Campofornio ، وبالضريبة السنوية التي كانت تدفعها له جمهورية البندقية مقابل استغلال ملاحات بوكاش (١) ، كما استأنف الباشا الأعمال العدوانية ضد هولندا والدانيمارك بسبب تأخرهما في دفع المبالغ المنصوص عليها في معاهدات الصلح المعقودة مع كل منهما ، وضد الدول البحرية الإيطالية . واشتدت أعمال الغزو بوجه خاص ضد سفن هذه الدول وسفن الدانيمارك حتى أنه بلغ عدد السفن التي استولى عليها المغامرون حوالى منتصف سنة ١٨١٥ ست سفن دانيماركية تقدر حمولتها بما يساوى ٥٠٠-١٠٠ قرش (٢) . كما أسر مالا يقل عن ١٥٠٠ إيطالى سجنوا داخل حمامات طرابلس (٣) .

ولم تسلم السفن الفرنسية وسفن الولايات المتحدة من هجمات المغامرين الطرابلسيين ، إذ تم الاستيلاء على سفينة فرنسية وسفینتين أمريكيتين ، أما السفن الانجليزية فكانت وحدها موضع الاحترام ، والسبب في ذلك واضح ومفهوم ، إذ أن إنجلترا بعد أن بسطت سيادتها على مالطه أصبحت تشكل خطراً شديداً على الباشا ، ومن جهة أخرى فإنها كانت تأخذ من حكومة نيابة طرابلس الغرب ما يلزمها لتموين الجزيرة ، وكأنت تمنح الباشا أرباحاً طائلة ، ولذلك كان من مصلحته توثيق عرى الصداقة معها .

(١) خطابا القنصل الانجليزي ورائجتون Warrington بتاريخ ١٨ فبراير و ٩ مايو

سنة ١٨١٥

(٢) خطاب القنصل ورائجتون المؤرخ في ١٨ يوليو سنة ١٨١٥

(٣) خطاب القنصل الفرنسى « مير Mure » المؤرخ في ٤ ديسمبر سنة ١٨١٥

كذلك كانت انجلترا هي الدولة الوحيدة التي كانت ترسل من آن لآخر سفناً حربية إلى مياه طرابلس ، الأمر الذي أدى إلى صيانة سلطتها وهيبتها فضلاً عن همة قنصلها الكولونيل فرديريك هامر وارنجتون الذي استطاع في وقت قصير أن يفرض نفسه على الباشا (١) على أن يحصل على أسبقية مطلقة على جميع القناصل الآخرين (٢) ، على أن ما امتاز به هذا القنصل من الحزم لم يمنع المغامرين الطرابلسيين في ذلك الوقت من الاستمرار في أعمالهم دون أن يقيموا وزناً للمعاهدات .

ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية هي وحدها التي تحركت للعمل بعد الاستيلاء على سفينتها ، إذ أرسلت أسطولاً بقياده « ديكاتور Dicatur » الذي وصل أمام طرابلس في يوم ٦ أغسطس وهدد بإطلاق القنابل على المدينة إذ لم تقبل طلباته . وحصل على أمر باسترداد السفينتين وعلى تعويض قدره ثلاثين ألف قرش (٣) .

ولكن ذلك لم يكن له أي أثر ، إذ أن الدول الأوروبية التي أصابها كثير من الضرر ، قد أرسلت سفناً حربية لا لاستعراض قوتها ، ولكن بقصد الرغبة في الصلح .

ووصل نائب الأميرال الهولندي « تولليكر Tulleken » على رأس أسطول صغير وحصل على وعد بإعادة العمل بالمعاهدات القديمة ، ووافق على طلبات يوسف بعد إدخال بعض التعديلات عليها وهي دفع ستين ألف قرش فوراً وجزية سنوية قدرها خمسة آلاف قرش (٤) .

(١) كان وارنجتون قد أبحر إلى طرابلس في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨١٤

(٢) « لقد كانت سياستي هي أن أفوض بأفضل الطرق الودية عند ما لا يكون لدى ما أطالب به ، ولكن إذا اقتضى الأمر أن أطالب بشيء فإنني كنت أصرح دائماً أن إنجلترا تريد التنفيذ فوراً . خطاب القنصل وارنجتون بتاريخ ١٩ نوفمبر سنة ١٨١٥

(٣) خطاباً القنصل وارنجتون في ٧ و ٢٧ أغسطس سنة ١٨١٥ وخطاب « دي لا بورت » نائب قنصل فرنسا في ٢٢ أغسطس سنة ١٨١٥ .

(٤) خطاب القنصل وارنجتون في ٢ أكتوبر سنة ١٨١٥ وخطاب القنصل « مير »

في ١٠ سبتمبر سنة ١٨١٥ .

كذلك استأنفت حكومة الدانمارك المفاوضات في نوفمبر بواسطة مستشارها « نيسين Nissen » وقنصلها « كارستنسن Carstensen » ، وتم الاتفاق على صلح لمدة سبع سنوات ، مقابل دفع خمسة آلاف قرش كل عام ، والتعهد بدفع ثلاثين ألف قرش عند تجديد المعاهدة ، كما اتفق على دفع مبلغ خمسة وعشرين ألف قرش لإطلاق سراح الأسرى الدانماركيين ومبلغ مائتين وأربعين ألف قرش لإعادة السفن المستولى عليها (١) .

وأثناء ذلك عادت أسرة البوربون إلى عرش فرنسا ووصل قنصل عام جديد هو مير (٢) إلى طرابلس ، وأدى ذلك إلى تحسين العلاقات الفرنسية الطرابلسية . وظهر الدليل على ذلك في الحال في ذلك الاستقبال الحافل الذي استقبل به يوسف القنصل « مير » ، وفي إعادة السفينة الفرنسية المستولى عليها بمجرد أن طلب القنصل « مير » ذلك .

وقد تمكن يوسف بعد وصول قنصل جديد لفرنسا ، يمثل الحكومة التي كان يراها شرعية ، من استئناف السياسة التمليدية التي انتهجتها الأسرة القرمانلية ، والتي كانت تقضى باستغلال التنافس الظاهر والخفي بين فرنسا وإنجلترا بمتهى المهارة .. أى يطلب مساعدة إحداهما لمقاومة طلبات الأخرى . ولم يتمكن وارانجتون في الواقع بعد عودة « مير » من فرض إرادته على الباشا ، ولم ينجح في حمله على عقد الصلح مع امبراطورية النمسا ومع مملكة الصقليتين .

وعندئذ طلب امبراطور النمسا تدخل الباب العالي الذي أرسل إلى طرابلس مندوباً من قبله لم يحصل على شيء . كما بذل ملك الصقليتين جهوداً كبيرة دون جدوى لاحترام نصوص معاهدة سنة ١٨١٢ واتجه إلى

(١) خطاب القنصل وارانجتون في ١٩ نوفمبر سنة ١٨١٥ وخطاب القنصل « Mure » في ١٣ ديسمبر سنة ١٨١٥ و ١٥ يناير سنة ١٨١٦ .

(٢) كان القنصل بوسيه قد توفى في طرابلس بالسكتة القلبية في يوم ٥ أبريل سنة ١٨١٤ وقام بإدارة القنصلية « دى لا بورت » حتى تم تعيين « مير » الذي تسلم أعمال منصبه في أول سبتمبر سنة ١٨١٥ .

الحكومة الإنجليزية التي كانت تُعيد في ذلك الوقت حملة لحمل رؤساء حكومات نيابات الغرب على وضع حد لأعمال الغزو واسترقاق المسيحيين .

وهكذا أخذت تقترب منذ ذلك الوقت اللحظة التي يتلقى فيها المغامرون من المغرب الضربة القاضية .

وكان للحملة التي يقودها الأميرال « سيدنى سميث » ، صدى كبير في إنجلترا وفرنسا وإيطاليا (١) .

عندما استأنف ساسة الدول الكبرى بعد مؤتمر فيينا ، الاتصال بالرأى العام في بلادهم ، أصبحوا لا يعتبرون أعمال الغزو مسائل تافهة ، وقدروا خطرها ، وعدلت الوزارة الإنجليزية عن موقفها السابق وقررت أن تقوم بتنفيذ قرارات المؤتمر التي كانت ترى وضع حد لاسترقاق المسيحيين ، فأرسلت لورد « إكسموث Exmouth » ، على رأس أسطول كبير إلى البحر المتوسط ليفرض على رؤساء حكومات نيابات الغرب قرارات المؤتمر .

واقترح لورد كاسلريه الذي اعتنق فكرة « سدنى سميث » ، عقد مؤتمر في لندن يحضره ممثلو الدول العظمى لبحث هذه المسألة .

ولم يؤد هذا المؤتمر إلى أية نتيجة ، بسبب موقف فرنسا التي كانت ترى في مشروع « كاسلريه » ، آراء إنسانية تحبذها الحكومة الإنجليزية عندما تحترم هذه الآراء سياستها وتجارتها (٢) . وكانت تخشى أن يضر ذلك بتجارتها في الشرق خاصة وأنها لم تكن تريد الاشتراك في عصبة تكون إدارتها في يد إنجلترا .

(١) راجع فيما يتعلق بصدى حملة « سميث » في إيطاليا . كتاب « الكنيسة والبربرية Santa Sedee Barbareschi » من سنة ١٨١٤ إلى سنة ١٨١٩ في مجلة الشرق الحديث Oriente Maderno ، مجلد ١٢ - عدد ١٠ - صفحة ٤٦٦ ، حاشية ٣ ، تأليف « Vecia Vaghieri Laura » .

(٢) ف . شارل - رو ، في كتابه « فرنسا وأفريقية الشمالية قبل سنة ١٩٣٠ م » ، طبعة باريس . السكان « سنة ١٩٣٢ م ، ص ١٢ .

وبينما كان النقاش يدور في لندن ، كان اللورد ا كسماوث يصل إلى البحر المتوسط لكي يقوم بالمهمة الموكولة إليه . كما كان أيضاً مندوباً مفوضاً لملك سردينيا وملك الصقليتين للمفاوضة في تأمين سفنهما وحماية رعاياهما .

وقد حصل ا كسماوث من داي الجزائر على أمر بإطلاق سراح الأسرى الذين أخذوا من جزائر بحر الأرخبيل التي كانت في ذلك الوقت خاضعة لانجلترا ، وعلى توقيع الصلح مع نابلي و « تورينو » ، كما حصل على وعد من « بيك » تونس بوقف المغامرات ثم وصل أمام طرابلس في يوم ٢٧ ابريل . وفي اليوم التالي استقبله الباشا . وقد سهل النجاح الذي أحرزه ا كسماوث في تونس والجزائر تقدم المفاوضات ، إذ تعهد يوسف في يوم ٢٩ ابريل بعدم استعباد المسيحيين بعد ذلك ، واعترف بأن جزر الأيونياز وهانوفر تابعة للتاج البريطاني ، وتعهد بأن يعقد صلحاً دائماً مع ملك سردينيا و صلحاً لمدة عشر سنوات مع ملك الصقليتين ، وتعيين قناصل لهما في طرابلس مقابل دفع مبلغ أربعة آلاف قرش أسباني كهدية قنصلية عند بدء تعيين كل منهما ، ودفع مبلغ مائة عند تعيين أي قنصل بعد ذلك . واضطر الباشا أيضاً للرافقة على إطلاق سراح ١٤٤ أسير من سردينيا ومن جنوا كما أطلق ٤٢٢ أسير من نابلي (١) مقابل خمسين ألف قرش .

وهكذا فرض في الحقيقة على الدولتين الإيطاليتين ولو في صورة مصغرة وبشكل ما ، نظام دفع الجزية لتجنب الأعمال العدوانية من جانب المغامرين الطرابلسيين .

غير أنه لم يفرض على هؤلاء المغامرين عدم مهاجمة سفن الدول الأخرى الصغيرة مثل دوقية توسكانا ودولة روما والبلاد المنخفضة ولذلك لم يخل عمل اللورد ا كسماوث من نقد .

(١) خطاب القنصل مير ، بتاريخ ٨ مايو سنة ١٨١٦ — انظر نص المعاهدة المعقودة في ٢٩ ابريل سنة ١٨١٦ في كتاب ج . فراري — السالف الذكر ص ٣١ وما يليها



منزل في شارع جامع الدرّوج بمدينة طرابلس
كان مقرّاً لقنصلية إيطاليا

ومن جهة أخرى فإن يوسف كان قد أبرم المعاهدة في شيء كثير من سوء النية لا يضطراره إلى الخضوع للقوة .

وبمجرد أن أدى موقف « داي » الجزائر ومذاهب الرعايا الانجليز في « بون » إلى استدعاء الأسطول الانجليزي إلى تلك الأماكن ، استأنف المغامرون الطرابلسيون أعمالهم ونشاطهم في البحر ، وتم استيلائهم في وقت قصير على أربع سفن تابعة لدولة روما الباباوية . كما تم أسر طاقم سفينة صيد على شواطئ « تسكانا » . وأخذ رجال هذه السفن ويبلغ عددهم ٦٠ رجلاً أسرى إلى طرابلس ، وسخر الباشا قائلاً « إن الأسرى لن يصبحوا عبيداً كما كان الحال في الماضي ولكن سيصبحون أسرى (١) » .

أظهر يوسف سوء نيته صراحة عندما رفض استقبال قبطان البحرية النمساوية الفارس بسكواليجو Pasqualigo الذي وصل على رأس سفينتين حربيين في يوم ٢ أغسطس لكي يطلب ترضية عن الإهانة التي وقعت للسفن التي ترفع العلم الامبراطوري ، والذي اضطر للعودة من حيث أتى عندما لم يستطع مقابلة الباشا ، ودون أن يحصل على أي شيء (٢) .

هذا ولم يغير من موقف الباشا ، وصول خبر بأن اكسهاوث قد قصف مدينة الجزائر بالقنابل في يوم ٢٧ أغسطس ، وألزم « الداى » بتوقيع معاهدة ٣١ أغسطس التي تنص على إلغاء استعباد المسيحيين .

وعندما وصل الأميرال الهولندي « فان كابلين Van Capellin » إلى طرابلس في يوم ١٠ سبتمبر بعد أن اشترك في ضرب مدينة الجزائر بالقنابل ، وصرح بأن ملكه لا يرى من المشرف له أن يدفع مبلغ الستين ألف قرش المطلوبة من أجل صيانة السلام ، واقترح تجديد معاهدة سنة ١٧٢٨ التي كانت هولندا تدفع بمقتضاها مبلغاً لا يزيد على خمسة آلاف قرش ، ورفض يوسف الموافقة على هذا الاقتراح ، واستطاع بموقفه الحازم الحصول على

(١) خطاب القنصل « مير » بتاريخ ١١ أغسطس سنة ١٨١٦

(٢) « » « » ١٥ سبتمبر سنة ١٨١٦

مبلغ عشرين ألف قرش دفعت فوراً خـلاف قيمة الجزية المعتادة (١).
على أن رضاه الباشا وسروره من هذا النجاح لم يدم طويلاً ، إذ حدثت
له إهانة شديدة ، وإذلال كبير من « وارانجتون » ، فقد حدث أن استولى أحد
المغامرين الطرابلسيين في أواخر سنة ١٨١٥ على سفينة انجليزية مشحونة
بالبضائع وتمكن « وارانجتون » من الحصول على أمر باسترداد السفينة
والبضائع في الحال على أن تعرض هذه المسألة على المحكمة الانجليزية في
مالطة ، وحكمت المحكمة على هذا المغامر بغرامة ، ثم فاجأت سفينة انجليزية
الريس المغربي وهو سائر بسفينته بين طرابلس ومالطة وعادت به إلى
ميناء طرابلس .

ولما كان يوسف يفهم خطورة هذا الحادث فقد لزم الصمت ، ولم
تؤد المدفعية التحية المعتادة لسفينة الغزو ، وأسرع يوسف بالتعبير
عن أسفه الشديد لهذا الحادث للقنصل الانجليزي ، ولكن « وارانجتون » ،
انتهز هذه الفرصة لإعطاء درس قاسي للمغامرين وطالب بشنق هذا المغامر
فوق ظهر السفينة الانجليزية على مرأى من جميع الأهالي ، واضطر يوسف
إلى الموافقة مرغماً ، ولكنه طلب فقط أن يشنق المغامر بيد أبناء جنسه ، لأن
المسلمين يرفضون أن يشنق أحدهم بيد المسيحيين .

ولكن هذا الطلب رفض رفضاً باتاً لأن وارانجتون أراد أن يعاقب
المجرم الذي اعتدى على حرية المسيحيين وأهلاكم بأيدي المسيحيين
أنفسهم ؛ وهكذا تم شنق « المغربي » ، على السفينة الانجليزية وبأيدي
البحارة الذين كان هو قد أسرم (٢).

لم تكن الأحوال الداخلية في حكومة نيابة طرابلس الغرب حسنة
فقد نشبت في سنة ١٨١٢ ثورة بدأت من جنوب بنغازي ، واتسع نطاقها اتساعاً

(١) خطاب القنصل « مير » بتاريخ ١٥ سبتمبر سنة ١٨١٦

(٢) « » « » « » ٣٠ نوفمبر سنة ١٨١٦

كبيراً ، وأرسل يوسف نجله الأكبر محمد بك (١) لإخضاع الثوار في فبراير سنة ١٨١٥ . وملاً النجاح الذي أحرزه الأمير الشاب أوداجه خيلاً ، وعندئذ أسرع والده الذي كان يخشى أطماعه ، بإبعاده عن طرابلس بأن عينه « بيكا ، لينغازي ودرنه .

وعندما وصل محمد بيك إلى برقة وشعر بالإهانة التي لحقته ، قطع كل علاقة بالوالد ، ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى ثار على أبيه معتمداً على تأييد القبائل الكبيرة وعلى الأخص قبيلة « الجوازي ، التي كانت لا تزال باقية في البلاد (٢) .

ولما كان يوسف يرغب في قمع هذه الفتنة قبل أن تتسع وتصل إلى طرابلس ، فقد أرسل حملة عسكرية بقيادة نجله الثامن أحمد بيك (٣) ، وغادرت هذه الحملة طرابلس يوم ١١ فبراير سنة ١٨١٧ ، وسارت بمحاذاة شواطئ « سرت ، وتوغلت في برقة ، واندفعت من الأيبار وشحات ودرنه حتى وصلت إلى خليج « بومبا ، دون أن تجد أية مقاومة ، إذ خضع بعض الثوار ولاذ بعضهم بالفرار ، ولجأ محمد إلى « مصر ، وقد انتهز أحمد بيك فرصة هذا النجاح وألزم الأعداء بدفع جزية كبيرة لتسقيت قبيلة « الجوازي ، التي كانت أكبر سند لعمه ولأخيه .

(١) خطاب « ديلاپورت » في ١٤ فبراير سنة ١٨١٥ وخطاب القنصل « مير » في ٣٠ مارس سنة ١٨١٦

(٢) خطاب القنصل « مير » بتاريخ ٢٤ يناير سنة ١٨١٧ ، كان محمد بيك قد أحضر زوجته فاطمة ابنة عمه أحمد القرمانلي وبنت خدوجه ، من سلالة أسرة اللوم التي تعتبر من أقوى وأكبر قبائل الجوازي

(٣) ترك لنا الدكتور باولو ديلا سيلا Baolo delle Celle الذي كان موجوداً في طرابلس لدى ابن خاله « ف . برتولوميو بوكاردى Bartolomeo Boccardi » ، قنصل ملك سردينيا العام بطرابلس ، والذي رافق الحملة بناء على طلب الباشا بصفته طبيباً خاصاً للبيك — كتب تقريراً عظيم الأهمية عن رحلته . انظر دكتور ف . ديلا سيلا — في كتابه السالف الذكر

وقد ترك الجوازي ، البيك الثائر وخضعوا واستسلموا ، وقدموا
اثنين وعشرين رهينة كدليل على خضوعهم ، وأرسلوها بطريق البحر إلى
طرابلس ، وعندما وصل أحمد بيك إلى بنغازي ، قضى فيها شهر رمضان ،
ثم دعا قبيلة الجوازي لحضور حفلة تسليم البرنس الأحمر إلى رؤسائها ، وقبل
الجوازي الدعوة وجاءوا في يوم ٤ سبتمبر ونصبوا خيامهم على مقربة من
المدينة .

وفي اليوم التالي توجه رؤسائهم وعددهم خمسة وأربعون إلى القلعة حيث
أخذوا على غرة ، واغتالهم حرس البيك ، ثم هوجم مخيمهم ولكن معظم
الجوازي كانوا قد لاذوا بالفرار عندما علموا بالفاجعة تاركين نساءهم واطفالهم
الذين قتل بعضهم وأخذ البعض الآخر عبيداً ، وتركت حيواناتهم وأمتعتهم
غنيمة للجنود ، أما الرهائن الذين كانوا قد أرسلوا إلى طرابلس بأمل الإفراج
عنهم يوم الحفلة ، فقد ألقى بهم في البحر (١) ولجأ من بقي حياً منهم إلى مصر
حيث لحقوا بقبايلهم التي كانت قد هاجرت إليها .

وأثناء ذلك أرسلت حملتان عسكريتان إحداهما إلى فزان ، والثانية إلى
جبل نفوسة وغدامس (٢) ، وغنم الباشا منهما أسلابا كثيرة .

وبعد أن استقر الهدوء في بلاد نيابة طرابلس الغرب ، أخذ الباشا يعمل
على تجديد أسوار المدينة وتسليحها ، وأثقل لهذا الغرض كاهل اليهود بالضرائب
وطلب من السويد ثلاثين مدفعاً ، ومن الدانيمارك خمسين مدفعاً
يكامل ذخائرهما ، على أن يخصم ثمنها من المبالغ التي كان على هاتين الدولتين
أن تدفعاها للباشا ، وحصل من القنصل الإنجليزي « وارنجتون » ، على
وعد بأن يحضر إليه عمالا من مالطه .

وكانت حملة اللورد اكسمات قد زادت في هيبة إنجلترا ، وضمنت
أسبقية قنصلها على قناصل الدول الأوروبية الأخرى في طرابلس .

(١) انظر كتاب الدكتور ب . دلا سيلا السالف الذكر من ١٣٥ وما يليها
(٢) خطابا القنصل « مير » بتاريخ ٢٠ يوفيه سنة ١٨١٧ و ٢٠ أبريل سنة ١٨١٨

وإذا كان وارينجتون قد بدأ شديداً في كل مسألة تخص بلاده ، فإنه كان دائماً يميل إلى التوفيق إزاء كل مسألة تخص رعايا الدول الأخرى حتى ولو كان يقوم هو بتمثيلها . وكان يقوم فعلاً في ذلك الوقت بإدارة قنصلية «هانوفر» وقنصلية البرتغال وقنصلية مملكة الصقليتين ، كما كان يدير بالوكالة قنصلية هولندا ويعنى بمصالح رعايا النمسا وروسيا و توسكانا . وقد استغل ما كان له من نفوذ على يوسف واستطاع الحصول على ترخيصات في كثير من المسائل المتعلقة ، وإبرام معاهدتي صلح ، إحداهما بين نيابة طرابلس الغرب ومملكة هانوفر ، والثانية في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨١٨ بين نيابة طرابلس الغرب ودولة البابا ، وفي هذه المعاهدة الثانية وافق الباشا على عقد اتفاق خاص بعمل تسوية على قدم المساواة البتامة بين الطرفين في الشؤون التجارية والبحرية (١) نظير ما وعد به من هدايا أو جزية سنوية .

ومنذ ذلك الوقت بدأ موقف وارينجتون يتجه لرعاية مصالح الباشا . وذلك لأنه كان متحمساً للمشروع الذي يجعل من طرابلس قاعدة للكشف الجغرافي في داخل إفريقيا ، وكان وارينجتون قد دفع حكومته إلى إرسال بعض الرحالة إلى « فزان » و « واداي » و « تمبكتو » ، وأصبح في حاجة إلى معاونة الباشا لضمان نجاح هذا المشروع - غير أن يوسف الذي كان عظيم المقدرة في الاستفادة من كان الظروف ، عرف كيف ينال أغلى الأمان لمثل هذه المعاونة ، إذ بينما كان قد التزم مؤقتاً بإيقاف أعمال الغزو وتجريد سفنه من أسلحتها لتحويلها إلى سفن تجارية ، أخذ يعمل الآن على إخراجها لمهاجمة سفن الدول الصغرى (٢) ، وقد استأنف المغامرون فعلاً

(١) خطاب القنصل « مير » بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٨١٨ - انظر كتاب Veccia Vaglieri السالف الذكر « الكنيسة والبربر » من سنة ١٨١٤ إلى سنة ١٨١٩ ، المنشور في مجلة الشرق الحديث ، السنة الثانية عمرة ، جزء ١٠ ، ١٦٥ وما يليها

(٢) خطاب القنصل « مير » بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٨١٨ - راجع أيضاً عن النفوذ الذي كان لوارينجتون على يوسف ، مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزير البحرية والبحرية وقائد الأميرالية . خطاب بتاريخ ٢٥ أبريل سنة ١٨٢٠

أعمال الغزو ولم تسلم منهم حتى السفن التركية وأصبحوا شديدي الخطر ، حتى اقترح اللورد كاسلريه Castlriagh إنشاء عصابة بحرية مدتها سبع سنوات ، توضع تحت تصرفها السفن الحربية اللازمة لنظير البحر المتوسط من الغزو ، وعارضت كل من فرنسا والنمسا والروسيا هذا المشروع ، مدعية بأن نيابات الغرب ليست لها حقوق إعلان الحرب والسلام ، لأنها ولايات تابعة للباب العالي وليس في استطاعتها مهاجمة السفن التابعة للدول التي ليست في حالة حرب مع تركيا ، ولذلك وجب تفيتش كل سفينة من سفن هذه الولايات توجد في البحر ، ومعاملتها بمنتهى الشدة إذا كانت مسلحة ، ثم طلت أسبانيا بطلب مسألة المغامرين المغاربة بمسألة المغامرين في أمريكا اللاتينية . ولما لم يكن من المستطاع الوصول إلى اتفاق ، فقد تأجلت المناقشة في هذا الموضوع .

وأثناء ذلك كان قد انعقد مؤتمر اكس لاشايل فقدمت إليه كل من روسيا وفرنسا والنمسا مشروعاً يختلف عن مشروع انجلترا وأسبانيا . ولما لم يكن من الممكن الاتفاق على مشروع موحد للعمل ، فقد تقرر بمقتضى بروتوكل ٢ نوفمبر سنة ١٨١٨ أن أي اعتماد على تجارة الدول المتعاقدة يجب رده ومنعه فوراً ، وطولبت فرنسا وانجلترا بإبلاغ عبارات جدية إلى نيابات شمال إفريقية ، وإنذارها بأن إنشاء عصابة عامة من الدول الأوروبية ، كان نتيجة لاستمرار هذه النيابات في أعمالها ضد التجارة السلية وأنه يجب عليها أن تفكر في نتيجة أعمال هذه العصابة في الوقت المناسب لأن مجرد وجودها قد يصيبها بالضرر . وقد أبلغ هذا الإنذار الشديد إلى نيابات الغرب .

ولما كان المغامرون الطرابلسيون قد استمروا رغم ذلك الإنذار في مهاجمة السفن التابعة لنابولي وأسبانيا وتوسكانا وروما ، فقد تقرر إبلاغ قرارات المؤتمر مكتوبة عن طريق أميرال انجلنزي وأميرال فرنسي .

لذلك أبحر أسطول إنجليزي فرنسي تحت إمرة الأدميرال جوريان دي لاجرافير Jurien de la Gravière والكومودور فريمانتل Fremantle ، وقام باستعراض أمام مدينة الجزائر ومدينة تونس ، ثم وصل إلى طرابلس في يوم ٨ أكتوبر سنة ١٨١٩ (١) وقد استقبل الباشا الأмирالين في اليوم نفسه وتسلم منهما نص الإنذار وطلباً منه الرد عليه كتابة ، وعندئذ أسرع بالتصريح بأنه سوف يترك الغزو (٢).

وقد أدى قبول قرارات مؤتمر اكس لاشايل إلى بعث الطمانينة حتى لسفن الدول الصغرى ، مثل سردينيا وتوسكانا والدولة البابوية وغيرها ، فحاولت التلصص من التزاماتها ، وعدم دفع المبالغ التي اتفقت عليها سابقاً مع الباشا لتأمين سلامة سفنها .

ومن جهة أخرى لم يكن في استطاعة يوسف الذي كان يحرمه توقف أعمال الغزو من المصدر الرئيسي لإيراداته ، التنازل عن الهبات السنوية التي كانت تدفع له حتى ذلك الوقت ، لأن الأحوال الاقتصادية في بلاده كانت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، وكان يتحمل كثيراً من الضيق .

(١) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس الأيرالية ، والخطاب رقم ٢٨ بتاريخ ٥ نوفمبر سنة ١٨١٩ وخطاب القنصل « مير » بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٨١٩ ، وخطاب القنصل وارنجتون بتاريخ ١١ أكتوبر سنة ١٨١٩ .

(٢) ونحن نورد هنا نص الخطاب الذي قبل به يوسف قرارات المؤتمر . « سادتي — تسلمنا الآن خطابكم الرسمي المؤرخ بتاريخ اليوم — ورداً عليه ننشرف بإخباركم بأن صاحب الجلالة ملك فرنسا وصاحب الجلالة ملك إنجلترا لا يجب أن يجهلا أنه لم تخرج من موافقتنا منذ عهد بعيد أية سفينة غزو لإفلاق أية دولة أوروبية ، وأن نياتنا تتجه وستتجه دائماً لإرضاء رغبات جلالتي ملك إنجلترا وملك فرنسا ، ونجنب أعمال الغزو ، وأن نميش على وفاء تام مع جميع الدول الأوروبية . هذه هي نياتنا موضحة في المذكرة التي سلمناها محتومة بحامتنا للملكي ، لإبلاغها إلى المؤتمر ، والتي نراعيها بكل أمانة وإخلاص — تحريراً في طرابلس في يوم ٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٣٤ هـ . — خطاب القنصل « مير » بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٨١٩ .

وقد أصدرت الدول المجتمعة في مدينة فيرونا قراراً جديداً أكد قرار المؤتمرات السابقة، وأضاف إليها اعتبار تجارة الرقيق أمراً محرماً وكارثة كبرى، دمرت إفريقية زمنياً طويلاً وأسقطت هيبة أوربا، وعذبت الإنسانية وآلمتها.

ولما كان تنفيذ إلغاء تجارة الرقيق يحرم الباشا من آخر موارده الاقتصادية^(١)، ونظراً للضائقة المالية التي كان يعيش فيها، فإنه بدأ يتذرع بحجج ليس لها ما يبررها للحمول على أموال من الدول المسيحية الصغرى، فطلب من السويد ثمانية ألف قرش فضلاً عن هدية قيمتها أربعة آلاف قرش عند تعيين كل قنصل جديد، وأبرم مع الدانيمارك اتفاقاً مدته ثمان سنوات تعهد فيه بتأمين ملاحتها مقابل دفع مبلغ ٢٠ ألف سكودو وقد ترتب على عمله هذا - الذي كان من شأنه بث الذعر، استئناف نشاط المغامرين الطرابلسيين، ونقص التجارة، واقتصارها على المعاملات التجارية مع مدينتي مارسيليا وليفورتو دون غيرهما^(٢).

وفضلاً عن ذلك فإن المغامرين اليونانيين كانوا قد ملأوا البحر على ربة من المدينة^(٣)، ولم يكن من الممكن أن تقوم السفن القليلة العدد، المناقصة للتسليح التي بقيت لحكومة نيابة طرابلس الغرب بعمل حاسم ضدهم، بعد أن أبحر معظم الأسطول الطرابلسي الذي كان يتألف من ثمان سفن مسلحة بمائة وأربعين مدفعاً وأكثر من ألف رجل في ١٠ يولية سنة ١٨٢٤ ليلحق بأسطول السلطان في المياه اليونانية.

(١) بالرغم من جميع الوعود التي أعطاها الباشا في المعاهدات، فإنه كان يستمر في التسليح وإصلاح السفن القديمة وشراء سفن جديدة، انظر مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس الأيرالية الخطاب رقم ٦٢ والخطاب رقم ٢٣ بتاريخ ٢٧ أبريل سنة ١٨٢٤

(٢) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزارة الخارجية - الخطاب رقم ٢٧ بتاريخ ١٣ يونيو سنة ١٨٢٣

(٣) خطاب رقم ٢٩ بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٨٢٣

(٤) خطاب رقم ٨٢ بتاريخ ٢٣ أغسطس سنة ١٨٢٣

أدت طلبات يوسف إلى إيجاد نزاع كبير بين حكومة نيابة طرابلس الغرب ومملكة سردينيا بعد أن بقيت العلاقات بينهما ودية عدة سنوات . إذ بعد معاهدة سنة ١٨١٦ كان اللورد اكسهاوث قد كلف القنصل وارنجتون بإدارة أعمال قنصلية سردينيا في طرابلس .

وفي أغسطس من تلك السنة ، قام بهذا العمل ، القنصل العام « برتولوميو بوكاردى Bartolomio Boccardi » ، الذي بقي في طرابلس حتى سنة ١٨١٧ حيث حل مكانه نائب القنصل « أوجو Ugo » ، ثم خلفه القنصل العام ج . ب . بارودي G . B . Parodi الذي وصل إلى مقر القنصلية في شهر يولييه سنة ١٨٢٢ .

وفي ربيع عام ١٨٢٤ طلب « بارودي » من حكومته إجازة لأسباب صحية ، وحصل على تصريح بمغادرة القنصلية وحل مكانه فيها مؤقتاً الفارس « فوكس Foux » ، الذي كان قنصلاً في كورفو ، وسافر بارودي يوم ٨ سبتمبر وحل محله وكيل القنصل السرديني في بنغازي أ . روسوني E . Rossoni في نهاية شهر فبراير سنة ١٨٢٥ حتى وصل « فوكس » إلى طرابلس وتسلم أعمال القنصلية .

ولما كان الباشا يعتقد أو يتظاهر بأنه يعتقد أن مثل هذه التنقلات المؤقتة كانت بمثابة تغيير حقيقي في القناصل ، فإنه طالب بمبلغ أربعة آلاف قرش طبقاً لمعاهدة ٢٩ ابريل سنة ١٨١٦ وحدد موعداً لا يزيد على شهرين لدفع هذا المبلغ .

وعندما انقضى هذا الأجل ، أصر على أن يتسلم فوراً مبلغ ألف قرش على الأقل ، وكتب فوكس صكاً بهذا المبلغ يدفع في ليفورنو بعد ٢٥ يوماً . ولكن حكومة سردينيا لم توافق على عمل « فوكس » ، وهذا وأخطره بأن الصك سيدفع ولكن خصماً من مرتبه .

(١) مراسلات قنصلية سردينيا العامة في طرابلس مع وزارة الخارجية . الخطاب المؤرخ في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٢٤ — انظر ج . فرارى في كتابه السالف الذكر — ص ٣٦ وما يليها

وفي يوم ٦ يونية ، عندما أصر يوسف على طلب دفع الفرق بين المبلغين
حزر « فوكس » ، بعد أن استشار وارنجتون صكا بمبلغ ثلاثة آلاف قرش
تدفع في مرسيليا ، ولكن حكومة سردينيا لم تقبل الحجج التي أبداه « فوكس » ،
وأصدرت أمرها بعدم دفع هذا الصك وأمرت بعودة « بارودي » ، إلى مقر
عمله في الحال .

تضايق الباشا كثيراً لهذا التصرف وهدد بالقيام بعمل حاسم ضد
سفن سردينيا ، واشترى بالأموال التي تسلمها من إنجلترا الحراسة الرحالة
الميجور « لينج Lainge » ، سفينة نمساوية وسفینتين أخريتين لاستخدامها
في الغزو .

وفي ٧ أغسطس أمر الباشا « فوكس » ، بالآيرفع العلم على دار القنصلية
بعد ذلك ، وأذره بأنه سوف يضع الحراسة على سفن سردينيا التي توجد
أو تقترب من موانئ حكومة نيابة طرابلس الغرب .

وعندما علمت حكومة سردينيا بذلك ، وكانت تحتفل احتفالاً كبيراً
بإعداد أسطول لمرافقة القنصل « بارودي » ، وقناصلها في بيروت وقبرص
ورودس أمرت بأن يقلع الأسطول إلى طرابلس ، وأرسلت في ٦ سبتمبر
منشوراً إلى دبلوماسيها وقناصلها في الخارج ، تخبرهم فيه بأسباب الحملة وأهدافها ،
وكان هذا الأسطول يتألف من الفرقاطة كوميرشيو Commercio التي
يقودها قائد الحملة الفارس « فرنسيسكو سيفوري Francesco Sivori » .

والمدمرة « نيريدي Nereide » التي كان يقودها القبطان « موريتزيو
راي دي فيلاري Maurizio Rey di Villarey » ومن أربع سفن نقل وقام
الأسطول من جنوا في يوم ١١ سبتمبر ورسا أمام تونس في يوم ٢٠ سبتمبر ،
حيث انضم إلى الفرقاطة « كريستينا Cristina » التي كان يقودها القبطان
« لويجي سيرا Luigi Serra » ، واتجه نحو مياه طرابلس حيث لحق
بالسفينة « تريتوني Teritone » التي كان يقودها القبطان زيكافو والتي كان
يجب أن تنضم لهذا الأسطول لتقوية الفرقاطة « ماريا تريزا Maria Teresa »

وعندما وصل القائد « سيفورى » أمام مدينة طرابلس في يوم ٢٥ سبتمبر أرسل السفينة « تريونى » للمفاوضة وإخطار القنصل الانجليزى وارنجتون أنه يود النزول لمفاوضة الباشا ، ولسؤاله عما إذا كان يسمح بذلك ، وتلقى منه ردا بالإيجاب . نزل « سيفورى » فى اليوم التالى وتفاوض فى القنصلية الإنجليزية مع الحاج محمد شلبي بيت المال وزير الباشا الذى كان يدعو عليه الميل للاتفاق .

كان كل شىء يبدو سهلا ميسرا ، إلا أن يوسف تقدم فى اليوم التالى بمطالب جديدة كانت تميل فى جوهرها إلى فسخ معاهدة سنة ١٨١٦ ، وعندما انقطعت المفاوضات عاد سيفورى ثانية إلى سفينته وأذعر الباشا بأنه سوف يبدأ الأعمال الحربية إذا لم يتسلم فى مدى أربع ساعات اقتراحات معقولة . وعندما انتهى الأجل المحدد بدأ أسطول سردينيا فى قذف القنابل من بعيد ، ولكن ذلك لم يكن له أى تأثير ، فقرر سيفورى مهاجمة السفن الطرابلسية الموجودة فى الميناء أثناء الليل ، وكان هذا المشروع مغامرة خطيرة ، إذ كان يتحتم مجابهة النيران من جانبيين ، ومن جانب البطاريات التى كانت تحمى الميناء وذلك خلاف صعوبة الاقتراب من الشاطئ .

وأثناء الليل نزل بحارة سردينيا فى قواربهم بعد أن قسموا أنفسهم إلى ثلاثة أقسام بقيادة الفارمى جورجيو ماميلى Giorgio Mameli ومساعديه باليتا Pallitta وكيجى Chigi ، اللذين استطاعا الدخول فى الميناء وإشعال النار فى سفينة حربية ومدمرة ، كاتنا راسيتين بالقرب من القلعة . كان لهذه المغامرة الجريئة تأثير كبير ، حتى أن يوسف أسرع بطلب توسط القنصل الانجليزى للوصول إلى اتفاق ودى (١) .

(١) انظر ج . فبرارى ، الكتاب السالف الذكر ، وتقرير القنصل بارودى عن أعمال الأسطول الذى نقله ر . ميكافى فى بحثه « حركات الفارميين الطرابلسيين الأخيرة وآثارها فى الدول الإيطالية » — المنشور فى مجلة « المستعمرات الإيطالية » السنة التاسعة (سنة ١٩٢٣) بالعدد الثالث من ٢٠٩ ، وخطابى القنصل الفرنسى « روسو » فى ٢٧ سبتمبر و ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٢٥

وقد تقرر في ٣٠ سبتمبر أن تبقى معاهدة سنة ١٨٠٦ معمولاً بها وسارية التنفيذ ، وأثناء ذلك عاد القنصل «بارودي» لاستلام مهام منصبه ، وحصل الباشا مقدماً على الهدية الخاصة بالقنصل الجديد الذي كان سيرسل بعد ستة أشهر ، إذ عين السيد «باولو نجرى Paolo Negri» بمرسوم ملكي مؤرخ في ٧ نوفمبر سنة ١٨٢٥ قنصلاً عاماً لمملكة سردينيا في طرابلس ووصل إلى مقر عمله^(١) في شهر ديسمبر .

وحاول يوسف أثناء ذلك ابتزاز الأموال من مملكة السويد وهولندا ومملكة الصقليتين^(٢) بحجج مماثلة إذ طالب السويد بدفع مائة ألف قرش وحصل منها بعد المفاوضات على خمس وستين ألف قرش فضلاً عن تعهدها بأن تدفع له ثمانية آلاف قرش كل عام ، وادعى بأن حكومة هولندا وحكومة الصقليتين قد عينت كل منهما قنصلاً ، حتى يتسلم منهما الهدية المتفق عليها ، والتي لم تدفع منذ أن كلف القنصل الإنجليزي برعاية مصالح رعايا الدولتين في طرابلس - ووصلت سفينة حربية هولندية ، والاراجة النابوليتانية « فيزوفيو Vesuvio » إلى طرابلس عندما كانت المدينة مهددة بضرب أسطول سردينيا لها بالقنابل . كان الوقت ملائماً ليعدل الباشا عن مطالبه ، ولكن قائد السفينتين فضلاً القيام بالمفاوضة ، وتوسط القنصل الإنجليزي « وارنجتون » ، في الأمر حتى عدل الباشا عن طلباته مقابل بضعة آلاف من القروش^(٣) ، وكانت الطريقة التي أدار بها وارنجتون هذه المفاوضات موضع نقد شديد من جانب

(١) ج . فيراري - الكتاب السالف الذكر ، وتقرير القنصل «بارودي» عن عمليات الأسطول الذي نشره ر . ميكاكي في بحثه « حركات المغامرين الطرابلسيين الأخيرة وأثرها في الدول الإيطالية » في مجلة المستعمرات الإيطالية السنة الحادية عشرة (سنة ١٩٣٣) العدد الثالث ص ٢٠٩ وخطابي القنصل الفرنسي «روسو» بتاريخ ٢٧ سبتمبر و ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٢٥ .
(٢) مراسلات القنصلية العامة لمملكة سردينيا في طرابلس مع وزارة الخارجية - الخطاب رقم ٤ المؤرخ في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٢٥ .

(٣) دفع ملك الصقليتين اثني عشر ألف قرش - انظر ج . بالادينج Pelading في « حملة البحرية النابوليتانية على طرابلس في سنة ١٨٢٨ » المنشور في مجلة المستعمرات الإيطالية . السنة الثالثة - العدد ٩ ، ص ٩١٠ .

بقية أفراد هيئة القناصل ، إذ أبلغ بعضهم حكومته صراحة اتهامهم وارانجتون بأنه يعمل لتأييد مصالح الباشا^(١) .

ولم يتغير موقف القنصل الانجليزى إزاء الحوادث التى وقعت بعد ذلك بقليل بين يوسف والدولة البابوية ، فلم يكن الاتفاق الذى نصت عليه معاهدة ٢٤ ديسمبر سنة ١٨١٨ قد تم بين الحكومتين ، ولم يكن يوسف قد تسلم الهدايا التى كان قد وعد بها ، والتى كان يعتمد عليها ، ويعمل حسابها - ولذلك احتج الباشا بعدم تنفيذ الاتفاق ، ودفع مغامريه للعمل ضد سفن الدولة البابوية .

وقبل أن يصل أسطول مملكة سردينيا إلى طرابلس كان قد تم الاستيلاء على سفينة لروما مشحونة بالقمح فى البحر الأيونى ، وأخذت إلى ميناء طرابلس^(٢) .

وعندما رأى ج . ب . روسو^(٣) قنصل فرنسا ، وكان رجلا عالى الهمة يعمل على رفع هيئة دولته ، وزيادة نفوذها فى نيابة طرابلس الغرب ، أن القنصل الإنجليزى الذى كان رغم افتخاره بتمثيل الدولة البابوية فى طرابلس يتردد فى التدخل ، طلب روسو من الباشا أن يحترم تعهده التى وردت فى تصريحات ٨ أكتوبر سنة ١٨١٩ ويطلق سراح سفينة روما المستولى عليها ، ولكن يوسف بعد أن حاول المماطلة ، انتهى به الأمر إلى تقرير أن هذا

(١) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة فى طرابلس مع وزير الخارجية المطالب رقم ٢ ، بتاريخ ٥ نوفمبر سنة ١٨٢٥ .

(٢) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزارة الخارجية خطاب رقم ١ بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٨٢٥ ، وخطاب القنصل « روسو » فى تاريخ ٣٠ أغسطس سنة ١٨٢٥ .

(٣) كان البارون ج . ب . روسو دبلوماسيا قديرا ، ومستشرقا كبيرا ، حتى أنه كان يستطيع المفاوضة مع الباشا دون الانجاء إلى مترجم ، وقد حل محل القنصل السابق « مير » فى ٣٠ يوليو سنة ١٨٢٥ - راجع خطاب القنصل روسو فى ٢٥ أغسطس سنة ١٨٢٥ .

العمل قانوني ولا غبار عليه^(١).

وعندما استولى المغامرون الطرابلسيون بمسد ذلك في أكتوبر على سفينتين أخريتين لروما ، تدخل « روسو » من جديد ، ولكن دون أن يحصل على نتيجة ، لأن الباشا رجع إلى تطبيق نصوص المعاهدة التي عقدها القنصل الإنجليزي معه نيابة عن الحكومة البابوية في سنة ١٨١٨^(٢) وعندما أخبر روسو حكومته بالحادث بين لها أنه من المفيد لهيبة فرنسا القيام بمظاهرة بحرية لتعزيز طلباته ، ومن جهة أخرى اتجهت الحكومة البابوية إلى حكومتى فرنسا وانجلترا طالبة تدخلهما .

وبينما كانت الإشاعات تتحدث عن قرب وصول حملة بحرية فرنسية ، كان الباشا يتحدى الرأي العام الأوروبي ، ويطلب من الدانيمارك أن تدفع له مبلغاً كبيراً وهو ستين ألف قرش مديعياً بأن المتفاوض باسمه في معاهدة سنة ١٨٢٤ قد خدع ، وقبل القنصل الدانمركي « كلوتزن Clutzen » وساطة وارنجتون ووصل إلى تسوية تلزم حكومته بدفع مبلغ عشرين ألف قرش^(٣) غير أن ثقة الباشا العظيمة بنفسه سرعان ما تزعزعت ، فقد رسا أسطول فرنسي بقيادة ارنودى لاسولساي Arnaus de la Saulsais في ميناء طرابلس في ١٣ فبراير سنة ١٨٢٦ وطلب تسليم السفن إلى روما فوراً ، والتعويض اللازم عن الإهانات التي لحقت بالقنصل روسو . وكان طلب القومندان بأن تطلق ٢٣ طلقة تحية للعلم الفرنسي موضع مناقشات طويلة ، لأن عدد

(١) خطاب القنصل روسو بتاريخ ٩ سبتمبر سنة ١٨٢٥ أنظر . فيشاقاليري « Veccia Vaglieri » في بحث من منازعة بين القنصل الإنجليزي والقنصل الفرنسي في طرابلس الغرب سنة ١٨٢٥ المنشور في مجلة المستعمرات ، السنة السادسة ، عدد ٥ ، صفحة ٣٧١ وما يليها .

(٢) خطاب القنصل روسو بتاريخ ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٢٥ ، مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزارة الخارجية ، الخطاب رقم ٥ ، بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٨٢٥ .

(٣) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزارة الخارجية ، الخطاب رقم ٩ بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٨٢٦ - خطاب القنصل روسو بتاريخ ١٠ فبراير سنة ١٨٢٦

الطلقات التي كانت تطلق لتحية علم الدولة الأكثر رعاية هو سبعة وعشرون طلقة .

واستمرت المناقشات ثلاثة أيام دون الوصول إلى قرار ، ولجأ روسو وجميع الرعايا الفرنسيين إلى السفينة الفرنسية الراسية في الميناء فاضطر يوسف للرضوخ أمام التهديد بضرب المدينة بالقنابل ، وحيا العلم الفرنسي بثلاثة وثلاثين طلقة مدفع مما دعا إلى احتجاج القنصل الانجليزي .

وفي يوم ١٨ اجتمع قائد السفينة ، امازون ، والقنصل روسو على ظهرها مع مندوب الباشا و عقدوا اتفاقاً تقرر بمقتضاه ما يأتي : -

أولاً : أن ترد في الحال سفن روما التي تم الاستيلاء عليها مع حمولتها .

ثانياً : أن تحترم في المستقبل السفن التي يرفرف فوقها العلم البابوي .

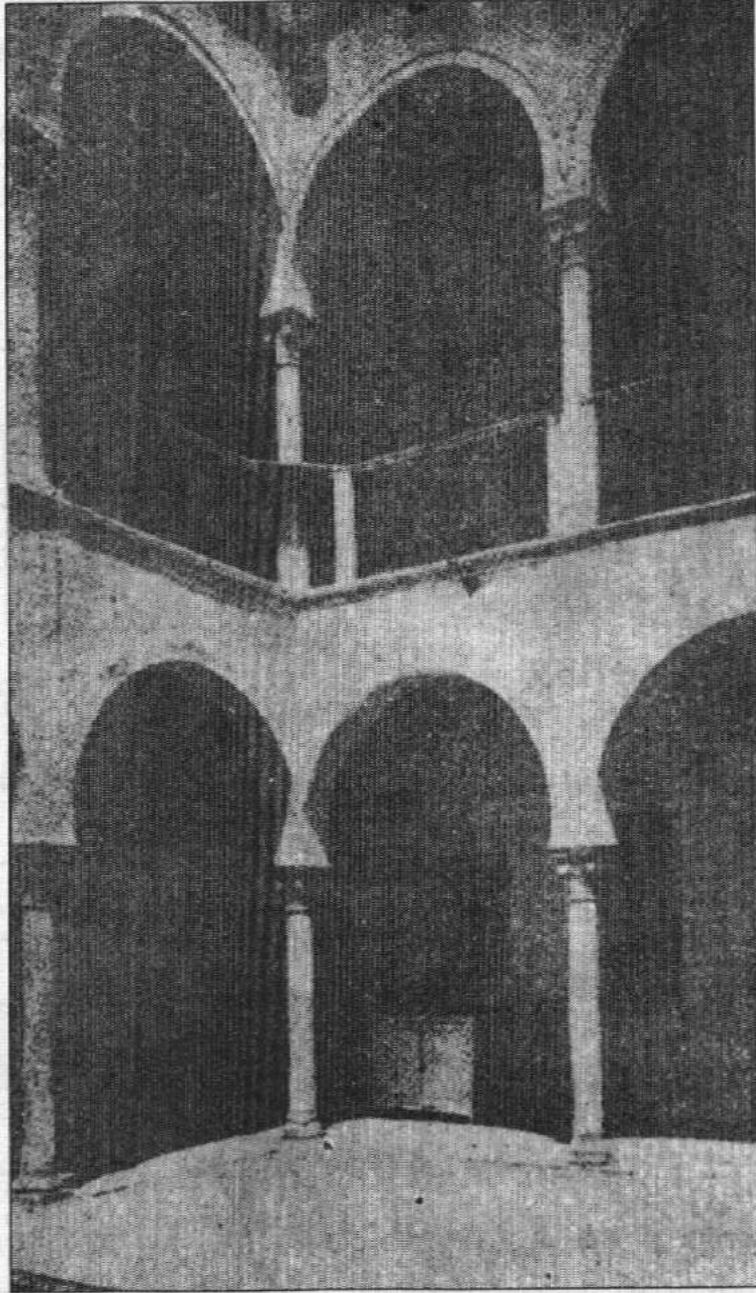
ثالثاً : أن يدفع مبلغ ألفين قرش تعويضاً لأصحاب السفن المستولى عليها

وقباطنتها وبحارتها .

رابعاً : أن تعتبر فرنسا أحق الدول الأوروبية "بالرعاية .

وقد شعر يوسف بالمذلة والهوان لاضطراره للخضوع بالقوة ، وإذا كان قد أخفى شعوره بهذا مؤقتاً وتظاهر بالحمية والاحترام والصدقة لروسو إلا أنه بقي ينتظر الفرصة المواتية للانتقام منه ، ووجد هذه الفرصة عند الاحتفال بعيد جلوس ملك فرنسا شارل العاشر في ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٦ ، إذ أجريت استعدادات كبيرة بالقنصلية لاستقبال الباشا الذي كان قد حدد موعد زيارته في الساعة الثانية بعد الظهر ، وأخطر روسو قناصل أسبانيا وإنجلترا ونابلي والسويد والدانيمارك وسردينيا وتوسكانا بذلك ، ودعاهم للاجتماع لديه ، وبعد انتظار دام طويلاً وصل أخيراً حسونه الدغيس وزير الباشا وأخبر روسو بأن وعكة مفاجئة منعت سيده من الحضور إلى هذا الاحتفال .

(١) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزارة الخارجية رقم ٩ بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٨٢٦ ، خطاب القنصل روسو بتاريخ ٢٣ فبراير سنة ١٨٢٦ .



منزل القرمانيين بشارع جامع الدروج بجانب سوق الحرارة
وكان مقراً لقنصاية توسكانا سابقاً

وفهم روسو أن يوسف أراد إلحاق إهانة علنية بفرنسا وقنصلها وذهب إليه في الحال ، ولكن الباشا لم يستقبله ، وعندئذ أنزل علم بلاده من فوق القنصلية واستعد للرحيل ، غير أن الباشا خشي العاقبة ولجأ إلى وساطة قنصل أسبانيا العام ، فطلب روسو أن يعيد بحارة سفن الباشا رفق صارى العلم الفرنسى بأيديهم وأن تستمر تحية العلم الفرنسى ثلاثة أيام متوالية بإطلاق ثلاثة وثلاثين طلقة مدفع صباحاً ومساءً ، وأن يذهب الباشا في اليوم الرابع إلى القنصلية الفرنسية ويرسل في المساء أحد أنجاله وهو سيدى عثمان ، وأن تتكرر زيارة الباشا في اليوم التالى ويعزل وزير الخارجية الذى كان معروفاً بعدائه لفرنسا وينفيه من البلاد ، وقد أجيبنا طلبات القنصل روسو كلها وحضر الباشا في موكب كبير ، وعندئذ تنازل روسو عن الزيارة الثانية وعن نفي الوزير (١) ،

ولم يمض وقت طويل حتى طلب الباشا هدية جديدة من توسكانا رغم معاهدة الصلح المبرمة في سنة ١٨٢١ ، وعندما رفضت هذه الدولة قبول هذا الطلب أنذر الباشا القنصل روسونى Rossoni في ديسمبر سنة ١٨٢٦ أنه سوف يرسل بحارته لمهاجمة سفن توسكانا (٢) إذا لم تدفع الهدية في مدى أربعين أو خمسين يوماً ، وأمر القنصل فعلاً بإزالة العلم في يوم ٢٧ وأعلن الحرب على توسكانا (٣) ، وعندئذ لجأ القنصل روسونى إلى وارنجتون قنصل إنجلترا الذى توسط في عقد اتفاق مقابل ثلاثة آلاف سكودو ، وأظهر الباشا بعد ذلك رضاه وسمح بتعيين نائب قنصل لتوسكانا في مدينة بنغازى (٤) . عمل

-
- (١) خطاب القنصل روسو بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٨٢٦ — مراسلات قنصلية
٤٤ اسكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزير الخارجية . الخطابان رقم ٣٦ بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٦ ورقم ٣٨ بتاريخ ٢٦ نوفمبر .
- (٢) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس — الخطاب المؤرخ في ١٣ ، والخطاب المؤرخ في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٢٦ .
- (٣) مراسلات قنصلية سردينيا العامة في طرابلس مع وزارة الخارجية ، الخطاب رقم ٣١ ، بتاريخ ٢٨ مارس سنة ١٨٢٧ .
- (٤) مراسلات توسكانا في طرابلس ، الخطابات رقم ٣٤ ، بتاريخ ١٣ مايو ، ورقم ٣٥ ، بتاريخ ١٦ مايو ، ورقم ٣٦ ، بتاريخ ١٧ مايو سنة ١٨٢٧ .

القنصل الانجليزي كل ما في وسعه للاحتفاظ بسيطرته ونفوذه على يوسف حتى أن انجلترا رغم اعلانها الحياد إزاء الحرب التي قامت بين اليونان والباب العالي ، أمرت بسحب جميع رعاياها من دور صناعة سفن الدولتين المتحاربتين ونجح وارنجتون في أن يحصل للبasha على سفينة حربية انجليزية مسلحة بمدافع من طراز حديث^(١)؛ وحصل له بعد شهر آخر على سفينة أخرى^(٢). ولم يكن يخفى على أحد أن يوسف يلمس أي عذر ليسمح لرجاله من المغامرين باستئناف أعمال النهب والسلب ، إذ استولى هؤلاء بالفعل في شهر سبتمبر على سفينة روسية ، وفي أكتوبر على سفينة هامبورجية^(٣).

وفي أوائل نوفمبر سنة ١٨٢٧ وصل إلى طرابلس خبر معركة نافارينو الذي أثار شعور الكراهية ضد الأوربيين ، وساد المدينة رعب شديد خاصة بين المالمطين ولكن لم تحدث بها مذابح ، وذلك لأن فرنسا وانجلترا أسرعتا بإرسال بعض سفنهما الحربية إلى طرابلس ، وأثناء ذلك قام نزاع جديد بين فرنسا ومملكة الصقليتين ، فقد توفي الملك فردناند الأول سنة ١٨٢٥ ، ابني كان اللورد اكسماوث قد أبرم باسمه معاهدة مع البasha سنة ١٨١٦ . وخلفه الملك فرنسيسكو الأول وقد صرح البasha بأنه لا يعترف بأية قيمة لتلك المعاهدة بسبب وفاة أحد المتعاقدين فيها^(٤)، وأرسلت حكومة نابلي كما رأينا سابقاً البارجة « فيزوفيو » ، ولكن المسألة بقيت دون حل ، لأن البasha لم يرد التنازل عن طلباته أو إخفاها. أغراضه ، حتى ساد الاعتقاد

(١) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزير الخارجية الخطاب رقم ٦٥ ، بتاريخ ١٥ يولية سنة ١٨٢٧ .

(٢) مراسلات قنصلية نوسكانا في طرابلس الخطاب رقم ٤٢ ، بتاريخ ١٦ يوليو سنة ١٨٢٧ .

(٣) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزارة الخارجية ، الخطاب رقم ٨٠ ، بتاريخ ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٢٧ .

(٤) انظر ماقبله — خطابان رقم ٧٧ في يوليو وورقم ٧٨ و ٢٠ أغسطس سنة ١٨٢٧

حوالى آخر سنة ١٨٢٦ ، عندما أفلعت إحدى سفن المغامرين بأن هذه السفينة تتحرك ضد سفن مملكة نابلي لإلزام حكومتها بإبرام معاهدة صلح جديدة . وعندما وصل قنصل نابلي السنيور Crocillo إلى طرابلس بعد ذلك ، أخبره يوسف بأنه على استعداد لتجديد المعاهدة بشرط أن يدفع له مائة ألف قرش فرفض هذا الطلب الباهظ وقطعت المفاوضات .

وفي أبريل من سنة ١٨٢٨ وصلت فرقاطان نابوليتانيتان هما ، لاسيرينا La Sirena وإيزابيلا Isabella إلى طرابلس وسأل قائدهما الباشا عن طريق القنصل ، عما إذا كان يصر على طلب دفع مبلغ مقابل تجديد معاهدة أبريل سنة ١٨١٦ وعندئذ طلب يوسف سواء لكسب الوقت أو للتأكد من نية حكومة نابلي ، أن يُقدّم له الطلب كتابة وأقلع قائدا السفينتين إلى نابلي دون الوصول إلى عقد أو اتفاق^(١) . وعندئذ قررت حكومة نابلي استخدام القوة ، وسرعان ما تم اعداد القطع البحرية والسفن الخفيفة اللازمة لقذف القنابل ، ووضعت تحت إمرة قائد البارجة المدعو « الفونسو سوزي كارافا Alfonso Sozi Carafa » وكانت تتألف من ثلاث فرقاطات هي « لاسيرينا » التي عقد لواؤها لسوزي كارافا ثم « ايزابيلا » و « كريستينا » اللتين كان يتولى قيادتهما « رافاييلو دا كوزا » Raffaele De Cosa و « سافيريو جاروفالو » Saverio Garofalo ، ثم الطراد « الأمير كارلو » بقيادة قائد الفرقاطة « فينسزو ليتيري » Vincenzo Lettieri والزورق Lampo^(٢) بقيادة الملازم البحري « أوكتافيو كاراتشولودي توركيارولو Ottavio Caracciolo de Torichiarulo » ومن سفينتين صغيرتين

(١) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس ، الخطاب رقم ٩ ، بتاريخ ٢٥ أكتوبر سنة ١٨٢٦ .

(٢) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا في طرابلس مع وزارة البحرية والبحرية ورئيس الأدميرال - الخطاب رقم ٤٦ ، بتاريخ ١٤ يونية سنة ١٨٢٨ - مراسلاتها مع وزارة الخارجية - الخطاب رقم ١٠١ ، بتاريخ ٨ يونية سنة ١٨٢٨ - مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس - الخطاب رقم ٥٩ ، بتاريخ ١٦ أبريل سنة ١٨٢٨ .

(٣) أمى البرق

هما ، تر تارو Tartaro ، و « ليوني Leone ، فضلا عن أربع مدمرات وثمانية قوارب من حاملات المدافع بقيادة « فريديريكور وبرتى Frederico Roberti ،^(١) وعندما وصلت إلى طرابلس أخبار استعداد أسطول نابلي للإبحار إلى طرابلس ، أسرع الباشا بالاستعداد للحرب ، وكان الأوربيون مقتنعين كل الاقتناع بأن الباشا سيبضطر للخضوع نظراً لسوء حالة بحريته وعدم وجود الوسائل اللازمة للدفاع لديه ، ولكن الأمور سارت على عكس ذلك تماما .

إذ أنه عندما وصل الأسطول إلى مياه طرابلس ، رجا قائده عن طريق قنصل نابولي « كروشلو Crocillo الذي صعد على ظهر السفينة لتلقي التعليمات ، رجا وارنجتون قنصل انجلترا للتدخل لتسوية المسألة ، وقبل « وارنجتون ، هذه الدعوة وتوجه مباشرة إلى القلعة ، واستمرت المفاوضات طول اليوم ، ولكن لم يكن من المستطاع الوصول إلى أية تسوية ، إذ أصر الباشا على أخذ مبلغ من المال لإرضاء رجال الديوان ، وضباط الحكومة الآخرين ، ورفض القائد سوزا كارافا Soza Carafa دفع أى شيء .

وفي اليوم التالي فشلت محاولة أخيرة قام بها وارنجتون للوصول إلى الاتفاق عندما ذهب لهذا الغرض إلى الفرقاطة « لاسيرينا » ، وعندئذ أنزل علم نابلي من فوق القنصلية ، وصعد القنصل « كروشلو Crocillo على ظهر الأسطول الذي استعد للقتال .

وحوالى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر بدأ قذف المدينة بالقنابل ولم يكن لذلك الضرب أثر لبعده المسافة التي كان الأسطول يطلق قنابله منها .

وفي يومى ٢٤ و ٢٥ من أغسطس لم يحاول الأسطول ضرب المدينة نظراً لسوء حالة البحر .

(١) راجع في كل ما يتعلق بأعداد الحملة « ج . بالادينو » في حملة البحرية النابوليتانية على طرابلس « السالف الذكر .

(٢) مراسلات قنصلية نوسكانا في طرابلس — الخطاب رقم ٦٦ ، بتاريخ ٨ أغسطس

وفي يوم ٢٦ استأنفت القوارب حاملة المدافع ضرب المدينة بمنتهى الشدة ، وبادلتها حصون المدينة الضرب ، تملك الحصون التي عززت بعد حملة سردينيا في سنة ١٨٢٥ ، والتي كانت تضم مائتين وخمسين مدفعا نصفها من عيار كبير .

لم يكن لضرب المدافع في ذلك اليوم وفي الأيام التالية أى أثر ، وكل ما حدث أن السفينة « إيزابيلا » تقدمت إلى الأمام ، وردت هجوما عنيفا قامت به القوارب الطرابلسية بنجاح ، وأخيراً انسحب الأسطول في ليلة ٢٨ - ٢٩ أغسطس (١) .

وما كاد أسطول نابلي يقلع حتى أخرج الباشا سبع سفن للغزو على التوالي لمطاردة سفن نابلي (٢) ، وكانت حكومة نابلي قد قررت بقاء أسطولها لحماية سفنها ، وتمكنت السفينة « كريستينا » و « الفرقاطة » « إيزابيلا » والسفينة « الأمير كارلو » من الاستيلاء على سفينتين من سفن المغامرين الطرابلسيين ، ولكنها لم تستطع منع ثمانية سفن نابوليتانية صغيرة من الوقوع في أيدي المغامرين الطرابلسيين الذين أخذوها إلى ميناء طرابلس (٣) .

وعندما قبلت حكومة نابلي فجأة وساطة فرنسا ، عن طريق الدوق de Blacas سفيرها هناك - استأنف روسو القنصل الفرنسي في طرابلس المفاوضات مع الباشا ووصل إلى نتيجة ، إذ تعهد ملك نابلي بدفع عشرين ألف قرش، وقبيل أن تصبح الغنائم التي تم الاستيلاء عليها حتى يوم ٢٢

(١) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس - الخطاب رقم ٦٨ ، بتاريخ ٢ سبتمبر سنة ١٨٢٨ ومراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزارة الخارجية - الخطاب رقم ١١٠ بتاريخ أول سبتمبر سنة ١٨٢٨ - ولمعرفة تفاصيل أوسع - راجع ر . ميكاكي في « أعمال المغامرين الطرابلسيين الأخيرة » السالف الذكر .
(٢) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس - خطاب رقم ٦٧ ، بتاريخ ٢ سبتمبر سنة ١٨٢٨ .

(٣) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس - الخطاب رقم ٧٠ ، بتاريخ ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٢٨ .

اكتوبر من حق الباشا ، أما الفنائم التي تم الاستيلاء عليها بعد ذلك فترد مقابل إعادة سفينة الغزو التي أسرت .

وفي صباح يوم ١٨ أكتوبر رفع علم حكومة صاحب الجلالة ملك الصقليتين فوق مقر القنصلية في طرابلس ، وحينه حصون المدينة بإطلاق ثلاث وثلاثين طلقة^(١) .

وفي شهر يناير التالي أبحر قنصل نابلي الجديد السيد « دي مارتينو De martino » إلى طرابلس .

طلب غراندوق توسكانا من روسو في المفاوضات التي تمت بين ملك الصقليتين والباشا التوسط لحل الخلافات الخاصة بالهدايا المطلوبة عند تعيين كل قنصل ، وكان « روسو » عند حسن ظنه إذ حمل الباشا على أن يتنازل في المستقبل عن أية هدية من توسكانا في مقابل دفع مبلغ إجمالي قدره ستون ألف قرش دفعة واحدة .

كانت هذه هي أعمال الغزو الطرابلسية الأخيرة التي حاول المغامرون اليونانيون أن يرثوها مدة من الزمن ، ولكن انجلترا وجهت إليهم حملة منظمة لمطاردتهم ، وطهرت منهم البحر تطهيراً تاماً .

وفي السنة التالية وضع استيلاء فرنسا على الجزائر حداً نهائياً لمغامرات دول المغرب في البحر المتوسط .

(١) انظر ج . « لادينو في » أعمال البحرية النابوليتانية الأخيرة في طرابلس » السالف الذكر ص ٨٠٩ وما يليها .

(٢) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس — الخطاب رقم ٨٠ ، بتاريخ ١٦ مارس

الفصل التاسع

السنوات الأخيرة من حكم يوسف القرماني

انتزعت نهاية حروب النزو والمغامرة من يد يوسف أهم مصدر من مصادر إيراداته وأنقصت كذلك من سلطانه ونفوذه .

فقد كان الدخل السنوي لحكومة نيابة طرابلس الغرب لا يزيد على خمسمائة وخمسين ألف قرش ، وكان يوسف يستهلك ثلثي هذا المبلغ في الإنفاق على بلاطه وفي بعض أعمال البر ، حتى أنه لم يكن يبقى لدفع مرتبات الجيش وصيانة التحصينات وللخيرات أو بالأحرى لأعمال الحكومة سوى مبلغ ١٨٣ر٠٠٠ قرش^(١) وهو مبلغ غير كاف بالمرّة .

ولما كان الدخل متواضعاً إلى هذا الحد ، فإن الأحوال الاقتصادية في البلاد كانت تزداد سوءاً عاماً بعد عام . (وظهرت علامات الانحطاط والتدهور منذ أواخر القرن الثامن عشر مثل نقص التجارة وهبوط العملة ، حتى أظهرت الغرفة التجارية في مرسيليا أنه ليس من الممكن إنشاء مؤسسات نافعة ومثمرة في بلد تتغير عملته باستمرار حسب هوى الأمير

(١) خطاب القنصل «مير» بتاريخ أول يوليو سنة ١٨٢٠ — وحسب الأخبار التي جمعها «مير» وأبلغها في ذلك الخطاب إلى حكومته ، كان الباشا يحصل سنوياً من ضرائب نزان على ٥٠٠٠٠ قرش ومن غدامس على ٢٠٠٠٠ ومن زواره على ١٥٠٠٠ ، ومن أوجله على ٥٠٠٠ ، ومن بنغازي ودرنه على ٥٠٠٠٠ ومن التقيب عن المعادن على ١٥٠٠٠٠ ، ومن ضرائب الآبار والنخيل وأشجار القواك على ١٠٠٠٠٠٠ ، ومن الرسوم الجركية على ٥٠٠٠٠٠ ، ومن الضرائب على المبروبات الروحية على ١٥٠٠٠٠ ، ومن الضرائب على اليهود ١٥٠٠٠٠ ، ومن المبالغ التي كانت تدفعها له كل من السويد والدانبارك وهولنده كان يحصل على مبلغ ١٨٥٠٠٠٠ ، ومن إيرادات عقارات الأسرة القرمانية على ٤٠٠٠٠ قرش .

وحاجته إلى المال^٧ وحدث تحسن ملحوظ في السنوات الأولى من حكم يوسف ، عند ما حملت إيرادات الغزو الوفيرة وما دفعته الدول الصغرى من مبالغ كبيرة ، وتصدير المواشى والغلال لتموين مالطه ، الخير والبركة والازدهار ، لا إلى الباشا وبطانته وحدهما ، بل لكل سكان طرابلس .

وكان لا بد لمثل هذا التحسن الناتج عن أحوال سياسية غير عادية ، أن يتوقف ويمتنع بامتناع هذه الأحوال ، فقد قام يوسف الذى لم يكن يتوقع حدوث تغيير أساسى فى السياسة التى تنتهجها الدول الأوربية الكبرى فى البحر المتوسط وتناجح ذلك بالنسبة له قام بتبذير ثروته فى شيء كثير من الإسراف .

فقد اتبع طريقة الحكيم التى سار عليها أسلافه القرمانليون ، والتى كانت سائدة أيضاً فى دول نيابات الغرب الأخرى ، فلم يعمل شيئاً لاستثمار موارد البلاد ، أو يحاول أن يجد فيها مصادر جديدة للإيراد ، ولذلك اضطر إلى زيادة الضغط على السكان لمواجهة الاحتياجات وإلى الالتجاء إلى اجراءات أفقدته ما كان له من شعبية فى الماضى .

← فأهملت الزراعة التى كانت تفتج فى سنوات المحصولات الخصبة ما يلزم للاستهلاك المحلى ، كما لم يعن بتنمية الثروة الحيوانية التى كان من الممكن أن تقدم له عدداً كبيراً من رؤوس الماشية للتصدير إلى الخارج . واضمحلت التجارة البحرية بسبب عدم وجود أى ضمان للملاحة .

← وكذلك كان حال التجارة الداخلية مع بلاد إفريقية الوسطى حيث كانت طرق القوافل تربط طرابلس بوادى وبورنو وجميع بلاد

(١) راجع ب. ماسون P. Masson ، فى تاريخ المؤسسات التجارية الفرنسية فى إفريقيا « باريس ، مطبعة هاشيت سنة ١٩٠٣ - ص ٦١٠ - وراجع فى كل ما يتعلق بشئون العملة ج . شيمينو G. Cimino ادارة سك النقود فى طرابلس الغرب تحت الحكم العثمانى » فى مجموعة الأخبار الأثرية التى تنشرها وزارة المستعمرات - الجزء الثالث سنة ١٩٢٢ ، ص ١١٥ وما يليها - وادارة سك النقود فى طرابلس الغرب فى العهد القرمانلى فى مجلة النقود الإيطالية فى سنتها التاسعة واليسرين (١٩١٦) رقم ٤ .

أسودانين الغربي والشرقي^(١) عن طريق غدامس وفزان .

وكان تجار فزان وغدامس يصلون غالباً إلى طرابلس في فبراير من كل عام ، حيث يحضرون معهم التبر وريش النعام والعاج والسناميكي والشبه والعييد خاصة^(٢) ، ويأخذون منها الأقمشة القطنية البيضاء والملونة والأقمشة الحريرية والصوفية والجوخ والأحرمة والسجاجيد والأسلحة النارية والأسلحة البيضاء والزجاج الملون . الخ . وكان يتم استيراد معظم هذه البضائع عن طريق السفن التي كانت تحمل الأعلام الأجنبية ، وعلى الأخص السفن الفرنسية والتوسكانية بينما اقتصرَت التجارة البحرية الطرابلسية على التعامل مع جزيرة جربة ، والموانئ الشرقية في البلاد .

ولما كانت التجارة الداخلية قد أخذت تفقد أهميتها عاماً بعد عام ، بسبب تعدد ثورات البلاد الداخلية التي كانت تهدد طرق القوافل ، فإن المنتجات التي كان يجري الاتجار بها بدأت تتحول إلى موانئ تونس بدلاً من ميناء طرابلس ، أما التجارة مع الخارج فقد كانت تعرقها طريقة الاحتكار التي استعملها الباشا وأسرف فيها منذ سنة ١٨١٥ ، أكثر مما كانت تعرقها الرسوم الجمركية التي كانت لا تتعدى ٣٪ من قيمة ثمن البضاعة^(٣) .

والواقع أنه منذ تلك السنة بدأ الباشا يمنح بعض الأفراد ، أو يحتفظ لنفسه بحق شراء وبيع الحبوب ، والمصنوعات البدوية سواء الواردة منها أو الصادرة . وقد احتفظ لنفسه ببيع الأصناف التي تؤول إليه بالعموم أو بوضع اليد ، أو بالضرائب أو بالمصادرة ، كما احتفظ لنفسه أيضاً بحق شراء الأسلحة والذخائر وكل ما يلزم لبلاطه . وبينما كان الباشا يطلب ثمن ما يبيعه نقداً ، كان يستدين ثمن الأشياء المستوردة ، ويؤخر موعد الدفع إلى آجال بعيدة ، أو يشتريها بموجب بطاقات يدفعها المتعهدون

(١) انظر « جرابرج دي همسو Grâberg de Hemso » الكتاب السالف -
الذكر ، ص ٩٦ ، ورحلة « الشيخ محمد بن عمر التونسي إلى وادي » باريس دبران ١٨٥٤ سنة
ص ٤٤٩ ، ٥٥٧ .

(٢) انظر جرابرج دي همسو الكتاب السالف تذكر ص ٨١ .

(٣) خطاب القنصل « مير » بتاريخ ١٢ مايو سنة ١٨٢٠ .

أو مديرو الدخولية في المناطق الساحلية^(١) . وكانت هذه الطريقة لا تعرقل التجارة عرقلة كبيرة طالما كانت الأحوال الاقتصادية في البلاد طيبة ، لأن موعد استحقاق الدفع كان لا يتأخر أكثر من شهرين أو ثلاثة أشهر ، ولكن عندما أصبحت أموال الحكومة لا تفي بسد احتياجاتها أصبحت التجارة الخارجية والداخلية في حكم العدم . ولم يكن الرخ الكبير الذي كان يبلغ ٦٠ أو ١٠٠٪ أو أكثر من ثمن الشراء ، والذي كان يحصل عليه التجار الأوربيون والوطنيون يجعلهم يقبلون على الإتجار مع الباشا الذي كان يضطر دائماً بسبب الضيق المالي للاستفادة من بيع إيرادات الإقليم مقدماً لعدة سنوات قادمة ، ولهذا فقدت البطاقات (التذاكر)^(٢) التي كان يمكن قبولها في الماضي على أنها نوع من النقود الجارية ، فقدت كل قيمتها وأصبحت موضع مضاربات مرهقة للدولة ، ومغامرة لمن يقامر بالدخول فيها . وقد ازداد خطر هبوط العملة بسبب الصعوبات المالية مما أضر بالتجارة ضرراً كبيراً^(٣) فلم تكن

(١) خطاب القنصل « مير » بتاريخ ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٢٢ .

(٢) هذه البطاقات شبيهة بما لجأ إليه إسماعيل المنتش في عهد الخديو إسماعيل إذ بلغ من ارتباك المالية المصرية أن الحكومة كانت تمنح موظفيها حوالات بقيمة مرتباتهم ، وكانوا يعطون منها للتصايبين وبائعي الخبز والخضر الذين كانوا يذهبون إلى المالية للعطالة بقيمتها أو يبيعونها بأقل من قيمتها - وفي ذلك قال أحد أدباء ذلك العصر متهمكاً :

ليس في البيع والحوالات خير إنما الخير حاصل في القود

فقد أضرت بنا الحوالات حتى أحوجتنا إلى وجوه اليهود

(المراجع)

(٣) في بداية القرن التاسع عشر كانت العملة الأكثر شيوعاً هي « الخمين » الفضية

وكانت كل ٢٦ « خمين » تعادل في ذلك الوقت قرشاً أسبانياً .

أما العملة الذهبية فكانت « الشربيني » الذي كان يساوي ٤٨ خمينا . والنصف

« شربيني » والمحبوب الطرابلسي الذي كان يعادل ٢٨ خمينا . وأما العملة الفضية فيما عدا الخمين

السابقة فكانت اليوزليج Yuzlib التي كان يعادل ١٠ خمينات ، وتزكاوت الخمين

Tescaut الذي كان يعادل ٩ خمينات ونصف والبارا التي كانت كل ١٢ ونصف منها تعادل

خمينا - راجع « رحلة على بك العباسي » السالف الذكر - جزء ٢ ص ١٦٧ وما

يلها ، ويضاف إلى هذه العملات كما يذكر سيمينو Cemino القرش الملكي أو القرش

الذي يعادل ٤٠ بارة ، وهناك عملات أخرى سكنت في عهد يوسف باشا ، مثل العملة التي

يطلق عليها اسم البيناسك bubnasc الذي يعادل ٢٤ خمينا والعملة التي سكنت في أواخر

عهد الحكم القرمانلي المسماة « عادليه » و « الإسلح » islih وهذه الأخيرة ليست من

فضة ولكنها من نحاس مقضض ، أما العملة الخفيفة التي كان لها اعتبارها فهي « القرش » =

العملة

العملة تسك بطريقة محددة ولكنها كانت تتغير حسب مقتضيات الظروف ، وكانت العملة الذهبية تستمر طويلاً دون تغيير ، وكانت تصنع حتى أوائل سنوات حكم يوسف من عيار ٢٢ قيراطاً ، ثم أخذت تقل عن ذلك ، حتى أن المحبوب المسكوك في سنة ١٨٢٠ انحط وأصبح يصنع من عيار ثمانية^(١) قرايط . وقد حدث مثل ذلك بالنسبة للعملية الفضية ، إذ أن أنواع العملة الفضية في سنة ٨٠٥ كانت من نحاس مفضض ومن عيار منخفض ، وكانت البارة المتداولة مصنوعة من الفضة الخالصة ومع أن وزنها كان مساوياً لوزن البارة مصنوعة من النحاس المفضض ، إلا أن قيمتها كانت مساوية^(٢) لها ، وجملة القول كانت طريقة سك نقود فضية من عيار منخفض ، وتداولها بنفس قيمة العملة المصنوعة من الفضة الخالصة ، طريقة شائعة لدى أمراء إفريقيا الشمالية ، وعلى الأخص سلاطين مراکش ، وكانت تؤدي هذه الطريقة التي تتأثر بالأحوال الاقتصادية المعاصرة إلى تغيير النقود باستمرار ، وسحب العملات المتداولة ، وقد تعددت عملات يوسف وتغيرت أشكالها حتى يمكن القول بأن أشكالها كانت تتغير كل سنتين أو ثلاثة .

= وهو خلاف القرش الملكي ، وكانت تقدر العملة الأجنبية المتداولة في طرابلس على أساسه ، وبعد سنة ١٨٢٠ حسب الجدول الذي قدمه لنا « شيمسو » كان القرش الملكي يساوي ٩٠٠٠ قرش عادي ، ولا كانت قيمة القرش الملكي تهبط بالنسبة للعملات الأجنبية ، فإن هذه العملات كانت تزداد قيمتها إلى عدد كبير جداً من العروش العادية . ولذلك فإن عملة البروزو Pezzo الأسباب التي كانت تعادل في سنة ١٨٢١ سبعة قروش ملكية ونصف أي ما يعادل ٤٠٠٠٠ قرش عادي ، أصبحت تعادل في شهر يوليو سنة ١٩٢٥ ستين قرشاً ملكياً أي ٥٠٠٠٠ قرش عادي ، وبعد سنة كانت تساوي ٢٢٥ قرش ملكي أو ٢٢٥٠٠٠ قرش عادي — راجع Cimeno في دار سك النقود في طرابلس الغرب في عهد العثمانيين السالف الذكر .

(١) راجع ج ، شيمسو دار سك النقود في طرابلس الغرب في العهد القرمانلي — الترجم السابق الذكر .

(٢) رحلة على بك العباسي السالف الذكر — جزء ٢٥ ص ١٦٧ .

(وفي أواخر أيام حكم يوسف ، كانت تسك نقود من أنواع جديدة كل بضعة أشهر . وكان يلجأ الباشا الى توقيع عقوبات صارمة وشديدة جداً لفرض تداول العملة ، وعقاب كل من يرفض قبولها بقيمتها الرسمية ، فإذا كان مسلماً كانت تقطع يده وقدمه وتصادر أملاكه ، وإذا كان يهودياً كان يحكم عليه بالموت شتقاً ، وإذا كان مسيحياً مشمولاً بحماية قنصل دولته ، كان ينفي من بلاد نيابة طرابلس الغرب .

وقد حاول يوسف لتثبيت تداول العملة في سنة ١٨٢٨ أن يتقاضى سلفه مقدارها مائة ألف كورونة أسبانية من ملك سردينيا^(١) ولكن دون جدوى . واشتدت الأزمة في السنوات التالية . وزاد في شدتها احتكار الباشا للتجارة المحلية إذ كان يطالب بشراء منتجات البلاد والمنتجات المستوردة من الداخل ويدفع ثمنها بالعملة المحلية بقيمتها الرسمية ثم يبيعها ثانية للمصدرين الأجانب بعملة الكورونة الأسبانية مما أدى إلى خروج المنتجات من الأسواق الطرابلسية واضطر يوسف للعدول عن هذه السياسة فيما بعد . وصل هبوط العملة آخر مداه بعد سنة ١٨٢٨ ولم يعد التهديد بتوقيع العقوبات الصارمة كافياً لحل الأهالي على قبولها بقيمتها الرسمية .

وفي يونيو من سنة ١٨٢١ رفض تاجر فاكهة يهودي اسمه يهوذا أريبب yuda Arbib بعد صدور المرسوم القاضي بسحب العملة القديمة في مدى بضعة أسابيع ، أن يبيع بضاعته قبل أن تخرج العملة الجديدة للتداول . وعندما علم يوسف بذلك ، أمر بالقبض على أريبب ، وتعذيبه تعذيباً شديداً قاسياً حتى يكون مثالا وعبرة لجميع يهود المدينة ، فأمر بتجريد يده من ملابسه ، وتغطية

(١) الفئيلة العامة لانجلترا في طرابلس - سجل المحفوظات حرف ا رقم ٣٨
(٢) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزير الخارجية - الخطابات رقم ٦٤ و ٦٨ و ٧١ في سنة ١٨٢٨ . كان يوسف في سنة ١٨٢٤ قد حاول الحصول على سلفة قيمتها ٢٠٠٠٠٠ قرش وتدخّل القنصل وارنجتون حتى تمنحه بمض المركات الانجليزية هذا المبلغ « خطاب القنصل وارنجتون » بتاريخ ٣١ يونيو سنة ١٨٢٤) ، كانت الكورونا عملة أسبانية تساوي حوالى خمسة دروس (المراجع)

جسده بالعسل . وتسمير يديه وهو في هذه الحالة، بجدار الكنيس، بين رعب أبناء طائفته الدينية الذين لم يجرؤوا حتى على الاحتجاج ولكن أحد الرعايا الإنجليز استطاع أن يفك وثاقه من الحائط، ويحمله إلى منزله، ثم ذهب إلى الباشا وأظهر له أن هذه الطريقة في المعاملة قد تجر عليه غضب الدول، وحصل منه على العفو عن هذا التاجر اليهودي (١).

وهكذا نصب كل مورد من موارد إيرادات الباشا، وزاد الطين بلة أن قافلة الحجاج الكبرى التي كانت تذهب إلى مكة وتضم آلاف من الرجال والجمال، وتمر بطنابلس منذ عهد طويلة، غيرت الطريق البري في أواخر حكم يوسف وآثرت السفر طريق البحر - ما عدا بضع مئات من الأشخاص، استمروا في اتباع الطريق التقليدي. واضطرت الضائقة المالية الباشا إلى الضغط على رعاياه خاصة اليهود الذين شملهم في أوائل أيام حكمه بشيء كثير من الرعاية، وكانوا أغنى طبقات سكان المدينة، إذ كانت تتركز تجارة البلاد في أيديهم، وكان هؤلاء اليهود علاقة باليهود الإيطاليين، ولذلك كانوا الوسطاء لإطلاق سراح الأسرى المسيحيين وشراء حريتهم، كما كانوا يسيطرون على تجارة السودان بواسطة أبناء طائفهم في الجبل، الذين كانوا يرسلون إلى السودان جزءاً كبيراً مما كانت تحصل عليه البلاد من أعمال الغزو. كانت الثروات التي تكسبت لدى اليهود، قد جعلتهم يفقدون حزمهم، وبعد نظرهم المعروفين عنهم، فأظهروا ما هم فيه من بذخ ورفاهية، الأمر الذي أثار شعور المسلمين ضدهم وكان المسلمون رغم كراهيتهم الشديدة لليهود، مضطرين للخضوع لهم لسيطرتهم على الشؤون التجارية. وقد أثار أحد الشيوخ المرابطين الوافدين من واداي، ضدهم طبقات الرعاع من سكان المدينة، وأنذر الباشا بغضب الله إذ لم يفرض عليهم إرتداء زي خاص يميزهم عن المسلمين، واضطر يوسف رغم ما امتاز به من روح التسامح، وعدم التعصب، إلى إجابة رغبة هذا المرابط،

(١) راجع N. Solouch في « طرابلس تحت حكم القرمانليين » المنشور بمجلة العالم الاسلامي « العدد ٦ ، سنة ١٩٠٨ » ص ٢٢٢ و ٢٢٣ .

فأمر بأن يمتنع اليهود منذ ذلك الوقت فصاعداً عن إرتداء الملابس الفخمة - ثم ازداد تعصب المسلمين ضد اليهود إزدیاداً كبيراً ، وأخذت تتناقص الرعاية التي كان يشملهم بها يوسف في أوائل أيام حكمه يوماً بعد يوم . أصبحت الطائفة اليهودية التي كانت مثقلة بكثير من الواجبات والفروض مثل الجزية الشخصية وتوريد بعض الأصناف إلى البلاط مثل الشحم والعمور وأدوات الزينة وغيرها خلاف الهدايا التي كانت تقدم لكبار الموظفين في الأعياد الإسلامية ، قد أصبحت ملزمة أيضاً بدفع ٣٥٠٠٠ ليرة ، وفضلاً عن ذلك كله ، اتخذ الباشا اجراءات شديدة ضدهم وأمر باعتبار جميع العقارات والأموال التي لا توجد لها عقود مكتوبة من أملاك الدولة - وكانت تتمثل خطورة هذا الإجراء ، في أنه وفقاً لنظام اليهود الربانين (الهازاكا) أن من يسكن بيتاً مدة تزيد على ثلاث سنوات دون أن يجد معارضة من صاحبه يصبح مالكاً له .

وقد أدى هذا الإجراء إلى مصادرات على نطاق واسع ، فلبجأ اليهود إلى محظيات الحريم ، وطلبوا منهن التدخل في الأمر ، ولكن دون جدوى - لأن يوسف أصر على اتخاذ هذا الإجراء لشدة حاجته إلى المال وقد فرضت ضرائب جديدة لم يسلم منها حتى المسلمين الذين كانت قد فرضت عليهم منذ سنة ١٨٠٧ ضريبة سنوية على جميع النخيل دون استثناء الأشجار الصغيرة والحديثة العهد بالغرس ، التي كانت تعفى في الماضي منها .

وقد أدت هذه الضرائب والغرامات المستمرة وطريقة تحصيلها المرهقة إلى يأس السكان لأنهم كانوا بطبيعتهم لا يدفعون ما عليهم بسهولة . وزادت مؤامرات القصر وانتشار الأمراض المعدية والاضطرابات والفتن من متاعب الباشا .

كان ليوسف سبعة أبناء - ثلاثة من أم بيضاء وهم محمد وأحمد وعلي ، وأربعة من أم زنجية وهم إبراهيم ومصطفى وعثمان وعموره - وكانت

العلاقات بين الأب وأبنائه وبين الإخوة متوترة للغاية ، فكان لا يثق بعضهم في البعض الآخر - وكان الأب لا يجرو في أى ظرف من الظروف على رؤية أولاده دون أن يكون محاطاً بحراسه ، كما كان الإخوة لا يتحدث بعضهم إلى البعض دون أن يكون خلف كل منهم عدد من الرجال المسلحين^(١) .
ثار نجل الباشا الأول ضده ولكنه هزم واضطر إلى الالتجاء إلى مصر ، وعين ابنه الثانى أحمد فى منصب « بيك » ، وأخذ هذا الأمير الذى قام بقتل زوجته^(٢) فى أكتوبر سنة ١٨٢٦ يتأمر على عزل والده وقتله هو وجميع المسيحيين الموجودين فى البلاد ، ولكن هذه المؤامرة اكتشفت ، واكتفى يوسف سواء لعجزه ، أو لآى سبب آخر ، بمعاقبة ابنه بعزله من منصب البيكوية وتعيين ابنه الثالث على^(٣) .

وحوالى هذه الفترة فتك طاعون شديد فتكا ذريعاً بأهالى « العجيلات ، وتاجوراه^(٤) ، وثار قبائل الجبل ، فسار على لإخضاعها ، وأتلف أراضيتها ، واستولى على ماشيتها واستقبل عند عودته إلى طرابلس استقبال من أحرز نصراً ميناً^(٥) .

ولم يمض وقت طويل حتى مات أحمد ، وتوفى نجله البكر فى مصر حيث كان لاجئاً بها^(٦) .

-
- (١) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة فى طرابلس مع وزارة الخارجية الخطاب رقم ٣٦ بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٨٢٦
(٢) خطاب القنصل وارنجتون بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٨٢٦
(٣) مراسلات قنصلية توسكانا فى طرابلس - الخطاب رقم ٨ ، بتاريخ ١٨ أكتوبر سنة ١٨٢٦ ، وخطاب القنصل وارنجتون بتاريخ ١٨ أكتوبر سنة ١٨٢٦ .
(٤) مراسلات قنصلية توسكانا فى طرابلس . الخطاب رقم ٦ ، بتاريخ ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٢٦ .
(٥) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة فى طرابلس مع وزارة الخارجية - الخطاب رقم ٥٨ بتاريخ ١٥ مايو ١٨٢٧
(٦) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة فى طرابلس مع وزارة الخارجية - الخطاب رقم ٩٩ ، بتاريخ ١٥ مايو ١٨٢٨ ، وخطاب القنصل روسو بتاريخ ١٩ يونيو سنة ١٨٢٨

أخذت سلطة يوسف وهيبته تتناقص يوماً بعد يوم ، حتى في أوساط البلاط ، إذ أثر إسراره في تعاطي المشروبات الروحية ، ومداومة النساء على ذكائه وقواه العقلية^(١) ، وأصبح عاجزاً عن الحركة والكلام ، غير أنه كان يشعر بعودة الشباب والهمة إليه عند ما كان يقع حادث شديد يمس كرامته أو مصالحه ولم تعد تظهر فيه تلك المهارة التي عرف كيف يقاوم بها مطالب ممثلي فرنسا وانجلترا عندما كان يومئذ كلا منهما بالانحياز إليه ورعاية مصالحه ، ويستفيد من ذلك فوائد جمة .

وقد أدى عجزه عن مقاومة الضغط ، والوقوف في وجه التهديدات إلى الخضوع لمن كان يراه أكثر قوة .

ويمكننا أن نقف على الأسباب التي أدت إلى سقوط الأسرة القرماتلية من موقف الباشا الذي وقفه إزاء نزاع كبير قام بين القنصل الإنجليزي « وارنجتون » والقنصل الفرنسي « روسو » .

كان الخلاف بين قنصل فرنسا وقنصل إنجلترا في طرابلس خلافاً قديماً العهد ولم يتناقص هذا النزاع حتى في الفترات التي كانت فيها الدولتان في سلام . وكان هذا الخلاف يرجع إلى أسباب ذات صفة عامة - إقتصادية وسياسية - كان يشتد أحياناً بتأثير مصلحة القنصلين الشخصية وطبيعتها ، كما حدث بنوع خاص بين روسو وقنصل فرنسا ووارنجتون قنصل إنجلترا الذي نجح بكبريائه وعجرفته وهمته وحزمه في الحصول على الأسبقية على قناصل الدول الأخرى وسيطر على يوسف حتى كان يقال عنه إنه هو الباشا الحقيقي^(٢) .

ولكن الأحوال تغيرت بعد وصول « روسو » الذي لم يكن يقل مهمة أو غيرة على مصالح بلاده من وارانجتون . وقد حاول روسو بكل وسيلة إعادة المركز الممتاز الذي كانت تتمتع به فرنسا في الماضي في نيابة طرابلس الغرب .

(١) خطاب قنصل فرنسا العام في طرابلس السيوشويل ، بتاريخ ١٥ أغسطس سنة ١٨٢١

(٢) خطاب القنصل وارانجتون بتاريخ ١٧ يوليو سنة ١٨٢٦ .

ولما كان لا يثق بعبارات «تصداقة التي كان يصرح بها الباشا كثيراً ، فإنه أخذ يعمل على اكتساب صداقة كبير الوزراء، الحاج محمد شلبي بيت المال، الذي كان رجلاً كبير السلطة واسع النفوذ ، لاسبب المنصب الذي يتولاه فحسب ، بل لأنه كان زعيماً لجماعات القبولوغلية التي كانت أقوى سند في كل وقت للأسرة، القرمانيية (١) ، ونجح فيما كان يرمى إليه حتى أطلق على « شلبي ، اسم محامي الفرنسيين (٢) .

أما وارنجتون فإنه كان قد ضمن تأييد « حسونة الدغيس ، الذي عين وزيراً للخارجية بعد عودته إلى طرابلس إثر وفاة والده محمد الدغيس وأصبح مستشار وارنجتون وموضع ثقته .

وعندما رأى وارنجتون أن نفوذه يتضاءل على الباشا ورأى القناصل الآخرين يؤيدون روسو - بدأ يشهر عليهم حملة لم تكن دائماً صريحة أو شريفة ، فقد دلت قرآن كثيرة على أنه أوحى إلى حسونه الدغيس ليحرض الباشا على عدم الذهاب إلى قنصلية فرنسا يوم ٢ نوفمبر سنة ١٨٢٦ حيث نشأ الحادث الذي سبقت الإشارة إليه (٣) .

وما لاشك فيه أن وارنجتون أظهر تضامنه مع حسونه الدغيس حتى بعد عزله ، إذ كان يبحث معه دائماً كل مسألة تتعلق بالرعايا الإنجليز ، ولكن عندما عين شلبي وزيراً للخارجية ، أصبح عمل حسونه الدغيس لا قيمة له عند وارنجتون ولا يفيد به شيء ، بل ظهرت بعض أسباب الخلاف بينها ، وأدت

(١) راجع اسماعيل كالي في « وثائق لم تنشر عن سقوط القرمانيين » المنشور في مجلة المستعمرات الإيطالية السنة الرابعة (سنة ١٩٣٠) العدد الأول من ٧ وما يليها .

(٢) خطاب القنصل « روسو » بتاريخ ٣ أبريل سنة ١٨٢٧ ، وخطاب القنصل وخطاب القنصل وارنجتون بتاريخ ١٥ أبريل سنة ١٨٢٦ .

(٣) خطاب القنصل وارنجتون بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٨٢٦ .

(٤) مسح وارنجتون في مراسلاته مع حكومته إلى هذا الحادث ونسب عزل حسونه الدغيس إلى خلافته مع انجلترا - انظر خطاب القنصل وارنجتون ، بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٨٢٦

(٥) خطاب القنصل وارنجتون بتاريخ ٢٠ أبريل سنة ١٨٢٧ .

إلى قطع علاقات الصداقة القديمة ، واتهمه وارنجتون بالخيانة ونكران الجميل ، ثم صرح علنا بعد ذلك بقليل بشكك فيه ، إذ اتهمه هو و « روسو » بأنها ساهما فيما آل إليه أمر المكتشف أ. غوردون لانج A · Gordon Laing من نهاية محزنة أدت إلى موته ، وفي ضياع الأوراق التي تركها . وكما ذكرنا سابقا ، كان وارنجتون يتحمس لجعل طرابلس قاعدة لمشروع الكشف الجغرافي في إفريقية الوسطى .

لم يكن هذا المشروع جديداً ، إذ أن جمعية كشف أواسط إفريقية الإنجليزية التي تأسست في سنة ١٧٨٨ م كانت قد أقرته وسافر وليم لوكاس في شتاء عام ١٧٨٨ - ١٧٨٩ من طرابلس محاولا الوصول إلى « غامبيا » . ولكن فشل هذه المحاولة (لأن لوكاس لم يتخط حدود مصراته) ثم نهاية الدكتور « فردريك هورنمان المحزنة » ، الذي توجه من القاهرة إلى سيوه وأوجله ثم « مرزق » وتوغل في أقاليم نهر النيجر أدى إلى توقف هذا النشاط لعدة سنوات ثم استؤنف بعد ذلك في سنة ١٨١٨ بتشجيع القنصل وارنجتون الذي استطاع الحصول من الباشا على تعهد بضمان سلامة المكتشفين في أراضي نيابة طرابلس الغرب ومنحهم كل مساعدة ممكنة (١) .

أعدت بعثة للذهاب إلى واداي ، ووصل لهذا الغرض إلى طرابلس في خريف سنة ١٨١٨ الدكتور ريتشي Ritchie والسكابتين ليون Lyon قبطان الأسطول الإنجليزي في البحر المتوسط ، ودي بونت De pont الملحق بمتحف التاريخ الطبيعي بباريس (٢) . وبعد انتظار دام بضعة أشهر في الاستعداد ، حدث خلاف بين ريتشي وليون وديبونت وبين رئيس البعثة الذي أبحر عائداً إلى بلاده وغادر الآخرون طرابلس مع

(١) خطاب القنصل « مير » المؤرخ في ٣٠ ديسمبر سنة ١٨١٨ . وفيما يتعلق بالاستكشافات الجغرافية التي بدأت من طرابلس في تلك الفترة — راجع « موري اتيليو » في « الكشف الجغرافي في ليبيا » الذي نشرته حكومة برقة — مكتب الأبحاث « تقارير ومخطوطات استعمارية » سلسلة ٢ رقم ٥ (ديسمبر سنة ١٨٢٦)

(٢) خطاب القنصل مير بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٨١٨

قافلة كبيرة مسلحة بقيادة محمد المكنى « بيك » فزان ووصلوا إلى مرزق وتوفي بها ريتشى في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨١٩ ، وكشف « ليون » الأراضي الواقعة جنوب تلك المدينة ثم عاد في شهر مارس التالى إلى طرابلس وأبحر إلى إنجلترا^(١) .

ورغم أن وارنجتون قد وجه أشد التأييد إلى الباشا بسبب هذا الفشل الذى أرجعه إلى مسلك « محمد المكنى » نحو الرحالتين ، فإنه كتب إلى حكومته بما يخالف ذلك ، فأعدت بعثتين أخريتين ، وكلفت إحدهما القيام بمسح سواحل سرت وبرقه ودراسة آثار هذا الإقليم الأخير ، أما الثانية فكانت مهمتها كشف بلاد السودان .

وقد وصل القومندان « وليم ه . سميث » ، والأخوان بيتشى Beechey الذين كلفوا بالمهمة الأولى إلى طرابلس في سبتمبر سنة ١٨٢١ وغادروها بعد استعدادات شاقة في شهر نوفمبر متجهين نحو الشرق وقد سافر « سميث » على السفينة « أدفنشر Adventure » التى كان يقودها ، وسافر الأخوان بيتشى بالطريق^(٢) البرى . وبعد سفر سميث بقليل حضر إلى طرابلس أعضاء البعثة الثانية وهم الدكتور « والتر أودنى » ، Walter Oudney ، والكابتن « أوج كلابرتون Og klaperton » ، و « الميجور دانهام ديكستون Danham Dikston » ، وبقوا بها بضعة أشهر لإعداد الرحلة .

وفي هذه المناسبة كانت مساعدة يوسف لهم ذات قيمة عظيمة ، أداها لهم نظير مبلغ ١٠٠٠٠ قرش نقداً مع الوعد بدفع مثل هذا المبلغ

(١) خطاب الفصل مير بتاريخ ٢٠ أبريل سنة ١٨٢

(٢) و . ف . بيتشى ، و . ه . بيتشى « إجراءات بعثة كشف شاطئ إفريقيا الشمالى من طرابلس شرقاً في سنة ١٨٢١ - ١٨٢٢ » ، لندن ، موراي سنة ١٨٢٨ . وخطابا الفصل « مير » بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٢١ و ١٠ مارس سنة ١٨٢٢ . وبما يستحق الذكر أن الحكومة الفرنسية كانت قد أرسلت قبل ذلك بعثة أشهر السفينة « la chevrette » بقيادة الملازم « جاى » لدراسة مواقع المياه في خليج سرت الكبير . وقد حصل « جاى » من الباشا على تسهيلات عظيمة ، خطاب الفصل مير بتاريخ ٨ مارس سنة ١٨٢١ .

بمجرد العلم بوصول القافلة إلى « بورنو » ، وفي أوائل مارس سنة ١٨٢٢ ، غادروا مدينة طرابلس متجهين نحو « مرزق » ، وقد صحبهم القنصل « وارنجتون » ، لمسافة طويلة من الطريق . وكان ينوي إقامة نائب قنصل في بورنو (١) ، ولكن دانهام عاد إلى بلاده ليطلب تعليمات جديدة ، واعتمادات مالية أخرى ، وقد وصلت هذه التعليمات والاعتمادات عندما كان محجوزاً في الحجر الصحي بمدينة مرسيليا ، فبادر بالعودة إلى طرابلس ، وحصل على حرس مكون من مائتي رجل مسلح مقابل دفع ١٠٠.٠٠٠ قرش نقداً ولحق برفاقه في مرزق وكانوا في أثناء ذلك قد زاروا فزان الغربية وشحات (٢) ، وتوغلت البعثة حتى وصلت إلى بورنو وبحيرة تشاد .

وعندما توفي « أودني » ، في شهر يونيه سنة ١٨٢٤ عاد الآخرون ولكن لم يأت شهر يناير سنة ١٨٢٥ ، حتى عادوا مرة ثانية إلى طرابلس (٣) . وعندما وصلت الأخبار الأولى عن النتائج السارة التي حصلت عليها البعثة ، كلف اللورد باثurst Bathurst وكيل وزارة المستعمرات الميجور أ. غوردون لاينج أحد ضباط المستعمرات الممتازين والمعروف بقيامه بمهام جغرافية أخرى (٤) بإتمام أعمال البعثة بكشف بلاد السودان الغربي حتى تمبكتو

(١) خطاب القنصل مير بتاريخ ١٠ مارس سنة ١٨٢٢ السالف الذكر

(٢) خطاب القنصل مير في ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٢ و ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٢

(٣) خطابات وارنجتون في ١٢ و ١٨ أغسطس و ١٧ و ٢٩ سبتمبر و ١٩ ديسمبر سنة ١٨٢٤ — انظر دانهام — كلابرتون في « أخبار رحلات واكتشافات في افريقية الشمالية والوسطى في سنوات ١٨٢٢ و ١٨٢٣ و ١٨٢٤ » لندن ، موارى ، سنة ١٨٢٦ . ولكي نفهم الفكرة التي حركت وارنجتون لإظهار هذا النشاط الخاص قد يكون من المفيد الرجوع إلى خطابه المؤرخ في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٢٤ ، الذي قال فيه بعد أن ذكر قرب عودة المكتشفين ، وأظهر ارتياحه لنجاح البعثة ، كما لو كان نجاحاً شخصياً له « يسوؤني أن تستفيد أمة من أن الحكومة الإنجليزية قد فتحت الطريق لكشف افريقية الشمالية ، وسأخذ كل إجراء حتى لا يقوم هؤلاء المكتشفون الفرنسيون باكتشاف باردة واحدة في داخل البلاد .

(٤) راجع فيما يتعلق بالميجور أ. غوردون لاينج كتاب بونيل دي مزير Bonnel de Mezieres « في « الماجور أ. غوردون لاينج (تومبكتو سنة ١٨٢٦) باريس ، لاروس ، سنة ١٩١٢ .

وبلاد النيجر ، وعندما وصل « لاينج » إلى طرابلس في مايو سنة ١٨٢٥ ربطته بوارنجتون علاقات وثيقة وتزوج من ابنته .

وفي ١٦ أغسطس - أى بعد يومين من الاحتفال بهذا الزواج ، بدأ رحلته متجها نحو غدامس ، بعد أن أوضح الباشا له الصعوبات والأخطار التي تعترض هذه البعثة ، وأوصى وارانجتون الباشا عليه توصية خاصة فصرح الباشا أنه لا يستطيع ضمان سلامته إذا تعدى حدود غدامس ودخل في أقاليم لا تخضع لسلطانه ، مليئة بقطاع الطرق مثل « طوارق حجار » وعهد برعايته إلى الحاج محمد باباني ، أحد تجار غدامس ، وأمهه ببعض خطابات توصية لبعض أعيان « تمبكتو » والأقاليم التي كان سيجتازها .

ووصل لاينج إلى « غدامس » دون أية صعوبة واتجه منها إلى « توات » ، وبعد بضعة أشهر ، لم يصل أى خبر عن الحملة وبدأت تزداع في طرابلس في أغسطس سنة ١٨٢٦ اشاعة بأن لاينج قتل^(١) ثم ظهر أن هذه الأشاعة لا أساس لها من الصحة ، وأن طوارق حجار هاجموا القافلة بعد أن بارحت توات وقتل باباني أثناء الهجوم كما جرح لاينج جرحاً بالغاً ، ولكن القافلة سار بها أحد أبناء عم باباني وهو « الخضر بن الحاج متين الغدامسى » حتى وصل إلى منزل الشيخ مختار الشنتاوى الذي قبل بفضل التوصية التي وصلته من يوسف ، استضافة لاينج عنده في منزله حتى شفى شفاء كاملاً^(٢) .

وحتى ذلك الوقت كان وارانجتون يعتقد بنجاح البعثة حتى أبلغه الباشا ببعض خطابات وردت من « غدامس » تذكر أن « لاينج » بعد أن وصل إلى « تمبكتو » ، اضطر إلى الابتعاد عن أعيان المنطقة الذين أمرهم رئيس قبائل « الفولا » بعدم السماح لهذا الأجنبي بالإقامة بينهم وأثناء اتجاهه إلى « سانسيدي » في إقليم « بامبرا » اغتاله أحد الحراس الوطنيين الذي كان مجنداً^(٣)

(١) خطاب القنصل روسو بتاريخ ١٩ أغسطس سنة ١٨٢٦ .

(٢) خطابات القنصل وارانجتون في ١٤ و ٢٦ سبتمبر و ١٠ نوفمبر سنة ١٨٢٦

(٣) خطاب القنصل روسو في ٥ أبريل سنة ١٨٢٧

لحراسته . تظاهر وارنجتون بعدم تصديق هذه الأخبار وصرح للبasha بأنه
بعده مسئولاً عن مصير لاينج فاحتج يوسف على هذا الإيداع ، وطلب
من القنصل الرجوع إلى تصريحاته السابقة ، وازاء إصرار « وارنجتون »
وعدم تسامحه ، رجا البasha القناصل الآخرين أن يعلن كل منهم في صحف
بلادهم جميع الأخبار التي وصلت حتى ذلك الوقت ، لتنوير الرأي العام
الأوروبي (١) ، ولكي يظهر البasha حسن نيته وافق على إرسال شخص
يثق به وارنجتون اسمه « العزومي » ، إلى الشيخ مختار الشتاوي لكي يتأكد
من مدى صحة خبر مقتل « لاينج » ، ولكي يحاول إذا صح الخبر - استرداد
الوثائق ويوميات الرحلة التي كان يحملها لاينج (٢) .

وفي سبتمبر سنة ١٨٢٧ وصل خطاب من « محمد العابد الغدامسي »
الذي كان يقيم منذ زمن بعيد في « تمبكتو » ، به تفاصيل مستفيضة عن مصير
المكتشف الشجاع السي . الحظ (٣) .

وقطع هذا الخطاب كل شبهة في هذا الموضوع ، ومنذ ذلك الوقت
سيطرت على وارنجتون الذي أصيب في آماله وفي أسرته ، فكرة الانتقام
للقتيل ، من كان يرى أنهم مسئولون عن ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر ،
فطلب من قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط أن يرسل فوراً إلى
طرابلس سفينة حربية ، وبمجرد أن وصلت هذه السفينة « ايزيس » توجه
بصحبة قائدها « توماس ستينز Thomas Staines » إلى البasha ، وصرح له
أن من حقه أن يعتقد أن البasha ورجاله كانوا سيئ النية ، وأنهم إذا استمروا
في هذا المسلك ستكون النتيجة وبالاً عليهم (٤) ، غير أن يوسف باشا لم يعط

(١) خطاب القنصل روسو بتاريخ ٨ أبريل سنة ١٨٢٧ وخطاب القنصل وارنجتون
بتاريخ ٢٠ من الشهر ذاته

(٢) اسماءيل كالي - « مذكرات لم تنشر ... الخ » السالفة الذكر ص ٣ وما يليها

(٣) خطاب القنصل وارنجتون في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٢٧

(٤) خطاب القنصل روسو في ٦ ديسمبر سنة ١٨٢٧

أهمية كبيرة لمثل هذا التهديد ، إذ حاول بكل الطرق إثبات الحقائق لأنه كان يتوقع أن يقدم وارنجتون تقريراً رسمياً عن الحادث في غير مصلحته وعند ما وصل إلى يوسف في يناير سنة ١٨٢٨ خطاب من الحكومة البريطانية تبدي فيه أسفها بعبارات شديدة لعدم اهتمامه بمسألة لاينج وكلابرتون (١) ، وجميع الرحالة الانجليز اجمالاً ، احتج الباشا على هذا الاتهام وقرر أنه لا يمكن أن يعتبر مسئولاً عن حوادث تقع خارج حدود بلاده (٢) .

وأثناء ذلك تصافى وارنجتون مع روسو في الشهور الأولى من سنة ١٨٢٨ ، إما لأن وارنجتون كانت قد وجهت إليه اتهامات شديدة من قناصل السويد والدانيمارك وأصبح مكروهاً من زملائه الآخرين ، أو أنه كان يخشى قيام حركة ضد الأجانب على أثر موقعة « نافرينو » ، ولكنه عاد إلى النزاع مرة أخرى مع روسو ، إذ لم يستطع أن يتغاضى عن النجاح الذي أحرزه روسو في التوسط بين ملك الصقليتين والباشا .

وبسبب ما كان يشعر به وارنجتون من غيرة إزاء روسو ، أو لأسباب أخرى لا يمكن تحديدها ، فقد بدأ ضده حملة افتراء ووشايات ، مدعياً بأن حسانس روسو كان لها دخل في مقتل لاينج . وعند ما دعت الحكومة البريطانية وارنجتون لتفسير بعض نقاط غامضة في هذا الشأن اتهم صراحة زميله بأنه حصل على أوراق الميجور لاينج ، التي حملها الخضر إلى طراباس وسلبها إلى « حسونة الدغيس » الذي سلبها بدوره إلى روسو ، وعند ما علم روسو بهذا الاتهام طلب من وارنجتون تفسيراً عن ذلك فرفض أن يجيبه إلى طلبه فأبلغ روسو وزير خارجية فرنسا « لافروناي La Ferronays »

(١) بعد عودة كلابرتون من البعثة التي قام بها مع « دانهام » و « أودني » كلفته الحكومة البريطانية بمهمة جديدة وهي الوصول إلى بلاد النيجر ، وأن يسافر من ساحل بنين Benin في « نيجريا الجنوبية » وعندما وصل إلى « سوكونو » مات بها متأثراً بالدوسنتاريا في ١٣ أبريل سنة ١٨٢٧ وكان قد طلب من يوسف الاهتمام أيضاً بهذه البعثة
(٢) نشرت الترجمة الإيطالية للخطاب في كتاب إسماعيل كالي « وثائق لم تفسر... الخ »
المصنف الذكر ص ٤ وما يليها

بذلك ، وطلب منه اتخاذ إجراءات للدفاع عن شرفه وكرامته^(١) .
وأثناء ذلك رفع وارنجتون الأمر إلى الباشا ، واتهم حسونة الدغيس
مباشرة ، كما اتهم القنصل « روسو » بطريق غير مباشر ، وطلب إجراء
تحقيق دقيق للتأكد من مسئوليتهما .

لم يكن لدى يوسف أى شك فى عدم صحة هذا الاتهام إذ وصله خبر
من مصدر موثوق بضياع أوراق الميجور لاينج ، ذلك الخبر الذى أيدته
العزوى ، الرجل الذى كان محل ثقة وارنجتون ووقف الباشا فى مبدأ
الأمر متردداً ، ولكنه عاد فوافق على إجراء التحقيق خوفاً من أن تنفذ
الحكومة البريطانية تهديداتها ، وأمر بمثله فى « غدامس » بأن يرسل الخضر
وغيره ممن رافقوا لاينج فى رحلته إلى طرابلس . واستدعى حسونه
الدغيس أمامه ، وحقق معه بحضور القنصل الانجليزى ، واتباع معه طرق
الشدة تارة واللين تارة أخرى لجملة على الموافقة على صحة الاتهام ، ولكن
حسونة فند كل ماوجه إليه من اتهام بمنتهى القوة وأبت عليه كرامته أن
يدافع عن نفسه أمام قضاة مغرضين فانسحب وخرج من القلعة إلى قنصلية
الولايات المتحدة خوفاً على حياته وأبحر ليلاً على سفينة حربية تابعة لتلك
الدولة كانت مسافرة من طرابلس .

كان وارنجتون يريد بكافة الطرق أن يحصل على تصريح يدين قنصل
فرنسا ، ولذلك جعل الباشا يستدعى محمد الدغيس ، شقيق حسونة الأصغر ،
وينزع منه بالتهديد تصريحاً بأن أوراق لاينج قد حملت فعلاً إلى حسونه
الدغيس الذى سلمها إلى قنصل فرنسا . وحصل وارنجتون على هذا الإقرار
وعلى إقرارين من الرجلين الغدامسين اللذين كانا يرافقان لاينج ، واللذين
أكدوا على خلاف الآخرين ، أنهما يعرفان أن الوثائق قد حملها الخضر إلى
طرابلس وسلمها إلى حسونه الدغيس ثم طلب عقد المجلس الشرعى ، فاجتمع

(١) خطاب القنصل روسو بتاريخ ٢١ يونيو سنة ١٨٢٩

برئاسة الباشا وحضره وارنجتون وقنصل هولندا ، وأقر محمد الدغيس أمامه بأقواله السابقة وقد طلب روسو من الباشا ترضية عن هذه الإهانة العلنية ، وعندما لم يحصل عليها ، أنزل في يوم ٥ سبتمبر علم بلاده عن القنصلية ، وأبحر إلى تونس بعد أن ترك رعاية مصالح الرعايا الفرنسيين إلى قنصل أسبانيا (١) .

وقد أدى هذا الحادث إلى خلاف دبلوماسي بين فرنسا وانجلترا ، وأجرى تحقيقان ، أجرت أحدهما وزارة خارجية فرنسا ، وأجرى الثاني المكتب الاستعماري ، وقد أثبتنا استحالة هذا الإتهام ، وأثبتنا أن كل الحق في جانب القنصل الفرنسي روسو .

لم يكن خوف يوسف من أن تسوء علاقاته مع الحكومة البريطانية في الوقت الذي كان يهدده فيه محمد علي والى مصر بالعدوان على طرابلس ، هو السبب الوحيد الذي حمله على الخضوع لمطالب وارنجتون ، فمن المعروف أن فرنسا قد اتخذت منذ سنة ١٨٢٧ الاستعدادات التمهيديّة للتأثر من الإهانة التي ألحقها « حسين داي الجزائر » ، بالقنصل الفرنسي « ديفال Deval » ، وكان دروقي قنصل فرنسا العام بالاسكندرية قد أشار على وزير الخارجية الفرنسية « لا فيرونيه La ferroneys » بالاستفادة من التعاون مع محمد علي الذي يستطيع إخضاع نيابات الغرب إذا تقدم بجيش قوى عن الطريق البري ، ولكن لا فيرونيه أهمل المشروع ، وعندما تولى بولنيك رئاسة الوزارة أعاد دروقي تقديم المشروع ، ولقى منه تأييدا وكان بولنيك يريد توجيه سياسة فرنسا في البحر المتوسط نحو مصر .

كان « بولنيك » ، يعتقد على أثر تصريحات دروقي ، أن الشروط الوحيدة التي حددها والى مصر للقيام بهذا المشروع هي الحصول على موافقة

(١) خطاب قنصل أسبانيا دون ميغويل روبز سينز Don Miguel Ruiz Sainz إلى وزير خارجية فرنسا ومراسلات القنصلية العامة لسردينيا في طرابلس مع وزير الخارجية ، الخطاب رقم ١٣٩ ، بتاريخ ١٥ أغسطس سنة ١٨٢٩ ، راجع اسماعيل كمال في « وناثق لم تنشر ... الخ » السالف الذكر ص ١٠ و ١١ .

مبدئية من السلطان ، وعلى مساعدة من الحكومة الفرنسية قيمتها عشر ملايين من الفرنكات ولذلك حصل على مصادقة مجلس الوزراء والملك على المشروع كما حصل على تصريح بيده المفاوضات التي قام بها السفير الفرنسي الجنرال جويمينو Guilliminot ، بالقسطنطينية ، « وميمو Mimaut ، القنصل العام في الاسكندرية .

وقد أبدى السلطان استعدادة في بادىء الامر للوفاقه على تدخل محمد على ، ولكنه نزل بعد ذلك على الحجج التي أبدأها سفير انجلترا السير روبرت غوردون ، وصرح بأن يكون التدخل مباشرة بإرسال موظف آخر إلى الجزائر هو « طاهر باشا » ، بينما صرح محمد على والى مصر من جانبه بأنه مستعد للقيام بالمشروع إذا أعطيت له أربع بوارج بحرية . وقد عرض الوزير « بولينياك » بدلا من البوارج مبلغاً كبيراً من المال ، وتعهدا من جانب فرنسا لحماية محمد على بما قد يتعرض له من اعتداء من جانب دولة أخرى مثل تركيا أو انجلترا وأرسل إليه مشروع اتفاق بهذا المعنى ، وفي نفس الوقت أبلغ الدول الأخرى بهذه المفاوضات . فأعلنت روسيا ودياً أنها ترى أن المشروع غير ممكن التنفيذ ، أما النمسا وانجلترا فقد صرحتا بمعارضتهما له ، وكان مفهوما جيداً أن اعطاء نيابات الغرب إلى محمد على معناه بالنسبة لانجلترا تثبيت النفوذ الفرنسي ولو بطريق غير مباشر على تلك الأقاليم وهذا معناه الإضرار بمركز انجلترا الممتاز في البحر المتوسط ، ذلك المركز الذي ضمنه لها استيلاؤها على جبل طارق ومالطة وكورفو ، ونتيجة لهذه المعارضة قدم « بولينياك » في مارس سنة ١٨٣٠ للوزارة والملك مشروعاً جديداً طلب الموافقة عليه ، وهو مشروع قيام حملة مشتركة من فرنسا ضد الجزائر ، ومن محمد على ضد تونس وطرابلس ، ولم ينفذ المشروع في هذه المرة أيضاً بسبب معارضة انجلترا التي أبلغت والى مصر أنها لا تنظر بعين الارتياح للحملة المشتركة مع فرنسا ، وكانت الدول الصغرى قد أظهرت موافقتها على هذا المشروع لأنها قد تأثرت كثيراً من أعمال الغزو التي كانت تقوم بها الدولة

المغربية ، وكانت وزارة سردينيا هي الوحيدة التي أظهرت عدم موافقتها على المشروع ، وقدمت مشروعا مخالفا مؤداه ضم طرابلس إلى مصر وإعطاء الجزائر لجماعة فرسان مالطة ، والاعتراف باستقلال تونس كدولة صغيرة لا أهمية لها ، وكان مفهوما أن من الطبيعي أن تحتل حكومة سردينيا ذلك الإقليم^(١) بعد ذلك .

وانتشرت الإشاعات الأولى عن استعداد محمد علي للقيام بحملة على طرابلس في أواخر سنة ١٨١٧ وبدأت تتحقق عندما وصلت في يناير سنة ١٨٢٩ أنباء عن وقوع إغارات مصرية على إقليم درنه وعندما قامت في شهر سبتمبر سفينة من بنغازي تحمل إلى طرابلس أخبارا عن استعدادات عسكرية مصرية على حدود برقه^(٢) .

واندهش الباشا لذلك دهشة كبيرة استغلها وارنجتون لمله على قبول طلباته .

وعندما وصل خبر المشروع الثاني الذي قدمه بولنيك إلى الدول ، وتوقع يوسف قرب هجوم مصر ، استدعى المجلس العام بنيابة طرابلس الغرب لبحث الإجراءات اللازمة لمواجهة الموقف ، فأعلن جميع الأعضاء استعدادهم للتضحية بحياتهم وأموالهم ، وألا يخضعوا لمحمد علي ، وأصدر المجلس قراراً بمقاومة كل محاولة للغزو بالقوة .

وبعد ذلك مباشرة في يوم ١٩ مارس سافر الوزير الحاج محمد شلبي بيت المال قاصداً إلى درنه مع حرس مكون من مائتي فارس لتجنيد قوات على طول الطريق وحشدها على الحدود الشرقية .

(١) ج . سير Serres في « السياسة التركية في إفريقيا الشمالية » في عهد ملكية يولية « باريس — جيتز سنة ١٩٢٥ ص ١٧ وما يليها — ج . دارسي Darcy فرنسا وانجلترا — مائة سنة في منافسة استعمارية في أفريقيا — باريس ، بيران سنة ١٩٠٤ ص ٦٨ وما يليها — ف . شارل روي في « فرنسا وإفريقية الشمالية قبل سنة ١٨٣٠ . رواد الفتوحات » باريس سنة ١٩٣٢ — ص ٢٦٤ وما يليها — الوثائق المتعلقة بالمفاوضات مع محمد علي نشرت في كتاب « ج دوان : محمد علي وحملة الجزائر » القاهرة ١٩٣٠ .

(٢) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا في طرابلس مع وزير الخارجية — الخطاب رقم ١٢٤ ، بتاريخ ٣ يناير . والخطاب رقم ١٤٢ ، بتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٩ .

وفي نفس الوقت أرسلت إنجلترا ابتداء على طلب وارنجتون سفينة إلى مالطه للحصول على أخبار أكثر دقة بالنسبة لهذا الموضوع ، ولإبلاغ موقف الحكومة البريطانية^(١) - وسرعان ما وصلت سفينة حربية إلى طرابلس ، وذهب وارنجتون للحديث مع قائدها ، وعاد ليؤكد للباشا أن بريطانيا العظمى لن توافق قط على توسيع رقعة الأراضي المصرية ، وأن مصلحتها السياسية تجعلها حريصة على بقاء نيابات الغرب الثلاث على حالتها الراهنة .

وبالرغم من هذه التأكيدات استمر الباشا في الاستعداد للمقاومة ، وأرسل جنوداً من المدفعية إلى الحدود الشرقية ، ووزع الأسلحة على سكان الساحل والمنشية ، وأخذ في تقوية وسائل الدفاع عن المدينة ، وحصل لهذا الغرض من مالطة على مدفعي هاون وكميات كبيرة من الذخائر^(٢) .

ثم وصلت الفرقاطة الفرنسية « أرميد Armide » ، التي أرسلت للتأكد مما إذا كان يلزم اتخاذ إجراءات خاصة لتأمين سلامة الرعايا الفرنسيين ، وزاد وصولها مشغولية يوسف الذي استمر في أعمال التسليح فأمر بإصلاح كل السفن الحربية^(٣) .

وتضامن الباشا مع داي الجزائر وأرسل إليه في مايو سنة ١٨٣٠ خطاباً مطولاً اعتذر فيه عن عدم مقدرته على إرسال مساعدات ، ووعد بأن يعمل بكافة الوسائل على منع الحملة التي كان يقال بأن محمد علي سيرسلها عبر بلاده لمعاونة الفرنسيين وشجعه على المقاومة^(٤) .

(١) خطاب قنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا ، رقم ١٠ ، بتاريخ ٨ مارس سنة ١٨٣٠ - مذكرات القنصل وارنجتون في ١٩ مارس و ٣ أبريل سنة ١٨٣٠ .

(٢) خطاب قنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا ، رقم ١٨ ، في ٢٧ يوليو سنة ١٨٣٠ .

(٣) خطاباً قنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا ، رقم ١٢ ، في ١٣ أبريل سنة

١٨٣٠ ورقم ١٤ ، بتاريخ ٣ يونيو سنة ١٨٣٠ .

(٤) نشر هذا الخطاب في كتاب « فادالا » أنساب الذكر ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

وأخيراً وصلت بعض الأنباء المطمئنة ، إذ كتب شلبي من بنغازي إلى الباشا بأن والي مصر يستمر في التسليح لمقاومة « باشا » سوريا وليس لهاجة طرابلس (١) ، وسرعان ما أيدت المصادر الإنجليزية هذه المعلومات ورفض محمد علي القيام بالحملة على طرابلس وتونس .

لم يمض وقت طويل على ذلك ، حتى شاع خبر في طرابلس في ٢٦ يوليو هوّده أن الجنرال « بورمونت Bourmont » استولى على مدينة الجزائر فأثار ذلك دهشة الجميع (٢) .

أظهر يوسف شعوره كبقية المسلمين الصالحين ، وأبدى أسفه لسقوط مدينة الجزائر في أيدي الكفار (٣) ، ولكنه - في قرارة نفسه - شعر بالفرح ، إذ اعتقد بأن العاصفة ابتعدت عنه منذ ذلك الوقت ، وأنه سلم من الخطر ، ولكنه كان واهماً لأن فرنسا لم تنسى قط الإهانة التي وجهها إلى عمليها ، ولكنها كانت قد أجلت عقابه إلى الوقت المناسب .

وبعد الاستيلاء على مدينة الجزائر (في ٥ يولييه سنة ١٨٣٠) ، أعطيت الأوامر اللازمة إلى الأميرال « دي روزاميل De Rosamel » بالذهاب بعد احتلال مدينة « بون (٤) » ، بأسطوله المكون من سبع قطع إلى طرابلس ، فوصل ميناءها في عصر يوم ٩ أغسطس ، وما أن ألقى الأسطول مراسيه حتى نزل منه ضابط ومترجم إلى المدينة ، وبعد أن استشارا قنصل أسبانيا والذي كان مكلفاً برعاية مصالح الفرنسيين ، ذهبوا إلى القلعة ليسلبا إلى الباشا الإنذار النهائي الذي كانا يحملانه .

(١) مراسلات القنصلية العامة لملكة سردينيا مع وزير الخارجية . الخطاب رقم ٥٦٢ بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٨٣٠ .

(٢) بوميات القنصل وارنجتون في ٢٦ يوليو سنة ١٨٣٠ .

(٣) بوميات القنصل وارنجتون في ٢٦ يوليو سنة ١٨٣٩ .

(٤) وهي عنابه الحالية (المراجع) .

وفي نفس الوقت أرسل قائد الأسطول إلى جميع القناصل منشوراً يخبرهم فيه بالغرض من مهمته ، ويقدم لهم سفنه كملجأ في حالة بدء القتال (١) .
وعندئذ استدعى الباشا في الحال مجلسه العام وأبلغه مطالب الحكومة الفرنسية التي كانت تلتخص (٢) في أنه يجب على الباشا أن يسلم للأميرال خطاباً موجهاً إلى ملك فرنسايرجوه في خضوع قبول الاعتذار عن الأعمال التي أدت إلى مغادرة روسو ، طرابلس ، ويسحب الاتهامات الظالمة التي وجهت إلى القنصل المذكور .
ويقوم أحد أبناء الباشا أو أصهاره بتقديم اعتذار مماثل للقنصل روسو عند عودته .

ثم العدول عن أعمال الغزو بجميع أشكالها ، وإلغاء استرقاق المسيحيين ومنح حرية التجارة ، والسماح بتعيين قناصل لمختلف الدول في طرابلس بدون تقاضى مكافآت أو هبات ، ثم دفع تعويض عن مصاريف الحملة .
وفي جلسة صاخبة استمرت إلى ساعة متأخرة من الليل ، اعترف الجميع بعدم جدوى المقاومة ، وأعطى الباشا لوزيره الحاج محمد شلبي بيت المال ، الذي كان قد عاد منذ عهد قريب إلى طرابلس جميع الصلاحيات والتفويض الكامل للقيام بمفاوضة الفرنسيين حتى يصل معهم إلى اتفاق نهائي ، وتوجه الوزير من فوره إلى الأميرال ، وحاول حمله على تلطيف الشروط المذلة للباشا ، ولكن « دي روزامل De Rosamel » رفض رفضاً تاماً أن يجيد عن موقفه ، وكل ما سمح به هو دفع التعويض على قسطين - قسط يدفع فوراً والقسط الآخر يدفع بعد أربعة أشهر .

وقد أبلغ شلبي نتيجة محادثاته إلى الباشا ، فوافق عليها ووقع في اليوم التالي على المعاهدة التي أعلنت بنصها العربي في يوم ١٢ من ذلك الشهر ،

(١) خطاب قنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا ، رقم ١٨ ، بتاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٨٣٠ .

(٢) يوميات القنصل وارنجنون في ٩ أغسطس ، ومراسلات قنصلية توسكانا وطرابلس الخطاب المؤرخ في ١٦ أغسطس سنة ١٨٣٠ .

وأصقت على الجدران بشوارع طرابلس عندما كانت حصون المدينة تؤدي التحية للعلم الفرنسي بإطلاق ثلاثة وثلاثين طلقة من مدافعها (١) ، وتطبيقاً لهذه المعاهدة قام يوسف في يوم ١١ أغسطس سنة ١٨٣٠ ، بتقديم الاعتذارات الكافية عن الظروف التي أدت إلى سفر القنصل الفرنسي وأعرب في المادة الأولى من المعاهدة عن رغبته في أن يرى العلاقات الودية تعود بين الدولتين وفي المادة الثانية تعهد الباشا بالتنازل باسمه واسم خلفائه عن كل حق في ممارسة أعمال الغزو أو السماح بها في وقت الحرب ضد الدول التي تنازلت عن هذا الحق بالنسبة للسفن الطرابلسية ، وعدم زيادة القوات البحرية عما كانت عليه وقت توقيع المعاهدة وفي المادة الثالثة تعهد الباشا بأن يلغى إلى الأبد استرقاق المسيحيين ، وأن يقوم بتحرير جميع الأسرى المسيحيين الموجودين ببلاد نيابة طرابلس الغرب ودفع التعويض لأسيادهم وفي المادة الرابعة تعهد الباشا بمنح المساعدة اللازمة لكل سفينة تجنح عند شواطئ بلاده وفي المادة الخامسة تعهد بالسماح للدول بتعيين قناصل ووكلاء تجاريين في أي مكان من البلاد ، دون أن تلتزم بتقديم هدايا للسلطات المحلية ، واعترف بإلغاء الجزية التي كانت تدفعها بعض الدول لإبرام معاهدة أو تعيين قنصل وفي (المادة السادسة) تعهد بمنح حرية التجارة الكاملة بين الأجانب والرعايا الطرابلسيين .

وجاء في المادة السابعة أن يوسف بعد أن دفع أربعمائة ألف فرنك نقداً التزم بدفع مبلغ مائة بصلك موعده ٢٠ ديسمبر التالي ، وتعهدت الحكومة الفرنسية بدورها بدفع ديون الرعايا الفرنسيين قبل حكومة طرابلس .
وجاء في المادة الثامنة (٢) أن فرنسا لم تطلب لنفسها طلبات خاصة — ولكن الباشا يجب أن يمنحها جميع الامتيازات التي تعطى للدول الأخرى .

(١) مراسلات القنصلية العامة لمملكة سردينيا بطرابلس مسم وزارة الخارجية — الخطاب رقم ١٧١ ، المؤرخ في ١٢ أغسطس سنة ١٨٣٠ .
(٢) أ . رواردي كاردي « معاهدات فرنسا ... الخ » السالف الذكر ص ٢٨٨ وما يليها .

وهكذا نفذت نهائياً الرغبات التي أبدتها المؤتمرات الأوربية المختلفة ولم تنجح في تحقيقها .

رأى يوسف ، بعد هذه المعاهدة التي وقعها في فزع واستسلام (١) ، أن سلطته تتلاشى ، وفقد ما كان قد بقي لديه من همة وعزيمة .

وقد أدت وسائل العنف التي اتبعها يوسف مع السكان لجمع مبلغ التعويض الذي طلبه ، دي روزاميل ، إلى إثارة الشعب وسخطه حتى بدأ الخوف من قيام ثورة لخلع الباشا وتولية « على بك » مكانه ، وأثناء ذلك أنزل القنصل الانجليزي الذي غضب كثيراً لقبول يوسف تنفيذ المادة الأولى من المعاهدة - علم بلاده من مقر القنصلية وقطع كل علاقة مع الباشا (٢) .

حاول يوسف دون جدوى حمل القنصل على العدول عن موقفه ، ورأى إزاء الطلب الذي تقدم به وارنجتون لإلغاء المعاهدة أن يخبر الحكومة البريطانية بحقيقة الأمر ، وكتب بذلك إلى قائد الأسطول الانجليزي في البحر المتوسط ، ولكنه تسلم منه إجابة مهمة مصحوبة بطلب دفع الديون الخاصة بالرعايا البريطانيين مما جعله يرسل مندوباً إلى لندن في يوم ٦ أكتوبر (٣) .

كان الباشا في تلك الأثناء في أزمة مالية لا تسمح له بدفع القسط الثاني في موعده المحدد وهو (٢٠ ديسمبر) ، وتدافع جميع الدائنين لتسليم قيمة ديونهم ، في الوقت الذي كان الباشا لا يملك فيه شيئاً من المال ، وقد تناقصت موارد إيراداته الرئيسية تناقصاً كبيراً نتيجة تطبيق شروط المعاهدة ، وحاول أن

(١) مراسلات القنصلية العامة لمملكة سردينيا في طرابلس مع وزارة الحربية والبحرية ورئيس الأيرالية - الخطاب رقم ١٨٤ ، المؤرخ في ١٦ أغسطس سنة ١٨٣٠ .

(٢) مراسلات القنصلية العامة لمملكة سردينيا بطرابلس مع وزارة الحربية والبحرية ورئيس الأيرالية - الخطاب المؤرخ في ١٧ أغسطس سنة ١٨٣٠ - وخطاب قنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا رقم ٢٢ ، بنفس التاريخ .

(٣) خطاب قنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا ، رقم ٢٤ ، بتاريخ ١٨ أكتوبر

سنة ١٨٣٠ .

يحتفظ على الأقل بالاحتكارات التي كانت قد نفذت قبل يوم ١١ أغسطس،
ولكن قنصل أسبانيا الذي كان لا يزال يتولى رعاية مصالح الفرنسيين ،
أسرع بتنبهه إلى مراعاة نص المادة السادسة التي كانت تنص على الحرية
الكاملة للتجارة .

وفي مثل هذه الظروف ، فكر يوسف في الالتجاء مباشرة إلى الحكومة
الفرنسية ، فأرسل رئيس وزرائه إلى باريس في شهر أكتوبر (١) ، واستطاع
الوزير الحصول على تخفيض القسط الثاني من التعويض ، وجعله قاصراً على
ديون الرعايا الفرنسيين الفعلية وحدها ، وتعهد باسم الباشا بدفعها في أسرع
وقت من إيرادات برقه . وعلى كل حال فقد قبل الوزير أن يدفع أي دين آخر
من ديون الحكومة ، كما حصل أيضاً على وعد بتعيين قنصل آخر بدلاً من
القنصل روسو ، ثم عاد إلى طرابلس (٢) في يوم ٢٣ إبريل من السنة التالية .

ومع هذا فقد بقي الموقف حرجاً ، لأن وارانجتون الذي توقع الموقف
الذي سنتفه حكومته ، رفع علم بلاده على القنصلية ، واستأنف علاقاته مع
يوسف (٣) . ومع ذلك فقد بقي يوسف على عداوته . ولم يبد استعداداً للاتفاق
على دفع ديون الرعايا الإنجليز فوراً (٤) .

كان من الممكن لإدارة حازمة وحكيمة ، أن تسمح لدخول الحكومة وإيراداتها
المتواضعة بتسديد جميع الديون التي كانت لا تزيد إلا قليلاً على مليون من الفرنكات
في وقت قصير نسبياً ، ولكن يوسف لم يكن يستطيع العدول عن عاداته
وشهواته التي كان يبدد في سبيلها المبالغ التي كان يجمعها بجهد بما كان يفرضه

(١) خطاب قنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا ، رقم ٧٦ ، بتاريخ ٢٤ أكتوبر
سنة ١٨٣١ — مراسلات القنصلية العامة لمملكة سردينيا بطرابلس مع وزارة الخارجية -
الخطاب رقم ١٨٠ ، بتاريخ ١٦ أكتوبر سنة ١٨٣٠ .

(٢) خطاب قنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا رقم ٤٠ . بتاريخ ٢٧ أبريل
سنة ١٨٣١ .

(٣) خطاب قنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا رقم ٢٩ ، بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٨٣٠

(٤) خطاب قنصل أسبانيا إلى وزير خارجية فرنسا رقم ٢٦ للمؤرخ في ٢٤ أكتوبر

ورقم ٢٣ للمؤرخ في ٧ فبراير سنة ١٨٣١ .

من ضرائب استثنائية (١) ، وعبثاً حاول مستشاروه الإيحاء إليه باتخاذ إجراءات معينة للتغلب على الأزمة التي كانت تزداد تفاقماً يوماً بعد يوم ، ولكنه ترك الأمور تجري كما تشاء ، وبقي ساكناً لا يتحرك ينتظر ما تأتي به المقادير .

وعند ما طالبه قنصل فرنسا الجديد المسيو شوبيل Shoubel (٢) بدفع القسط الثاني من التعويض ، لم يجد الباشا بدأ من استدرار كرمه ، فطلب منه العمل على إلغاء هذا الدين ، ولكن القنصل صرح له بقوله بأنه ليس من الممكن إلغاء نص متفق عليه من نصوص معاهدة محترمة ، وأنه من جانبه يستطيع فقط عمل بعض التسهيلات فيما يتعلق بالدفع .

ثم ذهب «على ييك» وبعض الوزراء إلى القنصل للتفاوض معه ، وحصلوا منه على وعد بالاكتفاء بدفع مبلغ مائة ألف فرنك فوراً ومنحهم مهلة قدرها ثلاثة أشهر لدفع الباقي (٣) .

أتاحت هذه المهلة الفرصة للباشا لتحصيل الضرائب التي فرضت على أهالي برقة من أجل تسديد دين فرنسا ، غير أن أهالي برقة أظهروا سخطهم وضيقتهم من هذه الضريبة الجديدة ، وصرح خليل بك القرمانلي حاكم بنغازي بأنه لا يستطيع استخدام القوة لتحصيل هذه الضريبة إذ لم ترسل إليه إمدادات ، وعندئذ اقترح رئيس الوزراء الحاج محمد شلبي بيت المال أن يتوجه بنفسه إلى برقة ، حيث يستطيع بماله من نفوذ شخصي ، القيام بعمل ذي أثر لسرعة تحصيل الضريبة ، وسر يوسف من هذا الاقتراح وسافر شلبي فعلاً في شهر يوليو إلى بنغازي ، بينما تولى رئيس السكرتارية

(١) في أوائل سنة ١٨٣١ حصل يوسف من ضريبة استثنائية على مبلنة ثمانين ألف قرش دفع منها عشرين ألف قرش دون غيرها للدائنين الانجليز وأنفق الستين ألف قرش الباقية في زواج إحدى بناته — خطاب رقم ٣٣ المذكور في الحاشية السابقة .

(٢) وصل شوبيل إلى طرابلس في يوم ٢٩ يونيو سنة ١٨٣١ ، وقد استقبله الباشا في أول يوليو باحتفال كبير .

(٣) خطاب قنصل فرنسا شوبيل ، بتاريخ ١٣ يوليو سنة ١٨٣١ .

« ابراهيم بومويس (١) ، منصب رئاسة الوزراء مؤقتاً ، وكان رجلاً ضعيف
الهمة قليل الكفاية .

كان الموقف حرجاً للغاية ، فقد ثارت قبائل « أولاد سليمان ، وهي
قبائل من البدو عظيمة القوة ، بسبب كثرة عددها ونفوذها على أهالي
طرابلس الغرب الشرقية والجنوبية ، واتسع نطاق ثورتها حتى شمل القبائل
المجاورة لها - وكانت هذه الثورة تهدد بضم سكان الجبل إلى جانبها .

وفي شهر يونيو كان زعيمها عبد الجليل سيف النصر قد دخل في
بني زايد وأورفلة عند « القدادفة » ، و « المقارحة » الذين اعترفوا به زعيماً
لمناطق « أورفلة » ، و « سرت » ، و « الشاطيء » .

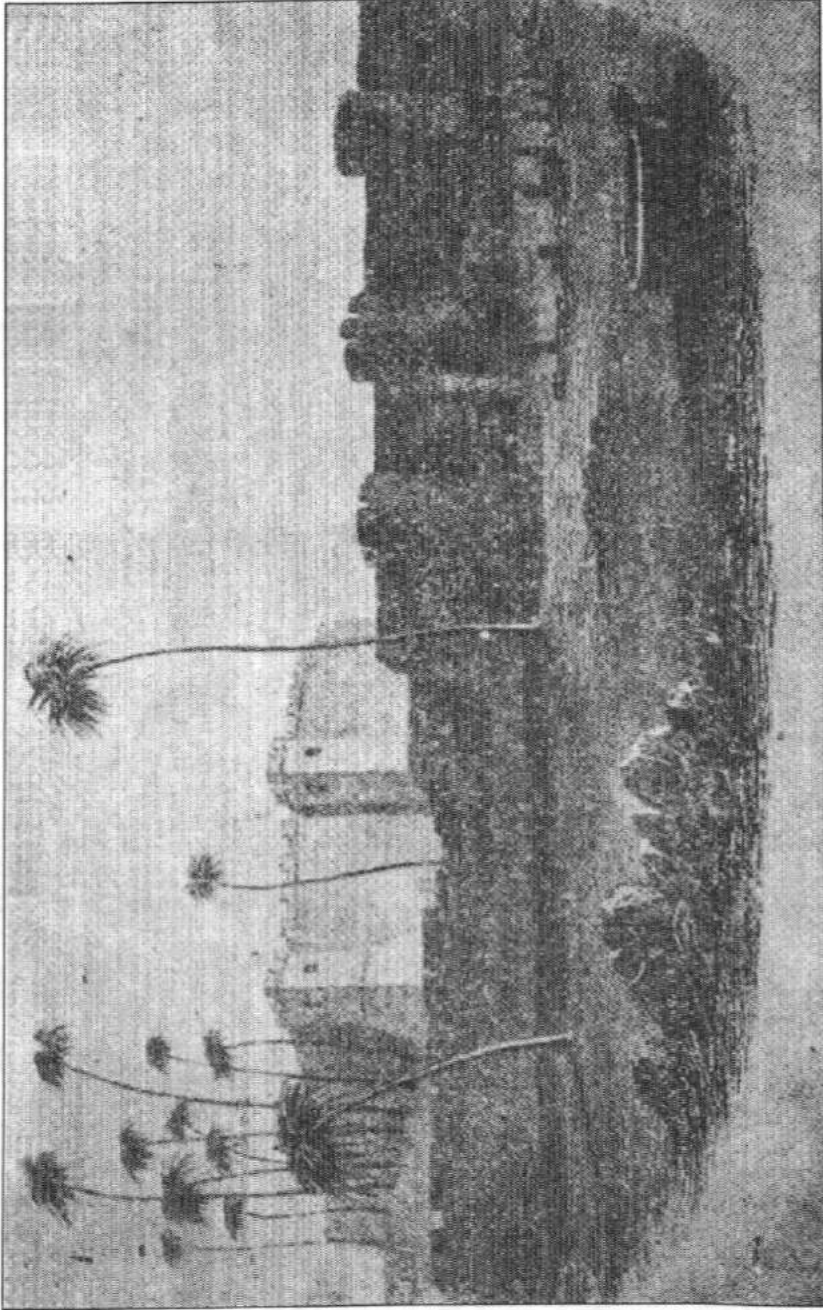
وقد أرسل يوسف باشا نجله عموره إلى مصراته ونجمله على بك إلى
غريان حتى يحتفظ بهدوء السكان ومنعهم من الانضمام إلى الثوار ، واستطاع
على بيك أن يعيد الهدوء إلى منطقة غريان دون الالتجاء إلى القوة ، وعاد
بعد أيام قلائل إلى طرابلس وبرفقته عدد كبير من الرهائن ، أما عموره
فقد أثار بسبب عنفه وقسوته كثيراً من السخط حتى اضطر والده إلى
استدعائه وإحلال محمد المكنى بيك فزان محله ، وكان المكنى رغم تقدمه
في السن رجلاً عالي الهمة عظيم النشاط (٢) . وقد عرض وارنجتون وساطته
لحمل عبد الجليل على الطاعة - ولكن الباشا رفض هذا العرض (٣) لأنه
كان يعتقد أن وساطة الأجنبي قد تضر بهيبته ونفوذه .

ورغم أنه كان من الواجب الإسراع بالقيام بعمل حاسم لإخماد الثورة
قبل أن يستفحل أمرها ويتسع نطاقها أكثر من ذلك ، فإنه لم تتخذ أية

(١) راجع اسماعيل كالي في « وناثق لم تنشر ... الخ » السالف الذكر ص ١٥
وخطاب القنصل شوبيل بتاريخ ١٥ أغسطس سنة ١٨٣١ .

(٢) راجع عن كل ما يتعلق بثورة عبد الجليل سيف النصر اسماعيل كالي في « وناثق
لم تنشر ... الخ » السالف الذكر - ص ١٥ وما يليها - وخطاب القنصل شوبيل
بتاريخ ٢٢ يوليو سنة ١٨٣١ .

(٣) خطاب القنصل شوبيل ، بتاريخ ١٥ أغسطس سنة ١٨٣١ .



قلعة مُرزق سنة ١٨٢٢



جبل السودا قرب سوکده بهزان

لإجراءات حتى وصلت الأخبار بأن جيشاً مؤلفاً من ٨٠٠ رجل مسلح ، بقيادة عمر شقيق عبد الجليل سيف النصر ، احتل سوكنه ثم توغل في فزان وأثار أهلها وحاصر قلعة « مرزق » التي كان يدافع عنها اليك محمد بن عبد الله شرأس (١) .

عندئذ تقرر تسليح فرقتين بقيادة نجلى الباشا - على بك وسيدى ابراهيم ، وكانت الأولى تتألف من قولوغلية الساحل والمنشية والزاوية والثانية من قولوغلية وأهالي مصراته وزليتن والخمس . وقد سافر سيدى ابراهيم من مدينة طرابلس في اليوم العاشر من أكتوبر ، وتحرك على بك مع معظم القوات (٢) في يوم ٢٩ من نفس الشهر ، واجتمعت الحملتان اللتان كانتا تضمان عشرين ألف رجل ومعهم خمسة عشر مدفعاً ، في إقليم « ترهونه » وزحفا على « بنى وليد » ، وبعد أن قامتا بصد هجوم ليلي في « قليمات الخطابة » ، تحركتا ضد الثوار الذين كانوا قد أقاموا صفين من الخنادق وتحصنوا بهما في « محل بن قايد » و « محل سرار » ، واستوليا على صف الخنادق الأول بسرعة ، ولكن الصف الثاني قاوم مقاومة عنيفة وتم الاستيلاء عليه واسترداده ثلاث مرات .

وفي المساء بينما كان القتال يشتد ، توسط أولاد « بوسيف » للصلح على أساس أن يقوم عبد الجليل بإخلاء فزان ويرد الغنائم ، ويسلم ألف رجل نظير الاعتراف به زعيماً لمنطقة « أورفله » ، ولضمان احترام هذه الاتفاقات ، يقوم عبد الجليل بتقديم بعض الرهائن الذين يختارون من بين رؤساء قبيلته ، ولكن يوسف رفض قبول ما حمله إليه إبناه من هذه الاقتراحات وأمر بمواصلة القتال نظراً لثقتة بقواته العسكرية ، ونشبت معركة جديدة على مقربة من « قصر القائد » ، ورغم فرار كثير من قولوغلية الساحل والمنشية من ميدان القتال ، إلا أنه كان لشدة بأس قوات مصراته وحرس

(١) خطابا الفصل شوييل في ١٣ و ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٤١ .

(٢) خطابا الفصل شوييل في يومى ٢٠ أكتوبر و ٤ نوفمبر سنة ١٨٤١ .

الباشا وبطولة الأميرين اللذين جرح أحدهما وهو سيدى إبراهيم ،
الفضل في التغلب على مقاومة الثوار .

توسط مرابطو « بنى سيف » بعد المعركة في الصلح بين الطرفين ، وقبل
يوسف هذه المرة تلك الوساطة ، لأنه لم يعد في وسعه إرسال المؤن
والذخائر إلى جنوده رغم شكه في أن غرض هذه الوساطة كان كسب
الوقت (١) .

لم تحترم الشروط التي تم الاتفاق عليها كلها ، إذ سرعان ما بدأ
عبد الجليل في المراوغة ، وكان يؤجل تنفيذ باقى الشروط من يوم
إلى آخر .

ولكى يتخلص يوسف من هذا الموقف الذى كان يضطره إلى
الاحتفاظ بقوات كبيرة تكلفه كثيراً من النفقات ، وتجعله محل سخط الأهالى
وغضبهم الشديد ، لأنهم هم الذين كانوا يقدمون له القوات المحاربة ، فقد
صرح بأنه على استعداد لقبول وساطة القنصل البريطانى ، تلك الوساطة
التي سبق ليوسف أن رفضها .

وقد قام القنصل البريطانى بمجهود كبير في هذا السبيل ، ليسترجع
ما كان له من نفوذ في الماضى على الباشا ووزرائه ، فانتقل إلى « بنى وليد »
بنفسه لمفاوضة زعيم الثوار ، ولكنه لم ينجح فيما قصد إليه ، لأن الزعيم الثائر
رفض إخلاء فزان (٢) بأى حال .

وعندما فشلت المفاوضات وبدأت تظهر آثار الضعف
والخور على الحملة لكثرة عدد الجنود الذين كانوا يفرون من صفوفها
يوماً بعد يوم - رأى يوسف أنه من الأوفق أن يستجيب لنصائح محمد

(١) خطاب القنصل شوبيل بتاريخ ٦ ديسمبر سنة ١٩٣١ .

(٢) خطاباً القنصل شوبيل في ١٨ و ٢٨ فبراير سنة ١٨٣٢ - « إن القصة المليئة
بالتفاصيل ، والأخبار الخاصة ، أتت تركها لنا شوبيل عن وساطة وارنجتون هي بلاشك أصح
يكتسب من الرواية التي كتبها يوسف في خطاب أرسله إلى وزيره شلى بتاريخ ٢٨ شعبان
سنة ٢٤٧ هـ (الموافق ٢ فبراير ١٨٣٢) . اسماعيل كالى في « وثائق لم تنشر ... الخ »
المسالف الذكر ص ٢١ و ٢٢ .

المكني بترك القتال في منطقة « أورفلة » ، والزحف للاستيلاء على فزان ، حيث كانت لاتزال قلعة مرزق تقاوم بقيادة أحمد بك جركس الذي توفي أثناء الحصار ، وحيث كان يدين كثير من السكان للبasha بالولاء . كلف البasha يوسف المكني بتنفيذ هذا المشروع ، فسافر في أوائل مارس من أورفلة إلى فزان ومعه ألفان وخمسمائة مقاتل ، معظمهم من قولوغلية المناطق الشرقية ، نظراً لعداوتهم التقليدية لأسرة عبد الجليل ، وكان يتحتم على علي بك أن يتوغل بقواته إلى ماوراء « بنى وليد » لحماية الزحف الذي يقوده « المكني » ولكن نقص الأوقات منعه من تنفيذ أوامر والده ، وبقي عدة أيام في « زلتن » ثم عاد إلى طرابلس (١) .

أما عبد الجليل فإنه استنجد برؤساء القبائل في الداخل ، ودعاهم إلى الإنضمام إليه ، وحصل على موافقة بعضهم ، ومن بينهم سالم بن عبد الصمد زعيم غريان ، وما كاد خبر ثورة أهالي هذه المناطق يذاع في طرابلس حتى تمكن الرهائن الذين كان علي بك قد أخذهم منذ عدة أشهر ، من الهروب من معتقلهم ، والالتجاء إلى القنصلية البريطانية .

وعبثاً طلب يوسف من القنصلية إرجاعهم ، إذ استطاعوا بمساعدة وارنجتون الخروج من المدينة ، واحداً إثر آخر ، وعادوا إلى بلادهم (٢) . وبينما كانت الثورة تمتد ، ويتسع نطاقها حتى بين الأهالي الذين كانوا قد ظلوا على ولائهم ، وعلى الأخص قولوغلية « الساحل » و « المنشية » و « الزاوية » ، عم السخط في البلاد بسبب العقوبات القاسية التي عوقب بها كل من رفضوا القتال وفروا من الحملة (٣) وبسبب ازدياد سوء الأحوال الاقتصادية لنفقات العمليات العسكرية التي زادت على مائة ألف قرش ، مما جعل اتخاذ أي إجراء حكومي لإصلاح الحالة ، ضرباً من المحال .

(١) خطاباً القنصل شوبيل بتاريخ ٢٦ فبراير و ١٢ أبريل سنة ١٨٣٢ .

(٢) خطاباً القنصل شوبيل في ٢٦ فبراير و ١٥ أبريل سنة ١٨٣٢ ويوميات القنصل

وارنجتون في فبراير سنة ١٨٣٢ .

(٣) خطاب القنصل شوبيل بتاريخ ٢ فبراير سنة ١٨٣٢ .

وفي مدى ستة أشهر تم سحب العملة الجارية أكثر من ست مرات ، وإحلال عملة جديدة من عيار أقل محلها . وهكذا هبطت قيمة النقد المحلي الذي لم يكن يوجد من يريد قبوله .

حاول القناصل عبثاً إقناع يوسف بأن يكمل حق سك النقود إلى شركة أوربية تتعهد بالمحافظة على قيمة العملة بضمناً أحد بنوك النقد .

ولكن يوسف رفض الاقتراح لعدم قناعته بفائدة العشرين في المائة التي كانت قد حددت له (١) . واضطر إلى التنازل لدائنيه عن الأشياء الذهبية والفضية ، وإلى بيع مدافع الحصون حتى يدفع ما عليه من ديون للتجار الأوربيين ، ويؤدي التعويض الذي تطلبه الحكومة الفرنسية منه مما أدى إلى احتجاج المواطنين .

كان اتساع الثورة وسوء الحالة المالية ، وعبء الديون الثقيلة واضطراب الإدارة ، وقصر نظر الباشا ، وعجزه عن الحركة ، وجشع وكلايته ، كان كل ذلك يحمل على الاعتقاد حتى عند أكثر الناس تفاؤلاً ، بقرب تدهور حكومة نيابة الغرب ونهاية الأسرة القرمانلية (٢) .

وقد ساعد على التعجيل بوقوع هذه الكارثة ، كراهية وارنجتون ليوسف ومعاكسته له ، تلك المعاكسة التي اشتدت بعد فشل محاولة الوساطة التي كان يريد القيام بها بين يوسف وعبد الجليل سيف النصر ، وبعد حادث هرب رهائن « غريان » .

طلب وارنجتون بعد الإتفاق الذي أبرم لدفع ديون الدائنين الفرنسيين مباشرة - كما ذكرنا من قبل - العمل على إرضاء الدائنين الانجليز أيضاً وحصل على وعد بدفع مبلغ متواضع تحت الحساب .

وفي أوائل ديسمبر سنة ١٨٣١ إلتهم وارنجتون وجود فرقاطة إنجليزية في ميناء طرابلس ، وأصر على طلب تسديد المبالغ التي استحققت الدفع منذ أكتوبر

(١) خطاب القنصل شوبيل في ٢٦ فبراير سنة ١٨٣٢ .

(٢) خطاب القنصل شوبيل بتاريخ ١٢ أبريل سنة ١٨٣٢ .

الماضى ، ولكنه لم يحصل على شيء سوى ارتياحه الشخصى عندما رجاه الباشا
التوسط لإخضاع الثأرين (١) .

وفي شهر يناير التالى ، وقبل أن يعود وارنجتون من « بنى وليده » وصلت
سفينة حربية إنجليزية إلى مالطة لتعزيز طلبات الدائنين الانجليز ولكن الباشا
اقتصر على إعطاء وعوده المعتادة (٢) ، وقد وصلت السفينة نفسها إلى طرابلس
فى شهر إبريل وتوجه قائدها بصحبة وارنجتون إلى القلعة وسلم إلى الباشا
خطاباً من نائب الأميرال قائد القوات البريطانية فى البحر المتوسط ،
يطلب فيه إحترام التعهدات التى أعطيت . وكان يوسف قد عرض أن يدفع
مبلغ خمسة وعشرين ألف قرش من الديون المستحقة فى ذلك الوقت من إيرادات
فزان ، ومبلغاً مماثلاً من إيرادات برقة ، وهى التى بقيت فى يده بعد دفع ديون
الدائنين الفرنسيين .

وكان الباشا قد تعهد أيضاً ، بأن يدفع مبلغ ثمانية وثلاثين ألف قرش
نقدأ فى مدى شهرين ، ولذلك فرض على ملاك المنازل أن يدفعوا له ستة
آلاف قرش وأرسل أمراً إلى قواد أقاليم الحدود بأن يحصلوا ضريبة استثنائية
قدرها قرشان عن كل فرد بالغ (٣) ، وأصر وارنجتون على طلب الدفع فوراً ،
ولكن السفينة أقلعت دون الحصول على شيء .

فإن النقود التى تم تحصيلها من هذه الضرائب الإستثنائية أنفقها الباشا
بمجرد تسلمها ، حتى أنه عندما حل موعد استحقاق دفع الديون لم يستطع الوفاء
بتعهداته ، وعندئذ قررت الحكومة البريطانية اتخاذ إجراءات حازمة .

وفى منتصف شهر يوليو وصلت إلى مياه طرابلس فرقة بحرية انجليزية
بقيادة القائد « دنداس Dundas » ، تتكون من الفرقاطات « بلفيديرا
Belvidera » و « اكتيون Acteon » و « السفينة شيلا Scylla (٤) » ، وقدم

(١) خطاب القنصل شوبيل بتاريخ ٦ ديسمبر سنة ١٨٣١ .

(٢) « » « » « » ٢ فبراير سنة ١٨٣٢ .

(٣) خطاب القنصل شوبيل بتاريخ ٢٠ أبريل سنة ١٨٣٢ .

(٤) مراسلات قنصلية توسكانا بطرابلس — خطابات شهر يولييه سنة ١٨٣٢ .

حوار نجتون إلى يوسف إنذار حكومته الأخير ، الذي طلبت منه دفع جميع ديون الرعايا الانجليز البالغ قدرها مائتي ألف قرش في مدى ثمان وأربعين ساعة .

ولكن يوسف كان يعارض في قيمة كثير من هذه الديون ، وعرض أن يدفع فوراً الديون القديمة ، ويسدد عشرين ألف قرش من الديون الجديدة ، ولكن القائد « دنداس » صرح بأن جميع الديون حسب ما لديه من تعليمات يجب دفعها في المهلة الواردة في الإنذار .

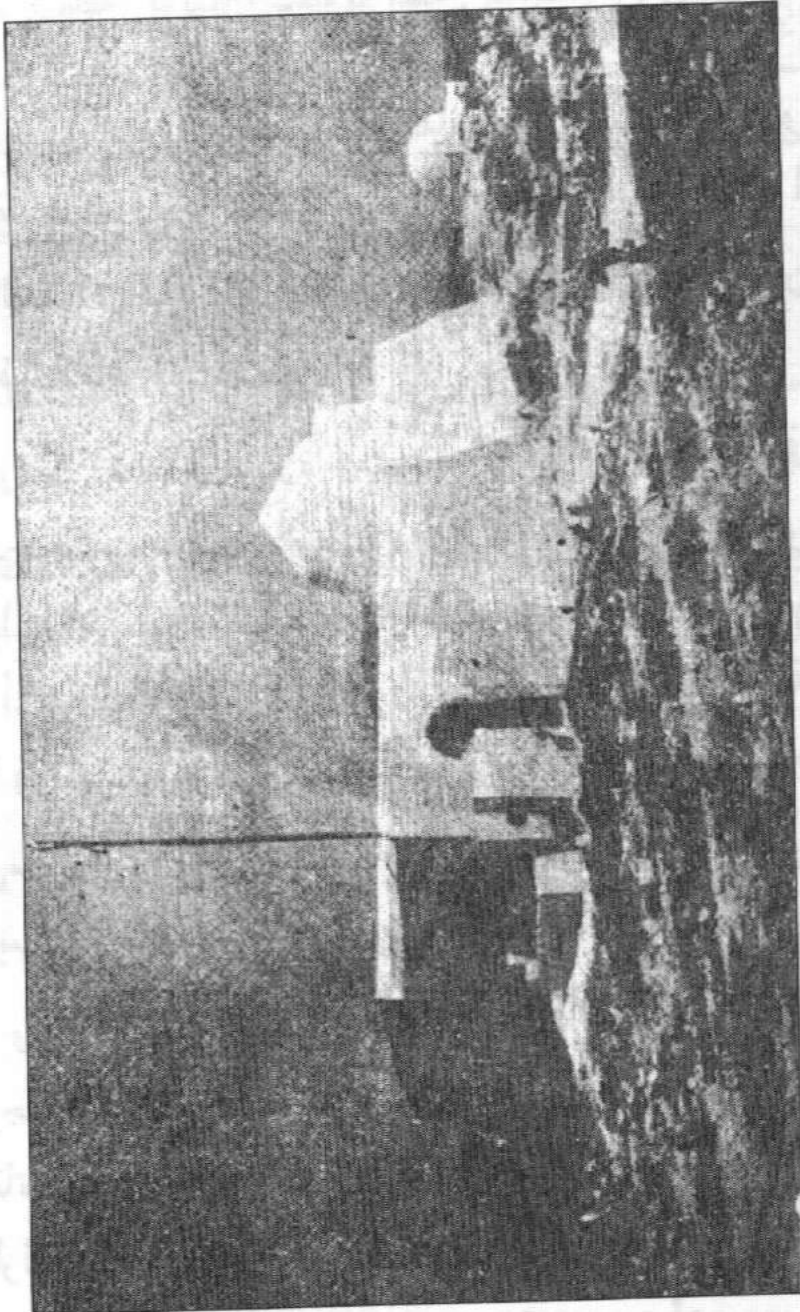
وعبثاً حاول يوسف بعروضه التي كان يزيد بها باستمرار ، الحصول على مهلة جديدة وتأجيل الدفع ، ولكن القائد الانجليزي كان لا يحيد عن موقفه وقضى تسعة أيام في مفاوضات غير مجدية ، ثم تسلم القنصل وارانجتون الأوامر بإنزال العلم من فوق دار القنصلية والإبحار^(١) .

خشى يوسف قيام الأسطول الانجليزي بمظاهرة بحرية ضده إذا لم يدفع المبلغ المطلوب ، ولم يجد أية وسيلة يلجأ إليها وقرر بعد استشارة وزيره « ابراهيم بومويس » وشيخ البلد الحاج « ابراهيم بن الطائف » فرض ضريبة استثنائية على سواقي وآبار سكان المنشية والساحل الذين كانوا معفيين من الضرائب منذ أقدم العصور نظير تأديتهم واجب الخدمة العسكرية .

وما أعلن هذا الأمر حتى احتج قولوغلية الساحل والمنشية الذين كانوا ساخطين بسبب الحملة على عبد الجليل أشد الاحتجاج ، مما جعل يوسف يسرع بإلغاء هذه الضريبة الجديدة ، ويعلن أنه لن يطالب في المستقبل بأية ضريبة أخرى ، ولكن ذلك الإعلان جاء متأخراً إذ أن قولوغلية الذين شجعهم حوار نجتون والذي لم يستطع السفر بسبب مرض ابنته ، رفضوا الاعتراف من الآن فصاعداً بسلطة يوسف ، ونادوا في يوم ٢٨ يوليو أولاً بتعيين محمد ثم أحمد إبنسى محمد ابن يوسف البكر والذي توفي بمصر رئيساً للحكومة نيابة طرابلس^(١)

(١) خطابا القنصل شويل في ١٧ و ٢٧ يوليو سنة ١٨٤٢ .

(٢) سانية بالمهجة الطرابلسية معناها مزرعة صغيرة .



مسجد الشعاب ويشرف على شرق ميناء ومدينة طرابلس الغرب

وقد قام يوسف بمحاولة أخيرة فأرسل القائد حسن بن عبد الله إلى المتمردين ولكنه استقبل أسوأ استقبال ، واضطر إلى الانسحاب دون أن يستطيع تأدية مهمته ، ثم انسحبت القوات الموالية للبasha داخل أسوار المدينة بعد معركة استمرت طيلة ليلة ٢٩ ولم تسفر عن شيء ثم حاصر الثوار المدينة واحتلوا مواقع الشعاب و العوينة ، وهما من المواقع الهامة المسيطرة .

وفي مساء يوم ٣٠ عقد اجتماع بالقلعة حضره أبناء البasha ووزراؤه وأعيان المدينة ، شرح فيه يوسف الأسباب التي حملته على اتخاذ ذلك الإجراء الذي كان السبب في قيام الثورة وأعلن تنازله عنه ودعا الحاضرين للتعاون معه لإنقاذ البلاد .

ولكن معظم أنصاره ومؤيديه كانوا قد تخلوا عنه في ذلك الوقت وألقت عليه جماعات الوطنيين مسئولية الكوارث التي وقعت فيها نيابة طرابلس الغرب وطلبوا منه أن يتنازل عن العرش ويعين على بيك مكانه ، وقد أشار عليه الوزير ابراهيم بومويس ، أحد القولوغلية القلائل الذين بقوا في المدينة، وهو رجل كان يخلص كل الإخلاص ليوسف باستدعاء الوزير شلبي من برقه وهو الرجل الذي يستطيع بماله من نفوذ شخصي على القولوغلية أن يعيد النظام ويعمل على أن يسود السلام .

وعندما أحس الوطنيون بذلك ، قرروا عدم التباطؤ وإضاعة الوقت ، وتوجه رؤساؤهم ومن بينهم محمد الدغيس ، وقبطان الميناء مصطفى قورجي ، والقائد حسن بن عبد الله ، والقائد أحمد التوغار إلى البasha لكي يطلبوا منه التنازل لابنه عن العرش .

استدعى يوسف قناصل الدول المختلفة وسألهم عن آرائهم في مسألة تغيير رئيس الدولة فلم يخفوا خوفاً من أن يكون هذا الإجراء قد جاء

(١) مراسلات قنصلية توسكانا بهزارابلس — الخطاب المؤرخ في ٢٧ يوليو سنة ١٨٣٢

وخطاب القنصل شويل بتاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٨٣٢ .

متأخراً لإعادة السلام ، وصرحوا بأنهم بدون منازعة الباشا حقه في اختيار من يخلفه ، لا يستطيعون الاعتراف بمن يخلفه دون الرجوع إلى حكوماتهم ، وعندئذ قرر يوسف التنازل عن السلطة .

وفي اليوم التالي في ١٢ أغسطس عقد يوسف اجتماعاً خطيراً في بهو الاجتماعات الكبير (١) ، حضره إلى جانب أولاده ووزرائه ، الزعماء والأعيان والعلماء ، وقرر الباشا أمامهم أنه أصبح متعباً ويرغب في قضاء بقية أيامه في راحة وهدوء ، وأنه لذلك يتنازل عن العرش لمصلحة ابنه على بيك ، ويعين ابنه الآخر سيدي إبراهيم ولياً للعهد .

وأدى يوسف باشا بعد هذا التصريح بمين الولاء بين تائر الحاضرين لابنه على رئيس الدولة الجديد .

وأقسم جميع الحاضرين من بعده ما عدا ابنه عموره الذي رفض الاعتراف بالأمر الواقع رغم طلب أبيه .

(١) مراسلات القنصلية العامة لمللكة سردينيا في طرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس الأبرالية . الخطاب المؤرخ في ٢٠ أغسطس سنة ١٨٣٢ - ومراسلات قنصلية توسكانا بطرابلس - الخطاب المؤرخ بنفس التاريخ - وخطاب القنصل شوبيل بتاريخ ١٩ أغسطس . انظر اسماعيل كمال في « وثائق لم تنشر » السالف الذكر - ص ١٨٧ وما يليها .

الفصل العاشر

حكم على الفرمانى وسقوط الأسرة

أعلنت تولية على بيك الفرمانى رئيساً للدولة ، بإطلاق المدافع وإذاعة إعلان على الشعب ، ولكن يمكن القول بأنه إذا كان سكان المدينة قد استقبلوا تغيير رئيس الدولة بالإرتياح ، فإن الثوار بقوا معارضين له معارضة شديدة .

ورغم مقدرة على بيك وكفايته للعمل على استتباب النظام وتوفير الرخاء ، إلا أنه لم يكن فى يوم من الأيام يتمتع بمحبة الشعب ، وكانت قسوته على جنوده أثناء الحملة على عبيد الجليل سيف النصر قد أثار غضب القولوغلية وسخطهم الشديد عليه ، حتى أن تنازل يوسف عن العرش لم يحدث تغييراً محسوساً فى الموقف ، فيما عدا النظام والهدوء اللذين سادا المدينة ، والإجراءات الحازمة التى اتخذت للدفاع عنها .

أما قناصل الدول فقد وقفوا موقفاً متحفظاً طبقاً لما صرحوا به ليوسف قبل تنازله عن العرش ، وبقوا فى انتظار تعليمات حكوماتهم التى أبلغت بنبأ ارتقاء البيك وتوليته السلطة ، وإذا كان بعضهم ، مثل قنصل فرنسا شوبيل ، لم يخف عطفه على من رؤى الاعتراف به كأمر شرعى ، فإن الآخرين قد أظهروا عطفهم صراحة على المطالب بالعرش ، وكان أكثر هؤلاء تحمساً قنصل الولايات المتحدة ، الذى لم يتورع عن أن يقدم إلى على منشوراً ضده موقفاً عليه من الثوار ، ذلك المنشور الذى كان قد أبلغه هذا القنصل من قبل إلى زملائه وإلى أعيان المدينة (١) .

(١) خطاب القنصل شوبيل بتاريخ ١٢ سبتمبر سنة ١٨٣٢ .

ولكن الثوار فضلا عن موقف قنصل الولايات المتحدة إلى جانبهم قد شجعهم أيضا وارنجتون ، الذي عاد إلى طرابلس يوم ٢٢ أغسطس ، وكان قد ذهب للإقامة مع جميع أفراد أسرته في المنزل الذي كان يمتلكه في العوينه بشارع الشط وصرح علنا أنه سيدبق بهذا المنزل طالما لم ترسل إليه حكومته التعليمات اللازمة ، وقد أدت معيشتته وسط الثوار إلى سرعة ارتباطه بعلاقات المودة مع المطالب بالعرش محمد بيك ، وجعله يأمل في اعتراف بريطانيا العظمى به ^(١) ، وفي الوقت نفسه لم يكن يتردد في إعطاء التوجيهات والنصائح إلى مشايخ المنطقة الذين كانت لهم سلطة كبيرة على الأهلالي تزيد على سلطة المطالب بالعرش الذي كان شابا عديم الخبرة ضعيف الهمة ، ولذلك استمر الرجال المسلحون الذين كان يبلغ عددهم نحو أربعة آلاف رجل في المنشية ، وثمانية آلاف في الساحل في حصار المدينة برآ ، معتمدين على مساعدة قبائل المنطقة الشرقية التي جعلها عثمان أغا الأدغم رئيس قولوغاية مصراته من أنصار محمد وضد علي ، كما انضم إلى الثوار غومه بن خليفة زعيم المحاميد الذي كان له أتباع كثيرون في المنطقة الغربية ^(٢) .

وسرعان ما أدرك على بك ضرورة منع تكوين مثل هذا التحالف القوي ضده ، وبينما كان يعمل على ضمان الدفاع عن المدينة ، أرسل صهره محمد الدغيس الذي حل محل إبراهيم بومويس في الوزارة إلى مالطة لإبلاغ الحكومة البريطانية حقيقة الأمر في البلاد كما حاول ضمان تأييد غومه له والاحتفاظ بولاء الأهلالي الذين لم يكونوا قد انضموا بعد إلى الثوار . ولم يذهب عمله هذا هباء - إذ أعلن غومه تأييده له ، وضم إليه جميع قبائل المنطقة الغربية ما عدا قبائل ورشقانه وزنزور والعجيلات التي بقيت معادية

(١) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس - الخطاب رقم ١٤١ ، بتاريخ ١٠ أكتوبر سنة ١٨٣٢ .

(٢) خطاب القنصل شوييل ، بتاريخ ١٢ سبتمبر سنة ١٨٣٢ - كان غومه بن خليفة من أسرة كانت دائما من أنصار الأسرة القرمانلية وتدين لها بالولاء ، ولكنه ثار ضد يوسف باشا إذ كان يعتقد أنه الموعز بقتل أبي القاسم بن خليفة شقيق غومه وابنه الحاج محمد .

له ، وقبائل زواره التي أعلنت التزام الحياد - أما أهالي برقة الذين أرسل إليهم أخاه عثمان بدلا من الحاج محمد شلبي بيت المال - الذي لم يكن يثق به فإنهم لم يشقوا عصا الطاعة عليه .

وبينما كان أنصار علي يزدادون ، تمكن أيضا من أن يبذر بذور الخلاف بين خصومه ، فأثار سكان مصراته ضد عثمان أغا الأدغم أكبر هؤلاء الخصوم وأقوامهم ، فقد كان على رأس سكان مصراته الأخوان عبد الله وأحمد المنتصر وقبائل المجاورة والفراصة التي كانت تحت حماية عبد الجليل سيف النصر ، وكان من المتوقع ألا ينضم هؤلاء إلى الثوار بسبب تنافسهم القديم مع أسرة الأدغم فحاول الباشا ضمهم إلى جانبه بالتنازل لهم عن فزان .

وأصدر أمره إلى محمد بيك المكنى الذي حرر مرزق ورفع الحصار عنها ، وأعاد سلطة القرماني إليها بالإنسحاب إلى الشاطيء ، وقد أطاع المكنى هذا الأمر ، ولكنه اغتيل غدراً^(١) وهو يخترق أراضي مصراته . وقد أدى إخلاء فزان الغرض المطلوب إذ أن عبد الجليل لم يخرج عن حياده ولو مؤقتاً .

وقد أدت سياسة على الحكيمة إلى جعل قوة الثوار قاصرة على أهالي المنشية والساحل ، وكان من الممكن أن يجعلهم يفقدون حماسهم ، لو لم يشجعهم قنصلا إنجلترا والولايات المتحدة ، إذ أن أولهما أي قنصل إنجلترا اتخذ من وجود الفرقاطين الإنجليزيين التابعين لأسطول البحر المتوسط واللذين كان ضباطهما ممنوعين من الاتصال بأهالي المدينة ، بينما كانتا تستطيعان التجول بحرية في الأماكن النائية حجة لإيهام الثائرين أن حكومته منجزة إلى محمد بك^(٢) . أما الثاني فإنه عند ما قتل ترجمانه أنزل علم بلاده من فوق قنصليته ، واتخذ له مسكناً في المنشية ، وبقي بها حتى وصلت فرقة بحرية

(١) خطاب القنصل شويبل بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٨٤٢ .

(٢) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس - المطابان المؤرخان في ٢ و ١٠ أكتوبر

سنة ١٨٤٢ .

(٣) خطابا القنصل شويبل بتاريخ ١٥ و ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٢ .

أمريكية ، لم يوافق قائدها على مسلكه وأمره بالسفر معه ، وعهد إلى قنصل سردينيا ، نجري Negri ، برعاية المصالح الأمريكية (١) .

وإزاء مسلك وارنجتون هذا ، لم يصدق أحد الخبر القائل بأن إنجلترا ستراعى الحياد الكامل رغم تأييد محمد الدغيس له تأييداً رسمياً عقب عودته إلى طرابلس على ظهر الأسطول الأمريكي (٢) من مالطه وتأديته المهمة التي كان مكافئاً بها ، أما قنصل فرنسا فإنه رغم ظهوره بمظهر المناصر لعلي بيك ، إلا أنه كان يفهم حكومته أن وضع حل تتفق عليه إنجلترا وفرنسا وتفرضانه سيؤدي إلى حالة استقرار وسلام دائمين ، ولكن الحكومة الفرنسية لم تر من المناسب التدخل في هذا النزاع واكتفت بالنصرح لقنصلها شوييل بأن يتوسط في الصلح . .

كان القنصل الفرنسي يفهم حق الفهم أن أية محاولة للصلح لا بد أن تبوء بالفشل إذا لم تتم بالاتفاق مع وارنجتون ، ولذلك اقترح على زميله الانجليزي أن يلتقى به على ظهر الفرقاطة الانجليزية التي كانت راسية في الميناء ، ولما كان سوء الحالة الجوية يجعل هذا اللقاء مستحيلاً فقد أرسل إليه خطاباً يخبره فيه بغرضه ويطلب منه التعاون معه ، ولكن وارنجتون رد عليه معترضاً بأن أوامر حكومته تمنعه منعاً باتاً من التدخل في الشؤون الداخلية لحكومة نيابة طرابلس الغرب (٣) . كان على بك يعتقد أن النجاح الحربي وحده هو الذي يستطيع تقويته وتثبيتته على العرش ففكر في الاستعانة بأنصاره في طرابلس الغرب ، وخاصة بقوات « غومه بن خليفة » لضرب الثوار وقمع فتنهم ، وقد أعلن « غومه » تأييده لعلي بك ثم أرسل بضع مئات من الرجال المسلحين لتقوية ومساعدة المدافعين عن المدينة ، ووعده بدخوله شخصياً في المعركة بعد أن يخضع بعض القبائل المعادية .

(١) خطاب القنصل شوييل بتاريخ ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٣٢ .

(٢) خطاب القنصل شوييل بتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٨٣٣ .

وفي الأيام الأولى من سنة ١٨٣٣ أفلح إبراهيم بك بستمائة رجل ، ومائتي حصان وأربعة مدافع من طرابلس متجهاً إلى مرسى «زواره» وبعد أن أبحر بسلام مع رجاله ، انضم غومه إليه^(١) ، وعند ما عرف الثوار ذلك أسرع محمد بيك مع بعض الإمدادات إلى «الزاوية» واتجه منها غرباً لإخضاع أهالي «العجيلات» ، ولكنه انهزم واضطر إلى الانسحاب ، وكان من الممكن أن تسوء حالته أكثر من ذلك لو عرف كيف يستغل كل من غومه وإبراهيم ما أحرزاه من نجاح في البداية . ولكن عجزهما وعدم تحركهما جعل الثوار يحتلون «الزاوية» مرة أخرى ، ويبقون بها حتى يوم ١٠ يونيو ولكن الثوار انهزموا مرة أخرى بعد معركة حامية الوطيس في «زنزور» ، واحتلت جنود إبراهيم قلعة «الزاوية» ، وبعد النجاح الذي أحرزه إبراهيم وغومه على المطالب بالعرش ، عرض قنصل فرنسا وساطته وقدم إلى الثأرين الشروط التي قبلها مقدماً على بك وهي كما يلي :

أولاً : العفو الشامل وضمن سلامة أشخاص وممتلكات جميع من ساهموا في الثورة .

ثانياً : يتعهد على بك بدفع معاش سنوي لأبناء أخيه محمد وأحمد القرمانلي ويضمن تمتعهما بأملأتهما الخاصة بشرط أن ينتقلا ويقبلا في مصر أو تونس .

ثالثاً : يتعهد على بك بالإبقاء على الإمتيازات والإعفاءات التي كان يتمتع بها أهالي المنشية والساحل بشرط أن يقرموا بالواجبات التي كانوا ملزمين بأدائها .

رابعاً : اعتراف الثوار بشرعية رئاسة على بك لدولة نيابة طرابلس الغرب .

(١) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس . الخطاب رقم ١٤٧ ، بتاريخ ٢٧ يناير

سنة ١٨٣٣ .

(٢) خطابا القنصل شوييل في ١٩ فبراير و ٥ مارس سنة ١٨٣٣ .

وعبثاً طلب شوييل أن يجتمع بجميع شيوخ الساحل والمنشية لإبلاغهم هذه الشروط ومناقشتها ، ولكن أحمد القرماني الذي عرضت عليه هذه المسألة^(١) أجاب بأنه لا يستطيع أن يصدر أى قرار فى هذه المسألة فى غيبة أخيه . ولم يكن وارنجتون بمنأى عن هذا القرار ، اذ كانت لديه أسباب كثيرة لبغض على بيك والحمد على وزيره « محمد الدغيس » وكان لا بد له فى تلك الأيام من الدفاع عن نفسه ضد الاتهامات التى وجهها إليه شقيق هذا الأخير وهو « حسونه الدغيس » الذى كان فى فرنسا ، تلك الاتهامات التى دونها فى إحدى مذكراته الموجهة للحكومة الإنجليزية ، وفى بعض مقالات نشرت فى جريدة « الدستورى » - Constitutionnel .

ومهما كان الأمر فإن « شوييل » أرجع عدم نجاحه فى مهمته الى وارنجتون ، وأبلغ ذلك إلى حكومته فبدأت فى مفاوضات جديدة مع الوزارة الإنجليزية لحل هذه المسألة ، ولكن الرد الإنجليزى لم يكن مرضياً .

ولم تنل الخطوة التى خطاها على بك حظاً أوفر من النجاح إذ كتب الى ملك انجلترا مباشرة فى يوليو سنة ١٨٢٣ يبلغه ارتقاءه عرش ليبيا ، ويشكو من مسلك القنصل وارنجتون ، فردت الوزارة البريطانية فى ديسمبر بأنها تسلمت رسالته وأضافت إلى ذلك أنها أصدرت الأوامر إلى قنصلها بالاحتفاظ بالحياة التام^(٢) .

ومع ذلك فإن موقف على بيك كان يتحسن يوماً بعد يوم ، إذ أنه بعد الانتصار الذى أحرزه فى الزاوية ، تقابل غومه مع عبد الجليل سيف النصر وحمله على تأييد على بك الذى تعهد من جانبه بالاعتراف بعبد الجليل بيكا على فزان وبألا يطالب بضرائب أكثر من الضرائب التى كانت تدفع قبل حكم يوسف باشا ، وأن يعيد منح جميع القبائل اعفاءاتها وامتيازاتها القديمة^(٣) .

(١) خطابا القنصل شوييل فى ١٨ و ٢٨ أبريل سنة ١٨٢٣ .

(٢) » » » » ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٢٣ .

(٣) » » » » ١٦ أغسطس سنة ١٨٢٣ .

كذلك انفصل الحاج « أحمد المريض » زعيم ترهونه عن الثوار والذي كان على بيك قد أرسل إليه أخاه مصطفى ، وصرح المريض له بأنه يعترف بأن « علي » هو الرئيس الشرعي للدولة .

لم يتردد يوسف في إخطار السلطان بتنازله عن العرش وطلب منه تولية ابنه « علي » . وقد أرسل على بيك بدوره خطابات لهذا الغرض إلى السلطان ، ورئيس الوزراء و « قبودان باشا » الذين كانت قد وكلت إليهم شئون وجاق إفريقية الشمالية . وقد اتجه الثوار أيضاً إلى قبطان باشا وطلبوا منه الاعتراف بالرئيس الذي اختاروه ، فرأى أنه من المناسب أن يرسل سكرتيره « شاكر أفندي » للتحقيق في هذا الأمر ، فوصل إلى طرابلس في يوم ٢٨ أغسطس .

وبعد أن قام بزيارة يوسف باشا وتحدث طويلاً مع علي بيك ومع محمد الدغيس جمع أعيان المدينة وزعماء القبولوغية الثائرين في سفينته ودعاهم إلى الاتحاد وطاعة الأمير الشرعي « علي بيك » ، وعقد معهم اجتماعين ، دون أن يصل إلى نتيجة بسبب عنادهم وإصرارهم على عدم الاعتراف بعلي بيك ، ولم يخف شاكر أفندي في حديثه مع قنصل فرنسا أن اللورد بونسوبني Ponsouby سفير إنجلترا بالقسطنطينية حاول أن يقدم مسألة علي بيك إلى الحكومة التركية بطريقة لا تنفق مع مصالحته^(١) .

وأخيراً عندما اتضح استحالة التوفيق بين الطرفين ، أقلع شاكر أفندي من طرابلس في يوم ٥ سبتمبر ، بعد أن صرح بأنه سوف يعود قريباً حاملاً فرماناً بتولية علي ، وعندئذ قرر الثوار بذل كل جهودهم لاحتلال المدينة قبل أن يتم هذا الأمر لوضع الحكومة التركية أمام الأمر الواقع ، واتجهوا إلى الحاج « محمد شلبي » الذي كان قد ترك مدينة درنه وغادرها إلى مالطة بعد تعيين عثمان القرماني في منصب « بيك » برقة ، ورجوه أن يعمل على مساعدتهم ،

(١) خطابا القنصل شويبيل في ٢٦ أغسطس و ٢ سبتمبر سنة ١٨٤٣ .

بقي شلبي على تحفظه مدة طويلة فرفض الرد على خطابات علي بيك ويوسف ، والخطابات التي وجهها إليه بعض الزعماء الثائرين ، ثم عاد فنزل على رجاء الوفد الذي توجه إليه ، وعلى إلحاح القنصل الإنجليزي وارانجتون . وفي ٧ ديسمبر ، ظهر أمام ميناء طرابلس أسطول صغير سلحه شلبي يتكون من ثلاث سفن حربية يخفق فوقها علم المطالب بالعرش (١) ، فخرجت أربعة قوارب من حاملات المدافع للقائها ، فابتعد الأسطول ورسا على مقربة من رأس « تاجوراء » ، حيث نزل منه شلبي والزعماء الذين كانوا موفدين إليه إلى البر ، ولم تستطع قوات علي بيك أن تمنع إنزال الأسلحة والذخائر ، وكان كل ما استطاعت عمله هو الاستيلاء على إحدى السفن بعد أنزلت كل حمولتها (٢) إلى البر . وقد بدأ الثوار الذين كان تحت أيديهم مدفع هاون وكمية من القنابل في إطلاق النار على المدينة في يوم ٢٧ مارس ، وأحدثوا من الذعر أكثر مما أصابوا من أضرار (٣) ، ولم يبق من قناصل الدول في قنصليته سوى قناصل فرنسا وأسبانيا وسردينيا وناپلي . أما قنصل البرتغال فقد ذهب إلى مالطة ، وأقام قناصل توسكانا والسويد والدانمرك في المنشية (٤) .

كان وجود شلبي يساعد الثائرين أكثر من مساعدة الأسلحة والذخائر لهم ، فقد كان للرجل أتباع كثيرون وسلطة واسعة ، كما كان ذا هممة عالية أهله لأن يصبح الزعيم الحقيقي للثورة . ولما كان علي بيك يستنكر كل الاستنكار ذلك الموقف العدائي الذي وقفه شلبي منه ، وكان لا يستطيع ضربه مباشرة ، فإنه أخذ في اضطهاد أصدقائه وأنصاره الذين كانوا في المدينة وعلى الأخص « إبراهيم بومويس » .

(١) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس . الخطاب رقم ١٦٥ ، المؤرخ في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٢٣ - وخطاب القنصل شويبل في ١٥ ديسمبر سنة ١٨٢٣ .
(٢) خطاب القنصل شويبل في ٣ فبراير سنة ١٨٢٤ .
(٣) « » « » « » ٣٠ مارس ١٨٢٤ .
(٤) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس . الخطاب رقم ٦٤ المؤرخ في ٢٦ أبريل سنة ١٨٢٤ .

وقد اضطر على بيع ، لكي يحصل على الأموال اللازمة لدفع مرتبات الجنود النظاميين إلى بيع جزء من النفائس التي كانت تمتلكها زوجة أبيه « لالة زهرة » ، في طرابلس كما باع جزءاً آخر في تونس ، واستصدر من القاضي أمراً بمنع يوسف باشا من إدارة أملاكه بطريق مباشر وبالحجر عليه وبتعيين على بيع بصفة قيم عليه " .

في هذه الأثناء كان الناس في طرابلس يعيشون بين الخوف والأمل ، في انتظار تدخل الباب العالي في الأمر ، وعلى الأخص بسبب الأخبار التي كانت ترد من الخارج ، إذ راجت شائعات لعدة أشهر عن محاولة جديدة من قبل والي مصر للاستيلاء على طرابلس وتعهده بتهدتها وإقرار النظام فيها ، مما سبب انتشار الذعر في البلاد (٢) .

وفي شهر فبراير من سنة ١٨٣٤ ، أكد ممثل حكومة نيابة طرابلس الغرب في القسطنطينية أن الاعتراف « بعلي بيك » أصبح أمراً مقررأ ، وقد تأكد هذا الخبر من خطاب أرسله « قبودان باشا » ، ولكنه كان سابقاً لأوانه ، إذ عندما عاد شاكر أفندي إلى القسطنطينية لتقديم تقرير عن مهمته ، وصل إليها مندوب من قبل حسين بيك رئيس حكومة نيابة تونس ليطلب من الباب العالي تولية وريث مصطفى القرمانلي لرئاسة طرابلس الغرب . وفي شهر فبراير وصل شاكر أفندي إلى تونس وأخبر حسين بيك بالشروط التي يقبل بها السلطان لإجابة طلبه . وهي دفع مبلغ كبير في الحال ، وإعادة دفع الجزية السنوية التي كانت حكومة نيابة طرابلس الغرب تدفعها فيما مضى للباب العالي .

(١) راجع اسماعيل كالي في « وثائق لم تنشر ... الخ » السالف الذكر ص ١٩٩ .
(٢) مراسلات قنصلية سردنيا العامة في طرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس الأبرالية الخطاب رقم ٢٢٤ ، المؤرخ في ٦ مارس ١٨٣٣ - خطاب القنصل شويبل في ٣ يونية سنة ١٨٣٨ - انظر سير Serres الكتاب السالف الذكر ص ١٠٨ .

وقد بدت هذه الشروط مرهقة للغاية ، ولذلك لم يكن من المستطاع الوصول إلى الاتفاق (١) .

وأثناء ذلك كان الصراع بين الطرفين مستمراً ، يشجع أحدهما ويؤيده قنصل إنجلترا ، وبشجع الطرف الآخر ويؤيده قنصل فرنسا ، اللذان كانا يشتركان في النزاع لتقرير أسبقية دولتهما رغم تصريحهما بالتزام الحياد التام ، وكان يسرهما وقوع أى حادث يؤدي إلى تدخل عسكري لمصلحة المرشح الذي كان يعمل كل منهما لصالحه (٢) .

استمر القتال سجالاتاً بين الفريقين ، وكان موقف الثوار قد تحسن تحسناً ملحوظاً منذ أن تولى شابي قيادة حركتهم ، غير أن المفاوضات التي قام بهامع زعماء البلاد الداخلية وخاصة مع عبد الجليل سيف النصر لم تؤد إلى نتائج ملموسة ، إذ أنه لم يحصل من هذا الزعيم ولا من الزعماء الآخرين إلا على تصريحات عامة عما يكمنونه من هودة ، وقد تمكن شلبي من منع فزار الجنود وحمل المجندين من القولوغلية على القيام بنشاط كبير ، غير أنه كان واضحاً أن هؤلاء القولوغلية لا يستطيعون بقواتهم وحدها تهديد المدينة تهديداً جدياً ، أو منع وصول شحنات من القمح أو الماشية بطريق البحر إلى المدينة (٣) ، ولذلك فإن قذف قنابلهم المتقطع ، والذي كان عديم الأثر ، لم يكن له من نتيجة إلا إغضب سكان المدينة واستثارة انتقامهم .

وقد أمر على بك بأن تقوم بعض القوارب المسلحة بالمدافع بضرب موقع الجمر ك الذي أقامه الثوار ، فأنفجرت إحدى القنابل على مقربة من دار القنصل وارتجتون الذي احتج بشدة ، وأبطل على الضرب نتيجة لذلك (٤) .

(١) خطاب القنصل شويل في ٣٠ مارس سنة ١٨٣٤ ، راجع « سير » الكتاب السالف الذكر ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) مراسلات قنصلية سردنيا العامة في طرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس الأيرالية . الخطاب رقم ٢٢٠ ، المؤرخ في ٢٥ يناير سنة ١٨٣٣ - راجع « سير » الكتاب السالف الذكر ص ١٠٧ .

(٣) خطاب القنصل شويل بتاريخ ٢٥ يونيو سنة ١٨٣٤ .

(٤) « » « » « » « » ١٣ يوليو سنة ١٨٣٤ .



الباب الخالي لمسجد الدروج
ويوجد مثله صناعة محلية في مسكن أحمد باشا بالقلعة

وأثناء ذلك رأى المكتب الاستعماري إجراء تحقيق مع وارانجتون إثر مقال نشرته جريدة التيمس ، وكان له صدى في البرلمان ، بسبب حادث أثاره شويبيل وأدى إلى الجدل بين فرنسا وإنجلترا حول مسألة طرابلس الغرب . فتمدأ بلغ القنصل الفرنسي - رغبة منه في إعادة السلام إلى البلاد - بعض زعماء الثوار كتابةً عروض « على » وعلق عليها بضمانته لها وختمها بنجائم القنصلية (١) ، غير أن محمد القرماني تمكن من القبض على بعض هؤلاء الزعماء وأتهمهم بالنامر لصالح علي بك وسلم الخطابات التي وجدت لديهم إلى وارانجتون فأرسلها إلى حكومته ليثبت أن فرنسا قد تدخل بطريق مباشر لمصلحة أحد الطرفين المتخاصمين ، وتلا ذلك تبادل مذكرات بين كل من فرنسا وإنجلترا . وقد اقترح سفير فرنسا في لندن إبعاد القنصلين عن البلاد ، ولكن المكتب الاستعماري اكتفى بالتصريح بأن هناك تحقيقاً يجري حول أعمال وارانجتون وأنه سوف يقوم بإبلاغ نتيجته إلى الحكومة الفرنسية وبدا حينئذ أنه لا يوجد مخرج من هذا الموقف ، حتى عاد شاكر أفندي إلى طرابلس يحمل فرماناً من السلطان محمود الثاني يؤيد تولية علي القرماني كرئيس لدولة نيابة طرابلس الغرب ويمنحه رتبة الميرميران الرفيعة مع لقب باشا (٢) .

وفي اليوم الخامس والعشرين أقيم احتفال التولية بمراسيمه المعتادة (٣) في هو القلعة الكبير بحضور القاضي والعلماء والأعيان وهيئة القناصل ، وسرعان ما أرسلت نسخة من فرمان إلى كل من « محمد بيك » زعيم الثوار و « عثمان أغا الأدغم » و « عثمان بيك القرماني » و « غومه بن خليفة » .

(١) مراسلات توسكانا في طرابلس - الخطاب رقم ١٦٥ ، المؤرخ في ٢٩ مايو سنة ١٨٣٤ - خطاب القنصل شويبيل بتاريخ ٢٥ يونيو سنة ١٨٣٤ .

(٢) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس - الخطاب رقم ١٧٥ ، المؤرخ في ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٣٤ .

(٣) مراسلات قنصلية سردينيا العامة بطرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس الأيرالية - الخطاب رقم ٢٥٨ ، المؤرخ في ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٤ .

والحاج « أحمد المريض » ، وقد أرسلت هدية إلى الأخيرين وهي « بورنسان فاخران » ، لما أبدياه من الإخلاص لقضية الأمير الشرعي (١) .
وكان يتحتم على وارنجتون نظراً للتعليمات التي تلقاها من حكومته ، إعادة العلاقات الرسمية مع عليّ عندما يتم اعتراف السلطان به كرئيس لدولة نيابة طرابلس الغرب . ولهذا طلب أن يتوجه إليه بصحبة المندوب التركي ، وقد استقبل استقبالاً حافلاً في يوم ٢٧ ، وقدم تأكيدات على نوايا الحكومة البريطانية الطيبة نحو حكومة نيابة طرابلس الغرب ، ووعد باتخاذ مسكن له في المدينة ، وبأن يعيد إليها الرعايا البريطانيين الذين كانوا قد خرجوا منها ليقيموا في المنشية .

ولما كان من المتوقع أن يُظهر كثيرون من الثوار استعدادهم لإطاعة أوامر السلطان ، فإن وارنجتون أراد انتهاز هذه الفرصة لاستعادة ما كان له من هيبة ، فمرض وساطته بين الثوار والباشا ، ولكن شاكر أفندي صرح بعدم استطاعته قبول هذه الوساطة لأنه كان محظوراً قبول أية وساطة أجنبية (٢) . فغضب وارنجتون لهذا الرفض ولم يف بوعده بالعودة إلى المدينة وبقى يقيم بين الثوار يشجعهم على المقاومة الأمر الذي أثار دهشة زملائه الذين لم يجدوا تفسيراً لمسلكه (٣) .

أحدث حقاً اعتراف السلطان برئاسة عليّ للدولة شيئاً من الخور في نفوس الثوار في بادئ الأمر . فطلب أهالي « تاجوراء ووزور » ، إبلاغهم بالفرمان ، وأعلنوا إستعدادهم للدخول في طاعة الأمير الشرعي (٤) .
ولما كان معنى هذا الطلب وما أحاط به من أخبار الاعتقاد بأن نص المرسوم السلطاني لم يصل إلى علم الأهالي ، فقد كتب شاكر أفندي في

(١) راجع اسماعيل كمال في « وثائق لم تنشر ... الخ » السالف الذكر ص ٢٠٤ .

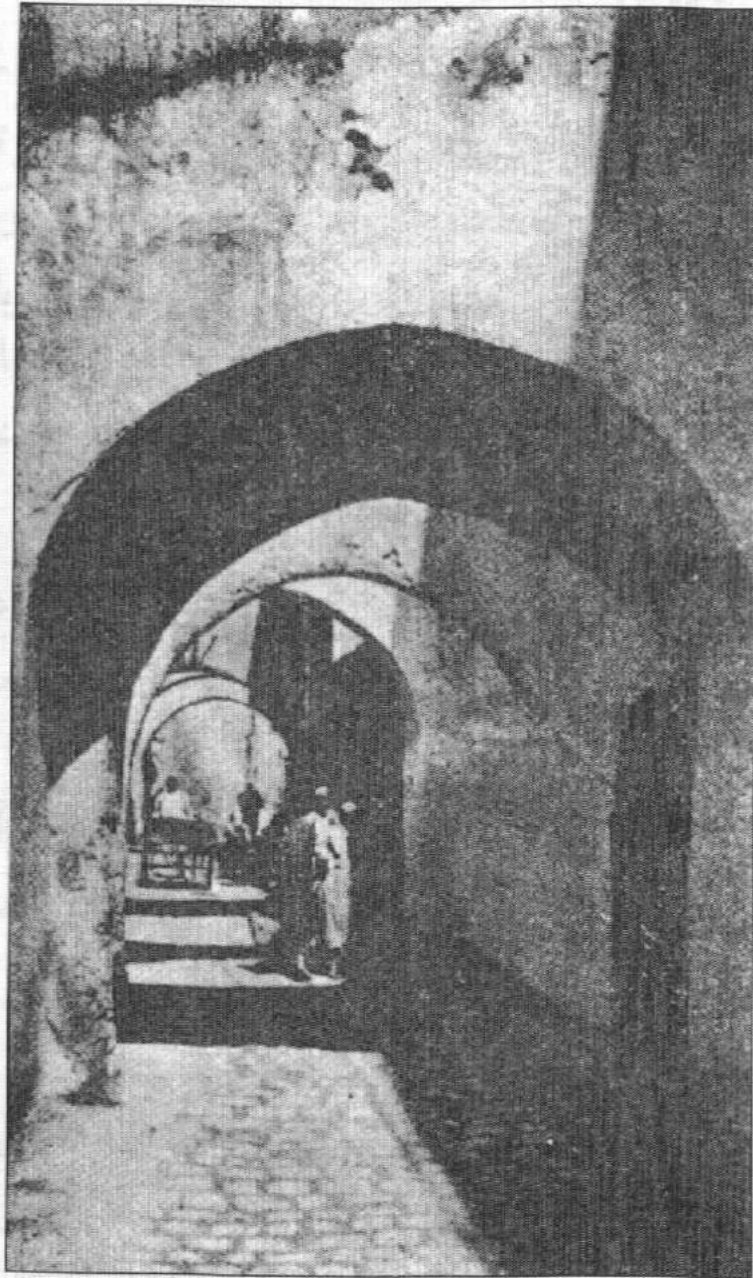
(٢) خطاب القنصل شويل بتاريخ ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٣٤ .

(٣) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس الأيرالية - الخطاب رقم ٢٥٣ السالف الذكر .

(٤) خطاب القنصل شويل بتاريخ ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٤ .

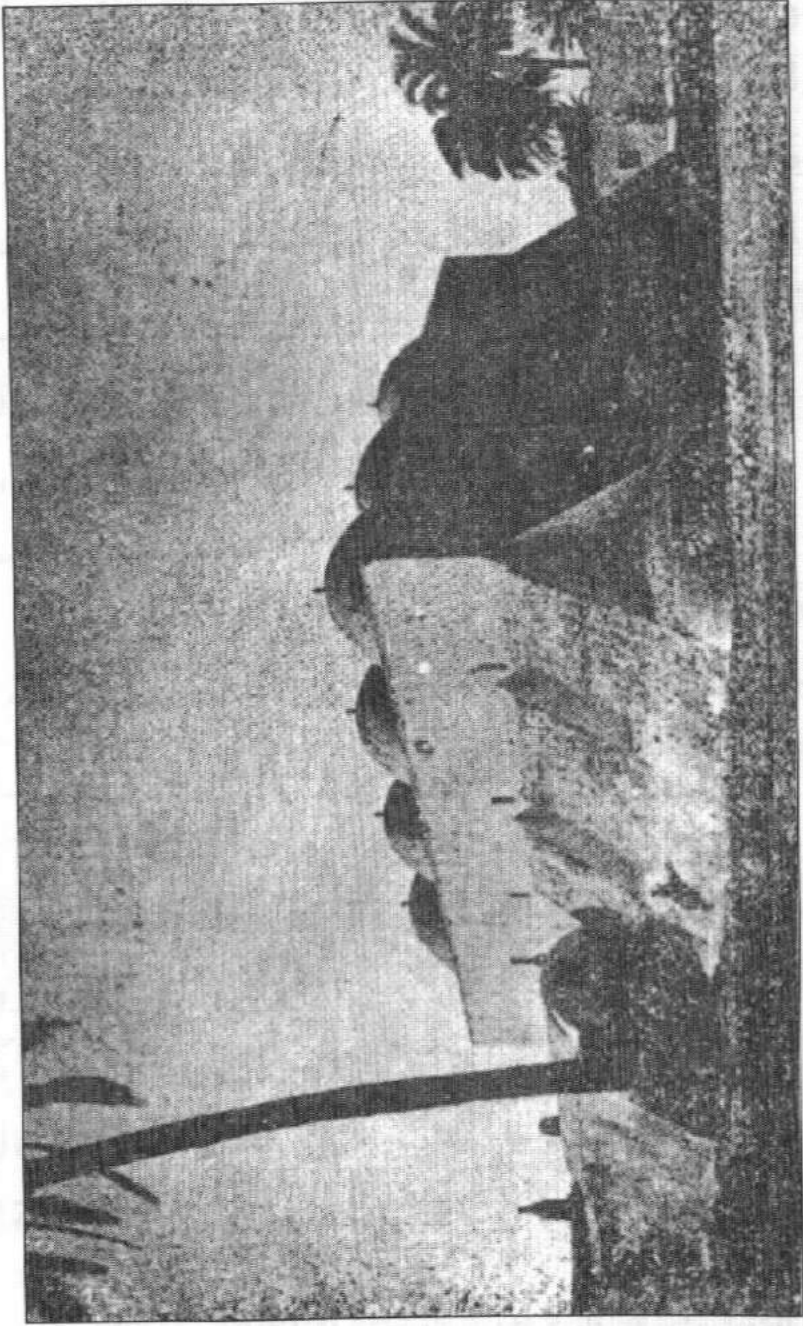


شارع في المدينة القديمة بطرابلس زنقة الفرنسيين
وفي آخره يوجد قوس ماركو أورليو



شارع كوشت الصغار بالمدينة القديمة بطرابلس

لكل كبر منقاد المشركين كما انهم يتصرفون في كل شيء بحسب رغبتهم
ولم يراعوا ما عند الله من العذاب العظيم والاعقاب العظيمة
ولم يراعوا ما عند الله من العذاب العظيم والاعقاب العظيمة
ولم يراعوا ما عند الله من العذاب العظيم والاعقاب العظيمة



مسجد خليل باشا حكي الضهره بمدينة طرابلس

كل من كان من المشركين لم يراعوا ما عند الله من العذاب العظيم والاعقاب العظيمة
(١) ما كان المشركين لم يراعوا ما عند الله من العذاب العظيم والاعقاب العظيمة
كل من كان من المشركين لم يراعوا ما عند الله من العذاب العظيم والاعقاب العظيمة
(٢) ما كان المشركين لم يراعوا ما عند الله من العذاب العظيم والاعقاب العظيمة

٤ أكتوبر إلى كبار مشايخ المنشية والساحل يدعوهم إلى التوجه مع رجالهم إلى «الأصدريّة» على مقربة من أسوار المدينة ليقوم بإبلاغهم علانية بما منحوا من كرم وتسامح .

وتوجه فعلاً في اليوم التالي برفقة حرس من الجنود النظاميين من الأتراك إلى ميدان «سوق الثلاثاء» حيث أقام معسكره، ولكن لم يحضر أحد، وبعد انتظار دام ساعتين دون جدوى، وصله خطاب يرجوه فيه رؤساء الثوار أن يتوجه إليهم في مسجد «خليل باشا» في الظهر .

فعاد إلى المدينة حيث وصله خطاب موقع عليه من حوالي مائة وعشرين من الزعماء والأعيان، الذين رغم ما أظهره من ولاء للباب العالي، قد صرحوا بعدم رغبتهم في الإعراف بعلي القرمانلي كحاكم عليهم، ورجوا شاكر أفندي في تأييد الأمير الذي يختارونه، فرد عليهم بأنه يعطيهم مهلة مدتها ستة أيام لإعلان الخضوع والاستسلام، فإذا مضت هذه المدة سوف يعتبرون متمردين على السلطان .

وقد انتهز جميع القناصل الأوربيين المقيمين في المدينة هذه الفرصة لكي يطلبوا إلى الثوار الخضوع للباب العالي، وقبول شروط الصلح التي عرضت عليهم^(٢١) .

وعندما انتهت المهلة التي حددها شاكر أفندي دون أن يصله أي رد، أعلن حصار الشاطئ الشرقي لطرابلس حتى رأس «تاجوراء»، ووافق القناصل على ذلك فور إعلانهم به، ما عدا وارجتون الذي طالب بأن يكون الحصار قاصراً على مسافة فرسخ من المدينة حتى تستطيع السفن الإنجليزية القيام بعمليات الشحن والتفريغ فيما وراء تلك المسافة في هدوء وطمأنينة^(٢٢) .

(١) خطاب القنصل شوبيل بتاريخ ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٤ .

(٢) مراسلات القنصلية العامة لسردينيا في طرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس الأبرالية — الخطاب رقم ٢٥٣ المؤرخ في ١٣ أكتوبر سنة ١٨٣٤ خطاب القنصل شوبيل بتاريخ ٩ نوفمبر سنة ١٨٣٤ .

(٣) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس الأبرالية — الخطاب رقم ٢٣٥ المؤرخ في ٤ نوفمبر سنة ١٨٣٤ .

وقد رد الثوار على إعلان حصار الشاطيء والساحل، بالتهديد بإطلاق النار على السفن التجارية التي تصبح عند مدخل الميناء تحت رحمة بطارياتهم . وقد أطلقت هذه البطاريات نيرانها فعلا على بعض السفن التركية وعلى سفينة نابوليتانية كان القنصل الإنجليزي قد وعدّها بحمايته على شرط ألا تفرغ شيئاً من حمولتها في المدينة (١) .

وهكذا ظهر أن كل الإجراءات التي اتخذها مندوب الباب العالي كانت عبثاً ، وأصبح لا فائدة من إقامته بعد ذلك في طرابلس ، ومع هذا وافق على إطالة مدة إقامته نزولاً على رجاى « على باشا » ، الذى كان فى حاجة إلى بعض الوقت لإعداد الهدية التى كان من المعتاد تقديمها إلى مندوبى الباب العالي الذين يحملون فرمانات التولية أو التثبيت على العرش . ثم أقلع فى يوم ٣١ ديسمبر متجهاً إلى القسطنطينية (٢) .

وفى أوائل ذلك الشهر كان وارنجتون قد عاد نهائياً إلى المدينة وترك ابنه فى المنشية . وفى يوم ١٤ رفع العلم البريطانى من جديد فوق القنصلية الانجليزية (٣) بعد أن صدر أمر حكومته بذلك ، ومع كل هذا فقد استمر يحتفظ بعلاقات متينة وقوية مع زعماء الثوار (٤) .

وقد قررت الحكومة الفرنسية وضع حد لهذه الحالة فنقلت شوييل إلى تونس ، وأخطرت الحكومة البريطانية بذلك أملا فى أن تقوم هذه الحكومة بنقل قنصلها حتى يستقر السلام ، ولكن هذا لم يحدث .

وقد انتهت المفاوضات التى قام بها الباب العالي فى القسطنطينية مع السفير الانجلىزى والتى أجراها فى لندن بواسطة سفيره نامق باشا الذى

(١) مراسلات قنصلية منسكة سردينيا العامة بطرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس

الأمرالية — الخطاب رقم ٢٣٥ ، المؤرخ فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٣٤ .

(٢) خطاب القنصل شوييل بتاريخ ١٦ يناير سنة ١٨٣٥ .

(٣) خطاب القنصل شوييل بتاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٨٣٤ .

(٤) مراسلات قنصلية سردينيا العامة بطرابلس مع وزير البحرية والبحرية ورئيس

الأمرالية — الخطاب المؤرخ فى ٣٠ يناير سنة ١٨٣٥ .

تفاوض مع مكتب العلاقات الخارجية من أجل استدعاء وارنجتون من طرابلس — انتهت دون نتيجة ، وأصبح لا مناص من استمرار النزاع بين قنصل فرنسا وبريطانيا العظمى حتى بعد إبعاد شويل .

وفي الواقع سرعان ما دخل القنصل الجديد الفارم دي بوربولون De Bourboulon الذي خلف شويل والذي وصل إلى طرابلس يوم ١٩ يناير في نزاع مع زميله الانجليزى بسبب استمرار الأخير في وضع العراقيل والصعوبات لإبقاء الحصار وبسبب إدعائه بحقه في أن يستقبله الباشا قبل غيره من القناصل الذين يذهبون لزيارته بمناسبة عيد الفطر (١) .

وعندما لم تجد فرنسا طريقة أخرى لحسم النزاع ، ضغطت على الحكومة العثمانية بواسطة سفيرها في القسطنطينية الأميرال روسان Roussin لكي ترسل إلى طرابلس فرقة بحرية وقوة من جيشها ، وأحاطت بممثلها في طرابلس علماً بما اتخذته من إجراءات ودعته إلى الاستمرار في أعمال التوفيق التي يقوم بها وقد استقبل الباشا بوصول الفرقة البحرية التركية بالبهجة والسرور كما ابتهج لهذا الخبر كل من أصابهم ضرر من استمرار الأعمال الحربية في البلاد (٢) ، بينما كان لهذا النبأ أسوأ الأثر في نفوس الثوار ، الذين تخلى قسم منهم عن محمد القرماني ، وانضم إلى غومه الذي استولى على « زنزور » .

رأى قنصل فرنسا أن الوقت ملائم لمحاولة القيام بالتوفيق بين الطرفين المتخاصمين مرة أخرى ، فاقترح على وارنجتون أن ينضم إليه لمفاوضة الثوار بطريقة غير رسمية فإذا قبلت هذه المحاولة المبدئية بالاستحسان ، يعرضان وساطتها رسمياً ، وقد وافق وارنجتون على هذا الاقتراح ، ولكنه لم يشأ أن يذهب بنفسه إلى محمد القرماني وأتاب قنصل توسكانا روسوني Rossoni ، للقيام بهذه المهمة فتوجه هذا القنصل مع مترجم القنصلية الفرنسية

(١) خطاب قنصل فرنسا « دي بوربولون » بتاريخ ٧ فبراير سنة ١٨٣٥ .

(٢) مراسلات قنصلية مملكة سردينيا العامة في طرابلس مع وزير الحربية ورئيس

الأميرالية — الخطاب رقم ٢٦٦ بتاريخ ١٥ مايو سنة ١٨٣٥ .

في يوم ١٢ إبريل بموافقة الباشا إلى المنشية واستقبلهم زعماء الثوار استقبالا حسنا ، وبعد أن عبروا عن شكرهم وعرفانهم بالجميل ، طالبوا باستفتاء الشعب قبل كل شيء .

غير أنه سرعان ما تبددت الآمال التي علقنا على هذا الاجتماع الأول ، إذ عندما ذهب وارنجتون في اليوم التالي إلى الثوار ، اتضح له عدم استعدادهم لقبول أية تسوية (١) .

وأثناء ذلك كانت تجري استعدادات كبيرة في القسطنطينية لإعداد إحدى عشرة سفينة حربية ونقلات تكفي لحمل سبعة آلاف جندي بعد أن أهمل ذلك المشروع الأول الذي كان يقضى بإرسال حملة صغيرة لتأييد الباشا تأييداً أديباً .

وعندما طلب سفير فرنسا تفسيراً لتغيير المشروع الأول أوجب بأنه لا يمكن التصريح بأى شيء في الوقت الحاضر يتعلق بهذا الأمر .

أقلع الأسطول التركي في آخر مارس وفي مقدمته طراداة كانت تحمل شاكر أفندي (٢) الذي كان مكلفاً بإبلاغ الباشا بوصول الحملة .

وفي يوم ٢٦ مايو رسا الأسطول المؤلف من اثنتين وعشرين سفينة في ميناء طرابلس ، وأدى التحية للمدينة بإطلاق ست طلقات من مدافعه وردت بطاريات المدينة التحية بمثلها طلقة بطلقة ، وسرعان ما ذهب على باشا بصفة رسمية إلى ظهر سفينة القيادة لزيارة قائد الأسطول مصطفى نجيب باشا الذي استقبله استقبالا وديا للغاية وصرح له بأنه مرفد لمساعدته ، ورجاه في العمل على إيجاد مساكين للجنود . وعندما عاد على باشا إلى البر ، أسرع بإعطاء تعليماته في هذا الشأن ، وبدأ إنزال الجنود في مساء يوم ٢٦ ، واستمر في

(١) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس — الخطاب رقم ١٨٩ بتاريخ ١٨ أبريل سنة ١٨٣٥ ، وخطاب القنصل « بوربولون » بتاريخ ٢٠ أبريل سنة ١٨٣٥ .

(٢) مراسلات قنصلية توسكانا في طرابلس — الخطاب رقم ١٩٣ ، المؤرخ في ٢٣ مايو سنة ١٨٣٥ .

اليوم التالي، واحتل أربعة آلاف جندي من جنود المدفعية الحصون
والمواقع الإستراتيجية في المدينة .

وفي يوم ٢٨ ، دعا شاكر أفندي على باشا للحضور إلى سفينة القيادة
للنزل منها باحتفال في صحبة القائد، وعندما صعد إلى السفينة أبلغه القائد
بعزله من منصبه بأمر السلطان وبوجوب ذهابه إلى القسطنطينية هو وأسرته
وكل من يريد السفر معه، ثم نزل القائد نجيب باشا بعد ذلك مباشرة إلى البر
حيث حيته المدفعية وهتف له الجنود، واتجه إلى القلعة حيث كان في
انتظاره في هو الاجتماعات القاضى والعلماء وكبار المواطنين وتلا فرمان
السلطانى الذى نص على سقوط أسرة القرماني عن العرش وتعيين القائد
مصطفى نجيب باشا والياً على نيابة طرابلس الغرب .

وبعد تلك الحفلة أمر نجيب باشا بفتح الأبواب، ودعا أهالى المنشية
والساحل لدخول المدينة بدون سلاح، وقد استجاب له الكثيرون فى نفس
الليلة واستجاب عدد أكثر فى اليوم التالى .

أما محمد القرماني فإنه انتحر بعد أن تخلى عنه الجميع وفر أخوه أحمد
ولجأ إلى جزيرة مالطه، وحاول شاي وإخوته الاتجاء إلى سفينة
إنجليزية، ولكن شلي عاد بعد أيام قليلة إلى المدينة وتمتع بعطف الحكومة
الجديدة مدة من الزمن .

وفي يوم أول يونيه سافرت فرقاطة تركية إلى القسطنطينية تحمل
الباشا المعزول وصهره محمد الدغيس وعدداً قليلاً من أنصاره الذين بقوا
على إخلاصهم له (٢) .

(١) مراسلات قنصية مملكة سردينيا العامة مع وزارة الخارجية - الخطاب رقم
٣٠١ المؤرخ في ٥ يونية سنة ١٨٣٥ - ومراسلات قنصية توسكانا في طرابلس -
الخطاب المؤرخ في ٢٦ مايو سنة ١٨٣٥ .

(٢) خطابا القنصل دي بوربولون في ٢٣ يونيو و ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٣٥ .

أما القرمانيون الآخرون ، فقد عين منهم عثمان بيك في منصب « بيك » برقه وهو المنصب الذي كان يشغله من قبل ولكنه ترك البلاد في شهر أكتوبر التالى هو و خليل الذى كان « بيكاً لبغازى وبقى مصطفى بك فى « ترهونه » لدى الحاج أحمد المريض حتى شهر أغسطس من السنة التالية ثم عاد إلى طرابلس حيث توفى بعد قليل بالطاعون (١) ، أما يوسف باشا الذى كان شيخاً هرماً لا يقدر على شيء ، فقد تركت له الحرية فى البقاء فى المدينة دون أن يزعجه أحد هو وأولاده إبراهيم وعموره اللذان أرادت الحكومة الجديدة الاستفادة منهما لحمل زعماء البلاد الداخلية من أنصار الأسرة القرمانية على الخضوع والاستسلام .

ونشرت جريدة « المشير العثمانى » فى مقال لها خبر هذا الحادث ، بعد أن لخصت الأحداث الأخيرة التى وقعت فى طرابلس الغرب وأشارت إلى المحاولات التى تمت لتهدئة البلاد قائلة « إنه لما كانت نيابات الغرب جميعاً جزءاً من الإمبراطورية العثمانية ، ولما كان صاحب الجلالة يرغب فى رخاء كل ولاية ، فقد رأى أنه من الضرورى تعيين رجل حكيم وكفء فى طرابلس لإدارتها على أحسن وجه » .

أما السبب الذى استندت إليه الحكومة العثمانية لعزل على باشا القرماني وإسقاطه عن العرش وإعادة حكمها المباشر إلى طرابلس فلا يبدو مستساغاً ، إذ أن الالتماس الذى كان قد أرسله زعماء القولوغلية فى شهر يناير سنة ١٨٣٥ إلى السلطان بواسطة بيك تونس والذى يرجونه فيه ليرسل والياً من قبله إذا لم يكن من الممكن تعيين الرئيس الذى يختارونه ويذكرون أنهم على استعداد للخضوع له ، هذا الالتماس لم يقابل

(١) خطاباً القنصل دى بوربولون فى ١٧ أغسطس و ١٥ سبتمبر سنة ١٨٣٦ .

(٢) راجع اسماعيل كالى فى « وثائق لم تنشر ... الخ » الكتاب السالف الذكر من

٢١٣ — وقد توفى يوسف القرماني بمدينة طرابلس فى يوم ٤ أغسطس سنة ١٨٣٨ . وكان قد وصل إلى حالة يرثى لها حتى أن أهله لم يجدوا نفقات دفنه . فقامت الحكومة بدفنه على نفقتها — مراسلات تنصليية توسكانا فى طرابلس الخطاب المؤرخ فى أغسطس سنة ١٨٣٨ .

بالاستحسان ، وخاصة بسبب المسلك الذى سلكه هؤلاء إزاء شاكر أفندى ، ومن جهة أخرى فإن الفرض الذى افترضه « سير Serres » (١) لم يكن مقبولا وهو رغبة الحكومة العثمانية فى أن تكون لها قاعدة للعمليات الحربية قريبة من الجزائر حتى تستطيع أن تمد يد المساعدة بسهولة إلى أولئك الذين كانوا يقاومون الغزو الفرنسى بقوة السلاح ، وعلى الأخص عبد القادر وبيك قسطنطينة - إذ مما لا شك فيه أنه إذا سيطر الباب العالى على طرابلس فإنه يستطيع الإفادة من وجوده بها لمناهضة فرنسا فى استيلائها على الجزائر ، ومحاربة نفوذها القوى فى تونس ، ولكن لم يكن يبدو أن الدولة العثمانية تستند إلى هذه الحجج بأية حال عند إعادة احتلالها لطرابلس الغرب .

وإن الأهداف التى ذكرناها اعتماداً على وثائق تؤيد وتكمل المستندات التى بحثها واعتمد عليها « سير » فى كتابه ، تثبت أن الباب العالى كان ينوى التدخل فى طرابلس الغرب فى الأشهر الأولى من سنة ١٨٣٥ لا لشيء سوى تأييد على باشا القرمانلى وحمل الإمدادات اللازمة إليه لإخضاع الثوار .

ولذلك كان تغيير القرارات التى اتخذتها الدولة العثمانية أمراً مفاجئاً ، ولم يعرف أحد سبباً مقبولاً له .

ومع هذا فإن من يحسن التأمل ، ويدقق النظر ، يستطيع أن يدرك بسهولة السبب فى تغيير اتجاه الباب العالى ، حتى ولو لم تكن هناك أية إشارة إليه فى الوثائق . إذ أن الروابط التى كانت تربط دول المغرب بالامبراطورية العثمانية كانت ضعيفة لدرجة أن هذه الدول لم تهتم أول الأمر بقيام النزاع بين داي الجزائر وفرنسا ، وإذا كانت الدولة العثمانية قد عملت على إحباط المشروع الفرنسى الذى كان يرمى إلى منح والى مصر حكم

نيابات الغرب ، فإن ذلك العمل الذى يتعارض مع التصريحات السابقة قد تم تحت ضغط سفير بريطانيا العظمى فى القسطنطينية .

وأثار سقوط مدينة الجزائر وإعادة إرسال الجنود الأتراك إلى طرابلس دهشة عظيمة فى القسطنطينية ، وخيبة أمل أكثر مما أحدثا من توتر ، ومن جهة أخرى أدت تصريحات السفير الفرنسى إلى بعث الأمل فى وضع الجزائر تحت الحكم المباشر للباب العالى .

وهكذا يمكن القول بأن استيلاء فرنسا على الجزائر قد أثار استياء الحكومة البريطانية أكثر مما أثار غضب الحكومة العثمانية ، ولم يكن هذا هو آخر سبب للقطيعة بين إنجلترا وشارل العاشر ملك فرنسا .

فقد غيرت ثورة يوليو العلاقات بين الدولتين الكبيرتين تغييراً أساسياً ، وكانت الأسباب التى دعت إلى إعادة التقارب الفرنسى الانجليزى معلومة للجميع ولا يتسع المجال هنا لذكرها .

ويكفى أن نشير إلى أن الملك لوى فيليب ما كاد يرتقى العرش حتى أسرع لإفهام الجميع رغبة منه فى تجنب كل خلاف - بأنه إذا كان لا يستطيع تحدى رأى العام الفرنسى بإصدار أمره بالجلء عن الجزائر ، فإنه من جهة أخرى لا يرمى إلى التوسع فى فتوحاته ، ولكى يثبت صدق نواياه سحب جانباً كبيراً من جنود الاحتلال ، واتخذ « الاتفاق الودى » مع بريطانيا أساساً لسياسته .

ومنذ تلك اللحظة بدأت الوزارة البريطانية تتبع نحو المسألة الجزائرية السياسة التى أسماها « سير » سياسة الصمت وتجنب إصدار أى تصريح بشأنها ، وأرسلت بريطانيا تعليمات إلى سفيرها بالقسطنطينية وقناصلها بمدن إفريقيا الشمالية ، بالامتناع عن أى عمل قد تعتبره فرنسا معادياً لسياستها الإفريقية . غير أن الصمت لم يكن معناه عدم الاهتمام ، إذ أن إنجلترا قد تبعت بانتباه زائد ، ويقظة كبيرة ، تطورات هذه السياسة وحاولت أن تمنع

بطريق مباشر وغير مباشر توسع فرنسا في فتوحاتها وبسط نفوذها على شمال إفريقيا .

ولهذا الغرض اقترحت علي ومحمد علي ، بسط حكمه على الجزائر إذا أخلتها فرنسا ، واحتلال طرابلس الغرب أيضا وبجئت أمر بسط حمايتها عليها . ولا يجب أن يغيب عن بالنا ، أن إنجلترا رغم أنها فرضت على نفسها هذه السياسة فإنها كانت لا تتدخل عند ما كان وكلاؤها في طرابلس يصطدمون مع قناصل فرنسا ، كما أنها لم تكن تتخلى عنهم ، بل كانت ترمي إلى كسب الوقت فقط .

وعند ما قررت فرنسا أن تخضع بلاد الجزائر بأكملها لآثر المناقشة المشهورة التي دارت في البرلمان الفرنسي في شهرى أبريل ومايو من سنة ١٨٣٤ ، لم تكف إنجلترا فقط بتشجيع عبد القادر على المقاومة ، وتقديم الوسائل اللازمة للاستمرار في الحرب ، بل حملت الباب العالي أيضاً على الاحتجاج ضد نشاط فرنسا المتجدد ، وميوها الاستعمارية والتوسع في أراضي خاضعة لحكم السلطان ، وقد ظهر هذا الاتجاه الجديد الذي كان غامضاً وغير واضح أثناء سنة ١٨٣٤ بعد أن عاد بالمرستون Palmerstone إلى السلطة كوزير للخارجية في سنة ١٨٣٥ .

ومنذ ذلك الوقت فصاعداً ، بدأ « التحالف الودي » يتلاشى ، إذ أن فرنسا التي كانت لا تقبل من حليفة لها أن تدير دفة سياستها ، وتعرقل مشروعاتها السياسية بدلا من تأييدها - قد حاولت التقرب ثانية من دول القارة الأوروبية . وأثناء ذلك بدأ بالمرستون الذي كانت سياسته لا ترمي إلى شيء سوى العمل على رعاية مصالح بلاده بمنتهى الحرص والدقة - بدأ القيام من جانبه بمعارضة خفية لسياسة الملك لوى فيليب في جميع الميادين معارضة دائمة منظمة .

وقد نشب بين السفيرين البريطانى والفرنسى فى القسطنطينية ، وهما اللورد الفيكونت « بونسونى » والأميرال « روسان Roussin » ، خلاف

لا يقل عنفاً عن الخلاف الذي كان قائماً بين قنصلي الدولتين في طرابلس ولكنه كان من أجل المصالح السياسية لكلتا الدولتين ، وكانت بريطانيا العظمى تتظاهر بحماية السلطان ، وتظهر أنها لا ترمي من وراء ذلك إلى أية مصلحة ولذلك ثبتت مركزها في القسطنطينية ، وقام سفيرها بدورها في هذا السبيل إذ أوعز إلى السلطان بأن الصداقة التي تدعيها فرنسا للامبراطورية العثمانية ، يناقضها ذلك العمل الذي تقوم به هذه الدولة لإضعاف الامبراطورية العثمانية وتجريدها من أملاكها .

وكان العمل الذي قامت به بريطانيا العظمى في طرابلس يدخل في نطاق السياسة التي ترمي إلى منع التوسع الفرنسي في إفريقيا الشمالية إذ أن تثبيت على باشا القرماني الذي كانت تعضده الحكومة الفرنسية ويدين بالولاء لها ، كان معناه بسط النفوذ الفرنسي أيضاً على طرابلس الغرب ، ذلك النفوذ الذي كان قد توغل في تونس ، وكان لانجلترا كل المصلحة لمنع هذا التوسع ، ولكنها لم تكن ترى من الملائم أن تتدخل بطريقة سافرة ، ولذلك أوعزت إلى الامبراطورية العثمانية بضرورة العمل بنفسها .

هذا وليس من الصعب أن تؤكد أن السبب الرئيسي في إرسال تلك الحملة التي أعادت حكم السلطان المباشر إلى طرابلس في مايو سنة ١٨٣٥ يرجع إلى إيجاعات بريطانيا وضعفها .

المراجع^(١)

أولا : الوثائق الغير مطبوعة

في مدينة طرابلس

دار المحفوظات التاريخية

- ١ - مراسلات قناصل مملكة سردينيا في طرابلس إلى وزارة البحرية والبحرية وإلى قائد البحرية من نوفمبر سنة ١٨١٦ إلى يناير سنة ١٨٥٢ .
- ٢ - مراسلات قناصل مملكة سردينيا إلى وزارة الخارجية من يونيو سنة ١٨٢٣ إلى أغسطس سنة ١٨٣١ ومن يناير سنة ١٨٣٥ إلى سبتمبر سنة ١٨٣٧^(٢) .
- ٣ - مراسلات متنوعة لقناصل مملكة سردينيا في طرابلس - عدا المرسلات إلى وزارة البحرية والبحرية ووزارة الخارجية - من ديسمبر سنة ١٨٠٧ إلى أغسطس سنة ١٨٣٤ .
- ٤ - سجل يشمل تقارير متنوعة لقناصل مملكة سردينيا في طرابلس من سبتمبر سنة ١٨٣٤ إلى سبتمبر سنة ١٨٣٥ ،
- ٥ - مراسلات قناصل توسكانا في طرابلس من سبتمبر سنة ١٨٢٦ إلى نوفمبر سنة ١٨٢٨ .

محفوظات قنصلية فرنسا

- ١ - مراسلات قائد الفرقاطة L. A. d'Allois d' Herculais إلى وزارة الخارجية الفرنسية عن رحلته إلى الدول المغربية من ٦ إبريل من السنة الثالثة إلى ٢٤ جرمينال من السنة الرابعة - المجلد I ٥ - ويضم هذا المجلد أيضاً الوثائق الآتية :

(١) ترجمة كمال الدين الحروبولى .

(٢) المجلد الخامس بالمراسلات من شهر أغسطس سنة ١٨٣١ إلى ديسمبر سنة ١٨٣٤

غير موجود .

- (١) تعليمات للمواطن Herculais خاصة برحلته إلى طرابلس الغرب
(ب) أخبار مملكة طرابلس سنة ١٧٥١ لقنصل فرنسا .
(ج) مشروع النزول في بومبا .
- ٢ - مراسلات B. Beaussier قنصل فرنسا في طرابلس من يونيو
سنة ١١٩٨ إلى يوليو سنة ١٨١٣ .
- ٣ - أصول الخطابات المرسلة من Saverio Naudi مبعوث الجمهورية
الفرنسية الرسمي إلى طرابلس أثناء غياب Beaussier من ٤ مايو إلى ١٦
أغسطس سنة ١٨٠٢ .
- ٤ - مراسلات Delaporte القائم بأعمال القنصل الفرنسي في طرابلس
من إبريل سنة ١٨١٤ إلى أغسطس سنة ١٨١٥ .
- ٥ - مراسلات E. Mure قنصل فرنسا في طرابلس إلى وزارة الخارجية
الفرنسية من سبتمبر سنة ١٨١٥ إلى أغسطس سنة ١٨٢٥ .
- ٦ - مراسلات البارون روسو قنصل فرنسا في طرابلس إلى وزارة
الخارجية الفرنسية من أغسطس سنة ١٨٢٥ إلى أغسطس سنة ١٨٢٩ .
- ٧ - أصول الخطابات المرسلة من الدون M. Ruiz Sainz قنصل أسبانيا
في طرابلس والنائب عن القنصل الفرنسي في الإشراف على مشئون الرغايا
الفرنسيين إلى وزارة الخارجية الفرنسية من سبتمبر سنة ١٨٢٩ إلى مايو سنة ١٨٣١
- ٨ - مراسلات Schwebel قنصل فرنسا في طرابلس إلى وزارة
الخارجية الفرنسية من مايو سنة ١٨٣١ إلى يناير سنة ١٨٣٥ .
- ٩ - مراسلات Bourboulon قنصل فرنسا في طرابلس إلى وزارة
الخارجية الفرنسية ووزارة البحرية من يناير سنة ١٨٠٥ إلى يونيو
سنة ١٨٤٣ .
- ١٠ - مراسلات وزارة الخارجية الفرنسية إلى قناصل فرنسا في طرابلس
من سنة ١٧٦٢ إلى سنة ١٨٣٩ .

- ١١ - مراسلات حكومة طرابلس إلى قناصل فرنسا في طرابلس من سنة ١٧٩٥ إلى سنة ١٨٥١ .
- ١٢ - تقارير عن تجارة طرابلس من سنة ١٧٨٠ إلى سنة ١٨٧٥ .
- ١٣ - وثائق خاصة بعلاقات قناصل فرنسا في طرابلس مع القرمانيين محفوظات قنصلية بريطانيا :

١ - معاهدات السلام والتجارة بين مملكة بريطانيا العظمى ونيابة طرابلس الغرب .

٢ - مراسلات A. C. Fraser قنصل بريطانيا في طرابلس وأصول خطابات مرسله منه إلى المكتب الاستعماري بلندن من ديسمبر سنة ١٧٦٤ إلى أغسطس سنة ١٧٦٦ .

٣ - مراسلات S. Lucas قنصل بريطانيا في طرابلس من أغسطس سنة ١٧٦٣ إلى مارس سنة ١٨٠١ .

٤ - مراسلات P. Wilkie قنصل بريطانيا في طرابلس من فبراير إلى يوليو سنة ١٨١٢ ولـ J. Sommerville الذي خلفه من يوليو سنة ١٨١٢ إلى يناير سنة ١٨١٣ .

٥ - مراسلات Hanmer Warrington قنصل بريطانيا في طرابلس من ديسمبر سنة ١٨١٤ إلى ديسمبر سنة ١٨١٥ ومراسلاته إلى المكتب الاستعماري سنة ١٨١٨ والسنوات من ١٨٢٣ إلى سنة ١٨٢٧ ومراسلاته مع حكومة مالطة في عامي ١٨١٨ ، ١٨١٩ ولنائب القنصل الإنجليزي في بنغازي سنة ١٨٢٦ .

٦ - مذكرات هانمر وارنجتون قنصل بريطانيا العظمى في طرابلس من ٥ يناير سنة ١٨٣٠ إلى ٣ أبريل سنة ١٨٣٣ .

٧ - خطابات علي القرماني الثاني ومحمد القرماني وشاكر أفندي إلى قنصل بريطانيا في طرابلس في سنة ١٨٣٤ .

٨ - مجلدات المحفوظات من سنة ١٧٤٢ إلى سنة ١٨١٨ .

٩ - مراسلات قناصل الدنمرك في طرابلس^(١) إلى الكونت Bernstorff وأعضاء غرفة الاقتصاد والتجارة في كوبنهاجن من سنة ١٧٥٢ إلى سنة ١٨٠٠. وتضم مراسلات القنصل G. Smith من سنة ١٧٥٢ إلى سنة ١٧٧٠ والقنصل Cristoforo Corrado Lochner من سنة ١٧٧٠ إلى سنة ١٧٧٩ ومراسلات القنصل Giovanni Frederico Lochner من سنة ١٧٧٩ إلى سنة ١٨٠٠.

محكمة طرابلس الشرعية :

سجلات المحكمة الشرعية في الفترة من سنة ١٧١١ إلى سنة ١٨٣٥ .

مكتبة الأوقاف :

نسخة خطية لتاريخ ابن غلبون بعنوان « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار^(٢) » .

مالطه :

مكتبة مالطه :

موجز تاريخ طرابلس الغرب مستخلص من وثائق تلك النيابة قام بترجمتها A. C. Froment de Champ Lagarde قنصل فرنسا بالنيابة في طرابلس ويعقب ذلك الموجز التاريخي - حكم على القرمانلي سنة ١٧٩٢ .

باريس :

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية :

المراسلات القنصلية - طرابلس الغرب - الأجزاء من ٣ - ١٨ وتضم خطابات قناصل فرنسا ونوابهم في طرابلس الغرب من سنة ١٧٠٧ إلى سنة ١٧٨١ مع وثائق متنوعة ترجع إلى نفس الفترة .

(١) توجد محفوظات قنصلية الدنمرك في طرابلس في قنصلية بريطانيا .

(٢) ترجم هذا المجلد إلى الإيطالية Rossi Ettore بعنوان

La Cronaca araba tripolina Di Ibn Galbun (Sex xviii)

— بولونيا كابلي سنة ١٩٢٦ .

تانيا : مراجع مطبوعه

- 1—Aurigemma, Salvatore : Il castello di Tripoli di barbaria in la *Renascita della Tripolitania*, Milano, Mondadori, 1926.
- 2—La Moschea di Ahmed al-Qarâmanli in Tripoli in “*Dedalo*”, VII, 8.
- 3—Le fortificazioni della citta di Tripoli in “*Notiziario archeologico del Ministero delle colonie*”, Vol. 11, pagg 219e segg.
- 4—Le fortificazioni di Tripoli in antiche vedute del 600e, 700, in “*Rivista delle Colonie italiane*”, III (1929-VII). nn.11e 12.
- 5—Per la Storia delle fortificazioni di Tripoli in “*Rivista delle Colonie Italiane*”, III (1929—VII) n.5.
- 6—Beechey, F. W.-Beechey, H. W: *Proceedings of the expedition to explore the Northern coast of Africa, from Tripoly eastward in MDCCCXXI and MDCCCXXII*, London, Murray, 1828, in 4°.
- 7—Bergna Padre Costanzo : *La Missione francescana in Libia, Tripoli*, Nuove arti grafiche, 1924, in 8°.
- 8—Tripoli del 1510 al 1850, Tripoli, Arti grafiche, 1825, in 8°.
- 9—Charles-Roux, F. : *Bonaparte et la Tripolitaine*, Paris, Société d'editions géographiques, Maritimes et coloniales, 1929, in 8°.
- 10—*France et Afrique du Nord avant 1830. Les précurseurs de la conquête*, Paris, Alcan, 1932, in 8°.
- 11—*Les travaux d'Hercule ou une extraordinaire mission en Barbarie*, Paris, Société de l'Histoire des colonies Françaises, in 8°.
- 12—Cimino, Guido : *La Zecca di Tripoli d'Occidente sotto il dominio dei Caramàni*, in “*Rivista italiana di numismatica*”, anno XXIX 1916, IV.
- 13—*La Zecca di Tripoli d'Occidente sotto il dominio degli Ottomani*, in “*Notiziario archeologico del Ministero delle Colonie*”, Vol III pagg. 115e segg.
- 14—Corò, Francesco : *Una relazione veneta su Tripoli nel settecento* in “*Revista delle Colonie italiane*”, IV (1930-VIII), n. 12.
- 15—Darcy, J. : *France et Angleterre. Cent années de rivalité coloniale, l'Afrique*, paris, Geuthner, 1825, in 8°.
- 16—De Agostini, Enrico : *La Popolazioni della Cirenaica, notizie etniche éstorcihe*, Governo delle Cirenaica, 1922 - 23, in 8°, con XII tavole.

17—Le Popolazioni della Tripolitania, notizie etniche estoriche, Parte I, Testo ; Parte II, Tavole ; Governo della Tripolitonia, ufficio Politico militare, 1919, in 8o. Tripolitonia, Afficiopo litico militare, 1919, in 8o.

18—Una Spedizione americana in Cirenaica nel 1805, in "Rivista delle Colonie italiane".II, (1928—VII), n. 5, e III (1829, VII) n. 1.

19—Un documento inedito sull'episodio di Ali Burgul (1793—95), in "Bollettino geografico del Governo della Tripolitania", nn. 5e.6 (luglio — dicembre 1933, XII — gennaio — giugno 1934, XII).

✓20—Della Cella, Paolo : Viaggio da Tripoli di Barberia alle frontiere dell'Egitto.

Terza ristampa condotta sulla prima edizione del 1819. Comando del corpo di Stato Maggiore — Ufficio storico, città di Castello, 1912, in 8o.

✓21—Denham—Clapperton : Narrative of travels and discoveries in northern and central Africa in the Years 1822, 1823 and 1824, London, Murray, 1826 in 8o.

22—Douin, G. : Mohamed Ali et l'expédition d'Alger, le Caire, 1830 in 8o.

23—Feraud, L. Ch. : Annales Tripolitaines publiées avec une introduction et des notes par Augustin Bernard, Tunis, Tournier, Paris, Vuibert, 1927, in 8o.

24—Ferrari, G. : La Spedizione della marina sarda a Tripoli nel 1825. Comando del corpo di Stato Maggiore, Ufficio Storico, Roma, officina poligrafica editrice, 1920, in 8o.

25—Graberg De Hemsö, I. : Prospetto del commercio di Tripoli d'Africa e delle sue relazioni con quello d'Italia, in "Antologia", 1827, n. 31.

✓26—Kemali, Ismail : Documenti inediti sulla caduta dei Caramanli, in "Rèvista delle Colonie Italiane" (IV, 1930, VII), nn. 1 e 2-3.

27—Lacour Gayet, G : La marine militaire de France sous le Règne de Louis XV, Paris, Champion, 1910, in 8o.

28—Lyon, G. F. : Voyage dans l'interieur de l'Afrique septentrionale en 1818, 1819 e 1820. Traduit de l'anglais, Paris, Gide fils, 1822, in 16°.

29—Masson, Paul : Histoire des établissements et du Commerce français dans l'Afrique barbaresque, Paris, Hachette, 1903, in 8o.

- 30—Medina, G. : Les Karamanlis de la Tripolitaine et l'occupation temporaire de Tripoli per Alⁱ Bourgour, in "Revue Tunisienne", XIV, 1907.
- 31—Micacchi Rodolfo : I rapporti trà il Regno di Francia e la Reggenza di Tripoli di Barberia nella prima metà del secolo XVIII, in "Rivista delle Colonie Italiane", VIII (1934, XII) nn. 2,3 e 4.
- 32—Le straordinarie avventure di Domingo Bad a y Lebrich e il suo soggiorno a Tripoli di Barberia nell'inverno 1805-1806, in "Rivista delle Colonie Italiane", VII (1933, XI), nn. 8 e 9.
- 33—Le ultime gesta dei corsari Tripolini et la reazione degli Stati italiani in "Rivista delle Colonie Italiane", VII (1933, X), n. 3.
- 34—Mori Attilio : l'esplorazione geografica della Libia, Governo della Cirenaica, ufficio Studi, Rapporti e monografie, Serie 2, n. 5, 1926, in 8o.
- 35—Nallino, Carlo Alfonso : Venezia e Sfax nel secolo XVIII, in "Centenario della nascita di Michele Amari", I, Palermo, Virzì 1910.
- 36—Nani Mocenigo, Conte F. : Tripoli e i Veneziani (1764-66), in "comando del corpo di Stato Maggiore, Ufficio Storico, Memorie storiche Militar." X, 1914. Città di Castello, Unione Arti Graphiche.
- 37—Paladino, G. : La Spedizione della Marina napoletana a Tripoli nel 1828, in "Rivista delle Colonie Italiane", III, 1929) VII, nn. 9 e 10.
- 38—Plantet, Eugène : Correspondance des Beys de Tunis et de consuls de France avec la cour, 1577—1830, Paris. Alcan, 1893, in 4o.
- 39—Relations inédites de la Cyrenaique, in "Recueil de Voyages et Mémoires publiés par la Société de Géographie", Paris, D'Ereval, 1825.
- 40—Romanin, S. : Storia documentata di Venezia, Vol VIII, Venezia, Naratovich, 1859.
- 41—Rossi, Ettore : Corrispondenza tra i Gran Maestri dell'Ordine di San Giovanni a Malta e i Bey di Tripoli dal 1714 al 1788, in "Rivista di studi orientali", X, Pagg. 115e segg.
- 42—La cronaca in araba tripolina di Ibn Galbun (Sec. XVIII), tradotta e annotata. Studi storici e lingustici a cura del Ministero della Colonie, Bologna, Cappelli, (1936), in 8o.

- 43—Rouard De Card. E. : *Traités de la France avec Les pays de l'Afrique du Nord (Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc)*, Paris, Pedone, 1906, in 80.
- 44—Rousseau, Alphonse : *Annales tunisiennes ou aperçu historique sur la Régence de Tunis*, Alger, Bastide, 1864, in 80.
- 45—Roy, B. : *Documents sur l'expédition de Tripoli en 1209 de l'hègire (1795)* in "Revue Tunisienne" XII, 1906.
- 46—Serres, Jean : *La politique turque en Afrique du Nord sous la Monarchie de juillet*, Paris, Geuthner, 1925, in 80.
- 47—Slouch, N. : *La Tripolitaine sous la domination des Karamanli* in "Revue du Monde Musulman", VI (1908) nn. 9, 10 e 11.
- 48—Toschi, Paolo : *Fonti inedite di Storia della Tripolitania* II, in "Annali del R. Istituto orientale di Napoli", Vol. III, 1930.
- 49—*Le Fonti inedite della Storia della Tripolitania*, Intra, Airoldi, 1934, XIII, in 16°.
- 50—Tully, Richard : *Narrative of a ten years residence of Tripoli in Africa, from the original correspondence of the late Richard Tully esq. the British Consul, London 1817*, nella traduzione del Mac Carthy, dal titolo *Voyage à Tripoli, ou relation d'un séjour de dix années en Afrique*, Paris, Mongie aîné, 1819, Voll. 2, in 80.
- 51—Vadala, R. : *Essai sur l'histoire des Karamanlis, Pachas de Tripolitaine de 1714 à 1835*, in "Revue de l'Histoire des Colonies Françaises" VII, 1919.
- 52—Vandal, Albert : *Une ambassade française en Orient sous Louis XV. La mission du marquis de Villeneuve 1728—1741*. Paris, Plon, 1887, in 80.
- 53—Veccia Vaglieri, Laura : *Una Controversia a Tripoli di Barberia nel 1825 fra i consoli inglese e francese* in "Revista delle colonie italiane", VI (1932—X) n. 5.
- 54—*Santa Sede e Barbareschi dal 1814 al 1819*, in "Oriente Moderno", XII (1932—X), n. 10.
- 55—*Viaggi di Ali bey-el-Abbassi in Africa ed in Asia dall'anno 1803 a tutto il 1807*, tradotti dal dottore Stefano Ticozzi, Milano, Sonzogno, 1816.
- 56—*Voyage au Ouaday par le chek Mahammed ibn Omar el Tounsy*, Paris, Duprat, 1851 in 80.

وثائق عن العهد القرماني

ملحق

بوثائق تاريخية

عن تاريخ طرابلس الغرب

في العهد القرماني

جمع وتحقيق

كمال الدين عبد العزيز الخربوطلي

وثائق عن العهد القرمانلي

مقدمة

عندما أُعِرت للتدريس بمدارس ولاية طرابلس الغرب في الفترة من سنة ١٩٥٤ إلى سنة ١٩٥٨ عكفت في أوقات فراغي على البحث في تاريخ هذه البلاد الشقيقة ، وترددت كثيراً على دار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس ومكتبة الأوقاف والمكتبة الحكومية ، حيث وجدت كل معونة من القومة عليها . وقد تفضل الأستاذ بهجت القرمانلي مدير دار المحفوظات في ذلك الوقت بإعارتي نسخته الخاصة عن تاريخ طرابلس الغرب في العهد القرمانلي الذي ألفه بالإيطالية الأستاذ رودولفو ميكاني معتمداً على الوثائق المعاصرة ، ونظراً لندرة وجود هذا الكتاب وأهميته في تاريخ هذه الفترة فقد عرضته على أستاذي الكبير محمد شفيق غربال عميد معهد الدراسات العربية العالية ففضل بعد دراسة الموضوع بالموافقة على أن يتبنى المعهد ترجمته ونشره ، وقد رأيت إتماماً للفائدة أن ألحق بالترجمة فصلاً عن وثائق هذا العهد اخترته من بين ما نقلته عن دار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس وقد قام الأستاذ محمد الأسطى بترجمة ما كان مكتوباً منها باللغة التركية ، كما نقلت بعضها عن الأصول الموجودة لدى الأستاذ علي الفقيه حسن - وإذا كان لي أن أشكرهم جميعاً على حسن معونتهم ، فإن الشكر أوجب للأستاذ الكبير شفيق غربال ومعهد الدراسات العربية العالية الذي شجع هذه الجهود اتري النور .

حقق الله لأمتنا العربية ما تبغيه من آمال ؟

كمال الدين عبد العزيز الخربوطلي

وثيقة - ١

صورة عقد نكاح وطلاق الأمير العلم^(١) الشهير أحمد باي القره مانلي
بالسيدة حواء العلجية بتاريخ أوائل جمادى الأولى سنة ١١٢٤ هـ .
وطلاقها بتاريخ أول ربيع الأول سنة ١١٣٥ هـ .

الحمد لله هذه نسخة رسم نقل هذا لمن له فيه حق خيفة ضياع أصله .
نصه بعد سطر الافتتاح الحمد لله الذي أحل النكاح وحرّم السفاح والصلاة
والسلام على رسول الله ما غاب كوكب ولاح .

أما بعد فقد تزوج بحول الله تعالى وقوته وعلى منهج شرع الاسلام
وسنته المكرم الأجل المحترم الأشمل السيد الأمير العلم الشهير مولانا أحمد
باي صاحب كرسي مدينة طرابلس في التاريخ أجرى الله الصالحات على يديه
وأعانه عليه بل على الخير ووقفه إليه مخطوبته المرأة الثيب معتقته حواء
العلجية ابنت عبد الله العلجية بصدّق مبارك سماه لها وبه ملك عصمتها
قدره اربعمائة ريال قراميل سكة^(٢) الوقت وخمسة أرطال فجرة^(٣) ، واربعون
مثقلا ذهباً ، وثلاث أواق جوهر ، وخادم سودانية حيا برأسها ، الجميع
باق لها بمال الزوج المذكور وذمته على حكم الحلول الشرعى وسبيله ،
انكحه اياما بذلك المكرم الأجل المرعى المحترم سيدى شعبان رئيس
هيناء طرابلس في التاريخ ابن المكرم الأجل صاحب العز والإحترام
مولانا يوسف ضاى بحكم توكيله إياه على ذلك ورضاها به ، فحضر الزوج
المذكور وقبل النكاح المذكور عن العاقد المذكور قبولا تاما ألّف
الله بينهما إيلافاً بجمدان مآله ، ويبلغ كل منهما من المال والبنين آماله ، شهد

(١) منقولة عن الأصل بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب وصورتها في الصفحة
للفألة ، وتظهر أنواع المجوهرات التي كانت تتجلى بها سيدات الطبقة الحاكمة في ذلك العصر .

(٢) عملة

(٣) فضة

عليهم بذلك عارفاً بالزوج والوكيل معرفاً بالمرأة وكل بحال جائز بتاريخ
أوائل جمادى الأولى عام أربعة وعشرين ومائة والف عبده أحمد بن
عبد الرحمن العموس وفقه الله آمين وعبد الله سبحانه وتعالى محمد بن الحاج
حسين القضاوى وفقه الله آمين وأعلاه طابع القاضى وتحريره انتهى .

وبطرقته ما نصه الحمد لله اعترفت الحرة الأصلية حواء الزوجة المذكورة
امامه انها قبضت من قبل من المقيد امامه زوج دبالج ذهباً ، مصمومتين زنته
تسعة وعشرون مثقالاً وستة عشر خروبة قوم بمائة واحدة ريالاً وثمانية
وسبعين ريالاً ، مع خلال باللوحة ذهباً ، زينته ثمانية مثقال قوم بأربعين
ريالاً مع تسكيلة ذهباً ، زنتها أحد عشر مثقالاً وأربعة أخرب قومت
بسبعين ريالاً مع زوج نيايل ذهباً مطلوقات زنته ثمانية وعشرون
مثقالاً وثمان خروبوات قوم بمائة واحدة ريالاً وخمسة وسبعون ريالاً مع
خنار ذهباً بالجمان زنته ثمانية عشر مثقالاً قوم بثمانين ريالاً ، مع خلال
بالعنبر زنته عشر مثقال وثمان خروبوات قوم بستين ريالاً ، مع زوج عنابر
ذهباً ، زنته سبعة مثقال قوم بثلاثين ريالاً ، مع صدره ذهباً وجوهراً ،
زنتها اثنان وعشرون مثقالاً قومت بمائة واحدة ريالاً وأربعين ريالاً ،
مع خناخال فضة ، زنته ثلاثة أرطال وسبعة أواق بمائة ريالاً وسبعين ريالاً ،
مع زوجين نواصى قوم بمائة واحدة ريالاً فكانت جملة قيمة المصوغ
المذكور ألف واحد ريالاً وثلاثة وأربعون ريالاً ، وكانت جملة الصداق
المقيد امامه بانضمام بعضه لبعض ألف واحد ريالاً حاوية لقيمة ما قبضته
الزوجة المذكورة باعترافها وأبرأت ذمت زوجها المذكور من الصداق
المذكور الا براء التام وخلصت جميع الصياغة المذكورة للزوجة المذكورة
فصارت حقاً من حقوقها ومالا من مالها لا لاحد فيها حق ولا شبهة مطلب
البتة ، شهد على الزوجة باعترافها لما ذكر وعلى الزوج المذكور
أعلاه فى وثيقة الصداق باعترافه بالدفع ومصادقته على القيمة عارفاً به معرفاً
بغيره بحال جائز بتاريخ أواخر صفر الحخير عام خمسة وثلاثين ومائة والف

وبه مصلح القيمة احمد بن عبد الرحمن العسوس وفقه الله آمين ، وعبد الله سبحانه وتعالى محمد بن احمد تكست وفقه الله آمين وبأعلاه طابع القاضى انتهى .

وأسفل ذلك ما نصه الحمد الله طلق الزوج المذكور أعلاه زوجته أعلاه باقرار انه كمل لها شهد على إقراره بذلك دام عزه وعلاه وكان له حافظا وتولاه بحال كمال الحال بتاريخ فاتح ربيع الأول الشريف المبارك عام خمسة وثلاثين ومائة وألف احمد بن عبد الرحمن العسوس وفقه الله آمين انتهى .

وأسفل ذلك ما نصه ، الحمد لله ، وشهد على اعتراف الأمير بطلاق زوجته المذكورة بقوله هي طالق بالكل عارفا به كما وصف بتاريخه كاتبه الفقير إلى الله الشريف عبد العزيز بن عبد العزيز بن أحمد مروان . وبه إصلاح أمر زوجته صح - كاتبه عبد العزيز وانتهى فهذه نسخة ذلك - كذلك من غير زيادة ولا نقصان شهير بالمقابلة وصحتها وبمعرفة خطوط كل المنتسخ منه هذا بتاريخ الثامن عشر من ربيع الثاني عام خمسة وثلاثين ومائة وألف وبه ملحق بالسطر الأول وهو بيده مصلح " خيفة وآخر جوهراء وآخر وصف وضرب على - " آخره - ذمة كل من كاتبه .

محمد بن عبد الله الصوتي و احمد عبد الرحمن العسوس
وفقه الله آمين وفقه الله

وثيقة — ٢

معاهدة محمد القرماني مع إنجلترا^(١)

بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١١٦٤ هـ

الحمد لله وصلى الله على مولانا وسيدنا محمد وصحبه وسلم . بين إمالة
طرابلس المنصوره ودولة إنجلترا لتأكيد الحب والولاء والصفاء من قديم
الأزمان بينها بحضور والى محروسة طرابلس المؤيد محمد باشا قره مانلى وسر
العسكر ابنه على بك وأغا الانكشارية والأمرأه وجناب قنصل الدولة المشار
إليها - وبتراضى الطرفين وموافقة الجانبين حررت المعاهدة المباركة الآتية
فى سجل خاص من المواد الآتية :

مادة ١ : يؤذن للسفن الحكومية الإنجليزية بشراء الحنطة والشعير وغيرها
من المؤن المتنوعة بأثمانها المقررة وحملها إلى جزيرة ماهون .

مادة ٢ : إذا صادفت سفن بحارة طرابلس السفن الإنجليزية فى عرض
البحار فلها حق التفتيش على جوازات المرور والسماح لها بالسير عند التحقق
من صحتها مع التسليم على بعضهم سلام الأصدقاء وتحتيتهم . وإذا صدر من بحارة
طرابلس ما يخالف ذلك رغم صحة تلك الجوازات فتتعهد حكومة طرابلس
بتأديب الربان المعتدى وكذلك الحال بالنسبة للبحارة الإنجليز إذا اعتدوا
فبيكاتب الوالى ملك إنجلترا لعقاب المعتدى .

مادة ٣ : عند رسو السفن الإنجليزية فى ميناء طرابلس تتحفظ

الحكومة على الأسرى خوفا من هروبهم إلى السفن الإنجليزية - وفي حالة فرار أحدهم ولجؤته إلى تلك السفن فليس من حق حكومة طرابلس طلب إرجاعه .

مادة ٤ : للتجار رعايا إنجلترا في طرابلس حق بيع البضاعة الواردة من الخارج في دار القنصلية ويحصل القنصل الضرائب منهم .

مادة ٥ : عند دخول سفينة إنجليزية إلى ميناء طرابلس - تضرب لها إحدى وعشرون طلقة مدفع من القلعة كتحية وترد عليها السفن الإنجليزية بالمثل .

مادة ٦ : يسمح لترجمان وسمسار القنصل الإنجليزي بمرافقته إذا سافر برا أو بحرا وله حق عزلهم وتعيين غيرهم - وله حق رفع العلم البريطاني على الزورق الذي يركبه إلى السفن الإنجليزية .

مادة ٧ . في حالة وقوع حرب بين إنجلترا وطرابلس تتعهد حكومة طرابلس بعدم التعدي على القنصل وزملائه ورعايا إنجلترا ولا تمنع في سفرهم إلى المكان الذي يريدونه خارج البلاد .

مادة ٨ : يتعهد بحارة الطرفين بعدم الاعتداء على رعايا الطرف الآخر أو أموالهم إذا وجدوا في سفن الأعداء بل تؤمّن حياتهم ويوصلون إلى المكان الذي يرغبونه أو إلى أي مكان مأمون ، أما إذا وجدوا يعملون كبجارة في تلك السفن المعادية فيعاملون معاملة الأسرى .

مادة ٩ : عند إفلاس أحد التجار الإنجليز في طرابلس وفراره لا يضمن القنصل دفع ما عليه من ديون وكذلك التجار الإنجليز بالبلاد .

مادة ١٠ : عندما تخرج إحدى السفن الليبية أو عدة سفن من ميناء

طرابلس لجولة بحرية لا يسمح لأى سفينة فى الميناء من جنسية أخرى بالخروج إلا بعد ثمانية أيام .

مادة ١١ : إذا حدث نزاع فى عرض البحر بين سفن الجانبين عند تلاقىها وتبادلها الإشارات يصير التحقيق فى ذلك بمعرفة هيئة تحكيم من الطرفين بعد إبلاغ ذلك إلى الجهات المختصة .

مادة ١٢ : لما كانت إنجلترا هى البادئة بطلب الصالح من إيالة طرابلس فإن قنصلها ورعاياها يقدمون على غيرهم فى المعاملة .

مادة ١٣ : لا تحصل رسوم جمركية عن البضائع التى يحضرها التجار الانجليز لبيعها فى طرابلس والتى يكون لها منفعة عامة للبلاد مثل المدافع والبنادق والمسدسات والحرايب والسيوف والبارود والقنابل والرصاص والحديد وحبال السفن والكبريت وأخشاب السفن وأعمدتها وأقمشة الشراع والسكريك والقمح والشعير والمسكت^(١) والبنادق الصغيرة .

مادة ١٤ : الغنائم التى تأخذها سفن الانجليز من أعدائها وتأتى لتبيحها فى طرابلس لا تأخذ الحكومة عليها عوائد .

مادة ١٥ : يكون لقنصل إنجلترا حق الدخول قبل غيره من القناصل لهنتة الوالى فى الأعياد والمواسم الإسلامية .

مادة ١٦ : تعامل سفن طرابلس سفن جزيرة ميناء ماهون الحاملة للعلم البريطانى والتى تحمل جواز مرور إنجليزى نفس معاملة السفن الانجليزية وإظهارا للاحترام الخاص لهذه الجزيرة لا تعتدى سفن طرابلس على سفن الأعداء فى المياه الاقليمية لهذه الجزيرة .

مادة ١٧ : إذا أراد أحد الرعايا الانجليز اعتناق الدين الاسلامى يرسل إلى القنصل الانجليزى بصحبة مندوب خاص ويبقى ثلاثة أيام عند القنصل

(١) نوع من القنابل .

ليستمع إلى نصححه ونصائح راهبه وبعد الثلاثة أيام إذا أصر ' يقبل إسلامه
ويبدأ تلقينه مبادئ الدين الإسلامى سواء أ كان أسيرا أم غير أسير.

مادة ١٨ : إذا حدث نزاع بين إثنين من رعايا انجلترا يبالغ القنصل ليفصل
بينها وعندما يكون أحد المتنازعين مسلما فتكون المحكمة أمام محاكم الإيالة

مادة ١٩ : إذا قتل أحد رعايا الانجليز مسلما عمدا يصير القصاص شرعا
بمعرفة الوالى دون مراجعة القنصل وفي حالة فرار المجرم لا يكون القنصل
مستولا - وتبحث عنه السلطات المحلية وبعدم بحضور القنصل .

مادة ٢٠ : فى حالة وقوع حرب بين انجلترا والجزائر أو تونس تبقى
طرابلس على الحياد ولا تقدم لآى منها مساعدة .

مادة ٢١ : يحظر على طرابلس شراء أموال الغنائم والأسرى الانجليز
الذين تأسرهم تونس والجزائر ويأتون لبيعها فى طرابلس

مادة ٢٢ : فى حالة وفاة أحد رعايا انجلترا لا تتدخل حكومة طرابلس
فى تركته ويقوم القنصل بحصر التركة وبيعها

مادة ٢٣ : لا تتعرض سفن انجلترا وطرابلس لبعضها إذا تلاقوا فى
البحر بل يودعون بعضهم بمحبة

مادة ٢٤ : إذا غرقت إحدى السفن الانجليزية أو تحطمت قضاء وقدر
فى موانى إيالة طرابلس أو بالقرب من سواحلها تحفظ حمولتها من الضياع
وتتعهد حكومة طرابلس بالمحافظة على بحارتها وتسليتهم وتسليم البحاره
والبضاعة إلى القنصل ورد الأموال التى يغتصبها الناس - ويوضع البحاره
والبضاعة فى مكان مأمون حتى يسافروا إلى بلادهم

مادة ٢٥ : إذا صادف بحارة طرابلس سفنا تحمل العلم البريطانى فى البحر
يوقفونها وينزل شخصان من أصحاب الدراية (الرئيس وترجمانه) فى قارب
ويصعدان إلى السفينة ويجريان تفتيشا ثم يسمحان لها بالسير أو يصادرانها

مادة ٢٦ : لجميع السفن الانجليزية حق المتاجرة والدخول إلى موانئ
حطرابلس كلها سواء أكانت تلك السفن ملكا للحكومة أو الشركات وتحصل
السلطات الطرابلسية ٣ ٪ رسوما جمركية من قيمة حمولة تلك السفن

مادة ٢٧ : الأشياء التي تأتي بها السفن الإنجليزية ولا يتم بيعها وتحملها
السفن لارجاعها لا تحصل عليها ضريبة

مادة ٢٨ : إذا تلاقى سفن الطرفين في بعض الموانئ ، فعليهم تبادل
التحية وإقامة حفلات لتقوية المحبة وتجديد الألفة وحسن الضيافة
وإظهار الولاء .

خاتمة : وبحسن احترام الطرفين وصدق إخلاص الجانبين ختمت هذه
المعاهدة القوية ويتعهد الطرفان برعايتها واحترامها وعدم الإخلال بها وصيانتها
مع تبادل الوثائق في الحال .

وثيقة - ٣

معاهدة على الأول القرماني مع البندقية سنة ١٧٦٣م^(١)

الحمد لله وحده - تم عقد هذه المعاهدة لحسم الشقاق بين إيالة طرابلس وجمهورية البندقية وإبداله بحسن الوفاق . وبناء على الرغبة التي أظهرها الطرفان وبموافقة والي طرابلس وعسكرها وشيوخ الانكشارية وأمراءهم وبمجموع العساكر وقائد الأسطول وقنصل الجمهورية المذكورة في طرابلس الكونت زريب بالوديك وذلك في أوائل جمادى الثانية سنة ١١٧٧هـ . ووافق الجميع عليها تفصيلاً وصدقوا عليها . وتشمل المواد الآتية :

مادة ١ : يراعى الطرفان أحكام هذه المصالحة بكامل المحبة والصفاء وتعامل سفن الطرفين بعضها كأصدقاء أينما تلاقوا في الموانئ أو في عرض البحر ولا يتداخلون في شئون بعضهم وتتعهد الجمهورية المذكورة ألا تعطى جوازات سفر لغير رعاياها وإذا أعطت تلك الجمهورية جواز مرور باسمها لسفينة تعمل تحت علم دولة أخرى لا يكون ذلك سبباً من أسباب فسح المعاهدة بل تصادر تلك السفينة فقط .

مادة ٢ : تدفع سفن الجمهورية المذكورة ٣٪ من قيمة حمولتها التي يتم بيعها في موانئ طرابلس كرسوم جمركية - أما الأشياء التي لا تباع فتعفى من ذلك الرسم بشرط رجوعها .

مادة ٣ : لا يتعرض قرصان طرابلس للسفن الحربية والتجارية لجمهورية البندقية حتى ولو كانت تحمل أشياء لدولة معادية لطرابلس .

مادة ٤ : لا يصعد أحد لسفينة الأخر للتفتيش على جوازات المرور ولكن ينزل اثنان من كل سفينة في قارب ويتقابلون في عرض البحر وذلك ابتداء من اليوم الخامس عشر من هذا الشهر .

مادة ٥ : إذا تلاققت سفينتان في الطريق فلا يصعد أحد من الضباط أو الجنود إلى إحدهما بقصد التحدث أو التفتيش أو السؤال .

مادة ٦ : إذا أصاب إحدى سفن الجمهورية تلف في مياه طرابلس الإقليمية فلا تنهب كما كان يحدث قبلا ولكن يحافظ عليها وتقدم المساعدات، لأصحابها مع إكرامهم .

مادة ٧ : إذا أريد إصلاح سفينة طرابلسية في عرض البحر لا تُصلح عند دولة معادية لجمهورية البندقية بل تجدد في ترسانات موانئ البندقية أو أحد أصدقائها .

مادة ٨ : الأموال والغنائم والسفن التي تباع لجمهورية البندقية يعطى بها سند يبرزه قائد السفينة التي تحمل تلك الأشياء حتى لا يعتدى عليها أحد .

مادة ٩ : يمنع شراء الغنائم التي تأخذها تونس والجزائر وسائر الممالك المعادية من جمهورية البندقية وذلك تأكيدا للصداقة والمحبة .

مادة ١٠ : الغنائم التي يحصل عليها أسطول جمهورية البندقية تباع في طرابلس ولا تحصل عليها رسوم جمركية وللسفن المذكورة حق شراء ما يلزمها من مؤن وزاد بالثمن المقرر في البلاد .

مادة ١١ : في حالة فرار أحد الأسرى، إلى سفن الجمهورية المذكورة وهي راسية في ميناء طرابلس برد الأسير في الحال .

مادة ١٢ : ابتداء من تاريخ هذه المعاهدة الخيرية لا يؤخذ بصفة أسير أي أحد من رعايا هذه الجمهورية وإذا أخذ أحدهم خطأ يسلم إلى القنصل ولا يعامل معاملة الأسرى .

مادة ١٣ : إذا توفي أحد من رعايا الجمهورية المذكورة لا تتدخل حكومة طرابلس في شئون تركته وإذا لم يوجد للثوفا وكيل أو وريث في البلاد فيسجل القنصل مفردات تركته وللقنصل الحق في الاحتفاظ بهذه الأموال أو بيعها .

مادة ١٤ : لتجار الجمهورية المذكورة في إيالة طرابلس حق بيع تجارتهم حسب رضائهم وبمعرفةهم وعند إفلاس أحد التجار البنادقة فإن القنصل يكون غير مسئول عنه إلا إذا وجد ضامنون له .

مادة ١٥ : عند وقوع نزاع قضائي بين أحد رعايا الجمهورية وسكان طرابلس من أي جنس تم محاكمة المتنازعين أمام محكمة الولاية إلا إذا كان المتنازعون جميعاً من البندقية فيفصل القنصل بينهم .

مادة ١٦ : إذا حدث نزاع بين سكان طرابلس وتلك الجمهورية وأدى إلى جرح أو قتل وأعمال خطيرة يحاكم من تسبب في ذلك حسب قوانين الشريعة الإسلامية وقانون طرابلس وإذا هرب القاتل فإن القنصل يكون غير مسئول .

مادة ١٧ : للقنصل حق اختيار ترجمان وراهب وسمسار من أي جنس كان وله حق السفر في السفينة التي يريدتها متى أراد .

مادة ١٨ : في حالة وقوع حرب بين الطرفين يُصرَّح للقنصل ورعاياه وأبنائهم المولودين في طرابلس بالعودة إلى بلادهم مع معاملتهم معاملة حسنة .

مادة ١٩ : إذا صادر بحارة سفن أحد الطرفين المتعاقدين سفينة من سفن الأعداء ووجدوا عليها رعايا للطرف الآخر فلا يعاملونهم معاملة الأعداء .

مادة ٢٠ : عندما ترسو سفينة حكومية للجمهورية تحيها مدافع القلعة بإحدى وعشرين طلقة وترد السفينة بمثلها ويهدى الوالي لقائدها هدية مناسبة .

مادة ٢١ : تعنى جميع الأشياء الضرورية التي ترد إلى القنصل خاصة بمعاشه من الضريبة الجمرية .

مادة ٢٢ : إذا وقع ما يخل بهذه المعاهدة فإن ذلك لا يؤثر على صداقة الدولتين وللطرف المعتدى عليه الحق في أن يطالب بحقوقه بالطرق القانونية ويؤدَّب المعتدى .

مادة ٢٣ : لا يسمح لسفن طرابلس بالاعتداء على سفينة معادية في المكان من سان مارينو إلى سواحل الجمهورية وهي مسافة قدرها ٣٠ ميل وإذا اعتدت إحدى السفن داخل تلك المسافة فإن الغنائم التي تأخذها ترد ويجازى ربان السفينة المعتدية .

تمت هذه المعاهدة بموافقة الطرفين - وود وإخلاص الجانبين - وتبذلت الوثائق في الحال بين المندوبين .

والى الولاية	ولى العهد	أغا الانكشارية	وكيل الوالى	خازندار الوالى
على	أحمد	أحمد	مصطفى	
شيخ البلد	دقتر ديوان إيالة	طرابلس	كبير مشايخ الإيالة	
محمود	أحمد خوجه		الحاج يوسف	

وثيقة — ٤

المعاهدة الثانية^(١) لعلى الأول القرماني مع البندقية سنة ١٧٦٦ م

مادة ١ : التصديق على مواد المعاهدة الأولى وإضافة ذيل لها لتأكيد المحبة والولاء .

مادة ٢ : تعاد السفن والأسرى والأموال التي أخذت في المنازعات الأخيرة بين الطرفين إلى أصحابها .

مادة ٣ : تدفع طرابلس تعويضات لجمهورية البندقية مقابل السفينة التي غرقت وتعوضها بسفينة مثلها ومبلغ مائتي دوكيه ذهب وإرجاع السفينة المملوءة بملح زواره والتي كان مقدار ما بها عشرة آلاف كنتال والتي كان القنصل قد اشتراها وصودرت .

مادة ٤ : تعاد السفينتان المصادرتان بعد المعاهدة الأولى إلى الجمهورية

مادة ٥ : يتعهد الباشا بمعاقة الرؤساء الذين تسببوا في المنازعات الأخيرة وأخلوا بأحكام المعاهدة حسب نتيجة تقرير القنصل وتحقيقه

مادة ٦ : تتعهد حكومة طرابلس بمراعاة مواد المعاهدة السابقة خاصة المادة ٢٣ وتعاقب فيما بعد كل من يتجاسر على الإخلال بالمواد المذكورة وتعد تأديبهم واجبا من واجباتها ويصرح لسفن طرابلس بالدخول والخروج إلى موانئ الجمهورية المذكورة مع مراعاة حدود الصداقة والشرف ويجب أن يكون لدى كل قبطان جواز المرور ونسخة من كل من المعاهدتين وتعهد من الرئيس بأنه مشغول عن تطبيق ما جاء بها .

مادة ٧ : إذا حدثت أعمال تؤدي إلى قيام الحرب بين الدولتين لا يجوز الإسراع في بدء العمليات الحربية إلا بعد إعلان القنصل بذلك وإبلاغه

(١) مترجمة عن التركية .

بالمطالب فإذا لم تجب في مدى ثمانية أشهر يمكن البدء في العمليات الحربية .

مادة ٨ : تعامل حكومة طرابلس قنصل جمهورية البندقية على قدم المساواة مع قناصل الدول الأخرى .

مادة ٩ : الرؤساء الذين يخالفون ما جاء في البند السادس ويحاولون القيام بعمليات حربية من تلقاء أنفسهم فلجمهورية حق تأديبهم بموافقة الوالى .

وثيقة - ٥

معاهدة على القرماتلى الاول^(١) مع أسبانيا سنة ١٧٨٤م

هذه شروط الصلح والمحبة الواقع فيه وكالمسابقة مع الأسعد الأرشد ،
الهمام الأجد ، الطاهر الظاهر صاحب المفاخر المتوكل على الملك ، الفعال
لما يشاء سيدنا ومولانا على باشا بن المرحوم مولانا محمد باشا بن المرحوم
مولانا أحمد باشا القره مانلى صاحب ولاية دار الجهاد طرابلس المحمية المرعية
وسائر عمالها وبين دون جوان سليسترو صليبي وأخيه دون بترو صليرو
صليبي وذلك من أطراف عظيم الروم يرتجى دون كارلوس الثالث بفضل
مولاه عليه رى^(٢) أصبانيه ، الهند وغيره وغيره بالوكالة التى بيديهما من
أطراف الرى المذكور التى منشأ تاريخها فى أيام من نوفمبر سنة ١٧٨٣ وذلك
بموافقة الدون جوان دى سلسرا كوتى دى شو الفتشو ماركنى وغيره
نير الجندور .

الشرط الأول

حتى يتم هذا الصلح المبارك المنعقد بين السيد على باشا قرمانلى والرى
الاسبينولى كارلو الثالث وبين عملائه يبق أهل وجاق طرابلس مع الصبنيول
فى صلح دايم الأجل .

الشرط الثانى

الصلح الذى جعله حضرت السلطان الأعظم والحقان الأكرم مولانا
السلطان عبد الحميد خان مع الرى كارلو الصبنيول هذا مثله وهو يصلح
لوجاق طرابلس عمرها المولى بمنه .

(١) منقولة عن النص الأصلي بالعربية الموجود لدى الأستاذ على الفقيه حسن بطرابلس .
ويلاحظ أنها مكتوبة بانهجة العامية المحلية التى تتداخل فيما مفردات إيطالية
(٢) ملك

الشرط الثالث

قرصان طرابلس إذا تلاقى مع مراكب الصبنيول واستحق في شيء يعينه ويخليه يسافر إلى حال سيده في طريقه وقرصان الصبنيول إذا تلاقى مع قرصان طرابلس يفعل مثل ذلك يعينهم على ما يلزمهم وما يحتاجون إليه .

الشرط الرابع

قرصان طرابلس حين يتلاقى مع مراكب كيروانت الصبنيول تمشي فلوكت القرصان بجوز السنيال من غير الذي يجبدوا المجداف ولا يركب لمركب الصبنيول إلى الجوز فسيال يطلعوا على الباصورت وغيره وقرصان الصبنيول يفعل في مراكب الوجاق مثل ذلك .

الشرط الخامس

قرصان طرابلس يحتاج يسافر بفرمان السيد الباشا أيده المولى ويباصبرته من عند القنصل فإن كان لم يكن عنده ذلك يجسوه جمهور الصبنيول مثل ما يجسوا الزنبوط^(١) .

الشرط السادس

قرصان طرابلس لا يأخذ عدوه إلا بعد عشرة إيجات على البر الأصبنيول وكوشطتها^(٢) والذي يخاف ذلك يجسوا مثل الزنبوط .

الشرط السابع

فإن كان قرصان عمل شاي مخالف للطريق مع بعض مراكب كيروانت الصبنيول أو أخذ منهم شيئاً للسيد الباشا حفظه المولى يعاقب ريس القرصان ويخلف ما أخذه منهم من صاحب القرصان والصبنيول يفعل مثل ذلك .

(١) الهارب من المدالة . (٢) ساحلها .

الشرط الثامن

البيولوجية والركاب الذين يركبوا في مراكب الصبنيول سوا عدو أو غيره لم ياسوا (١) عليهم قرصان طرابلس وإن وجدوا في بعض غنایم صبنيول ركاب أو تجار كذلك لم يأخذوهم يكونوا في شكر ، هم ورزقهم ، وكذلك أناس وجاق طرابلس لا يتيسروا (٢) في أسبانيا لا هم ولا رزقهم .

الشرط التاسع

السيد الباشا دامت معاليه يمنع كل من يريد يعمر (٣) على مراكب الصبنيول ويخرج عليهم قرصان من مرست طرابلس ولا من عمالتها ولا يكون معين لعدو الصبنيول عليهم .

الشرط العاشر

اليسير بتاع الصبانيول إذا حط رجله بوجاق طرابلس يبقى فرنك (٤) وكذلك يسير الوجاق المنصور إذا حطوا رجله في تراب الصبنيول يكون فرانكو .

الشرط الحادي عشر

فإذا كان جاء بعض زنبوط إلى طرابلس السيد الباشا دامت معاليه وأدام أيامه يمسك ذلك الزنبوط على كامل ويوم واحد وإن وجد عند الزنبوط شيء من الصبنيول يتسلبه فنصل الصبنيول .

الشرط الثاني عشر

مراكب وجاق طرابلس يقدروا يمشوا إلى جميع مراسي الصبنيول وهراكب الصبنيول يقدروا يمشوا جميع مراسي طرابلس ويأخذوا جميع ما يحتاجونه ويعطو (٥) حقه .

(١) بتدى (٢) لا يؤسرون (٣) بتدى (٤) حر (٥) يدفعون ثمنه

الشرط الثالث عشر

مدافع القلعة امتاع وجاق طرابلس وعمالها يمنعوا جميع ما يأتي من العدو للصينول بحيث لا يضرهم أحد تحت رميت المدفع وان تعدى أحد السيد الباشا دامت معاليه بمنه وفضله وجوده يعاقب الرايس القرصان وكذلك الصينول عليهم مثل ذلك .

الشرط الرابع عشر

فان كان قرصان الجزائر أو تونس أو قرصان سيدي يأخذ بعض من مراكب الصينول من بعض المراسي الذين يكون بها قلعة للسيد الباشا أدام المولى وجوده وأيامه يرجعهم السيد الباشا منهم مثل ما كانوا عليه وإن أخذوا القرصان المزبور من مراسي الذين لهم بهم قلعة السيد الباشا يكاتب تلك السلطنة التي فعل قرصانهم ذلك ويسعى في حبسه مثل ما يكون هو امتاعه ولا عليه لزوم في ذلك بوجه من الوجوه .

الشرط الخامس عشر

إن كان مراكب الصينول في المراسي وعدوهم حاضر بمسك عدوهم يومين إلى أن يتقاعدوا مراكب الصينول .

الشرط السادس عشر

ومراكب الصينول فإن بعضهم قدّر المولى عليه وتبوّزوا^(١) أو شحطوا^(٢) في نواحي بر طرابلس فيموتونهم أهل الوجاق ويدفعوا لهم ويأخذوا كرامهم من المتبوزين وأن فيهم وسق ينزلوا وسقمهم والذي يطلع منهم لم يدفع منهم جمر ك لأنه إلى غير وطن بلاد طرابلس .

(٢) جنحوا

(١) تطلوا عن الصل .

الشرط السابع عشر

القبطان الصبنيول الذي يأتي إلى وجاق طرابلس ينزل قبالة^(١) إلى حوش قنصل الصبنيول .

الشرط الثامن عشر

مراكب الصبنيول لا يعطو انقراج^(٢) إلا سبعة وعشرين ريال قرامل ورايس المرسي يعطى قطينه لأجل الفلوكة لا يهربوا .

الشرط التاسع عشر

ريس المرسي يبعث فلوكة لأجل الأخبار وان رايس المركب نادام تطلع الفلوكة تدخلهم ويعطو لهم عوايد .

الشرط المتتم للعشرون

المركاتي^(٣) الصبنيول يجب كل ما يريده من السلعة وكذلك يجب الشراب والعراق ولم يعط جمر ك إلا ثلاثة بالمائة ويأخذ ما يريده من سلعة طرابلس ويعطى ما يلزمه الجمر ك ٣٪ لا غير جمر ك وأهل طرابلس مثل ذلك إذا مضوا لبلاد الصبنيول يعطو الجمر ك وغيره مثل المصالحين معهم من كل الأجناس من أحبابهم .

الشرط الحادي والعشرون

البارود والرصاص والقلوع وكلها هو دالت الحرب إذا أتوا به الصبنيول لم يعط جمر ك .

الشرط الثاني والعشرون

التجار الصبنيول إذا أتوا ببضاعة لبلاد وجاق طرابلس ولم تباع في البلاد وأرادوا إخراجها إلى بلاد أخرى لم يعطوا عليها جمر ك وتجار وجاق طرابلس كذلك في بلاد الصبنيول .

الشرط الثالث والعشرون

القنصل الصبنيول لم ينزلوا من مركبه قلاع ولا دومان في البر .

الشرط الرابع والعشرون

إذا قرصان طرابلس أراد أن يتكى لم يغصب مراكب الصبنيول لأجل يتكى مركبه عليهم إلا بطيبة خاطر قبطان المركب الصبنيول .

الشرط الخامس والعشرون

القبطان الصبنيول لم يقدر يغصبه أحد في كرا^(١) مركبه أو في سفر بالغصب إلا أن يكون بطيبة خاطر .

الشرط السادس والعشرون

فإن كان في المرسي مراكب كبير وانهم يصرقنهم^(٢) القرصان إلا ثمانية أيام وذلك بعد أن يرسل السيد الباشا دامت معاليه يرسل للقنصل ويعلمه بذلك، وأما الفزامط التي بالمجداف لا يتصرفنوا لأجلهم وإذا السيد الباشا مسك مركب لأجل مصلحة من المصالح يعلم القنصل بذلك .

الشرط السابع والعشرون

السيد الباشا دامت معاليه ما يزيد في الجرك ولا مثلها ما يدفع الصبنيول إلا على العادة السابقة ومراكب الصبنيول إذا شحطوا ما يعطوا شيئاً وإن أخذوا مونه للجمارك لا يعطوا جمرك .

الشرط الثامن والعشرون

فإن كان المسلمين أهل وفاق طرابلس عاملوا^(٣) واحد اصبانيول من غير إذن القنصل ومشورته أو بضمانه القنصل لا يعطى عليه شيئاً إلا أن يكون بإذنه أو بضمانته .

الشرط التاسع والعشرون

فإن كان بعض بحرية الأصبنيول اشترى خمر من الطبارم^(١) ولم يدفعوا حقه - القنصل الصبنيول لا يضمن ولا يطالبوه ولا يمسكوه في ذلك ولا يمسك البحرية إذا أرادوا السفر .

الشرط الموفى للثلاثين

فإن أحد من النصارى الاسبانيول يهلك بأوجاق طرابلس وعمالتها القنصل الاسبانيول يضبط ماله وما يخلفه ومثل ذلك أهل وجاق طرابلس إذا هلك في اصابانيا وعملها لا يضيع له رزق مثل ذلك .

الشرط الأحد والثلاثين

السيد الباشا دامت معاليه يعمل الشرع بين أهل الوجاق المنصور والاصبانيول وذلك بحضرة القنصل وكذلك في عمالة وطن طرابلس يكون خصامهم على أيدي المتولى للبلاد من العمال .

الشرط الثاني والثلاثين

الاصبانيول إذا حصلت لهم منازعة أو مضاربة بينهم وبين بعض المسلمين وهرب الاصبانيول فالقنصل لا يكون ضامنا وإن أحد الاصبانيول عاب في رجل مسلم ومسكوه لا يجرى عليه حكم إلا بحضرة السيد الباشا دامت معاليه وحضور القنصل .

الشرط الثالث والثلاثين

إذا أراد أحد الاصبانيول أن يولى^(٢) مسلماً يحضره في جوش القنصل ثلاث أيام وبعد مضي ثلاث أيام يسأل فإن اختار الإسلام يسلم ويكون مسلماً .

الشرط الرابع والثلاثون

المحب لجنابنا رى الاصبانيول يقدر يعمل قنصل والقنصل الصبنيول
إن أراد أن يصلى فى داره له الإذن والقنصل الصبنيول يعاون جنسه فى الذى
يحتاجون إليه وله الحرية والقدر مثل القناصل الآخريين والقنصل
الاصبانيول يجعل الشرع بين جنسهم سواء كانوا رياس أو تجار ولا يتعرض
له أحد من أرباب الدولة ولا من أهل الوجاق المنصور وله الإذن بحمل
السنجق^(١) فى الحوش وكذلك فى الفلوكه إذا ركب فى المرسى ويأخذ
ترجمان وسمسار ياذن السيد الباشا دام المولى عزه ، وإن أراد أن يبدلهم
وله الإذن يمشى للمراكب فى المرسى من غير مانع له فى ذلك ومونت^(٢)
حوشه لا يعطى عليه جمرك وله الإذن يقدر يعمل قنصل فى بنغازى ، ودرنه
فيتشى^(٣) قنصل يجرى بجرى تلك الشروط وإن أراد الرى يعمل فيتشى
قنصل له ذلك .

الشرط الخامس والثلاثون

فإن أتت مركب جيرا^(٤) بتاع رى أسبانيا القنصل الصبنيول يعلم السيد
الباشا دامت معاليه وبعد ذلك الحصار^(٥) والقلعة يسلموا عليه بالمدافع مثل
تسليمه على غيرهم من الأجناس الرياس وإذا تلاقى مع قرصان طرابلس
مراكب البليك فى البحر وسلموا عليهم يردوا لهم سلامهم مثلهم .

الشرط السادس والثلاثون

يحتاج قنصل الصبنيول حين يأتى مركب أو مراكب بايليك يعلم السيد
الباشا أدام المولى وجوده وكبت حسوده لأجل يأمر بحفظ يسير^(٦) ،

(٢) تموين منزله .

(٤) حرب .

(٦) الأسير .

(١) العلم .

(٣) نائب قنصل .

(٥) الأسوار .

الوجاق المنصور من الهروب لأنه إن هرب يسير للدراكب المزبور
يكون فرنك .

الشرط السابع والثلاثون

فإن كان عند الآخرين من النصارى المصالحين مع الوجاق المصور بعض
شروط غير ماسطر يكون مثلهم جمهور الصبذول وإن حدث لهم شيء
يكونوا مثلهم .

الشرط الثامن والثلاثين

إن وقع خلاف الصلح من إحدى الدولتين لا يجعل القيرا (١) إلا أن
يبحثوا على السبب وتوضع المخاطبة بينهم .

الشرط التاسع والثلاثين

فإن كان وقع فساد فى الصلح القنصل وجميع أجناس الصبذول الذين فى
وطن طرابلس وعمالها لهم أجل ستة أشهر لأجل يخرجوا بما عندهم
ولا يمسون .

وعلى الاتفاق المسطور يمانه وأعله جعلنا ثلاثة دفاتر صورت شروط
الصلح بيننا وبين المحب لجنابنا الداى رى كارلو الصبذول مرسوم بخط قلم
التركية وخط الوكلاء المذكورين ونزلنا به طابعتنا (٢) الشريف وطابع عمالها
ونزلوا الوكلاء بخطوط أيديهم من أطراف الداى المزبور وهم دون ييروا
صليبي وأخيه دون جوان صليبي الذين بأيديهم التوكيل من المحب إلينارى
صبانية وقع ذلك فى ٤ من شوال سنة ١١٩٨ هـ وفى سنة ١١٩٨ ثمان وتسعة
ومائة وألف وقع الاتفاق والرضا بين الدولتين ودو عظيم الروم راي
أصبانية وبين الأسعد الأرشيد السيد على باشا قرمانلى صاحب ولاية وجاق

طرابلس ورجال الدولة والزباط وتابعهم منبهاً ومؤكداً على جملة أهل الدولة
يكون محافظاً على مقتضى الشروط المسطورة من غير خلاف ولا مخالفة
قبولاً تاماً وهذا الرعية الدولتين - وقع ذلك على تسعة وثلاثين شرط
المقيدين يسراه وبه نزل الخط أيدي كاملين العقل بالتوكيل المفوض ليهما
وذلك بلسان الطليان ومهرهم (٢) المقام الأرفع الأرشيد الأسعد مولانا
السيد على باشا باي داي وطابع السيد الباي باي الوطن وكاهية القلعة وأغة
الديوان وأغة العسكر وريس المرسى وخازندار وشيخ البلاد ودفتردار -
الكل راضين رضاه تاماً على انعقاد الصلح المسطور في ٣٩ شرط ونزل طابع
السيد الباشا ما ذكر بعده في ٣ دفاتر وسلم لنا نلهم والعلافة بالصلواته بيد
القنصل نطلبو المولى جل جلاله أن يكون مباركاً على الوجاق وسائر الإسلام
بجاه من ظللته الغمام بتاريخ ٢٢ خلت من شوال سنة ١١٩٨ .

وما مرسوم يمناه هو ما يكتبه القنصل في الباسبورت وبعد كتسب
الشروط المرسومة تسعة وثلاثين شرط والختم لأجل هذا التوكيل الذي
ييدي دون بترو وسليرو وأخيه دون جوان سليرو باسم الري دون سلسريه
نسكو هذا الصلح باسم المحب لجناينا داي نابلي وكل الشروط التي تصلح
لنا وله ولذا وباسم الري نجعلو هذا الشئ وهو يمك في حالة الصلح والشروط
هو وكافة أهل نابلي من غير فساد بشئ منها والأسعد الأرشيد السيد الباشا
بداامت معاليه يعطيه مكتوب في ذلك يصلح به ولأجل ذلك وافق الوكلاء
المذكورين ونزلوا مهرهم في ذلك بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١١٩٩ هـ .

على القرمانلي

حسن باي القرمانلي

صاحب إيالة دار الجهاد طرابلس المحمية

الفقير الحقير
محمد بن أحمد كاهية مالي
عسكر طرابلس الغرب
الفقير الحقير
محمد بن الحاج رمضان
خازن دار السعادة
الفقير الحقير
أحمد بن مصطفى
كاهية رئيس المرسي
محروسة طرابلس الغرب

الفقير الحقير عبد ربه الكنخيا
الفقير الحقير
الحاج حسونة أفا الانكشارية
الفقير الحقير
الكاتب مصطفى بن خوجه
طرابلس الغرب
الفقير الحقير
محمد بن أحمد بن عبد الرحمن
شيخ البلاد مدير البلدية
محروسة طرابلس الغرب



حسن بك القرماني الابن الأكبر لعلی القرماني
وقد قتله أخوه يوسف وهما يتصافيان بين يدي أمهما لالا حلومه
في يوم الجمعة ٢٠ يوليو سنة ١٧٩٠
ياحدي حجرات الصحن الأسباني بالقلعة

وثيقة رقم ٦ -

خطاب^(١) بوناپرت إلى القنصل الفرنسي في طرابلس

المؤرخ في ٢٢ يناير سنة ١٧٩٨^(٢)

Au quartier Général du Caire, 5 Fructidor an VI
(22 Janvier 1798).

Bonaparte, général en chef, au consul de la République
Française à Tripoli.

J'ai reçu, citoyen consul, votre lettre du 13-messidor. Depuis la prise de Malte, nous avons pris Alexandrie, battu les Mameluks, pris le Caire, et nous sommes emparés de toute l'Égypte. Les Anglais, ayant battu notre escadre, ont dans ce moment la supériorité dans nos mers, ce qui m'engage à vous prier d'expédier un courrier de Tripoli pour se rendre, soit à Malte, soit à Civitta-Vecchia soit à Cagliari, d'ou il gagnera facilement Toulon, soit même par une galiote en droiture à Toulon. Vous enverrez une copie de cette lettre; vous direz que l'armée de terre est victorieuse et bien établie en Égypte, sans maladies et sans perte de monde, que je me porte bien, et de ne pas ajouter fois aux faux bruits que l'on fera courir dans cette circonstance. Expédiez-moi de Tripoli un courrier pour me faire parvenir les nouvelles que vous avez de France et écrivez à Malte pour qu'on vous envoie toutes les gazettes

(1) L. Charles Feraud : *Annales Tripolitaines* p. 310-p. 311

(٢) يذكر بوناپرت في هذا الخطاب استيلاءه على مصر وتحطم أسطولها واستحالة اتصاله بفرنسا ويطلب من القنصل أن يكون واسطة في تبادل الأخبار ، كما يطلب منه أن يبحث الباشا على إرسال مواد تموينية كثيرة إلى مالطة وضأن إلى الإسكندرية .

que l'on y reçoit et vous nous les enverrez. Ecrivez à notre consul à Tunis pour qu'il vous fasse passer toutes les gazettes et nouvelles qu'il pourrait recevoir. Il est indispensable que vous nous expédiez au moins une fois toutes les décades un courrier qui ira par mer jusqu'à Derne, et la traversera le désert. Je vous ferai rembourser tous les frais que cela vous occasionnera. Je n'ose pas aventurer de l'argent à travers le désert, mais tirez sur moi une traite de six mille francs. D'ailleurs, je payerai bien les courriers qui m'apporteront des nouvelles intéressantes. Faites connaître au Pacha que demain nous célébrons la fête du Prophète avec la plus grande pompe. La caravane de Tripoli part également demain, je l'ai protégée et elle a dû se louer de nous. Engagez le Pacha à expédier beaucoup de vivres à Malte et à nous envoyer des moutons à Alexandrie. Faites savoir aux fidèles que les caravanes sont protégées par nous et que l'émir-agma est nommé.

وثيقة — ٧

تقرير^(١) Beaussier قنصل فرنسا في طرابلس إلى تاليران
وزير خارجية^(٢) فرنسا في ٢٤ ديسمبر سنة ١٧٩٩

Genes, le 6 messidor an VII (24 décembre 1799).

Au citoyen Talleyrand, Ministre des relations extérieures.

Vous avez jugé, par ma dernière lettre de Tripoli de Barbarie de floréal dernier, que tous les Français en résidence ou de passage dans la dite échelle ne tarderaient pas d'en être chassés par le Pacha, qui a dû céder à la violence qui lui était faite. Sur son refus constant de nous livrer aux Anglais, le commodore. Donat Campbell, commandant du vaisseau de ligne portugais l'Alphonse d'Albuquerque, commença à effectuer ses menaces en brûlant à la côte le corsaire vice-amiral de la Régence et arrêtant le corsaire-amiral avec deux riches prises l'un et l'autre, de retour de leurs croisières, et se disposa à canonner les forts et à incendier les autres corsaires ancrés dans la rade. Le Pacha hésitait encore, quand les clameurs des parents et amis des équipages des deux corsaires et de tous les habitants, alarmés et indignés des ménagements de ce prince, le forcèrent à devancer le moment de notre expulsion sans réfléchir à la manière brusque et ignominieuse dont elle serait opérée. Le même jour' 23 floréal, à quatre heures après midi, le raïs de la marine vint m'intimer l'ordre de sortir sur le champ des Etats de la Régence. Il était accompagné d'une vingtaine de gardes qui se disposaient à accélérer ma sortie de la maison consulaire. Je representai de nouveau que les traités accordaient un délai de six mois en cas de rupture, mais il me fut répondu de me hâter ét

(1) Charles Féraud, Annales Tripolitaines Paris, 1927 pp. 313—314.

(٢) يذكر بوسيه كيف اضطر يوسف القرمانلي لجزاء تهديدات القائد الإنجليزي كامبل وغضب سكان طرابلس إلى تسليم الرعايا الفرنسيين الذين نقلوا إلى بالرم حيث أمر نلسن بنقلهم إلى جنوه .

que je serais conduit au Château, où le pourrais faire telle observation que je voudrais au Pacha.

Il fallut donc se mettre en marche dans le plus absolu négligé, avec les seuls vêtements que nous avions sur le corps, abandonnant tous les meubles et effets à la discrétion des Maures. J'étais accompagné des citoyens Xavier Naudi, vice-consul et interprète provisoire depuis plus de cinq ans; Antoine Conseil, de Paris, négociant, agent nommé par le général Vaubois pour les approvisionnements de Malte et Pierre-François-Fabre, de Marseille, lieutenant de vaisseau venu d'Alexandrie. Nous arrivâmes sous cette escorte au Château, où il ne me fut pas permis d'entrer. L'on nous contraignit de nous embarquer sur un bateau qui nous attendait et qui nous porta à bord du vaisseau portugais. Les autres Français, au nombre de 38, furent traités avec moins d'égards encore et conduits au milieu d'une populace fanatique au quai de la Marine, où ils furent jetés sans hardes dans une embarcation qui les transporta également à bord du vaisseau. Je fus présenté au commodore Campbell, et lui demandai si le contre-amiral Nelson avait entendu que nous fussions entièrement privés de nos propriétés. Il me dit que non, qu'il allait réclamer au Pacha l'envoi de tout ce qu'il n'aurait pas jugé à propos de confisquer lui-même et que nous n'aurions pas à nous plaindre du traitement qu'il nous destinait à son bord. Ce prince, qui avait fait saisir et transporter dans son Château toutes les hardes de nos marins, inventoria tous mes meubles et effets, ainsi que ceux des trois officiers logés chez moi, et transporter également au Château tout ce qui était amovible, prit en considération la demande du commandant et envoya à bord à mes frais ce qui n'avait pas été pillé par les gens employés au rassemblement de tout ce qui appartenait aux Français. Je ne recus en mon particulier qu'environ la demie de mon argenterie, et encore est-elle dépareillée, et une très légère portion de mon linge de corps et de table, et de mes vêtements. Tous les meubles sont demeurés à la maison consulaire et ont été inventoriés par M. Pierre Ortiz de Zugasti, chancelier et chargé des affaires du consulat général d'Espagne. Il en a gardé la clé, qu'il confia à Abraham Serouzi, sujet tripolin chancelier provisoire du consulat de France, lequel m'a marqué qu'on m'avait enlevé ma montre et chaîne d'or et autres bijoux.

toutes les provisions de ma maison, la faïence, les cristaux et enfin tout ce qui était à la convenance des Maurea qui y ont pénétré. M. Ortiz a retiré et déposé à ma prière en sa chancellerie toutes les archives du consulat et de la chancellerie, ainsi que mes papiers particuliers. Le jour même de notre embarquement, au matin, quoique détenu et ayant une garde à la porte, je m'empressai de faire passer à la chancellerie d'Espagne la tabatière d'or ciselé enrichie de brillants et les deux montres et chaînes d'argent appartenant au gouvernement et laissés à Tripoli par le citoyen Herculaïs.

Le commodore Campbell ne quitta point la rade de Tripoli sans avoir arrêté et signé un armistice avec le Pacha jusqu'à l'arrivée du traité avec le Portugal, dont M. Souza, consul général de S. M. C., attendu incessamment de retour de Madrid, sera porteur, et ne licencia le corsaire amiral et les deux prises de la Régence qu'après être convenu de leur valeur et avoir reçu du trésor même du Pach 11.000 piastres fortes à compte.

Le vaisseau l'Alphonse mit sous voile de Tripoli le 1^{er} prairial, allant à Malte et Palerme, mais, le 5, le capitaine d'un bâtiment Ragusain sorti du premier port ayant rapporté que, dans la nuit du 2 au 3 du dit mois, le blocus avait été levé, on se hâta de cingler directement pour Palerme. Dans les parages de la Sicile, nous reconnûmes les vaisseaux anglais l'Alexandre, l'Audacieux et le Goliath, qui s'y rendaient de Malte et avant d'y entrer, le 12, une frégate détachée par le Contre-amiral Nelson fit retourner à Malte le premier et le dernier vaisseau pour en reprendre le blocus.

وثيقة - ٨

رسالة يوسف القرماني إلى ملك أسبانيا^(١) والهند

٢٩ محرم سنة ١٢١١ هـ -

المحمد لمن له الحمد - الواحد الأحد - الفرد الصمد - الذي لم يلد ولم يولد ولم
يتخذ صاحبه ولا ولد .

من عبد ربه سبحانه أمير المؤمنين - المجاهد في سبيل رب العالمين - جامع
نعم المسلمين عبده - يوسف باشا بن علي باشا بن محمد باشا بن أحمد باشا
قره ماني - متصرف محروسة طرابلس غرب إلى المحب إلينا والمقرب لدينا هري
أسبانيا والهند . قد ورد علينا كتابكم وقرأناه - وفهمنا لفظه ومعناه - وما
أظهرتم فيه من زيادة الحب وبواعث القرب .

قد ثبت عندنا وتأكد لدينا زيادة حبكم فينا - وقدم علينا الكومندنت
المعين في خدمتكم - والعشرة آلاف ريال الذي وجهتم إلينا صاحبته اتصانا بهم
وكذلك الألفين ريال التي بيد القنصل بلغهم إلينا مع عوائد القنصلاته من
ملف وغيره - كل ذلك اتصلنا به - جزيتم خيراً وكفيتم شراً .

ثم ما طلبتموه منا بالتوصية على قنصلكم وصولي ، وأنا نودعوه بالبشاشة
لأعلم أن كل من هو من أطرافكم فإله منا إلا المراعاة الكاملة - ثم ذكرتم لنا
من جانب أنكم أمرتم قنصلكم المقيم بإقليمنا أن يسعى في زيادة المحبة ونموها
بين الدولتين جعلنا ذلك وتحققناه - وفي ذهننا أثبتناه - ولم يلحقنا شك في
عجبتكم من بين سائر الناس إذ أتم عندنا أقرب من سائر الأجناس وما تعرض
لكم من حاجة قبلنا نقضوها لكم وهو أسهل ما عندنا إذ نحن وأتم في قضاء المصالح
لبعضنا حال واحد والمولى مطنح وشاهد والسلام . يوسف قرمانلي

(١) منقول عن الأصل بدار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس القرب .

وثيقة - ٩

رسالة يوسف باشا القرمانلى إلى ملك السويد (١)

في ٢ رجب سنة ١٢٢٣ هـ

كتبت هذه الرسالة من دار الجهاد طرابلس الغرب حيث من كل شدة وكرب - من والى هذه الإيالة عبد ربه سبحانه أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد الرب العالمين يوسف بن علي باشا بن أحمد باشا قره مانلى إلى صاحب الخيرات الكثيرة المعروف بالفطانة - ورئيس الطريقة المسيحية والأمة العيساوية وأفضل من اتبع الإنجيل في عصره - وحامى الاتفاقيات العامة - ملك السويد لازال محمود العواقب . وبعد :

لاحتاج إلى ذكر ما بيننا من شدة المحبة والمواالاة الصافية الثابتة التى نشكركم عليها - والموروثة من آباءنا وأجدادنا - والعهود والمواثيق التى بيننا لتجديدها وتأكيدها - ولذلك أرسلتم القومندان لتحقيق ذلك - وقد وصل إلينا - وقابلنا الهدية التى أرسلت من طرفكم بكل ممنونية - ومن جهة القائد فقد عاملناه المعاملة اللائقة به وأعجبنا بفطانته . والأموال التى طلبنا تعجيل دفعها من طرفكم فأت وقتها - ورأيت من مندوبكم عدم الموافقة على الزيادة التى طلبتها ولكن خطائته جعلتنى أوافق على عدم الزيادة - واتفقنا على دفع ٧٧ ألف فرنك فى الحال إلينا - وأخبرنى بأنكم وافقتم على ذلك حتى يتقرر بموجب معاهد العوائد السنوية التى تدفعونها - وقد دفع المبلغ المذكور فاستحق منا التبجيل والتقدير . أما قنصلكم الموجود بطرابلس وهو شيخ أقرب إلى الشرم منه إلى الخير - فقد طلبت من مندوبكم التحقيق فى أمره لأنه كان دائماً سيباً فى تعكير محبتنا وإفساد علاقاتنا فصار عزله من طرف وكيلكم وأقام مكانه أندريا كوستا وهو رجل عاقل وعارف أصول البلاد فنطلب منكم إعتماده والسلام .

إمضاء : يوسف قرمانلى

(١) منقول عن الأصل بدار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس الغرب .

وثيقة - ١٠

مرسوم ولأئى من يوسف القره مانلى (١)

فى ٦ ذى القعدة سنة ١٣٢٩ هـ

بتعيين خليل بن عبد الله باى متصرفا على بنغازى

الحمد لله وصلى الله على خير الأنام ، ونبراس الظلام - ومن هو المرسل
ختام سيدنا ومولانا محمد عليه وعلى آله وأصحابه الكرام .

نحمدك اللهم بأجل محامدك التى بدىء بها القرآن وختم بها دعاء أهل
الجنان ، ونشكرك على ما أوليتنا من مواهب الفضل والإحسان ،
وأعظيت من طرائف الامتنان ، وأيدت دولتنا المحكمة الأساس ،
ونصرتنا بأهل النجدة والباس ، ونصلى ونسلم على سيد ولد عدنان ، الذى
أرغم بسيفه أنف الطغيان ، ونسخ برسالته الشرائع والأديان وكشف
له عن مخبئات الأكوان ، فرأى ملك أمته قد بلغ متقاصى البلدان ،
وكان الخبر وفق العيان ، وعلى آله الحكمة الشجعان وأصحابه الذين هشموا
الصلبان ، وكسروا فى نصرته عوامل المران والسمر اللدان ،
وسلم وعظّم وشرف وكترّم وبعد فهذا تهدي على المقدار ، وظهير ظهر
فضله فى الأقطار ، كالشمس فى واسطة النهار مقترناً بطالع السعود ،
مبشراً بنيل الأمانى وبلوغ المقصود ، أوجب للمعتمد عليه شمائل البر
والتكريم وأضفى به عن التمسك بالعهد والتفخيم ، صدر عن إذن الهمام
الأرفع - والطود الشاىخ الأمتع - المؤيد بالنصر من أول عمره - الذى
ابتدأ بالجهاد صحيفة أجره ، وافتتح بالرباط والخيرات ديوان نبيه وأمره -
والى طرابلس ثغر الجهاد ، القامع لأصل الجور والفساد ، أبو المحاسن

(١) منقول عن الأصل الموجود لدى الأستاذ على الفقيه حسن بطرابلس الغرب .

والمعالى عبده يوسف باشا قره مانلى - ولا زال فى عز وارتفاع مؤيداً منصوراً
فى جميع البقاع آمين .

إلى كافة من يقف عليه من الكبراء والصدور وطوائف الخاصة
والجمهور ، والرعايا الذين هم عمار الأرض ، والفقهاء القائمون بالمسنون
والفرض ، والعسكر الذين هم حماة دين الإسلام ، وخاصة أهل البلاد
والعوام ، والعربان البوادي النازلين بكل كهف ووادى ، ومن احتاط بجبل
الجوازى ، وعامة رعيتنا أهل بنغازى ، سدد الله أحوالهم ، وبلغهم من طاعته
ومرضاتنا آمالهم ، السلام الأتم ، الأطيب الأعم عليكم ورحمة
الله وبركاته وأزكى تحياته ولا زائد بحمد الله جل جلاله وعم نواله سوى
الخير والعافية ، والنعم الضافية ، يليه إعلامكم وتنبيهكم وإلزامكم أن الأجل
الأرضى ، والأكل الأخطى - ولدنا خليل بن عبد الله باى يسر الله أمره
حتى لا يعسر عليه شىء ، قد اخترناه إليكم ، وجددنا له فى الولاية عليكم
وأقنناه لجميع المطالب المقررة ، وجبى اللوازم المحررة ، والوظائف
المسطرة ، على حسب عادة الأقدمين ، وسبيل المساهمين ، فيما كتبوه
بالدفتر ، وجمعوه كإبراعن كابر ، وقرروه فى الدواوين ، وقامت عليه
الحجج والبراهين ، ونصبناه لاستخلاص القوانين ، والوفاء بحق الطائعين
وإهانة العاصين .

وأمرناه أن يسوسكم بأحسن سياسة ، ويسير فيكم سيرة عدل ورياسة ،
فحبه محبتنا ، ومصالحته مصلحتنا ، فعليكم بطاعته كل أوان ، وأذعنوا له
غاية الإذعان ، وأسعفوه فى أموره كل الإسعاف ، واحذروا أن يقع بينكم
شقاق أو خلاف ، لأن طاعتكم للأمر أولى بالجليل منكم والحقير ، ومن
ارتكب فساداً وأراد له عناداً ، أذقناه مرارة مكره ، وأخذنا نار نصره ،
وأثرنا ريح قهره ، فلا يلومن إلا نفسه ، ولا يعاتب إلا رأيه وحده ،
وقد أطلقنا يده فيمن أساء بالانتقام ، على حسب الحال والمقام ، وفوضنا له
فى ذلك ، وأبناؤه على ما هنالك بعمله بطاعتنا وتقوى الله يفوز بربنا ورضاه ،

وبالجد فيما كلف بخدمته ، لأن كل راع مستول عن رعيته ثم إنى أوصى
الأمير بالعدل فى الكبير ، والرأفة على الصغير ، ليسلم من القصاص يوم
الأخذ بالنواص ، لما روى صاحب الصحيح فى الخبر الصريح - إنما يرحم
الله من عباده الرحماء - وروى الإمام أحمد فى كتابه المسند ما من أمير
عشيرة إلا ويؤتى به يوم القيامة مغلولاً حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور
أو كما قال عليه الصلاة والسلام إلى يوم النشور والسلام .

ختم الوالى

يوسف بن على

وثيقة - ١١

معاهدة (١) بين يوسف القره مانلى وملك سردينيا

٢٩ ابريل سنة ١٨١٦ م

وقعها بالنيابة عن ملك سردينيا اللورد اكسموث القائد البحرى الإنجليزى
والمستر هانمر وارنجتون قنصل إنجلترا فى طرابلس .

معاهدة السلام بين جلالة فتوريو عمانويل ملك سردينيا وقبرص والقدس -
دوق سافوى وجنوه وأمير بيدمنت ويوسف القره مانلى والى طرابلس
وملحقاتها - وقعها بالنيابة ادوارد بارون اكسموث فارس الصليب الأعظم
المختص بالتنظيم الحربى للهرور وأميرال الفرقة الزرقاء من الأسطول الإنجليزى
وقائد الأسطول الإنجليزى فى البحر المتوسط ممثلا لملك إنجلترا وأيرلندا
وملك سردينيا .

المادة الأولى : رغبة فى السلام تبدأ الصداقة الوطيدة والسلام منذ الآن
بين ملك سردينيا ووالى طرابلس ورعاياهم وتأمين أملاكهم وأراضيمهم -
ومنذ الآن يحترم الباشا ورعاياه علم ورعايا وتجارة سردينيا على قدم المساواة
مثل بريطانيا وتمتع سردينيا بجميع الامتيازات التى نالتها إنجلترا فى المعاهدات
السابقة .

المادة الثانية : تصبح التجارة حرة بين الدولتين منذ التوقيع على هذه المعاهدة
طبقا لشروط خاصة ولكن على السفن التى تريد السفر من شاطئ الشمال
الإفريقى إلى أية ميناء فى سردينيا أن تمر بالحجر الصحى قبل دخول الموانى -
ويوجد حجر صحى للسفن القادمة من طرابلس فى جنوه و spezia وفى جزيرة
سردينيا فى Maddalena و Alghero و S. Pietro و Cagliari

(١) مترجمة عن الأصل بالإنجليزية بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب .

ويطبق ذلك أيضاً على السفن الداخلة إلى طرابلس - ويتم التبادل القنصلي بين الدولتين ويكون تقدير قنصل سردينيا مثل قنصل إنجلترا من حيث تسهيل تنظيم شؤونه التجارية ويسمح له برفع العلم الوطني على دار القنصلية وممارسة عبادته الدينية مع خدمه وغيرهم من الرعايا الراغبين في ذلك .

المادة الثالثة : ولمنع أى احتكاك أو إساءة استخدام المزايا التي تنص عليها هذه المعاهدة فإن ملك سردينيا سيتخذ الوسائل الفعالة لمنع ذلك باعطاء رعاياه جوازات مرور بختم وإمضاء سكرتير الدولة وسوف لا تستخدم تلك الجوازات وسيلة لإعطاء حماية لرعايا دولة أخرى وكل سفينة أو قارب تابع لسردينيا سيزود بإحدى هذه الجوازات .

المادة الرابعة : لا يسمح لأية سفينة حربية من الطرفين بالعمل في إحدى الموانئ التابعة لهما بقصد الاستيلاء على سفينة معادية داخل المياه الإقليمية للدولتين أو الهجوم على سفينة ترسو في أحد الخليجان داخل حدود المرسى حتى ولو لم توجد بطارية أو بندق لحمايتها .

حررت في سراي طرابلس بإرادة الله في ٢٩ أبريل سنة ١٨١٦ - ٣٠ من جمادى الأولى سنة ١٢٣١ هـ

مادة إضافية :

تعهد اللورد أكسموث بالنيابة عن ملك سردينيا بدفع ٤ آلاف دولار أسباني كهدية قنصلية إلى باشا طرابلس عند تعيين القنصل ويدفع نفس المبلغ عند تعيين كل قنصل جديد .

حرر في سراي طرابلس في ٢٩ أبريل سنة ١٨١٦ - ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٢٣١ هـ
امضاء

Hanmer Warrington Exmouth

نائب قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط

والمفوض من جلالة ملك إنجلترا وجلالة ملك سردينيا

إمضاء ختم الباي يوسف

قرار باى طرابلس

قرار سعادة سيدى يوسف القرماني باشا و باى ولاية طرابلس وملحقاتها
اتفق مع ادوارد بارون اكسموث فارس الصليب الاكبر، وقائد الاسطول
البريطاني الازرق ونائب قائد الاسطول البريطاني في المتوسط .

طبقا للفوائد الكثيرة التي يؤكدها عظمة ملك انجلترا لانها استرقاق
المسيحيين ، فإن باى طرابلس بدافع من رغبته المخلصة للإبقاء على العلاقات
الودية مع بريطانيا العظمى ولتأكيد صداقته واحترامه الكبير تجاه الدول
الأوربية التي يرغب في أن يسود بينه وبينها جميعا السلام يعلن ويوافق على
أنه في حالة حدوث حرب في المستقبل مع أية دولة أوربية والتي يدعو الله
أن يمنعها - فإن الأسرى لا يُسترقون بل يعاملون معاملة إنسانية كأسرى
حرب حتى يتم تبادلهم طبقا للعرف الأوروبي - وأنهم سوف يعادون إلى
أقطارهم المحترمة دون فدية

حرر بسر اى طرابلس بإرادة الله في ٢٩ إبريل سنة ١٨١٦ - ٣٠
جمادى الأولى سنة ١٢٣١ هـ

ختم الباي

توقيع

Exmouth (L. s)

Hanmer Waarrington (L. s)

وثيقة - ١٢

المعاهد المبرمة^(١) بين يوسف القرماني

والولايات المتحدة الأمريكية

٦ ربيع الأول سنة ١٢٢٠ هـ - ٤ يونيو سنة ١٨٠٥ م

الحمد لله .

يعلم الجميع دون حاجة إلى برهان رغبة الحكومتين الأكيدة في توطيد الأمن والسعى لتأمين السلام وتنمية التجارة ، وإيضاحا للوسائل المؤدية لذلك ، وللوصول إلى الهدف المطلوب ، والمحافظة والعمل على إزالة الأسباب التي من شأنها أن تؤدي إلى الخلاف والنزاع ، قرر الطرفان عقد مصالحة جديدة تضمن المصالح الخيرية العامة بين والى طرابلس يوسف باشا القرماني وقائد الجند على بك وجميع الأمراء والأعيان وبين قنصل الجمهورية الأمريكية المكلف والمفوض تفريضا شاملا لتمثيل حكومته بموجب التفويض المؤرخ في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٠٣ - وقد اتفق الطرفان على تنفيذ ما نصت عليه هذه المعاهدة حرفيا .

البند الأول : يتمتع الرعايا الأمريكيون بالأفضلية على رعايا الدول التي تربطها بحكومة طرابلس علاقات ودية ، وإذا منحت إحدى الدولتين المتعاقدين امتيازات أو تسهيلات في التجارة لدولة أخرى فيجب أن يشمل ذلك الطرف الآخر في هذه المعاهدة إلا إذا كان ذلك يؤدي إلى ضرر .

البند الثاني : الأمريكيون الذين أسرمهم الطرابلسيون أثناء الحرب والبالغ عددهم ثلاثمائة ، والأسرى الطرابلسيون الذين أسرمهم الأمريكيون والبالغ

(١) مترجمة عن التركية .

عددهم مائة يتم تبادلهم - وتدفع حكومة الولايات المتحدة ستين ألف فرنك تعويضا لحكومة طرابلس مقابل إطلاق سراح المائتي أسير أمريكي الزائدين عن نصاب المبادلة .

البند الثالث : تجلو في الحال جميع القوات البحرية الأمريكية الموجودة في طرابلس ودرنة وغيرها من الأقاليم - وتتعهد الجمهورية المذكورة بالألا تتعاون بطريق مباشر أو غير مباشر مع سكان طرابلس أو الأجانب عند قيامهم بحركات معادية ضد حكومة طرابلس أو ضد الباشا ما دامت هذه المعاهدة سارية المفعول ، وتساعد الجمهورية المذكورة الباشا في إخضاع ثورة أخيه أحمد بك بقضاء درنة وإذا وفقت في إخراجه من درنة تتعهد بإيصاله وتسليمه إلى أسرته بطرابلس .

البند الرابع : ليس من حق الحكومتين الاحتجاج أو التعرض للبضائع التي تحملها سفن أحد الجانبين لتجار من دولة معادية للجانب الآخر .

البند الخامس : إذا صودرت سفن للعدو اعتبارا من اليوم وبها بضائع أو ودائع لرعايا أحد الطرفين فإنها ترد لأصحابها دون تعويض .

البند السادس : إذا صادفت سفن وبجارة أحد المتعاقدين سفنا في عرض البحر تابعة للطرف الآخر فيكون لها حق النظر في وثائقها والتحقق منها ثم يسمح لها بمواصلة السفر ، ويتعهد الطرفان ألا يمنحا وثائق مزورة لسفن تابعة لدولة أخرى .

البند السابع : إذا غنمت إحدى الحكومتين سفنا معادية وباعتها للأخرى يعطى لها سند مقابل ذلك ونظرا لبعدها أمريكا فلا يطلب من أصحاب هذه السفن الوثائق الرسمية المسجلة مادامت سندات البيع موجودة لديهم إلا بعد مرور عامين .

البند الثامن : إذا دخلت سفينة أحد الطرفين إلى موانئ الطرف الآخر لطلب المؤن والزياد أو غيره من اللوازم يسمح لها بشراء ذلك بالأثمان المقررة

وإذا اضطرت إلى الرسو لإصلاحها فيجب تقديم المساعدة اللازمة لها
وإذا أنزلت حمولتها على الرصيف أثناء الإصلاح فلا يؤخذ منها مقابل ذلك
رسوم ولا يجبر أصحابها على بيع البضائع المشحونة عليها .

البند التاسع - إذا غرقت سفينة لأحد الطرفين في موانئ الطرف
الآخر أو في مياهه الإقليمية يحافظ على أرواح ربابها وبحارتها وأموالهم
وَتَتَّخِذُ التسهيلات والمساعدات اللازمة لإرجاعهم لأوطانهم سالمين .

البند العاشر - إذا وقعت إحدى سفن الطرفين في يد العدو وكانت على
مسافة من مرمى مدافع سفن الطرف الآخر فيجب عليها أن تنجدها حالاً
بكل حماس وأن تعمل على تخليصها وإذا وجدت سفينة لأحد الطرفين في
ميناء الطرف الآخر وبه سفينة معادية لها فلا يسمح لسفينة العدو المذكورة
بترك الميناء لمطاردتها بعد سفرها إلا بعد مرور أربعة وعشرين ساعة
من إقلاعها .

البند الحادي عشر - يتعهد كل من الطرفين باحترامهما الفائق لرعايا
وقنصليات الطرف الآخر ويسمّح للجمهورية الأمريكية بتعيين قناصل
لها في ملحقات إيالة طرابلس التي توجد بها قناصل للدول الأخرى .

البند الثاني عشر - إذا شحن أحد الطرفين بضائع في سفن الطرف
الآخر وغرقت بسبب العوارض الطبيعية أو نتيجة اعتداء العدو فالس من
حقه المطالبة بالتعويض عن تلك البضائع . ولا يتدخل أحد المتعاقدين في
الخلافات الواقعة بين رعايا الطرف الآخر ، ولا يستخدم سفنه في أغراض
تجارية أو غيرها إلا برضاء أصحابها ، وإذا وقعت عقود بين رعايا الحكومتين
فإنها تسجل وتصدق عليها الحكومة التي وقع في بلادها العقد ، وعليها اتخاذ
الإجراءات اللازمة لتنفيذ ما جاء فيها ، وإذ لا كان بذمة أحد رعايا الجمهورية

المذكورة دين لأحد فلا يطالب به القنصل إذا لم تكن هناك كفالة سابقة منه .

البند الثالث عشر - عندما يعلم القنصل بوصول سفن حربية أمريكية إلى ميناء طرابلس تطلق مدافع قلعة طرابلس إحدى وعشرين طلقة وتجاوبها السفن المذكورة بإحدى وعشرين طلقة مثلها .

البند الرابع عشر - يحترم الطرفان الطقوس الدينية والتقاليد القومية بروح من الإخلاص والحب المتبادل ولا يمانعان في مزاولة رعايا الطرفين لطقوسهما في دور القناصل ، ولقناصل الطرفين ومترجميهم وموظفيهم كامل الحرية في التنقل بطريق البر أو البحر .

البند الخامس عشر - إذا وقع خلاف أو مخالفة لما جاء في هذه المعاهدة فلا يلتجئ أحد الطرفين إلى استعمال القوة بل يبادر بمثلو الدولتين لحل الخلاف بالطرق السلمية وإذا لم يصلوا إلى نتيجة فتحول المشكلة إلى المسؤولين في الحكومتين وينتظر الجواب عليها مدة لا تتجاوز شهرين شمسيين وإذا مرت المدة المذكورة ولم يصل الطرفان إلى اتفاق وتفاهم وتقرر الحرب بينهما يسمح الجانبان المتعاقدان للقناصل والرعايا التابعين لهما بالسفر معززين مكرمين إلى حيث شاءوا .

البند السادس عشر - في حالة وقوع الحرب يعمل الطرفان على إعادة الأسرى وتبادلهم بواسطة دول أخرى في مدة سنة أو دون ذلك إذا أمكن . وإذا كان لدى إحدى الطرفين عدد من الأسرى يزيد على مائة الطرف الآخر ، فيقوم بدفع خمسمائة فرنك عن كل رُبَّان ، وثلاثمائة فرنك عن كل قائد ومائة فرنك عن كل بحار - ليحررهم من الأسر .

البند السابع عشر - يمنع بيع الأسرى والغنائم الذين تستولى عليهم أية دولة أخرى من الجمهورية المذكورة في موافق ولاية طرابلس منعاً

تاما ولا يسمح لمثل هذه السفن الحاملة لما ذكر بالرسو في موانئ طرابلس إلا مدة تسمح بإمدادها بالمواد الضرورية اللازمة ، ولا تطالب حكومة طرابلس السفن الأمريكية المحملة بالغنائم بدفع شيء باسم العوائد .
البند الثامن عشر - القضايا التي يكون كلا الطرفين المتنازعين فيها من رعايا الجمهورية المذكورة يفصل بينهم قناصلهم وعلى حكومة طرابلس تقديم المساعدة لتنفيذ الأحكام الصادرة واتخاذ الإجراءات اللازمة إذا طلب منها ذلك .

أما إذا كان النزاع بين أحد رعايا الجمهورية وبين أحد رعايا دولة أجنبية أخرى فإن الفصل فيه يكون بحضور وكيلين من طرف قنصليتهما .
البند التاسع عشر - إذا قتل أو جرح أحد رعايا الطرفين شخصاً من رعايا الطرف الآخر تفصل محاكم البلاد التي وقع فيها الحادث في الأمر حسب شرعها وقانونها لا فرق بين المدعى والمدعى عليه وإذا فر الجاني فلا مسؤولية على القنصل .

البند العشرون - إذا توفي أحد رعايا الجمهورية المذكورة فلا يتدخل أحد في تركته وتبقى تحت تصرف القنصلية إلا إذا أوصى قبل وفاته بماله كله أو بعضه لأحد . فيكون لحكومة طرابلس في هذه الحالة حق تنفيذ ما جاء في الوصية وليس للقنصل حق التدخل في ذلك . وإذا توفي أحد رعايا الجمهورية المذكورة في مكان لا توجد به قنصلية ، فعلى موظفي إدارة بيت المال ضبط وحفظ أمواله وعند وصول وراثته تسلم لهم تركته كاملة حسب القيود المضبوطة .

بموجب الترخيص الذي بيدي أوقع وأضع ختمى على هذه المعاهدة التي تضم عشرين مادة والتي تم تبادلها في الحال وأتعهد بتطبيق أحكامها تطبيقاً كاملاً وألا يجرؤ أحد من طرفنا على مخالفة ما جاء بها مادامت حكومة طرابلس مراعية لأحكامها وموادها .

تحريراً في ٦ ربيع الأول سنة ١٢٢٠هـ - ٤ حزيران (يونيو) سنة

القنصل طوياس لير

١٨٠٥ م .

الوثيقة - ١٣

« معاهدة » يوسف القرماني مع تسكانيا ،

سنة ١٨٢١ او اسط رجب ١٢٣٦

كان هنر وارنجتون قنصل انجلترا نائبا عن دولة تسكانيا .

الحمد لله - تم الاتفاق بين صاحب السعادة السنية المعظم لربه والى طرابلس الغرب السيد يوسف باشا قرماني وأعيان امراء دولته وبين دوقه تسكانيا لتوثيق عرى الصداقة القديمة وتأكيدها بواسطة وارنجتون قنصل انجلترا المقيم في طرابلس تم برضاء الطرفين التصديق على المعاهدة الآتية :

المادة ١ : يتعهد الطرفان بالترخيص لتجار البلدين بدخول بلاد الدولتين المتعاقدين ماداما يحملان جوازا معترفا به .

المادة ٢ : يدفع تجار الطرفين الرسوم الجركية حسب قوانين البلاد ويخصمون لقوانين الحجر الصحي وإجراءاته ويسمح لقنصل تسكانيا برفع علم دولته فوق منزله كما يسمح لرعايا تسكانيا بأداء شعائرهم الدينية .

المادة ٣ : تخضع السفن التجارية للطرفين لنظم البيع والشراء المتبعة في الدولتين .

المادة ٤ : لا تتعرض السفن الحربية للدولتين لسفن الاعداء إذا وجدت في إحدى مرافئ الدولتين أو في مياههما الإقليمية « مسافة مرمى المدفع » .

المادة ٥ : إذا تلاقى سفينة طرابلسية مع سفينة تجارية لتوسكانيا يجرى التفتيش على الجوازات بمعرفة رجلين من أصحاب الدراية والمعرفة لتحقيق جنسية السفينة .

(١) مترجمة عن التركية .

المادة ٦ : يراعى الطرفان حقوق رعايا وتجار الدولتين وإذا وجد أحدهم في سفينة معادية تصان أمواله وتؤمن حياته ويسمح له بالسفر إلى بلاده مع أمواله .

المادة ٧ : إذا حدثت حرب بين إحدى الدولتين المتعاقبتين وعدوها ولجأت إحدى سفنها إلى ميناء من موانئ الدولة الأخرى، يحافظ عليها ولا تمكن سفن الأعداء من متابعتها أو الاعتداء عليها ، وإذا أبحرت هذه السفينة نحو بلادها أو لتلاحق بجماعتها فلا يسمح لسفن العدو بمتابعتها إلا بعد مضي ٢٤ ساعة من إبحارها .

المادة ٨ : إذا طلبت إحدى سفن الطرفين نجدة من السواحل القريبة للطرف الآخر بسبب إصابتها بعطب تسعف وتنجد ويحافظ على ركبها وأموالها .

المادة ٩ : إذا حدث نزاع بين مسلم وتسكاني فتكون محاكمتها أمام المحاكم الوطنية وبحضور القنصل ، أما إذا كان المتنازعان من تسكانيا فيفصل القنصل بينهما وفي حالة إفلاس أحد رعايا تسكانيا لا يدفع القنصل أو أحد رعايا تسكانيا تعويضا إلا إذا كان يوجد ضامنون له .

المادة ١٠ : إذا توفي أحد رعايا تسكانيا في إيالة طرابلس تسلم كل تركته إلى القنصل ولو لم يكن له وريث .

المادة ١١ : عند حدوث ما يخل بهذه المعاهدة يجتمع الطرفان للنظر في بنودها ويسعون لإصلاح ذات البين وحل الإشكال سلبيا .

المادة ١٢ : لا تخرج أية سفينة تسكانية دون جواز من دولتها ولا بد أن يكون الجواز موقعا عليه من الدوق نفسه وممهور بتوقيع وزير الدولة لمنع الشبهات .

خاتمة : وقعت هذه المصالحة الخيرية من ١٢ بندا برضاء وموافقة الطرفين وتم تبادل الوثائق في الحال .

وثيقة - ١٤

رسالة^(١) يوسف باشا القرماتلي

إلى جناب القنصل نيقرى قنصل سردينيا بطرابلس
يخبره فيها بإصدار أمره إلى القنصل جوفاني روسوني قنصل تسكانية
بإزالة علم بلاده وذلك في أول رمضان المعظم سنة ١٢٤٣ هـ - سنة ١٨٢٧ م

الحمد لمن له الحمد ، والصلاة على المبعوث للحر والعبد ، الأجل الأفاضل ،
المرعى المبجل محب جنابنا القنصل نيقرى - قنصل سردينيا بطرابلس المحمية :

السلام التام اللائق بالمقام وبعد : فالوجب لتسطير هذا الكتاب وتحديد
ما فيه من الخطاب ، أولاً تأكيد المحبة وتجديد الصحبة ، والثاني تعريفكم
في شأن قضيه القرند دوكا امتع التوسكانه - وأنتا كما طالبناهم أن يرسلوا
قنصلا عن طرفهم على حسب العادة ومن لوازم القنصل الهدية كما هو معلوم .

وقد حضر القنصل وطلبناه في الهدية فأجاب بشيء يخجل بالمقام -
فامتعضنا من ذلك وجعلنا له أجلا خمسين يوم حتى يعلم القرند دوكا ويرد
لنا الجواب فبعد انقضاء المدة المذكورة أتت مركب ولم يرد لنا الجواب
فأتانا ثانياً وطلب منا المهلة إلى حضور مركب « فرلاري » فأجبناه لذلك
طلباً للحبة والمساعدة الجالبة للصحبة وقدمت المركب المذكورة ولم نستفد
منهم رد الجواب ولا مراسلة ولا خطاب ، فلتعلم أيها المحب أن هذا
اللقاء يدل على عدم الالتفات الذي لا يليق بالملوك والدايات ،
فحينئذ الواجب علينا أن نعامله بمقتضى ما أراد من القطيعة والبعاد ،
أمرنا بتزليل البنديرة^(٢) وجعلنا لهم بعد تنزيلها أجلا ثلاثين يوماً ليحصل
لجميع بذلك الخبر اليقين ، ويكون مضمونه في علمكم أجمعين ، ودمتم
خير والسلام .

يوسف القرماتلي

(١) منقولة عن الأصل بدار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس الغرب . (٢) العلم

وثيقة - ١٥

معاهدة^(١) يوسف القرماني مع نابلي

صفر سنة ١٢٤٤هـ - سنة ١٨٢٩م

الحمد لله - تم التصديق على هذه المعاهدة بوساطة وارنجتون قنصل
انجلترا بين يوسف القرماني والى طرابلس ودولة نابلي لإزالة ما حدث
بينهما من خلاف .

مادة ١ : نسيان ما حدث من أعمال تعكر العلاقات بين الدولتين، وتسود
بين الدولتين منذ الآن علاقات الصداقة والمحبة .

مادة ٢ : ارجاع أسرى نابلي بدون تعويض

مادة ٣ : تدفع نابلي إلى طرابلس تعويضاً حريياً قدره ٣٣ ألف فرنك .

مادة ٤ : لا تلزم نابلي بدفع عوائد سنوية معينة أو هدايا سنوية ولكنها
تدفع هبات كلما سمحت ظروفها .

(١) منجزة عن التركية .

وثيقة - ١٦

معاهدة يوسف القرماني مع فرنسا^(١)

١١ أغسطس سنة ١٨٣٠

لإزالة الأحوال التي اضطرت قنصل فرنسا إلى مغادرة البلاد لسوء التفاهم الذي حدث بينه وبين يوسف باشا والى طرابلس ولإنهاء تلك الحالة وللمنع الحالات التي توجب دائما سوء التفاهم بين إيالة طرابلس والدول الأخرى ولحفظ الأمن في البحر المتوسط إلى الأبد - تم الإتفاق بين المسيو بارون روزامل - الأدميرال الثاني لبحرية فرنسا ، الحامل لنيشان سان لوى العسكرى ، والحامل لرتبة كوماندوز فرقة الشرف ، والحائز لنيشان فارس من فردناندملك أسبانيا - مندوبا عن ملك فرنسا - وبين سيدى الحاج محمد بيت المال ناظر أمور خارجية دولة يوسف باشا مندوبا عن طرابلس - ونظرا لما لهذين المندوبين من دراية وتمتع بثقة دولهم فهما ينوبان عن دولهم فى توقيع المعاهدات ويطلبون من الله التوفيق فى وضع هذه المعاهدة وتطبيقها .

مادة ١: يعتذر والى طرابلس لقنصل فرنسا وأيا سلف للأراجيف والمفتريات التي قبلت فى حقه ويوجه رسالة إلى ملك فرنسا يذكر فيها المحبة الصافية التي توجد بين الدولتين ويعطى صورة منها إلى الأدميرال المذكور وعندما يتسلم القنصل عمله من جديد يرسل الباشا أحد أولاده أو أصهاره إليه ليطلب العفو عما صدر منه ويوفى بالترضية اللازمة .

مادة ٢: لا تعطى حكومة طرابلس رخصة لسفنها أو لسفن رعاياها للقرصنة وكل سفينة تنجاسر على القرصنة ضد السفن التجارية فإن جميع دول أوربا قد اتفقت على ضبطها ومصادرتها .

مادة ٣ : تلغى بعد اليوم مسألة الأسرى ويعتق جميع الأسرى الموجودين الآن وإذا كان يوجد أسرى لدى الوالى يحررهم ويرسلهم إلى بلادهم - وعند وقوع حرب بين طرابلس ودولة أجنبيه فإن الأسرى الذين يؤسرون فى البر والبحر لا يعاملون معاملة سينة وإنما يعاملون حسب قوانين أوربا ويوضعون فى أماكن مناسبة ويتم تبادلهم عقب انتهاء الحرب ويطلق سراحيهم .

مادة ٤ : لا يسمح للحكومة طرابلس أن تزيد أسطولها الحالى أو تضيف إليه أية قطعة حربية أخرى وتشكل لجنة لحصر عدد السفن الحالية وتوضع قائمة تبين عدد السفن وحالاتها ومقدار تسليحها أما السفينة التى يصيبها تلف أو تبلى فيمكن تجديدها ولكن بنفس الحجم والمواصفات - ولا يجوز تسليح السفن التجارية الحالية وتحويلها إلى سفن حربية .

مادة ٥ : تساعد الحكومة السفن التى تلجأ إلى السواحل نتيجة الرياح وتعمل على رفعها من رمال الشاطئ . إذا كانت قد اصطدمت بها وتحرس ركابها وتحافظ على بضائعها - وإذا غرقت إحدى السفن يحافظ عليها من النهب والسلب وإذا نهبت تتعهد الحكومة بدفع كل ما نهب منها - كذلك يجازى كل من يقتل أحدهم أو لاء الركاب طبقاً لقوانين البلاد وتدفع تعويضات لأهل هذا القتل .

مادة ٦ : إذا حدث النهب من ثأرين على الأمير فلا يجبر الأمير برد ما نهب أو القبض على القاتل أو دفع تعويضات .

مادة ٧ : للدول الأجنبية الحق فى تعيين ممثلين تجاريين فى أية بقعة من الإيالة وتلغى عادة الهدايا التى نصت عليها المعاهدات ولو كانت تحت أى اسم من الأسماء ولا يمكن تجديد هذه المعاهدات دون دفع الرسوم الجركية .

مادة ٨ : إذا دفع الرعايا الأجانب الرسوم اللازمة فهم أحرار فى التجارة الداخلية والخارجية ولا تطلب فرنسا امتيازاً زائداً عن الأجانب الآخرين - ولكنها تتمتع بكل الامتيازات والتسهيلات التى تتمتع بها الدول الأخرى .

مادة ٩ : يحرر الوالى تعهداً بدفع ٨٠٠ ألف فرنك كمصاريف عسكرية لفرنسا إزاء إرسالها أسطولها ولتسهيل تسوية دين الرعايا الفرنسيين بدفع نصف الدين فى ١٦ أغسطس ونصفه الباقى فى ديسمبر سنة ١٨٣٠ .

مادة ١٠: تبقى المعاهدات والاتفاقات التي تمت قبل ذلك بين فرنسا والدولة العلية أو بينها وبين إيطاليا دون تغيير عدا ما نصت عليه هذه المعاهدة.

مادة ١١: تنشر هذه المعاهدة في يوم الخميس ١٢ أغسطس في طرابلس وفي يوم ١٧ في المدن القريبة وفي يوم ٢٢ في المقاطعات وفي مدة لا تتعدى ١٢ سبتمبر في أبعد مكان من الولاية

خاتمة: نسخت هذه المعاهدة من نسختين على ظهر السفينة الملكية الراسية في ميناء طرابلس وأجرى في الحال تبادل الوثائق وتعهد الطرفان بتنفيذ أحكامها.

تحريراً في ١١ أغسطس سنة ١٨٣٠ - سنة ١٢٤٦ هـ.

ملحق لمعاهدة فرنسا

تكونت لجنة من مسيو كوسى قائد سفينة trés d'ane ورئيسها وضباطها الملازم رو ولنر وقامت بمجرد السفن وتسجيلها في القائمة الملحقة بالمعاهدة.

أنواع السفن	العدد	مدافعها	حالتها
طلعة كرويت بثلاث ساريات	١	٢٣ مدفع هاون + ١٨ قواعد مدافع جديدة	
سفينة ابريق	١	١٨ مدفع هاون + ١٢ قاعدة	
"	١	١٨ مدفع كبير + ١٢ قاعدة	
"	١	١٦ مدفع + ٨ ماكينات مدافع تصنع في الترسانة	
"	١	١٢ مدفع + ٨ قواعد مدافع قديمة	
سفينة ابريق جولتا	١	١٤ مدفع + ٨ قواعد مدافع قديمة نوعاً	

حالتها	مدافعها	العدد	أنواع السفن
قديمة	١٢ مدفع هاون + ٦ قواعد مدافع	١	سفينة ابريق جولتا
'	٨ مدفع + ٦ قواعد مدافع	١	سفينة ملكية صغيرة
'	٤ مدافع + ٦ قواعد مدافع	٢	غليون
'	مدفع واحد + ٤ قواعد	١	غليون صغيرة
'	٤ مدافع + ١٨ قاعدة مدفع	٤	حاملات مدافع
السفن الغائبة			
	١٢ مدفع + ٨ قواعد مدافع موجودة في شرق البحر المتوسط	١	ابريق جولتا
'	١٢ مدفع + ٦ قواعد مدافع	١	'
بنغازى	٨ مدافع + ٨ قواعد	١	'
تمر بالسواحل	ليس بها مدافع	١	سفينة سكونو

أغسطس سنة ١٨٣٠ في طرابلس الغرب

لمتر - رو - كوس - روزامل

وثيقة - ١٧

شهادة شرعية بتاريخ ٢١ صفر سنة ١٣٤٥ ينكر فيها محمد الدغيس

أقواله الأولى بشأن قضية الماجور لك

هذه نظيرة بالمجلس الشرعي المنور المرعي بين يدي أمير الأمراء الكرام
ورئيس الوزراء الفخام وحامي بيضة الإسلام سيد أقرانه وفريد عصره
وأوانه أبو المحاسن والعدالة سيدنا يوسف باشا القره ما نلي صاحب كرسي
محروسة طرابلس في التاريخ أيده الله وأعانه على ما أولاه آمين.

وبمحضرة العالم العلامة والبحر الفهامة شيخ الإسلام ونفر قضاء الانام الهمام
المدراك قاضي الجماعة بالمحروسة المذكورة ، سيدي أحمد بن المرحوم المنعم
الشيخ سيدي الحاج حسين التوغار وبمحضرة الشيخ الفقيه العالم النحرير سيدي
عبد الكريم بن المرحوم المنعم سيدي محمد العسوسى نائب محكمة المحروسة
المذكور في التاريخ وبمحضرة شيخ الطريقة وهمام الشريعة الشيخ الفقيه المدرس
العالم العلامة سيدي محمد بن المرحوم المنعم الشيخ سيدي محمد العسوسى
وبمحضرة الشيخ الفقيه العالم المدرس المفتى الناسك الأبر سيدي الحاج مفتاح
ابن هنيدي وبمحضرة الشيخ الفقيه العالم المدرس المفتى الناسك الأبر سيدي
الحاج محمد بن محمد المحجوب وبمحضرة شاهدين الآتي اسمهما عقب التاريخ
شهد سيدي محمد الدغيس أن جميع ما عنده من الأخبار من جانب أخيه
سيدي حسونة في شأن كواعظ^(١) وما جور لك، كل ذلك أخبرت به سيدنا
الأمير المذكور دامت معاليه وإن صدر مني ما ينقض هذا حال حلولي بحوش
الفرنسيس فهو باطل لكوني متهم به في ذلك الوقت ، وأن الورقة التي أتوني
بها بعض التفاصيل بخط يدي وأنا بحوش الفرنسيس المذكور ، وأنكرتها ،
إنما هو حياء من قنصل الفرنسيس ، والحق في هذه القضية ، ما أخبرت به

سيدي الباشا المذكور وكتبت له بخط يدي ، وعرفت به الأرشد الأسعد
الهمام الأواحد سيدي علي باي وغيره يشهد عنه عارفه بكال بتاريخ ٢١ صفر
الخير ١٢٤٥ ، أحمد بن الحاج عبد الرحمن القلالى أحد عدول محكمة محروسة
طرابلس غرب في التاريخ وعبد ربه محمد الشتيوى بن الحاج محمود الأبيض
أحد عدول محكمة طرابلس غرب في التاريخ .

الحمد والحمد والثناء المجيد وبعد
مانسب عنى أسفله صحيح قاله عبد ربه
أحمد بن حسين التوغار قاضى الجماعة
بمحكمة طرابلس غرب .

الحمد لمستحقه ما نسب عنى من
الحضور يسراه صحيح قاله عبد ربه
عبد الكريم بن محمد العسوسى نائب
محكمة طرابلس غرب في التاريخ
وفقه الله آمين .

الحمد للمستحق ما نسب عنى من
الحضور يسراه صحيح حسباً رقم
بمثله قاله وكتبه أفقر العبيد لرحمة
ربه ولطفه محمد بن محمد العسوسى
وفقه الله بمنه آمين .

الحمد لمستحقه ما نسب عنى من
الحضور يسراه صحيح وكتبه مفتاح
ابن الهنيدى .

الحمد للمستحق ما نسب عنى من
الحضور كما ذكر يسراه وكتبه الفقير
إليه محمد المحجوب .

وثيقة - ١٨

رسالة يوسف باشا إلى قنصل سردينيا (١)

١٨ رمضان المعظم سنة ١٢٤٧ هـ - سنة ١٨٣١ م

الحمد لمن يستحقه - إلى محب جنابنا قنصليز السردينيز وبعد :

إن الموجب لكتابنا هذا هو أن السكة التي نضربوا فيها حين يتم أمرها وتمشى بين الناس يقع فيها الفساد عاجلا المرة بعد المرة كما هو على علمك وظهر لنا أن فسادها لم يقع إلا من أهل الدكاكين من كافة الأجناس . ومردانا أنك تحكم في جميع السودتو (٢) متعك وتنبه عليهم وتتهمهم وتأمرهم بالاتباع فيما نأمر به كافة الناس والذي يخالف ولم يمتثل أخرجه من البلاد لأن هذا أمر لحق تبعه جميع الناس كما لا يخفك وهي أوكد الحوائج عندكم والسلام

عبد ربه

يوسف باشا قرمانلي نصره مولاه بمنه آمين

(١) منقولة من الأصل ، بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب .

(٢) الرعايا

وثيقة - ١٩

رسالة يوسف باشا إلى فيليب الأول^(١) امبراطور فرنسا

من حاكم ووالي إيالة طرابلس الغرب - أمنها المولى من كل شدة وكرب -
من عبد ربه أمير المؤمنين والناصر الصحيح لمصالح المسلمين يوسف بن علي
باشا بن محمد باشا قرمانلي إلى مدير أمور المملكة برأيه الصائب وراعي حمي
دولته بفكره الثاقب - مؤسس قواعد إيالته أحسن تأسيس - أعز أحبابي
ومحبي - ملك دولة فرنسا البهية فيليب الأول سدد المولى أحواله ونعم باله :
بعد عرض التحية ومزيد السلام والإكرام - حسب معلومك أنه توجد
بيننا من القديم مودة - ونطلب نموها على الدوام - ونأملوا أنه بمرور الزمان
تبقى ثابتة - وبهذه المناسبة علمنا أنكم جلستم على عرش أسلافكم فرأينا
واجبا علينا وإظهارا لفرحنا ولإزید الولاء المعقود بينكم وبين أجدادنا العظام
أن نبارك لكم حتى يحضر في مراسم الاحتفال بأفراحكم نيابة عنا أحد مقربي
دائرتنا المتصف بالفضل والكمال وزيرى الحاج محمد شاي بيت المال - أرسل
هذا المندوب الخاص إلى جانبكم لأنى أنا أعد نفسى من أحبابكم وكما أنى
أكرم وأعظم كل الممثلين من طرفكم أرجو أن تكون معاملتكم لنايى هذا
بالمثل - كما نرجو أن تصغوا إلى ما يحدثكم به شفاها وتساعدوه على إنجاز
ما يطلبه - حفظكم الله من الكدر - وأبعد عنكم سوء - ورزقكم الصحة
والعافية آمين .

٣ رجب سنة ١٢٤٦ هـ - سنة ١٨٣٠ م

(١) منقول عن الأصل بدار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس الغرب .

وثيقة - ٢٠

رسالة المسيو دي جرانج ترجمان لوى فيليب ملك فرنسا
إلى محمد بيت المال (١) المؤرخة في ٢٧ مارس سنة ١٨٣١

السيد محمد بيت المال
إلى جناب حضرة السيد الأجد

بعد إهداء السلام ومزيد الإكرام بوفور الاشتياق إلى مشاهدة أنوار
طلعتكم البهية بكل خير وعافية وأن الباعث لتحرير هذه الحروف هو افتقاد
كريم خاطركم ثم لم أقدر أوصف لحضرتكم الوحشة التي تركتموها لنا وإنشاء
الله يسلينا عن قريب أعلم ووصولكم بالسلامة إلى الأوطان العامرة وتطمنوننا
على سلامتكم العزيزة .

ونخبركم أنه قبل تاريخه كتب لكم الجنرال سباستياني وعرف حضرتكم
بأن وزير الأمور البحرية أمر محافظ طولون بأن يدبر أمر وصولكم إلى
طرابلس وإنشاء الله وصل لكم مكتوب الجنرال المذكور والآن حضر عندنا

(١) ولد محمد بيت المال بطرابلس في أواخر القرن الثاني عشر الهجري وحفظ القرآن وتلقى
مبادئ العلوم اللسانية والدينية على علوم عصره ووعين كاتباً في ديوان الرسائل بولاية طرابلس وأخذ
يترقى حتى أصبح رئيساً لذلك الديوان ، ثم اختير ليكون رئيساً للوزارة على عهد يوسف
القرمانلي ، وسافر أثناء ذلك في مهام سياسية إلى إيطاليا وفرنسا لعقد اتفاقيات معها واجتمع
أثناء وجوده في باريس بعظماة فرنسا وأشهرهم المستشرق سلوستر دي ساسي شارح المقامات
الحريرية المطبوعة بباريس وأهداه نسخة من شرحه العربي على تلك المقامات مصحوبة برسالة
عربية رقيقة بخط ذلك المستشرق ، وقد أعدت له فرنسا مركباً حريباً لرجوعه إلى طرابلس ،
وقد حدثت بينه وبين يوسف القرمانلي في أواخر أيامه جفوة ، كما ناصر محمد بك علي على القرمانلي
ابن يوسف ، وعندما عادت طرابلس للحكم العثماني المباشر أرسل إلى الوالي مصطفى نجيب باشا
يطلب الأمان وعمل مستشاراً له وكان زعماء القبائل يحثهم على الخضوع وكف أنصارهم عن
الإخلال بالأمن فأطاعوا ، وفي سنة ١٢٥٥ هـ أرسله الوالي التركي على عشق إلى استانبول
حيث أكرمه الدولة وخصصت له منزلاً وراتباً ثم أعدم بصورة خفية لاتهامه بالعمل على تولى
إمارة القطر الطرابلسي .

السيد بارون الطيب فهو يترجا حضرتكم بتجعلوا همه في تدبير مصلحته
المعروفه منكم وما مول من فضلكم إذا رضى به سعادة الباشا المفخم يكون الجواب
بوجه السرعة حتى يمكنه يسافر مع القنصل وكل غرض يلزم حضرتكم في هذا
الطرف شرفونا بقضاه نقوم به على الرأس والعين والسنيور قوسين يهدى
جنايبكم أوفر التحية والسلام والله يحفظكم ودمتم .

تحريرا في ٢٧ من شهر مارس سنة ١٨٣١
ده فرائج
ترجمان سلطان فرانسه

وثيقة - ٢١

رسالة يوسف باشا القرماني إلى محمد شلبي بيت المال
يصف فيها وقائعه مع سكان بن وليد وأنصارهم
٦ رجب سنة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٢ ديسمبر سنة ١٨٣١

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

إلى الأجل الأفاضل الوجيه الأقبل المحترم المبجل ولدنا الحاج محمد بيت
المال أصلح الله له الحال والمال بمنه أمين السلام الأتم، الأطيب الأعم عليكم
ورحمة الله وبركاته ولا زايد سوى الخير يليه إعلامكم موجب الكتب إليكم
هو أننا كنا عرفناكم سابقاً على تجهيز الأبحال^(١) المنصورات وفيهم الأسعدين
الأرشدين أنجالنا سيدي علي باي وسيدي ابراهيم باي وبينا لكم عدد العساكر
والخيل والرجال والآن نعرفوكم بما حل بأهل وادي بن وليد ومن في حزبهم من
أولاد سليمان والقدافة وغيرهم أول واقعة وقعت عليهم لما نزلت المحلة بقليعات
الحطابة في أسفل الوادي قبل لا تبلغ لهم سولت لهم أنفسهم الخيثة وجردوا
عشرة فيهم سيب وتريس وهجموا على المحلة في الليل فوجدوا الناس على
أهبة والمدافع في كل نزعة وبقى البارود والمدافع بنوضوا^(٢) مقدار ثلاثة ساعات
وانهزموا مقبوضين ومات منهم بالدويلى والرصاص ما يزيد على مائة وخمسين
رقة وسلبت المحلة ولم يمت منها حتى رجل واحد والله الحمد على ذلك وصبيحة
اليوم رحلت المحلة ونزلت بقرب ظهرت الشيخ السودانى لأن ورفله كلهم
عقلوا في سرار الفوقيين والأوطيين وادهمتهم العساكر في معقل سرار وبن
قايد أما معقل بن قايد وما يليه أخذوه في أسرع مدة وقتلوا من فيه وركت
العركة في معقل سرار وحمى الوطيس وطلعوهم منه ثلاث مرات ويرجعوا له
حتى أن أنجالنا باشروا القتال بأنفسهم وجرح حصان سيدي علي وانجرح

سیدی ابراهیم جرح خفیف وهدوا اولاد ابي سيف وطلبوا من انجالنا العفو
واحترت العرکه فمات منهم فی ذلك الیوم مائتین وخمسين رقبة وأما المجاریح
بلا حساب والخیل كذلك وبقوا یتشفعوا وشرعوا العساكر فی تقطیع الأشجار
وتعدیم الآبار من الفنادن إلى دفع الداوی لا قعدت زیتونة ولا محوش قائم البناء
ثم رحلت المحلة نزلت فی ظهیر التربة وعاركتهم عرکه أخرى فی وسط الوادی
وانقبضوا ورفله إلى أن رقوا إلى سرار ومات منهم مائتین واثنی عشر رقبة
وثلاثة مائة مجاریح وزاد فی التشفیع فقدموا علينا المرابطين اولاد ابي سيف
أولاد بن مریم وزوی غریبان وطاحوا علينا وطلبوا منا العفو والصفح ورفع القتال
وحقن دماء المسلمین فأسعضوا بما طلبوه منا وعفونا وراعینا الضعفاء المساکین
بعد أن التزم لنا عبد الجلیل ومشایخ ورفله علی یدی اولاد ابي سيف بألف
وخمسة مائة ناقة ومائة وخمسين رأس عبد وجابوا لنا عشرين رهينة من خیار
أولاد المشایخ وعبد الجلیل أعطى الساعدی وابنه وأخیه عمر لولا أنه مجروح
عاطیه والرهان الآن فی قیظون البای ویبغوا یسرعوا فی إخلاص والتزموا
برجوع جمیع ما أخذوا من فزان بتمامه وطمنوننا اولاد ابي سيف فی إتمام
هذه الشروط وأما البای محمد شرکز فانه مات مریضاً وولده أحمد ومن معه
باقی فی القصر وعن قریب یقدم إن شاء الله علی أسرحال بجمیع ما عنده ولا
یغیر أحد علیه شی یكون ذلك فی علمکم وان شاء الله بعدما یرحلوا الأحمال
المنصورات من وادی بن ولید نبغوا نجهزوا واحد من انجالنا للوطن الشرقی
فی محلة عظيمة تهد الوطن وتواطی بعض أنوف شمخت کما فی علمکم وأنت لا بد
تعرفنا علی أحوال أهل الوطن وما هم علیه جملة وتفصیلاً لتکونوا علی
بصیره وأما المحلة لم یمت منها الا مائة وخمسين رقبة من کل نسبة اثنین ثلاثة
مالهم بال ولا فیهم متسمین الا محمد ولد الشیخ بلقاسم بن منتصر وولد منصور
ابن ابراهیم من عیلت الأدغم والحاج أحمد بن سلطان وجنوا أهل المحلة من
ورفلة مائتین فرس منهم ثمانین عند أهل الشرق وتعلم أننا کنا کتبنا لك علی
عشرين والا ثلاثین قنطار سمن تبقی تهتم لنا منهم وترسلهم لنا عاجلاً فی

أول مركب، وما أنت الا ولدنا وأقرب مالدينا، وربنا يجيب تصرفات الجميع في الصواب والسلام، بتاريخ ٦ من رجب الأصم سنة ١٢٤٧ الحاصل هذه نقزة نقزوها ورفلله، ومن في حزبهم، وجمت على روسهم تكسروا تكسيره كبيرة راحوا نحاييرهم، وسعيهم كله راح، أما الغنم ما قعد عندهم منها حتى شاة واحدة سلموا فيها اقباله وأخذوها العساكر بتمامها والإبل كذلك راحت، شئ أخذوه السبعة والغنایمة، غير نوفل ابرو حه أخذ ثلاثة مائة ناقة، وشئ ضاع في العقلة، وشئ طاح عند المحله ولا قعد عندهم شئ، والدفد فوات دفد يفة كبيرة، وجميع رجالاتهم الذي تعرفهم الذي ما مات هو مات ولده، وماتت فرسه، والله غير من الطبول خاصة سبعة وعشرين راجل خيار الذي ماتوا، ولا تاسل لكن في الحقيقة ماتم أعداء للسلطنة وللعماله الا المرابطين لما اضايقوا ورفلة وشرقوا، وكثرت فيهم الموت وبدوا يشفعوا والقتل فيهم، وقريب يتاخذ العفو اهدوا المرابطين أولاد أبي سيف وأولاد أبو لموشة والسواعدية واللامان بن حميدان وخوته وأولاد الشيخ العالم وأولاد بن مریم كلهم وبد يتربطوا على البيات ويطلبوا في العفو حتى ساعدوهم وأخذوا بنحو اطرم، وألا لو المرابطين كانت حاجة وقضاها الله لكن إرادة الله غلبت وما يتراد علينا بعد هذا الجواب نعرفوكم به مع قارباش، ونعلوك على القداقة راحوا مال ورجال وكوها وكلة طيبة، والسلام بتاريخ يمانه.

المرعى بالله عبده يوسف باشا قرمانلى أیده الله آمین

وثيقة - ٢٢

رسالة من يوسف باشا القرماني

إلى محمد شلبي بيت المال بتاريخ ٢٨ من شعبان سنة ١٢٤٧ هـ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الأجل الأفاضل، الوجيه الأقبل، المحترم المبجل ولدنا الحاج محمد بيت المال
أصلح الله له الحال والمسلك بمنه وكرمه آمين، السلام الأتم الأطيب الأعم
عليكم ورحمة الله وبركاته ولا زايد سوى الخير، يليه اعلامكم انه ورد علينا
جوابكم وقريناه من مبتداه إلى أقصى غايته ومنتهاه وفهمنا ما أفاده خطابكم
على تفصيله، وجميع ما شرحت صار في علمنا وعرفتنا بما أنت عليه من الخدمة
والوقوف على ساق الجد، ولم تمسك فترة ولا رخوة في جميع ما يرد من
المصالح إلى آخر ما ذكرت، بارك الله فيك وهذا المؤمل منك والمقطوع به
عليك مثلك من يصلح لهذا المقام ويهتني منه ويمشى الأمور على ما هي، غير
انك اختصرت الكلام في الجواب، ولم تبين لنا أحوال الناس وما هم عليه في
الحال، وما تظن يقع منهم في الاستقبال، فالقريب هو مثلك وفي منزلتك للزوم
تعرفنا بالحقيقة الدخلانية، وتبين لنا كل شيء على التفصيل لتكونوا على بصيرة
من الأمر. نحن كنا عرفناك من جانب أهل وادي بن وليد وما آل إليه أمرهم
وان المرابطين طاحوا علينا وعملنا الصلح على أيديهم، ووقع الدفع في البعض
منه ووقعت المراهاة وطال الأمر وبطت المحلة وتعرف حال المرابطين اليوم
وغدوة ونحن فات فبنا وأعطيناهم الكلمة، ثم لما طال الأمر كتب عبد الجليل
لقنصل الانجليز، وطلب منه أن يقدم عليه، فتكلم معنا القنصل وطلب منا
أن يتوجه للوادي، ويوجب عبد الجليل والا أخيه، ويتمم الأمر بمساعدته على
ذلك، ونحسبه يقضى حاجة ويحصل المقصود، وتارى روح القنصل طاوى

الحصيرة من جانب عبد الجليل ، ولا حصل منه على طائل غير الجوابات
الفارغات، وفزان لا هو مخلصها ولا بغى يسلم فيها ، ونحن جزمنا على تجهيز
الأجل المحترم ولدنا الباي محمد المكنى فى قوم غليظة من المحلة يتوجه بها
لفزان ، وتمكث المحلة بقرب الوادى ، حتى يبلغ المكنى لطف فزان وحتى
السبعة والزنتان والرجبان ومن فى معناهم ناشطين ومستوبنين ، ويبغوا يمشوا
لفزان ويلاقوا المكنى فى الشاطىء ، لأن القصر قاعد فيه ولد الباي محمد
والحاج ابراهيم المكنى ومن منهم من الطرابلسية ومصراطه وغيرهم وكامشين
على أرواحهم ، وكذلك ساعد بن ضو والحطمان ومن فى عرفهم كامشين على
أرواحهم حتى يجيهم المدد ، وأما غزى ورفلة واولاد سليمان الذين كانوا
محاصرين القصر امشوا سبهه ، وأما ورفلة والقدادفة راحوا للوادى ، وأما
أولاد سليمان باقين فى سبهه والله أعلم ان خدمتنا على أخذ فزان ونحو مروها
أولى وأحسن من مساطرات أهل الوادى ، غير عاقلين فى سيطرة لا عندهم
كسب لا حرث له غيره ، ونبغوك تدير معنا وتشير علينا وتخبرنا على أحوال
الشرق بالتفصيل والتطويل ، حتى كاتنا نشاهدوا فيما هم عليه وكيف نديروا
واخبرونا على أن محمد على فسد أمره مع السلطان ، وسائر على الشام من غير
إذن السلطان ، ولم تتحققوا صحة الخبر ، نبغى إذا ورد عليكم خبر على هذا
المعنى عرفونا به فوراً من غير مزاهدة ، وانركب هويتها عندكم الخبر الذى يرد
عليكم من كل جانب اعلنا به فى البحر والا فى البر ، وانت ما نحتاجوا
نكثرولك كلام الذى يرد عليك وتعرفه يصلح عرفنا به ، وما أنت إلا ولدنا
وأقرب ما لدينا ، وربنا يجيب تصرفات الجميع فى الصواب والسلام بتاريخ
٢٨ من شعبان سنة ١٢٤٧ .

المرعى بالله عبده

يوسف باشا قرمانلى أيدى الله

وثيقة - ٢٣

رسالة^(١) يوسف القرماني إلى محمد بيت المال

في ١٧ رمضان سنة ١٢٤٧ هـ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
إلى الأجل الأفاضل الوجيه الأمثل المحترم المبجل ولدنا الحاج محمد بيت
المال - أكرمه الله آمين .

السلام الأتم والأطيب الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه
وأزكى تحياته - يليه إعلامكم بعد السؤال عن كلية أحوالكم أنه بلغنا
جوابكم وقريناه وفهمنا ما فيه وجميع ما ذكرت صار في علمنا - عرفنا
بما أنت عليه من الوقوف والاجتهاد فيما كلفناك به ، ولم تمسك فترة
ولارخوة في جميع المصالح ، ورااد بالك من كل جهة وجانب ، وأنت فرقت
حق المربع على أهل بنغازي وباديتها ، ومتوجه لدرنه إلى آخر ما ذكرت
علمنا ذلك - ما فعلت إلا ما هو في المراد مثلك من يكون ويصلح لمباشرة
الأمور المهمة ويهني ويفرغ السر : غير اشبح^(١) كيف تحيل في أمر
الخلاص بألا تقبل إلا الشيء الذي تعرفه ينفعنا ويهيننا من باب دور^(٢)
وفجره^(٣) ونعمه^(٤) وسمن مثل ما عرفناك في الجواب الأول ، وأما الإبل
لا تقبلها ولاننا فيها مصلحة ، ولا تحصل لنا منها منفعة ، كما لا يخفك تمشي
قروش وعروش ولا نوقفوا بها شيء - وخيارك الإنسان ما يساعد إلا في
الشيء الذي يعرف فيه ثمرته وصلاحه ، والناس يقولوا من جعر فيما ضره
الشیطان غرثه ، وغيرك يحتاج زيادة التأکید من هذا الجانب .

وأما قضية التجريدة وأحوالها حتى وإن كان ظفرت بمطلوبها وروحت ،
ما زال الغربي يولد لنا في المشاور ورقاقيصه ماشيين جاينين بهذا المعنى
وبدعواه أنه يتعرض ويتكلم علينا ويكتب لنا في جوابات والله العظيم
ما يخاطبوا بهم حتى اليهود ، والتوبيخ والعتاب والتهديد ، ولعلك اطلعت

(١) حبوب

(٢) فضة

(٣) ذهب

(٤) أنظر

على جواباته لبأى بنغازى - لكن المقدر كاي ورد الواقع محال . قدر ربنا علينا بخلطته حتى سمعنا مانكرهه .

ولا يفصل بيننا وبينه شيء إلا خلاص دراهمه الذين بطرفنا تبقى تعمل همه فى سلا كههم بأن تحرش فى البأى وتؤكد عليه بأن يدافعه ويخلصه فى تساكره قبل كل أحد لأجل نقطعوا المادة معه - وأما بقية التساكر بتاع النصرارى يدفعهم على السواء بحيث ما يخص أحد دون غيره لأن الغرض والتخصيص يجيب لنا النشاف ودواخ الراس ، كما لا يخفاك أمر النصرارى وأنت أعجل روحك فى الخلاص والتأخير له آفات ، والناس يقولوا غرامه عجولة ولا فائدة بطية ، ومرادنا تتم خلاصك بسرعة وتقدم علينا ، لأننا والله استحسنناك وفقدناك ، ونبغوك تعاووناً - ربنا بجيب شغلكم راس ، ويجمعنا بكم على أحسن حال ، وإن تسأل عنى فإنى ترأس ولا وجدت مركوب إلى الآن ، لأن جميع ما جاابوا لنا من خيل كلهم جوادير ، ولا فيهم ما يصلح ، تبقى ترد بالك وابتح لنا ولا تتزاهد فى ذلك لأنه من أهم اللوازم عندنا ، وما نحن أكثرينا طربا فلوا ووجهناه لكم تبقو توسقوه لنا بالشعير والذى توسقوه وافوه بنا ولونه عندكم .

ويوم كتبه قدم الرئيس خليل ، وحينما يفرغ بوشديه وسفته نسقه لكم وتبقوا تعجلوا له بوسقه لأننا فى غاية الاحتياج بالنعمة والبلاد فارغة وأتانا جواب من البأى وعرفنا فيه على أن بنى بنغازى ودرنه قبلهم بالسوم الذى أعلننا كم به سابقاً وإن شاء الله بالبركة عليه تبقى تبارك له فيها وتسكم معه على أننى ما نعرف الخلاص إلا فلوس . وحتى التذاكر بتاع النصرارى الذى يأتوه ما نكتبوهم إلا دراهم وهو يعرف خلاص نفسه ، وإنشاء الله تأتبه التجريدة وجوابات لأهل الوطن مع بوشديه وأنت اجتهد فى الخلاص وانف روحك ، وربنا يكون فى عونك ويجمعنا بكم فى أبرك الأوقات وأشرف الساعات وعرفنا بما يتراد عليكم من الأخبار ودمتم بخير وعافية .

المرعى بالله عبده

يوسف باشا قرمانلى

١٧ رمضان سنة ١٢٤٧ هـ

وثيقة - ٢٤

خطاب يوسف القرماني إلى محمد بيت المال

٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٤٧ هـ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم
إلى الأجل الأفاضل الوجيه الأمثل ولدنا الحاج محمد بيت المال أصلح الله
له الحال والمآل بمنه آمين . السلام الأتم الأطيب الأعم عليكم ورحمة الله
وبركاته ولازايد بعد حمد الله جل وصفه وتقدس إسمه سوى الخير ، يليه
إعلامكم موجب الكتب إليكم هو أن القادم عليكم راحمين الطيار ويده
تذكرة مكتوبة عليكم باسم غليوبى بها ثمانية آلاف ريال دورو تبقى تخلصه فيها
من غير تراخ ولا بد . وكذلك بيده كثراته مكتوبة بيننا وبين النصارى الفرنسيس
والانبريال (١) وغيرهم ومضمونها أنهم رضوا بأن ندفعوا لهم ٤٠ ٪ تبقى
حين تروح لبني غازى توقف لهذا الأمر وتقضى من الباي وتدفع لأهل
التذاكر على نحو ما فى الكثراته من غير أن يأخذ أحد شيئاً زايد على الآخر
ناد بينهم وسلكهم وارخينا من نشافهم (٢) وغيرك يحتاج زيادة التأكيد ،
الحاصل لا بد إنك تخلص راحمين الطيار فى تذاكر القنصل المكتوبين فى
الكثراته وصفى هذا الأمر وفكنا من النشاف ودواخ الراس ، وما أنت
إلا ولدنا وربنا يجب تصرفاتك فى الصواب ولازيادة سوى الخير والسلام

٢٠ ذى القعدة سنة ١٢٤٧ هـ

من المرعى بالله عبده

يوسف باشا القرماني أيدى الله بمنه

وثيقة - ٢٥

رسالة من علي باشا القرمانلي إلى محمد شلبي بيت المال

مؤرخة في ٢٧ من ربيع الأول سنة ١٢٤٨ هـ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم -
حفظه الله بمنه ورحاه يمينه - حضرة أقرب ما عندنا من العمال ، وأخص
وأعز مالدينا من الرجال وزبرنا وولدنا الحاج محمد بيت المال أكرمه
المولى أمين .

السلام الأتم الأطيب الأعم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته - يليه
إعلامكم أننا عرفناكم بكتب منا صعبة الشيشكو مضمونهم ولايتنا بطيب
نفس والدنا واختيار أهل إياتنا يكونوا إن شاء الله وصلوكم واطلمتم عليهم ،
وهنيوتونا على وطن بنغازي ودرنه ، وذلك بأن تحلفوا المشايخ وأعيان
الوطنيين وتأخذوا عليهم عهداً وموآثيقاً ، وتفعلوا جميع جهدكم فيما ترونه
صالحاً بنا، وتوكلوا على الله وتقدموا علينا نتعاونوا على هاته الأمور ، وقد
ظهرت علامات الفتوح والنصر إن شاء الله وذلك صدق غومه وسائر أهل
الغرب وورشفانه ، وكف الذين كانوا محاربين مثل غريان وورقلته وميل
جانب من أهل الساحل والمنشية، وربنا يتم المقاصد بخير، ويسهل فتوح على
يدينا، ولا نقبلوا لك يا ولدنا ويا محبنا عذرا في التخلف وما ترى منا إنشا الله
إلا ما يرضيك وزياده ، ولك عندنا الرتبة العليا ، وفي مثل هذه الحالات
وأمثالها تظهر علامات الخدمة والمحبة والنصيحة وبالله الذي لا إله إلا هو
لا نشكوا في خدمتك ونصيحتك وميلك إلينا ظاهراً وباطناً والقلوب يوحى
بعضها إلى بعض وفي هذا كفاية نعم . وقد كاتبنا الأغا عصمان وأهل الشرق
وعرفناهم بولايتنا وطمناهم وإلى الآن لم يرجع الصندل والرسول ، إنما المتواتر
بأنهم لما سمعوا بولايتنا تبدل ما كان في أنفسهم .

عبده

علي باشا قرمانلي
أيدنه الله بمنه أمين

٢٧ ربيع الأول سنة ١٢٤٨ هـ

وثيقة — ٢٦

رسالة على باشا القرماني

إلى محمد شلبي بيت المال بتاريخ ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٢٤٨ هـ

الحمد لله وحلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
إلى الأجل الأفاضل المحترم والمبجل ولدنا الحاج محمد بيت المال أكرمه
الله بمنه آمين ، السلام الأتم ، الأطيب الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته
ولازيد بحمد الله جل وعلى سوى الخير، يليه إعلامكم أن موجب الكتب
إليكم من شان ساعة الكتب الغرب من قرقارش وغرب كله صح لنا، وهدموا
علينا السعدة وفرسان من العلاونة والبعض من المذشبة، وكل يوم الناس تجي
وتفر كست على أولاد الباي، والناس كانت مز لبة وارم في الناقص ولا عندهم
ثمره، وقدموا علينا مركبين من طرفكم، ولا رأينا منكم جواب ولا خطاب
وكنا منتظرين في قدومكم علينا بالعجل، والناس يقولوا لا حيا بعد الأصحاب
ترجو في قدومك علينا وقاطعين وفاصلين ولا لاحقنا فيك شك، وحاسبينك
أقرب الناس وأحبهم إلينا، وتنفر بنفرتنا ولا تبيننا بقريب ولا بعيد، ورفعت
مقلوب، وخديت كلام أخيك الحاج على حتى كان أنت تعرف حقيقته وخفته،
صغيت لقوله وقول غيره والله العظيم ونبيه الكريم نجوك وراغبين فيك
ولا نحسابوك تبيننا بأرخص السوم، وتغيب على فزعتنا، وتترك حتى مجاؤبتنا
والذي هو مثلك وفي منزلتك ما يحتاج زيادة التأكيد من هذا الجانب وغيره
لأنك جزء منا ونعرفوك رافع الحمل أكثر من الناس كلها، ولا تخدم إلا على
ثمرتنا، وما يزيد في معناها، وإن شاء الله عن قريب تصفا هذه الغمامة ، ويجمعنا
ربنا بك في أبرك الساعات، وأشرف الأوقات، وما أنت إلا ولدنا ومنا وإلينا
ولا زايد إلا خيراً، والسلام بتاريخ ٢٢ من ربيع الثاني سنة ١٢٤٨
من المرعى بالله عبده على باشا قرماني وفقه الله آمين

ملحق خير

ونبغى جميع البحرية والنظام والطبجية وجميع من هو مناسب إلى خدمة
هذه المصالح المذكورة تجمعوهم وترسلوهم لنا مع الأول ولو تحسنوا لهم
من جنابكم على حسب أقدارهم واعلموهم بجزيل احساننا الكامل
لكل من هو الآن منتصب لخدمتنا وكل من يرد عامة يعمه ذلك ولا يحتاج
زيادة تأكيد والسلام بتاريخ يمانه عن اذنه حفظه الله .

وثيقة - ٢٧

رسالة يوسف باشا القرمانلي إلى محمد شلبي

بيت المال بتاريخ ١٠ ذى الحجة ١٢٤٨

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .
إلى الأجل الأفاضل الوجيه الأقبل المحترم ولدنا الحاج محمد بيت المال
أصلح الله أحواله بمنه آمين، السلام الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته ولا زايد
بحمد الله تعالى سوى الخير ، ويليك اعلامك أن موجب الكتب إليك من
شأن أنت راجل خديمي وولدي ومنسوب عليّ ، وغرستي وريبتك وأملت
فيك وفوضت لك الأمور ، وأفردت لك الكلمة على عين الخاص العام
واليوم منذ عشرة أشهر من وقت وقوع هذه الكائنة، جواباتك ماشيات جايات
على يميننا ويسارنا للغير، وأنت متعدينا بالنظر ولا رأينا منك جوابا، ولا اعلتنا
لا يياسر ولا شوى ، ولا عرفنا موجب ذلك منكم ، يا هل هو تعصّى منك
والا باعدك الغير من خدمتنا، وأنت صدقته، ولا كنا نظنوك بمثل هذا وانت
عارف وعافل، وشأن الخديم والولد الذي هو مثلك ما ينسى نعمة سيده عليه
وربايته ، ولو يبقى ما يبقى ، ولا كنت نحسبك تخليني في مثل هذا الوقت
والناس يقولوا لا حياة بعد الأصحاب فضلا عن الأسياد ، وفي الحقيقة
والله العظيم ونبيه الكريم ماك هاين عليّ لا بكثير ولا بقليل ، ونعزى فيك
بكل وجه ممكن ، والحمد لله هامى ما زالت قرية ، ولا صدر منك موجب
يباعدك علينا، حاصله حين وصول الجواب إليك تبقى تتوكل على الله وأقدم
علينا ولا لك منا إلا الهناء والتفويض ، ولا ينصك قدر ولا مراعاة كيف
قبل وزيادة ، ولا يلحقك منا توحيش ، وعليك أمان الله ورسوله وأماننا
الأمان التام ما تخشى من شئ ، وخليك من أقاويل الناس ورفضها وحطها

راهم ما يخلوا من هو منتهى ، وهذا شيء تعرفه أنت بنفسك ما تحتاج يوروه لك ، حاصله إن كنت معترفا بنعمتي عليك وأمل فيك وإحساني عليك نبغيك تقدم علينا في أسرع مدة ، وتعاوننا وتشامل معنا هذه الحملة فان كنا في خير فنحن فيه سواء ، وان أيدت وتراخيت والامغيبت وإلا خابت الرباية والأمل فيك نحن ما علينا لوم ، وربنا يعمل لنا طريق وفي هذا كفاية ولكن ظننا فيك جميل والسلام بتاريخ ١٠ من ذى الحجة سنة ١٢٤٨ .

عبدہ یوسف باشا قرمانلی أیدہ اللہ آمین

و وثيقة - ٢٨

رسالة محمد باشا القرماني إلى الحاج محمد شلبي بيت المال

المؤرخة في ١٩ ذى الحجة سنة ١٢٤٨

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم .

الأجل الأفاضل الوجيه الأقبل المحترم المبجل عوض والدنا سيدى
الحاج محمد بيت المال أصلح الله حاله آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
يليه اعلامكم خير، موجب الكتب إليكم من شأن أننا على محبتكم لا يبدل
الزمن ولا يغيره المكان، ونحن العمالة كله من فضل الله وحسن نيتنا تحت
الطاعة، ولا تخلف منا أحداً إلا المدينة خاصة، والناس كلهم في الخدمة من
فضل الله ورسوله، وأخيمكم الحاج على بيت المال والحاج محمد أخيمكم واقفين
بين أيدينا ومجتهدين غاية الاجتهاد ولا عندم تقصير، وربنا يبلغنا المقصود
وتنظروا معنا الأيام الذي مارآم أحد، وأنت يا محبنا نبغوك في عرفنا وطوعنا
وندهتنا، ونعرفوا قدرك أكثر من الناس الكل، وأنت عوض ولدى
ولا عنده أقرب منك وتبقى أنت أقرب ما يكون من الناس الذي بين يدي
وجميع ما تطلبه تلقاه عندنا بحول الله وقوته لا تخمم ولا تشك، والذي
تبغيه نحن نوفوه عليك ولا بد تكون في عوننا وهذا ما عندنا علمناكم به
والسلام بتاريخ ١٩ من ذى الحجة ١٢٤٨ .

المرعى بالله عبده
محمد باشا قرماني

وثيقة - ٢٩

رسالة من محمد بيزان إلى محمد بيت المال

المؤرخة في ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٢٤٩ هـ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

أسعد الله أوقاتكم وأدام مسراتكم الأجل الفاضل ، والهيام الكامل ،
محبتنا حقاسيدي الحاج محمد بيت المال حفظه الله ورعاه ، ومن كل مكروه ووقاه
بمنه وكرمه آمين .

أما بعد سلام تام ، مبرور عام مع الرحمة عليكم كثرة الأشواق إليكم
ويليه بعد السؤال عن أنفاسكم الزكية ، وأحوالكم الرضية أصحبكم الله بالأماني
بكرة وعشبة ، هو أنه إن تفضلتم علينا بالسؤال فنحن على حالة تسركم وترضيتكم
صحة وسلامة رسبب تسطيره وموجب تحريره هو أنه قبل كتبه أتانا مكتوب
من محبتكم أخونا العزيز سيدي علي بيزان ، وأخبرنا فيه أن العمالة غرب وشرق
محاميد وبكاغره وعلا لقة ونوايل وجوازي وعرب الزاوية كوار غلية وغيرهم
ومجريس وترهونة يتامها وجفارة وأكثرت مسلاته والساحل وزلتن
وكافة مصراته ما عدا عيلة عصمان الأدغم وعبد الجليل وتبعه دخلوا تحت
طاعة المعظم بالله سيدي علي باشا دامت معاليه ، وفي خدمته وعند أمره
ونهبه ورجعوا على ما كانوا عليه ، وعن قريب محلة الغرب والأجد سيدي
ابراهيم قادمين إلى جنزور ، والمريض وترهونة والشرق قادمين إلى تاجوراء
ولا قرب إلا الفتح والولاية إلى حضرتك - يسرنا من غير شك ولا يأخذك
دربز ولا قول قائل ، وأمرت أخونا المذكور بأن نعرفوك بذلك لتكون
على بصيرة ، ويذكر في جوابه بأن مشايخ بره الذي بتعرفهم يلقبوا لك الموضوع
ويجعلوا الباطل حق وأنت تزعم ذلك صحيح ، والبعيد الذي يسمعه يحد عليه

وما على الرسول إلا البلاغ ولا أتوك المشايخ حتى ضاقت عليهم الأرض
وغابت عندهم الخيلة والميلة، وأنت بترون نفسك ولك نظر في ذلك بلغ سلامنا
لمحبنا سيدي الحاج إبراهيم القرمانلي وسيدي بالقاسم بوطية وغلانكم خير وجملة
جمعكم من غير تخصيص منا إجمالا ومنكم أفرادا وذمتكم بخير وعافية والسلام .

٢٥ جمادى الثانية سنة ١٢٤٩ هـ

ملحق خير وكذلك ويذكر أختنا أن الطائف والحاج محمد نديشة جبدوا
أيديهم لما شاهدوا أمر أولاد الباي مضمحل، وما شاهدوا من ضيق الحال
وإقبال الهدوم والأحوال، وتعرف أختنا ومحبتة فيك وما بينكم من العقيدة
والمودة الصافية والسلام .

وثيقة — ٣٠

منشور^(١) محمد باشا القرماتلى إلى جميع قناصل الدول

ورؤساء المراكب البحرية الحربية في ٣٠ في رجب سنة ١٢٤٩

الموافق ١١ ديسمبر سنة ١٨٢٣

حضرة سعادة ولى النعم محمد باشا قرماتلى يخبر جميع أحبابنا القناصل مع جميع الأجناس وكافة الرياس متع مراكبهم الحريات أن هؤلاء المراكب منعنا الذين هم يوجدون فوق مرصعة طرابلس معتمدين من طرفنا ومن طرف جميع ناسنا بشندقنا^(٢) المنصور، لأجل أن يوقف في مصالحهم القوية^(٣) الحاصل يبتنا وبين أهل المدينة على حسب القانون الجارى بين كافة الأجناس وحماية لانفراد كلمتنا وعموم دولتنا فهذا نخبركم ويكون في علمكم ونحن على محبة جميعكم ومراعات جنابكم لازيادة ولا تقصير وليس غرضنا أننا نفسد أو نعرقل الكُمرشو^(٤) متع الجنوس الذى معهم نحن على الصلح والتمام في ٣٠ رجب سنة ١٢٤٩ بيد المبعجل من أحبابنا قنصل جنرال السردانيز شروتى^(٥) الحال في الوقت في طرابلس الغرب .

(١) منقول عن الأصل بدار المحفوظات التاريخية ببارابلس الغرب .
(٢) سنجقنا (٣) الحرب (٤) التجارة (٥) اسم قنصل سردينا

وثيقة - ٣١

احتجاج^(١) قنصل الدول الأوروبية
أثناء الحرب الأهلية في طرابلس

نحن الموقعون على هذا أدناه قنصل الدول الأوروبية بإيالة طرابلس الغرب - قد قررنا بعد دراسة الأحوال الراهنة الأسف من أعماق قلوبنا للحرب الأهلية التي اجتاحت البلاد منذ ثلاث سنوات وقد كانوا يأملون أن يؤدي حيادهم التام إزاء الأطراف المتنازعة إلى احترام المواثيق والمعاهدات والمصالح التجارية ، ولكن حدث ما يخالف ذلك ، إذ أصابت القنابل التي أطلقها أهالي المنشية أما كن يسكنها أوروبيون ، وأصاب بعضها ديار القنصليات رغم وجود الأعلام مرفوعة عليها .

إن إطلاق النار في هذا الحى وإصابة الأما كن المذكورة يؤكد عدم احترام الأجانب والتعدى على حرمتهم وأعلامهم مما يجعل حياة المسيحيين في خطر وهم البعيدون كل البعد عن المنازعات والتحرشات .

من أجل ذلك يطلب الموقعون على هذا من سكان المنشية ضرورة احترام القنصليات وتجنب انتهاك امتيازاتها المقدسة منذ عدة قرون .

والموقعون على هذا أدناه ، طبقاً لخبرتهم الواسعة ، لا يتدخلون في هذه الحرب إلا بقدر حماية حقوق ومصالح رعاياهم والحرص على سلامتهم خاصة وأن مسئوليتنا عن مصالح رعايانا تدعونا إلى عدم العمت عن هذه الحالة .

فباسم الحكومات التي نتشرف بتمثيلها ننذر الذين يقومون بأعمال

(١) مترجمة عن الأصل بالإيطالية والموجود لدى الأستاذ على الفقيه حسن بطرابلس .

العنف في المدينة والذين يقسيون في هذا الوضع ، بالكف عن أعمالهم التي كان لها أسوأ الوقع في نفوس الأوربيين كما يجب على المتنازعين وقادة الحرب أن يتعاونوا لتنفيذ مطالبنا ، وإلا سترسل الدول أساطيلها لتوقف هذه الحرب بالقوة .

إن جميع الرعايا الطرابلسيين الذين يقطنون قرب القنصليات حتى الآن يمكنهم البقاء ، ولكننا سنتدخل إذا وصل آخرون واقترحوا مماناً .
طرابلس في ١٤ مارس سنة ١٨٣٥ .

Warrington — De estefani — Bianie — Cav. Geov Ressori

وثيقة - ٣٢

رسالة (١) من أعيان المنشية إلى السلطان عبد المجيد

في ١٨ شعبان سنة ١٢٥٠ هـ

يعلنون شكواهم من يوسف باشا وابنه علي

وصلتنا التحريرات المتضمنة لبعض وصايا ونصائح عبدكم شاكر أفندي ورسالة مع الأمر السامى بقبول ولاية علي بك بن يوسف باشا على طرابلس الغرب، وتحريرات القبطان باشا وقد قرأت في مواجهة من يلزم حضورهم وأعلنت وأشيعت فحواها على جملة أهالى البلاد وسكان الولاية، وأنهم أفادوا أو وضحوا بأنهم لا زالوا عبيدا مملوكين لذات المتصف بالهية حضرة ظل الله مطيعين منقادين فى كافة أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم لأوامر أولى الأمر، وحرىصين على تجنب الأوضاع التى تخالف رضاه المقام العالى وأن عبدكم المشار (٢) إليه كان قد ألم فى السنة الماضية ببعض تصرفات عبدكم يوسف باشا فى ظلمة الفقراء والضعفاء، وأنواع اعتسافاته على غيرهم وخصوصا الديون التى تفوق الحد المستدانه من طائفة التصارى، لهذه الأسباب قد انسلبت ثقتهم منه وان قيامهم عليه ليس إلا لوقاية أنفسهم من الهلاك وحفظ بلادهم التى هى من الممالك المحروسة المسالك السلطانية حفظها الله من شماتة الأعداء ولوقايتها من الفساد، لهذا اضطروا إلى نصب محمد القرماني رئيسا عليهم، وثاروا على الباشا المشار إليه، وكان أملهم بأن شاكر أفندي الذى اطلع على الأسباب أن يعرضها على السلطنة السنية وإذا بهم يفاجئون بخبر وصوله إلى تونس فى مهمة إصلاح ذات البين، إن أمرنا كهذا يستوجب السرور

(١) صورة من محفوظات رئاسة الوزارة التركية تحت رقم ٢٢٤٦٨ بدار المحفوظات

التاريخية بطرابلس الغرب .

(٢) شاكر أفندي مبعوث السلطان .

غير أنه بعد وقوع حرب دامت ثلاث سنوات بيننا وبين يوسف باشا وابنه على بك أزمقت فيها الأرواح وأتلفت فيها الأموال ، نكف بأنا نقبل ولاية على بك كان خلاف مأمولنا ، وليس بخاف أن أمرا كهذا لا يقبله النساء والصبيان فما بالكم بالرجال وحاشائهم حاشا أن يفهم من رأينا هذا أن معناه عدم الطاعة لأوامر أولى الأمر فهو ليس إلا للأسباب التي سردناها أعلاه والتي لا توافق رضاهم العالي وما فعلناه من قبيل الدفاع لحفظ البلاد والأرواح من الهلاك ورغبة منا في اظهار حقيقة الكيفية وصحتها ، نعرف ونشعر دار المرحوم ، وأملنا أن ينظر إلينا بعين الرحمة والعطف .

توقيعات وأختام

وثيقة - ٣٣

رسالة (١) من عثمان الأدغم إلى محمد القرماتلي

في ٢٣ من محرم سنة ١٢٥١ هـ

الحمد لله صلى الله على سيدى محمد وآله وسلم
إلى من حفظه الله ورعاه ، وبلغه فى الوادى مناه ، الأسعد الأرشدها لهم
ولا غير سيدى محمد باشا قرماتلي دامت معاليه .

السلام الأتم الأطيب الأعم عليكم ورحمة الله وبركاته ولا زيادة سوى
الخير . ونعرفوك بعد تقبيل أيديكم وأرجلكم الكرام وما تستحقه السيادة
من الإجلال والإعظام هذا وأنه حين الكتب أتانا جواب من مصراته
وذكروا لنا أنها قدمت مركب من مالطة وأخبرت على أن أشقوف (٢) مولانا
السلطان وصلوا إلى بلد قريب ويستنوا فى شقوف الإنجليز يقدموا عليهم
وحين بلغ الخبر لما لطة مشوا أشقوف الإنكليز منها للملاقاتهم - هذا الخبر
الذى بلغنا من مالطة وتعلم من أجل أحوال ترهونه ومن هو فى غرضهم ، إنما
المرضى ومن معه عامل مجبودة وبيننا غل مبيت من جهة قنطرة ، وأما عبد المولى
وجارته عامل مجبودة كذلك فى الظاهر وبقرونوا فى الصفوف من ورفلة وغيرهم
ولا تمت لهم جلوه إلا جلوتنا ، ونحن ما لنا خدمة إلا عليكم نجرو فى مصالحكم
وأبضا تنادى هانوا الفزع بنفوسكم والثالثة أتم فاضين من جميع المشاغل ونحن
مانا طالبين منكم حركة ولا قدوم علينا إلا بقصد أنكم تتعقبوهم بالغيرة عليهم
وهم جوا فى طرف العمالة وكثرة الجبل مشرق - والناس كيف ما تعرف
واحد يغره بالخدمة ويوعدوا فيه بالحصه ، وواحد يخوفه تخويف ونحن
جينا لإبعاد عليهم - ان قعدنا معهم ضريناهم بالخسارة وباعد شانهم ، وإن
سيناهم ما يقيموا أرواحهم وأنتم ما تعجبكم راحتكم وتطمعوا بها وتقولوا

(١) منقولة عن الأصل الموجود لدى الأستاذ على الفقيه حسن بطرابلس .

(٢) سفن

افتكيننا من القيرة^(١) - هذا ما هو زمان راحة لانهم رجوع الكيد كله عليكم
ونحن لولا محبتكم والخدمة على مصالحكم وطلب الحصنة فيكم، واحنا مرتاحين
في أوطانا وتاركين الأوطان الذي من يالاهم وهذا شيء دوم ما هو يوم، لأن
معقدنا في الأوطان الغريبات يفتلقوا الناس منا أهل البلاد وأهل السبيب
لأن عندنا بير مسلاته يسقى ألف فارس . الحاصل إذا ما تبغوش الناس
ثمل وتفضى لهم البلاد، ضيقوا عليهم بالفارات والغزيان على الفور باش
يضموا أطرافهم وتقصر خطوفهم ونحن علمناك وأتم تعرفوا ما يصلح بكم
ودمتم بخير وعافية وسلام .

بتاريخ ١٣ في محرم سنة ١٢٥١ هـ

خديمكم
عصيان الأدغم

وثيقة - ٣٤

خطاب (١) محمد بيت المال إلى القائد التركي مصطفى نجيب
بطلب الأمان

الحمد لله
صلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم
حضرة سعادة مولانا الهمام الأعظم والدستور المفخم سيدي مصطفى
باشا دام عزه وعلاه، بعد تقبيل يديه والدعاء بالبقاء والعز والنصر إليه
السلام الأسنى والتحيات المباركات العظمى تم حضرتكم السنية وطلعتكم
البهية المعروض على مسامحك الشريفة، وأخلاقكم المنبعة أنه كما في علم السيادة
من منذ أيام فارطه الحرب حابل بيننا وبين أهالي المدينة، كتبنا عرض حال
لسعادة الدولة العلية والمملكة الخاقانية مولانا السلطان دام نصره وعزه
وعلاه، وعرفنا بتفصيل الأمور وطلبنا من حضرة سعادته أن ينظر إلينا
بعين الرأفة والحنان، ويرفع عنا يد سيدي على ويتفضل علينا بولاية سيدي
محمد أو غيره لتطمين البلاد وترتاح العباد، ولما أن قدمت سعادتك
تحققنا إجابة دعانا، وحصل لنا بقدركم فرح وسرور، وسعينا في تهدين
الفتنة، وإلقاء السلاح وعرفنا حضرة سعادتك مع المشايخ الذي قابلوا
السيادة ان اعيان البلاد حاصل لهم بعض خوف، ومرادهم أن تتفضل عليهم
بواسطة القنصل لنقلهم لتطمين قلوبهم، ولم يكن لهم غرض سوى ذلك
وكتبنا للقنصل الانقليز ورغبناه بأن يعرض ذلك على حضرة السيادة فلم
يحصل قبول، فلما سمعت الناس ذلك ازدادت خوفاً، وتفرقت، أما الباي
أخبرونا توجه للبر، وبقيت الناس كل وغرضه من الخوف، ولو أجيدت
دعوتهم لما فر أحد وتراه اطمأنت الناس ولكن كل شيء بإرادة الله، وأما
خدمكم وأخويه توجهنا للكروبيطه الانقليز، الذي بالمرسى خوفاً على

(١) منقول عن الأصل بدار المحفوظات بمدينة طرابلس الغرب .

أنفسنا ونحن خدام تحت الطاعة ودمتم، والله يقيمكم ومن طوارق الحدان
يعفيكم والسلام . في أوائل صفر الخير سنة ١٢٥١ .

خديمكم الحاج محمد شلبي
بيت المال

من الأجل الأعظم حضرة السيد مصطفى نجيب باشا بلغنا جوابك إلينا
حصل لنا السرور منه وأنت طلبت الأمان فيه أعطيتك أمان الله وأمان
الرسول وأمان الدولة العلية وأمانى عليك وعلى كل من يتقرب إليك من
ذوى الأرحام وعلى مالك وأرقابك تفضل إلينا .

٣ من الصفر



عثمان بك بن يوسف باشا

عينه أخوه علي باشا بيكا لبغاڤى بدلا من محمد شلبي بيت المال ، وقد
غادر بنغاڤى إلى مالطه في اكتوبر سنة ١٨٣٥ عندما علم بمطالبة الدولة
العثمانية بإرسال البقية من أفراد الأسره القرمانيه .

الوثيقة - ٣٥

رسالة محمد رائف^(١) باشا والى طرابلس الغرب
إلى الصدر الأعظم ردا على رسالة إليه بطلب إرسال
الباقى من أفراد الأسرة القرمانيّة
بتاريخ ٢٧ رمضان سنة ١٢٥١ هـ

يعرض عبدكم الآتى :

من المعروف أن عطوفة الوالى نجيب باشا قد أبعد على باشا وأسرته
إلى استانبول، وأن باقى السكان متألّمون لإقامة بقية أفراد الأسرة بينهم
لسوء أعمالهم ومظالمهم السابقة وسوء إدارتهم، وأنه أشار بإرسال جميع
أفراد الأسرة على سفينة أخرى إلى استانبول، ولكننى أرى عدم الموافقة
على ذلك لأن أخوة على باشا فى درنه وبنغازى مستسلمون ومقيمون بها،
ونقلهم إلى مكان آخر لا داعى له، ويكفى أن نأخذ التعهدات اللازمة عليهم
وأن يقوا فى مناصبهم حتى ننظر فى أمرهم، أما يوسف باشا فهو مقيم فى
طرابلس وهو شيخ هرم ومريض وبصره ضعيف يكاد يكون كفيفا
ولا يستطيع السفر، ولا ينتظر استطاعته القيام بحركات مناوئة، ونظرا
لحالته وتقدم سنه ومرضه صرفنا النظر عن إرساله، وعثمان بك أخ على
باشا يقيم اليوم فى بنغازى خاضع يلهو بالشراب وليس له قدرة على الحل
والضبط والربط وسنرسل من طرفنا إلى درنه من نعتمد عليهم من الموظفين
مع ٥٠٠ جندى وسنعطى التعليمات اللازمة لمن نرسلهم إلى هناك - أما

(١) سورة من وثائق رئاسة الوزارة التركية - محفوظة بدارالمخطوطات بمدينة طرابلس
تحت رقم A ٢٢٥٠٥ - تولى محمد رائف باشا ولاية طرابلس خلفاً لنجيب باشا فى ٧ سبتمبر
سنة ١٨٢٥ .

أخوه إبراهيم فوجوده بالزاوية وقد ضمنه الشيخ غومه ، وحاولنا أن نقر به
لنا وأحضرناه إلى طرابلس ، والشيخ غومه هو كبير مشايخ العرب ومحترم
وأتباعه كثيرون ويؤمل منه قضاء المصالح ، ويجب أن نعامله بمعاملة
حسنة - ولذلك صرفنا النظر عن إرسال إبراهيم بك إلى استانبول .
وبما أن علي باشا وجميع أفراد أسرته وخدمته ورفقائه وعددهم ٦٢ شخصا
قد أرسلوا إلى استانبول ، فإننا أخذنا نثبت أملاكهم ونواصل الليل
بالنهار في ضبط أموالهم وحصرها ، المنقولة وغير المنقولة ، أما الأملاك
الغير منقولة فهي رهونة عند فرنسيين وإنجليز ونحن نعمل حصارا لها
وقد تكلف نقل ومؤونة علي بك وأسرته ١٥ ألف قرش ، وسنرسل
لكم بكل ما يجد وما يجب إحاطتكم علما به وفي انتظار تعليماتكم العالية في
هذا الشأن وفي كل الأمر والفرمان لحضرة من له الأمر .

محمد السيد

رائف

الكاتب

عزمي

وثيقة -- ٣٦

رسالة عبد الجليل سيف النصر إلى محمد بيت المال

المؤرخة في ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٢٣٨ هـ

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الأجل الأفاضل الوجيه الأمثل المحترم المبجل بعناية الله ورسوله سيدي
الحاج محمد بيت المال وفقه آمين - السلام عليكم ورحمته مع البركة
ولا زيادة - بعد حمد الله سوا الخير ويليه إعلامكم موجب الكتب إليكم
عما شئت أن تسأل عنا طيبون ما نسأل إلا عنكم وعن كلية أحوالكم كونها
الله على أحسن حال وأتم منوال بحرمة النبي - والآن نعرفكم عما شئت -
بلغنا بلد الجفرة صحوة الثلاث لسبعة والعشرون خلت من ثانی الربيعين، وقمنا
بها عدة أيام حتى تريحنا وتريح خيلنا وقضينا منها بعض مآرب وساعة اللي
تسقدنا منها متوكلين على الله لناحية جفران ورفله يبلغنا وإياكم المقاصد،
ويصلح لنا ولكم الأحوال ظاهراً وباطناً ويوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه،
وتعلم يا محبنا أن ما بُعد إلا في القلوب والصحية التي بيننا لم يغيرها زمان
ولا يبدلها بعد مكان ولا زلنا في حبك وفي عرضك وفي عداوة عدوك ومحبة
حبيبك وجميع ما يتبين لك وتبغيه - أهو أخينا الساعدي وعرفه بما في
مرادك ترانا ما خابنا إلا لأجل ونستك، ووسيلة بيننا وبينك، وان بانك
لك حاجة بطرفنا عرفنا بها ترانا رزق واحد ومال واحد، ولا بينا إلا ما حرم
الله - وإن سألت عن أخبار من القبلة وكافه ققول (١) برنو والسودان بلغت
مرزق ما تخلف أحد عنها، وفزان والحمد لله عمرت عمار تام، نطلبوا من الله
مزيد النعم وحصول المقصود لنا ولكم، وأما أخبار بيربرا الشرق، من

تراب برقا وبنغازى اتونا مراسيلهم وجواباتهم وراق الماء عندهم واخذوا
بما جار بنام به ولا عندهم تقصير ، وان اخبار تراب مصر يطول ، ولكن
أهو يأتيك به تذكيرة لطيفة بباطن الجواب ستطلع عليها إنشاء الله ونحن
غلى زايد العلم منا ومنكم والسلام الام . م

٢٦ جمادى الأولى سنة ١٢٣٨ هـ

محكم

عبد الجليل سيف النصر

وثيقة - ٣٧

محضر وفاة^(١) يوسف باشا

في ٢ ربيع الثاني سنة ١٢٥٦ (٣ أغسطس سنة ١٨٣٨)

الحمد لله مات المرحوم سيدي يوسف باشا قرمانلي ، عن زوجه الست مريومه بنت حسن داي بنغازي ، وعن أولاده من غيرها علي باشا وعويشه الغاية الآن بمحمية اسلامبول، وعثمان باي الغايب الآن باسكندرية، وإبراهيم باي ، وعموره باي ، وقيره وعيشه الحاضرين الآن - وكان من خلف يوسف باشا المذكور كامل الحوش^(٢) الكائن بداخل محروسة طرابلس بقرب الشيخ الخطاب المتلقيه بالإرث عن ابنه مصطفى باي مع كامل السانية^(٣) المتلقيه بالإرث عن ابنه مصطفى باي المذكور الكاتنة بساحل مشية المحروسة المنصورة بقرب سوق^(٤) الجمعة وقد ظهرت ديون علي مصطفى باي المذكور بيع في الدين المذكور الحوش المذكور لأحمد كافاله بخمسة آلاف قرش تركي كما بيعت السانية المذكورة لأخيه العلواني بخمسة آلاف وخمسمائة قرش . جملة الثمن المذكور عشرة آلاف و ٥٠٠ قرش - يخرج من ذلك دين لحو^(٥)ا علجيه وجهاز صداق ابنتها زينوبه زوجة مصطفى باي المذكور خمسة آلاف وثمانماية وأربعين قرشا - ويخرج دين لورثة بن حريز علي سبيل الصلح المرتب بذمة مصطفى المذكور ١٢٠٠ قرشا يخرج جمر^(٥)ك الحوش المذكور ٢٢٥ قرش ويخرج جمر^(٥)ك السانية المذكورة ٢٤٧,٥ قرشا ويخرج كدين للسيد محمد الشريف الحماجي ٣٣٠ قرشا ،

(١) صورة من الأصل المحفوظ بدار المحفوظات بمدينة طرابلس الغرب .

(٢) أي المنزل .

(٣) أي المزرعة .

(٤) إحدى ضواحي مدينة طرابلس .

(٥) ضريبة المنزل .

ويخرج للدلال عشرين قرش - صح الباقي بعد إخراج ما ذكر
٢٦٣٧,٥ قرشاً .

وقسم ما ذكر على الورثة الموجودين الآن بطرا بلس المذكورين ليكون
ذلك تحت أيديهم على وجه الأمانة حتى يقع الفصل في مخلف يوسف باشا
المذكور .

وتحت يد إبراهيم باي المذكور
قروش تركي

٧٠

وتحت يد قديره المذكوره

٣٨٥

الزوجه مريومه المذكوره

قروش تركي

٣٢٥

وتحت يد عموره باي المذكور

٧٠

وتحت يد عائشة المذكورة

٣٨٥

استدراك

نستطيع القارىء عذراً لوجود بعض حروف وأرقام غير واضحة
رجاء إيضاحها وتصحيحها .

الصفحة	السطر	الكلمة	الصواب
٦	٢	بنشاط بعد	بنشاط كبير
—	١٩	المؤمرات	المؤامرات
٨	١٩	وفى	فى
٩	الأول (مامش)	موالارد	بوالارد
١٠	٩	صاناً	طبقاً
١٧	١٣	أنصار	أنصار
١٨	١٣	ابرام كويزن دى	ابرام دى
٢٤	٦	القرمانلى	القرمانلى
٢٧	٣		١٧٢١
—	—		١٥٠٠
٣٧	٢	الاستسلام	للاستسلام
٤٥	١٥	عن	عن
٤٧	٥	جديد	لتجديد
٥٤	١٣	منهم	منهم
٥٥	٢١	الرعب	الرعب
٥٦	٤	أوقت	الوقت
٥٧	٧	صد	ضد
٦٤	٨	لأنه	لأنه
٦٥	٢٣	يوافق	يوافق
٦٦	١٧	بنبون	بنبو
٨١	١١	٧٤٣	١٧٤٣
—	٢٠	٧٤٤	١٧٤٤
٨٥	٩		١٧٤٥
٨٦	٦	الثانى	الثانى
٨٧	٢	٧ يناير	٢٧ يناير
—	٣	٢ ألف	٢٠ ألف

الصفحة	السطر	الكلمة	الصواب
٨٩	٣	١٧٥٣	١٧٥٣
—	١٣	٢٤	٢٤
٩١	١٢	(١١)	(٢)
—	١٩	ثمنة	ثمنية
٩٢	٢	ارسال	ارسال
—	٩	تعد	تعد
٩٢	١	١٧١٢	١٧٦٢
—	٩	تجديد	تجديد
٩٧	٢١	م	م
٩٨	١	أعيد	أعيد
١٠٠	٨	البندقية	البندقية
١٠٢	١٨	لها	له
١٠٣	٥	بنار	فنار
—	١٠	شيوخ	شيوخ
١٠٦	—	٧٨٥	١٧٨٥
١٠٩	٩	ترع	ترع
—	١٣	وذاك	وذاك
١١١	٣	الرع	الرع
—	١١	بهم	بهم
—	١٥	بيك	بيك
—	١٧	أناه	أناؤه
—	٢٠	منهم	منهم
—	٢١	لتقبيل	لتقبيل
١١٢	٣	التوفيق	التوفيق
—	٤	مد	بعد
١١٣	٧ (هامش)	نحوها	نحوها
١٢٢	٩	الروايات	الروايات
—	١٦	يسكن	يسكن
—	١٩	عليها	عليهما
١٣٠	١	أخيه	أخيه
—	٥	فيه	به
١٣٦	٢ (هامش)	لو خير	لو خير
١٣٧	١١	٧٧٠٠	٧٧٠٠٠
١٣٨	٧	١٧٩٦	١٧٩٦

الصفحة	السطر	الكلمة	الصواب
١٣٨	١٤		١٧٩٤
١٤١	١٢	Bouna Ventura	Bona Ventura
١٤٢	٢	ن	من
—	١٨	٣٤	٢٤
١٤٣	١		٢٦
١٥٧	١٢	الشاطى	الشاطىء
١٦٠	١٧	ضرب	تحذف
١٦١	١٣	يدعوه	يدعوه
—	١٨	افا	انفاقا
١٦٤	٩	٣٠٠	٢٠٠
١٦٦	٦	١٨١١	١٨١١
١٧١	٩	١٨١٤	١٨١٤
١٧٦	١٠	جزر الأيونياز	الأيونياز
١٧٨	٣	ومذاع	ومذاع
—	١٢	٤	٤
١٨٢	١٧	كان	كل
١٩١	١١	١٨٣٦	١٨٢٦
١٩٢	—	ألفين	ألني
٢٠٢	١٧	البدوية	البدوية
—	٢ (هامش)	١٨٥١ سنة	سنة ١٨٥١
٢٠٤	٦	٨٠٥	١٨٠٥
—	٨	مصنوعة	المصنوعة
٢٠٤	٤ (هامش)	العروش	القروش
٢٠٥	٦	طراباس الغرب	طراباس الغرب (١)
—	٨	ملك سردينيا (١)	ملك سردينيا (٢)
—	١٦	١٨٣١	١٨٣١
٢٠٦	٢٢	إذ	إذ
٢١٠	١٣	٢	٤
٢١٨	١٧	عن	عبر
٢٢٠	٧	١٨٣٧	١٨٢٧
٢٢٦	١٦	وايراداتها	وايراداتها
٢٤٥	١٤	١٨٣٣	١٨٣٢

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤٥	٢١	اعفائها	اعفائها
٢٥٤	أسفل الصورة	كوتت الصغار	كوتت الصغار
٢٦٥	١٢	١٨١٧	١٨١٧
٢٦٦	٢١	١٨٢٥	١٨٢٥
٢٦٧	٢	١٨٥٩	١٨٥٩
٢٦٨	١٧	١٧٩٣	١٧٩٣
	الوناتي		
١٣	٢	سنة ١٧٦٣	سنة ١٧٦٤
٦٢	٦	ده فراخ	ده جراج
٨٢	٢	السلطان عبد المجيد	السلطان محمود الثاني